الجزء الثانى من كتاب الغيث المسجم فى شرح لامية العجم
للشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك
الصفدى الاريب الشاعر المنشى
الاديب تغمده الله برحمته
وأسكنه فسيح جنته
آمين

قال فى كشف الظنون (لامية العجم) لمؤيد الدين اسماعيل بن الحسين بن على نخر الكتاب العميد الشغرائى المتوفى سنة ٥١٤ نظمها ببغداد سنة ٥٠٠ فى وصف حاله وشكاية زمانه واعتنى بها الادباء (فشرحها) صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى المتوفى سنة ٧٦٤ بشرح أوله الحمد لله الذى شرح صدور من تأدب الخ وسماه الغيث المسجم فى شرح لامية العجم ذكر فيه شيئا كثيرا على طريق الاستطراد فصار مشحونا بغرائب الجد والهزل وأحسن المجاميع (وعليه حاشية) لعبد الرحيم بن عبد الرحمن العباسى المتوفى سنة ٩٦٣ (واختصره) كمال الدين محمد بن موسى الدميرى المتوفى سنة ٨٠٨ ذكر فيه ان الصفدى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من فوائده الا أظهرها وأنه ينتقل فيه من علم الى علم ومن غريبة الى غريبة فهو غريب فى بابه عز عند طلابه (وشرحها) أيضا أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبرى المتوفى سنة ٦١٦ (وبدر الدين) محمد بن أبى بكر بن عمر المالكى الدمامينى المتوفى سنة ٨٢٨ (وابن جماعة) النحوى وسماه ايضاح المبهم من لامية العجم (وعلى بن قاسم) الشبرى وسماه حل المبهم والمعجم فى شرح لامية العجم (وجمال الدين) محمد بن عمر بن مبارك الحضرمى وسماه نشر العلم فى شرح لامية العجم (وحسين الكفوى) جمعه من الشروح كشرح الصفدى (والقاضى) جلال الدين المدنى (وجلال الدين) خضر الحنفى الذى ألفه بقسطنطينية سنة ٩٦٢ (وخمسها) معاذ الدين أبو جعفر محمد بن على الربعى البغدادى (وشهاب الدين) أحمد بن عبد الله الاندلسى واجاد انتهى باختصار

(وبهامشه كتاب سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون) لعلامة زمانه ونادرة أوانه جمال الدين محمد بن نباتة المصرى جعل الله تعالى أنهار الجنة من تحته تجرى)

3147

(الطبعة الاولى)
(بالمطبعة الازهرية المصرية سنة ١٣٠٥ هجرية)

(فهرست الجزء الثانى من شرح العلامة الصفدى على لامية العجم)

صحيفة

٢ الكلام على قول المصنف لعل المسامة بالجزع البيت
٢ حكاية ظريفة فى الدبيب ومقاطيع تناسب ذلك
٥ فى الكلام على الفاعل
٦ حكايه الاصمعى فى انتحال المعانى وماينا سب ذلك
٨ الكلام على قوله لا اكره الطعنة النجلاء الى آخر البيت
٩ الكلام فى اقتحام الاخطار فى الحب
١٠ الكلام فى التغزل فى العيون
١٢ الكلام على قوله ولا اهاب الصفاح الخ
١٢ فى ذكر الجمع بين الساكنين
١٣ اشكال وقع فى قول ابن الرومى ومن العجائب ان عضوا واحدا الخ
١٤ سؤالات رفعت للعلامة ابن تيمية
١٥ سؤال خنثى رفع الى القاضى شريح ورفعه الى أمير المؤمنين على بن أبى طالب
١٦ الكلام فى الاستخدام
١٩ الكلام فى الحماسة فى صورة الغزل
٢٠ الكلام على قوله ولا أخل بغزلان الخ وفيه الكلام على لو
٢٣ عدم نسيان المحبوب عند الاخطار
٢٦ الكلام على قوله حب السلامة الخ
٢٧ الكلام فى الخمول
٢٨ فى السعى والكدو الجدو الكدح
٢٩ الكلام على قوله فان جنحت اليه الخ وفيه الكلام على المنزلة
٣٢ الكلام على ان
٣٤ الكلام على أو
٣٥ الكلام على قوله ودع غمار العلى الخ
٣٦ الكلام فى قوله تعالى أتدعون بعلا
٣٩ فى نوابغ من الكلام وماينا سب ذلك
٤٠ الكلام على قوله رضى الذليل الخ
٤١ الكلام على عند
٤٢ الكلام فى عدم الرضى بالذل
٤٣ أبيات ورسائل تتعلق بالنيل
٤٥ الكلام على قوله فاذر أبها الخ وفيه الكلام على مثنى وثلاث ورباع وأحاد وسداد
٤٨ الكلام على قوله ان العلى حدثتنى الخ

صحيفة

٤٩ في الحث على الانتقال والحركة
٥٠ الكلام فيما يتعلق بالشطرنج وفيه فوائد وأشكال
٥٦ في الاعتراض والحشو
٥٩ الكلام في الرد على من تغزل في المشايخ والكلام على قوله نوأن في شرف المأوى الخ
٦٠ الكلام على المنازل والبروج
٦١ في ذكر أشياء اشتهرت بين الادباء
٦٢ فيما له شهرة بين المحدثين وفتوى الاخبار
٦٥ قاعدة في ان كل سابع يخلع وتمام الكلام على السعي والحركة
٦٩ الكلام على قوله أهبت بالحظ الخ
٧٠ الكلام فيما يتعلق بالحظوظ وأنها لا تنال الخ ما قال نظما ونثرا
٧٧ حكاية عن بعض المطربين
٧٧ الكلام في أن الزمان مولع بخمول الادباء نظما ونثرا
٨٠ الكلام على قوله لعله ان بدا فضلي الخ وفيه الكلام في تصريف بد او غير ذلك
٨٢ في انتباه الزمان للفضلاء بعد رقاده وفيه مسائل
٨٤ في أشياء تتعلق بالتصحيف
٨٥ الكلام على قوله اعلل النفس بالآمال الخ وفيه الكلام على النفس
٨٨ الكلام في فعل التعجب
٨٨ الكلام على لولا
٩٠ الكلام على الأمل والتمني نظما ونثرا
١٠٠ الكلام على قوله لم ارتض العيش والايام مقبلة الخ
١٠٢ الكلام على العيش والشباب والمشيب نظما ونثرا
١٠٥ الكلام على قوله غالى بنفسي عرفاني الخ
١٠٧ الكلام فيمن تكبر ويليه أشعار تناسبه
١٠٨ الكلام على قوله وعادة النصل الخ وفيه الكلام على العادة في عرف الكتاب
١٠٩ الكلام على أن
١١١ الكلام على المثنى وبين التثنية
١١٣ الكلام فيما يتعلق بالسيف نظما ونثرا
١١٦ الكلام على قوله ما كنت أوثر الخ وفيه الكلام على ما كان فيما يناسبه قول الناظم ما كنت أوثر الخ من الاشعار
١٢١ الكلام على قوله تقدمتني أناس الخ
١٢٤ فيما يتعلق بزرقاء اليمامة
١٢٦ في أشياء يمتحن بها الاذهان في الحساب

صحيفة

١٢٨ على قوله هذا جزاء امرئ الخ وفيه اشكال وجواب فى قول الشاعر الشمس طالعة ليست بكاسفة الخ
١٢٨ الكلام على الاجل وغاية العمر
١٢٩ الكلام فيما يناسب بيت الناظم نظما ونثرا
١٣١ فيما يتعلق بالشؤم والطيرة والعدوى
١٣٦ فيما يتعلق بالتأسف على الماضين
١٣٨ حكايات وأشعار فى المجون
١٤٣ الكلام على قوله وان علانى من دونى فلا عجب الخ
١٤٥ الكلام على الشمس وزحل والقمر وسبب الكسوف والخسوف
١٤٧ صورة الافلاك والعناصر
١٤٩ صورة كسوف الشمس
١٥٠ صورة خسوف القمر
١٥٧ فى مخالفة ابن الرومى وعكسه القياس والرد عليه وما قيل فى الورد والنرجس نظما ونثرا
١٥٩ فى نبذة من محاسن ابن سناء الملك ونبذة من شعر ابن بسام
١٦٣ فى غرائب ابن الرومى ويليه حكايات مستعذبة
١٦٥ الكلام على ما فى زحل من المحاسن والفوائد
١٦٦ فى رفع الناقص وخفض الكامل وما قيل فيه من الاشعار
١٦٦ مسئلة فى رؤية الاشياء القائمة على الانهار وفيه شكل لذلك
١٧١ الكلام على قوله فاصبر لها غير محتال الخ
١٧٢ فى الصبر على حوادث الدهر
١٧٤ نبذة من التأسف على ما جرى للمعتمد بن عباد وذكر أبيات له
١٧٦ نبذة فى قوله تعالى ان مع العسر يسرا وفيه رجوع الى الصبر
١٧٩ نبذة تتعلق بمن صلب
١٨١ فى التمطى وما قيل فيه من المجون ويليه بقية من الكلام على الصبر
١٨٢ الكلام على قوله أعدى عدوك أدنى من وثقت به الخ
١٨٣ الكلام فى صيغة أفعل التفضيل
١٨٤ الكلام فيما يتعلق بالاحتراس من الناس وفيه نبذة وحكايات أشعب الطماع
١٨٨ الكلام فيما يتعلق بالعميان والتغزل فيهم والدبيب وغير ذلك
١٩٣ الكلام على قوله فانما رجل الدنيا وواحدها الخ وفيه الكلام على اغنا
١٩٥ الكلام على قوله وحسن ظنك بالايام معجزة الخ
١٩٧ حكايات واشعار تناسب بيت الناظم

صحيفة
١٩٨ الكلام فيما يتعلق بفساد الزمان نظما ونثرا
١٩٩ فيما قيل في حسن الظن
٢٠٠ الكلام على قوله غاض الوفاء وفاض الغدر الخ
٢٠١ نبذة فيما قيل في الغدر والوفاء من نظم وغيره
٢٠٦ الكلام على قوله وشان صدقك عند الناس كذبهم الخ وفيه ذكر المنافقين
٢٠٧ نبذة فيما قيل في حسن التعليل
٢٠٨ الكلام في عدم المطابقة
٢١٠ الكلام على قوله ان كان يجمع شئ في ثباتهم الخ وعلى قولهم سبق السيف العذل
٢١١ الكلام في مراعاة العهود وفي العذل وما يناسب ذلك من الحكايات وفيه نبذة تتعلق باسماء الشهور وغير ذلك
٢١٧ الكلام على قوله يا وارد اسؤر عيش كله كدر الخ وفي الكلام على كل والكليات الخمس
٢١٨ نبذة فيما قيل في الكدر وغير ذلك
٢٢٠ في المنادى ويليه نبذة في التجريد
٢٢١ في الصفو أيام الشباب والاعتذار عن شيب الحبيب
٢٢٤ فيما يناسب قول الناظم يا وارد الخ
٢٢٦ الكلام على قوله فيم اقتحامك لج البحر البيت
٢٢٧ في الرضى بالبسير من الدنيا ويليه حكايات واشعار لائقة بذلك
٢٢٩ الكلام على قوله ملك القناعة لا يخشى عليه البيت وفيه الكلام على الاقتصار
٢٣٠ في القناعة وما فيها من الجد والجون
٢٣٧ الكلام على قوله ترجو البقاء بدار لا ثبات لها البيت
٢٣٧ نبذة تتعلق بالظل
٢٣٨ الكلام فيما يتعلق بالنسيان وفيه نبذة من الجون
٢٤٠ نبذة في اسباب خراب دار الدنيا
٢٤٥ مراسلة بين القاضي الفاضل وابن سناء الملك
٢٤٦ رجوع الى قول الناظم فهل سمعت بظل غير منتقل
٢٤٧ الكلام على قوله ويا خبيرا على الاسرار الخ
٢٤٨ ما قيل في كتمان السر من النظم وغيره
٢٥٠ الكلام على الصمت وذم الكلام وفيه حكاية قتل الشهاب السهروردي
٢٥٣ أشعار للسراج الوراق وما وقع له مع أبي الحسين الجزار
٢٥٣ رجوع الى قتل الشهاب السهروردي ويليها حكايات عمن فضحه كلامه
٢٥٤ الكلام على قوله قد رشحوك لامران فطنت له الخ

٢٥٦ فى مقاطيع ظاهرها التكرار وفى الكلام على الايطاء وتحصيل الحاصل وعلى ما يتعلق بالصدى وغير ذلك من المحاسن
٢٥٩ استطراد فى رؤية الهلال وفيه مبحث لطيف يتعلق بتاريخ وفاة المصطفى صلى الله عليه وسلم
٢٦٠ الكلام فى التحذير من الاعداء
٢٦٢ الكلام فى هجر التجنيب
٢٦٣ الكلام فى قلب بعض الالفاظ
٢٦٦ الكلام فيما يشاكل قول ابن سكرة فى الكافات ويليه أبيات للشارح فى ذلك
٢٦٨ نبذة فى لطائف من الجناس وغيره للشارح وغيره وهى خاتمة الكتاب

(تمت)

(فهرست الجزء الثانى من كتاب سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون)

١٦ ترجمة الامام مالك رضى الله عنه
٢٥ ترجمة الخليل بن أحمد
٤٢ ترجمة أبى الاسود الدئلى
٤٧ ترجمة مانى الثنوى
٥١ ترجمة غيلان القدرى
٥٥ ترجمة الجعد بن درهم
٥٦ ترجمة خالد القشيرى
٦٠ ترجمة بشار بن برد
٧٧ ترجمة أبى نواس
٨٧ ترجمة أبى تمام
٩٨ ترجمة امرئ القيس
١١٠ ترجمة الفضل اللهبى
١١٣ ترجمة الهاشمى
١١٧ ترجمة مجنون ليلى
١٢٣ ترجمة ابن أبى ربيعة
١٣١ ترجمة دريد بن الصمة
١٣٥ ترجمة النعمان بن المنذر
١٤٩ ترجمة باقل بن عمرو
١٥١ ترجمة هينقة
١٥٤ ترجمة طويس
١٦٢ ترجمة الفرزدق
١٧٠ قصة وافد البراجم
١٧١ ترجمة المتلمس
١٧٤ ترجمة عقيل بن علفة
١٧٩ الكلام على ابنة الخس
١٨٧ ترجمة الاعشى الاكبر
١٩٧ ذكر العرندس
٢٠٠ ذكر الخنساء
٢٠٦ ذكر محرق
٢١١ ذكر قرطى مارية
٢١٢ ذكر عمرو بن معديكرب
٢٢٠ ذكر الصمصامة
٢٢٤ ذكر الحطيئة
٢٣٣ ذكر أبى العتاهية
٢٤٤ حديث براقش
٣٦٣ ذكر عامر بن الظرب احد حكام العرب المشهورين

(تمت)

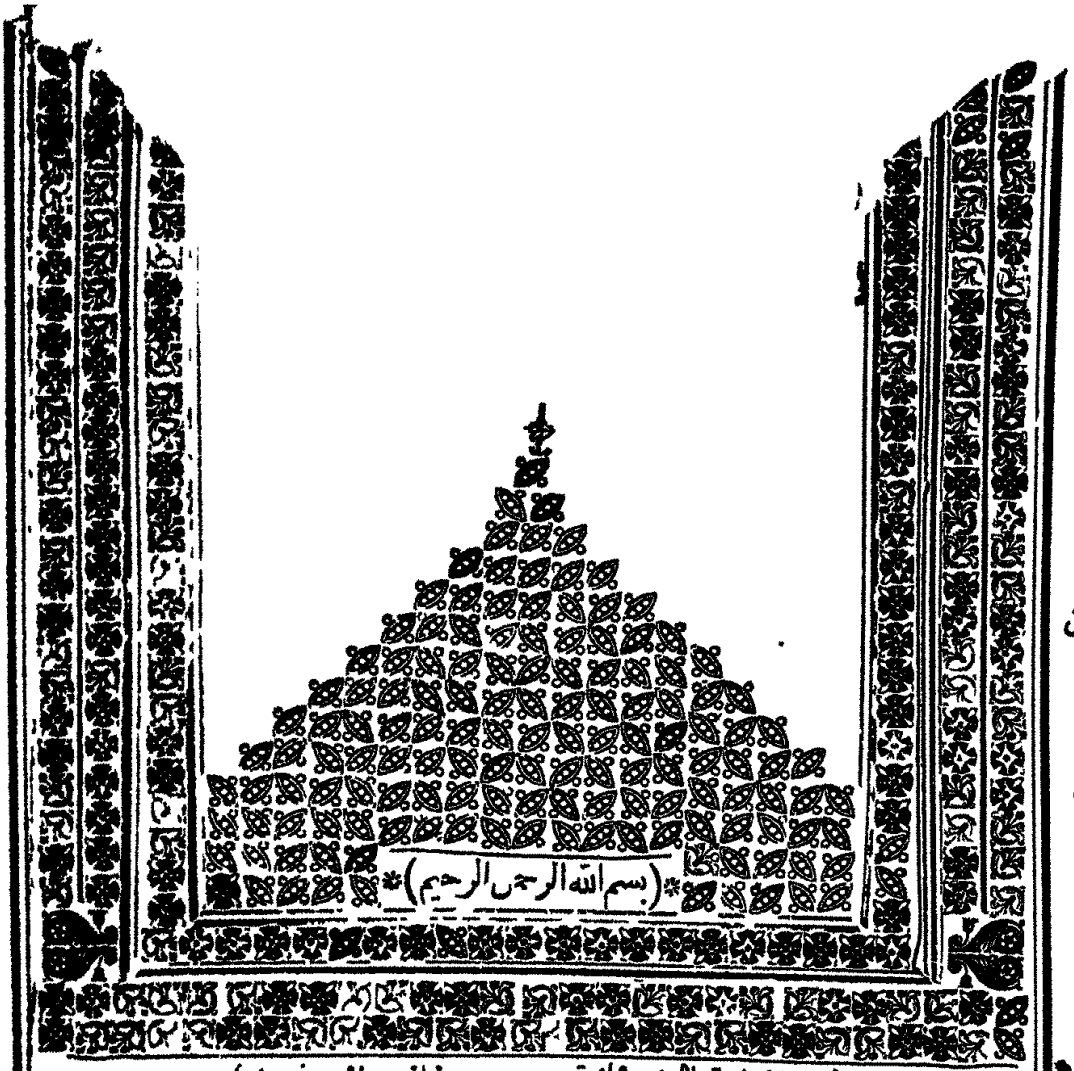

(وعمرو بن بحر مستملیك)
هو عمرو بن بحر بن محبوب ويكنى بابى عثمان ويعرف بالجاحظ وبالحدقى والاول أشهر امام الفصحاء والمتكلمين الذى ملأت الآفاق أخباره وفوائده حتى قيل ما فضل الله تعالى به أمة محمد صلى الله عليه وسلم على غيرها من الامم عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه بسياسته والحسن البصرى بعلمه والجاحظ ببيانه ولد بالبصرة ونشأ ببغداد واشتغل على أبى اسحق النظام المقدم ذكره بمذهب الاعتزال وتامل كتب الفلاسفة ومال الى الطبيعيين منهم وساد على المتكلمين بفصاحته وحسن عبارته ومما تفرد به القول بان المعرفة طبائع وهى مع ذلك فعل العباد على الحقيقة وكان يقول فى سائر الافعال انها انما تنسب الى العباد على أنها وقعت منهم طباعا

*(لعل المامة بالجزع ثانية * يدب منها نسيم البرء فى على)*

(اللغة) لعل كلمة ترج وسيأتى الكلام عليها فى الاعراب وفيها لغات لعل وعل ولعن وعن ولان بفتح النون وأن ورعن ورغن بالغين المعجمة ولغن باللام والغين المعجمة والنون ولعلت بزيادة التاء فى آخر لعل (الالمام) النزول وقد ألم به أى نزل وغلام ملم قارب البلوغ وفى الحديث ان مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلم أى يقرب من ذلك (الجزع) منعطف الوادى (دب) على الارض يدب دبيبا وكل ماش على الارض دابة ودبيب هذا وضع اللغة وقولهم أكذب من دب ودرج معناه أكذب الاحياء والاموات ودبت العقرب اذا سرحت من جحرها ليلا وما أحلى قول القائل

كم دب كالعقرب ليلا وكم * قد قتلوه قتلة العقرب

قال على بن بسام البغدادى كنت أعشق غلاما لخالى أحمد بن حمدون فنمت ليلة عنده وقت لأدب عليه فلسعتنى عقرب فقلت آه فانتبه خالى وقال ما أتى بك ههنا فقلت قمت لأبول فقال صدقت ولكن فى است غلامى فخطر لى اذ ذاك هذه الابيات

ولقد سريت مع الظلام لموعد * حصلته من غادر كذاب
فاذا على ظهر الطريق معدة * سوداء قد علمت أوان ذهابى
لابارك الرحمن فيها انها * دبابة دبت على دباب

وقيل

وقيل ان صاحب الغلام أنشد

وداري اذا نام سكانها * تقيم الحدود وبها العقرب
اذا غفل الناس عن دينهم * فان عقاربنا تضرب

وقال أبو نواس

اذا هجع النيام نفل عني * وعن كان يصلح للدبيب
ألذ النيك ساكان اغتصابا * بمنع الحب أو منع الرقيب

وقال أبو حكيمة راشد بن عبد القدوس

ومنتبه بين النداى رأيته * وقد رة الندمان دب على الساق
فأوجع فيه مثل أسود سالخ * عظيم من الحيات ليس له راق
فلما انتحى فيه تحرك واتكا * وأطرق عند الزهز أحسن اطراق
فقلت له لا تلفين مقصرا * ولا مشفقا في غير موضع اشفاق
أجد تحت خصييه فان سكوته * سكوت امرئ صاب الى النيك مشتاق
فلو لم يكن يقضان ما قام ايره * ولا لف عند النيك ساقا على ساق

وأخذه النور الاسعردي فقال

دببت وفي قلبي بأنك نائم * وما كنت الا ساهر الطرف يقظانا
والا فلم أبديت غنجك بعدما * انقلبت الى جنب وكان الذي كانا

وقال أيضا

وريم يزيد غرامي به * وأشجان قلبي به دائمه
بسفر لوجنته قد قرأ * تسطر ابه مهجتي هائمه
وعاطيته خمرة مزة * فنام وما صبوتي نائمه
دببت من الردف في ربوة * فأبصرتها برزة ناعمه

وقد أدمج في أثناء هذه الابيات أسماء مغنية في غوطة دمشق وهي مشهورة وقال أيضا

كنت مثل النسيم عند دبيبي * سحرا نحو تسل ردف حبيبي
فلهذا فتحت زهر ة ورد * بقضيب عند المحبوب رطيب

وقال أبو جعفر أحمد بن الأبار

زارني خيفة الرقيب مرارا * يتشكى القضيب منه التكبا
رشأ راش لي سهام المنايا * من جفون يصمي بهن القلوبا
قال لي ما ترى الرقيب مطلا * قلت ذره أتى الجناب الرحيبا
عاطها كؤس المدام دراكا * وادرها عليه كوبا فكوبا
واسقنيها بالخمر عينيك صرفا * واجعل الكاس منك ثغرا شنيبا
ثم لما أن نام من تتقيه * وتلقى الكرى سميعا مجيبا
قال لا بد أن تدب عليه * قلت أبغي رشا وآخذ ذيبا
قال فابدأ بنا وثن عليه * قلت كلا لقد ذكرت قريبا
فوثبنا على الغزال ركوبا * ودببنا الى الرقيب دبيبا

وانها وجبت بارادتهم وليس بجائز أن يبلغ أحد ولا يعرف الله تعالى والكفار عنده بين معاند وبين عارف قد استغرقه حبه لمذهبه وعصبيته فهو لا يشعر بما عنده من المعرفة بخلافه الى غير ذلك من آرائه التي تبعه عليها أصحابه المعروفون بالجاحظية * فاما مصنفاته الادبية مثل كتاب البيان والتبيين وكتاب الحيوان وكتاب الامصار وغيرها من الرسائل فكثيرة جدا مشحونة بانواع الفضائل وكان منقطعا الى الوزير محمد ابن عبد الملك بن الزيات ولما قبض عليه وعوقب في التنور هرب الجاحظ فقيل له لم هربت قال خفت أن أكون ثاني اثنين اذهما في التنور يريد بذلك ما صنعوا بابن الزيات من ادخاله تنورا فيه مسامير محماة كان هو صنعه ليعذب الناس فيه فعذب به حتى مات ثم أتى بالجاحظ بعد موت ابن الزيات وفي عنقه سلسلة وهو مقيد في قميص سمل فلما نظر اليه ابن أبي دواد قال والله ما علمتك الا كفورا للنعمة معدنا للساوى في كلام يقرعه به فقال الجاحظ خفض عليك أيدك الله فوالله لان يكون لك الامر علي خيرا من أن يكون لي عليك ولان أسيء

فهل أبصرت أو سمعت بصب * نال محبوبه ونالك الرقيبا

وما فتح هذا الباب الا أبو نواس حيث قال

نكنا رسول عنان * والرأى فيما فعلنا
فكان خبزا بملح * قبل الشواء أكلنا

ومما نظمته وفيه تضمين

أقول وقد نامت على حر وجهها * وما لى عليها فى الظلام دبيب
وان الكثيب الفرد من جانب الحمى * الى وان لم آته لحبيب

وما أحسن ما اعتذر به القائل عن ترك الدبيب فى قوله

قالوا وقد بصروا بأبرى نائما * عند الدبيب اليه رخوا المفصل
ماذا عراه فقلت سارى ليله * عرف المحل فبات دون المنزل

وسأل بعضهم شيخا من أهل الفسوق فقال كنت البارحة فى مجلس قوم وفيهم أرد مثل القمر فلما ناموا حاولت الدبيب عليه فلم أصل اليه وأصبحنا ولم يتفق لى نيكه فقال له الشيخ لك نيتك فقد حسبت لك فسقة ومن هذا قول النور الاسعردى

ولى صاحب قد قال نلت المنى * بمن هو دون الورى منيتى
فقلت أتى زائرا قال لا * ولكن جلدت ولى نيتى

وقيل ان بعضهم كان نائما فى مجلس قوم فحاشعر بنفسه الا وقد دخل فيه شئ كذراع البكر فقام اليه منكرا فقال الدباب يا أخى لك المعذرة فانه قد فام على ولم يكن الى جانبى غيرك قال له كنت اجلد عميرة فقال والله ما يسعه خفى فكيف كفى قال أفبهذا الزب تدب وقد جمع آلات الدب على ما هو مشهور بين أهل المجون ابن دانيال فى قوله

فلما بت فى السماعات الا * لقبونى بالالا ئط الدباب
ولعمرى قد كنت أقتحم الدب وآلاته مشى فى جراب
مثل درج وابرة وخيوط * وعقيد وبيضة وتراب

ومما اتفق لى نظمه أيضا

حضرت مجلس قوم * وفيه ظبى مهفهف
قاموا له وجموه * منى وقالوا تعفف
دنوا وذبوا ودبوا * فلم يفتهم معجف

وكنت قد نظمت قديما فى سنة سبعمائة وثمان عشر معنى خطر لى فى العذار وهو

وأهيف كالغصن الرطيب اذا انثنى * تميل حمامات الاراك اليه
له عارض لما رأى الطرف ناعسا * أتى خده سرا ودب عليه

فوقفت على المعنى بعينه للولى جمال الدين محمد بن نباتة وأنشد فيه من لفظه فيما بعد سنة تسع عشرة وسبعمائة

وبهجتى رشأ يميس قوامه * فكانه نشوان من شفتيه
شغف العذار بخده ورآه قد * نعست لواحظه فدب عليه

فنظمت أنا عند ما وقفت عليهما سنة سبعمائة وعشرين

فتحسن أحسن فى الاحدوثة عنك من أن أحسن قتسىء ولأن تعفو عنى فى حال قدرتك أجمل بك من الانتقام منى فقال ابن أبى دواد قبحك الله فوالله ما علمتك الا كثير تزويق اللسان يا غلام سر به الى الحمام فأدخل الحمام وحمل اليه تخت من ثياب فاخرة ولبس ذلك وأتاه فصدره فى مجلسه ثم أقبل عليه فقال هات الآن أحاديثك يا أبا عثمان ولم يزل عزيز الجانب موفور المال والجاه من مبتدأ أمره الى ان مات سنة خمس وخمسين ومائتين بعد أن بلغ أكثر من تسعين سنة * وله أخبار ظريفة كثيرة ونثر طائل ونظم ضعيف فمن أخباره ونوادره قال أتيت منزل صديق لى فطرقت الباب فخرجت الى جارية سندية فقلت قولى لسيدك الجاحظ بالباب فقالت أقول الجاحد بالباب على لغتها فقلت لا قولى الجاحظ فقالت أقول الحالق فقلت لا تقولى شيأ ورجعت وقال سأخبرنى أحد مثل امرأتين رأيت احداهما فى العسكر وكانت طويلة القامة وكنت على طعام فأردت أن أمازحها فقلت انزلى كلى معنا فقالت أصعد أنت حتى ترى الدنيا

عذارك والطرف ياقاتلي * يحاكيهما الآس والنرجس
وقد صار بينهما نسبة * فهذا يدب وذا ينعس

(رجع) النسيم الريح اللينة يقال نسمت الريح نسيما ونسما ونسم الريح أولها حين تقبل لينة قبل أن تشتد وفي الحديث بعثت في نسم الساعة أي حين ابتدأت وأقبلت (البره) مصدر برئت من المرض برأ ناضم وأهل الحجاز يقولون برأت من المرض برأ بالفتح وأصبح فلان بارئا من مرضه وأبرأه الله (العلل جمع) علة وهي المرض (الاعراب * لعل) من أخوات ان تنصب الاسم وترفع الخبر وقد تقدم الكلام على تعليل هذا العمل في قوله

انى اريد طروق الحى من اضم * البيت ومعناها الترجي ولا يترجى بها الا ماهو مشكوك فيه فلا تقول لعل الميت يعود ولكن تقول لعل المسافر يؤوب وقد تكون حرف جر في لغة بني عقيل قال الشاعر

لعل الله فضلكم علينا * بشئ أن أمكم شريم

كما تكون متى حرف جر في لغة بني هذيل يقولون أخرجها متى كمه (المامة) منصوب على انه اسم لعل (بالجزع) الباء هنا للالصاق وهي متعلقة بالمامة لانه مصدر (ثانية) صفة للمامة (يدب) فعل مضارع مرفوع لخلوه عن ناصب وجازم (منها) جار ومجرور ومن هنا لابتداء الغاية وقد تكون بمعنى الباء كقوله تعالى يحفظونه من أمر الله والارجح أن تكون على أصلها ويكون الجار والمجرور في موضع النصب على انه مفعول لاجله كما في قوله تعالى أطعمهم من جوع (نسيم) فاعل يدب والجملة في موضع رفع خبر لعل * ولا بأس بالكلام على الفاعل قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس الفاعل أصل المرفوعات وباقيها محمول عليه خلافا لابن السراج وأبي علي ومن رأى رأيهما والدليل على ذلك أن المعنى الذي دخل الاعراب الكلام لاجله وهو رفع اللبس يوجد في الفاعل أكثر من المبتدا لان الفاعل لو لم يرفع لالتبس بالمفعول ولا كذلك المبتدا فكان الفاعل أصلا في الرفع وأصل هذا الخلاف مأخوذ من قول سيبويه وفعله فانه قال واعلم ان الاسم أول أحواله الابتداء فنص هنا على أن المبتدا قبل الفاعل وقدم في ترتيب أبواب كتابه باب الفاعل على باب المبتدا اه (قلت) وانما اختص الفاعل بالرفع لاوليته وقوته وقلته واختص المفعول بالنصب لتأخيره وضعفه وكثرته ولذلك قالوا رجل ضحكة بالتحريك للذي يضحك من غيره كثيرا وقالوا رجل ضحكة بالسكون للذي يضحك منه فحركوا الفاعل لقوته وسكنوا المفعول لضعفه وانما قلت لاوليته لانه الذي يوجد الفعل قبل أن يكون مفعولا وانما قلت وقوته لانه الذي يصدر منه الفعل والمفعول يقع عليه الفعل وانما قلت وقلته لان الفاعل الواحد يريد مفاعيل كثيرة تقول ضرب زيد عمرا يوم الجمعة داخل داره ضربا شديدا تأديبا فزيد فاعل وعمرا مفعول به ويوم الجمعة ظرف زمان وداخل داره ظرف مكان وضربا شديدا مفعول مطلق وتأديبا مفعول لاجله ومن هذه الادلة يظهر عكسها في النصب ووجه اختصاص الرفع بالفاعل أن الرفع أثقل الحركات لانه لا يتم الا بضم الشفتين وذلك لا يتم الا بعمل العضلتين الصلبتين الواصلتين الى طرف الشفة والجر يكفي في تحصيله العضلة الواحدة الجاذبة والفتح يكفي فيه العمل الضعيف لتلك العضلة فلذلك أعطوا الاثقل للاقل وأعطوا الاخف للاكثر ولا شك في أن المرفوعات

وأما الاخرى فانها أتتني وأنا على باب داري فقالت لي ألبك حاجة وأريد ان تمشي معي فقمت معها الى أن أتت بي الى صائغ يهودي فقالت له مثل هذا وانصرفت فسألت الصائغ عن قولها فقال انها اتت الي بفص وأمرتني أن أنقش لها عليه صورة شيطان فقلت ياستي ما رأيت الشيطان فأتت بك وقالت ماسمعت وكان الجاحظ بشع المنظر الا أن بيانه كان يجلي عنه وقال دخلت ديوان المكاتبات ببغداد فرأيت قوما قد صقلوا ثيابهم وصفوا عمائمهم ووشوا طروزهم ثم اختبرتهم فوجدتهم كما قال الله تعالى فاما الزبد فيذهب جفاء فظواهر نظيفة وبواطن سخيفة فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون وقال وقفت يوما على قاض فأردت الولع به فقلت لمن حوله انه رجل صالح لا يحب الشهرة فتفرقوا عنه فنظر الي وقال حسبك الله * وقال قلت يوما لعبيد الكلابي أيسرك أن تكون هجينا ولك ألف دينار قال لا أحب اللؤم بشئ قلت فان أمير المؤمنين ابن أمة قلت أخزى الله من أطاعه قلت نبينا الله محمد واسمعيل كانا ابني أمة قال لا يقول هذا

الاقدرى قلت وما القدرى قال لا أدرى الا انه رجل سوء وقال أتانى بعض الثقلاء فقال سمعت أن لك ألف جواب مسكت فعلمنى منها فقلت نعم فقال اذا قال لى شخص يا زوج القحبة يا ثقيل الروح أى شئ أقول له قلت قل له صدقت وقال أنشدت أبا شعيب القلال شعر الابى نواس فقال هذا شعر لوتر لطف فقلت ويلك ما تفارق الجرار والخذف حيث كنت واشترى خصيا أسود فقيل له فى ذلك فقال أخذته اسود لئلا يتهم بى وخصيا لئلا أتهم به واجتمع فى البصرة بالحجاز فى مجلس فقال له الحجازكم نارا فى اللغة فقال نار الحرب ونار الشجر ونار الحباحب ونار المعدة والنار المعروفة قال تركت أبلغ النيران قال وما هى قال نار حر أمك التى كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها فقال الجاحظ أما نار حر أمى فقد قضيت ان لها حدا فما الشأن فى نار حر أمك التى يقال لها هل امتلأت فتقول هل من مزيد وسأله شخص أن كتابا الى بعض أصحابه بالوصية فكتب له رقعة وختمها فلما خرج الرجل من عنده فضها فاذا فيها كتابى اليك مع من لا أعرف ولا أوجب حقه فان قضيت حاجته لم أحمدك

أقل من المنصوبات وقال بعض النحاة من أهل الكوفة ان الفاعل يقدم على فعله وضعا كما يقدم طبعا يقولون فى مثل زيد قام انه من باب الفعل والفاعل ولا يجعلونه من باب المبتدا والخبر وهو دليل لا بأس به والصحيح أن الفعل مقدم على الفاعل بمعنى ما ذكروه لان الفعل هو أثر الرفع فى الفاعل والمؤثر مقدم على المتأثر طبعا فليقدم وضعا فاذا وقع فى الكلام قبل فعله خرج من باب الفعل والفاعل الى باب المبتدا والخبر واعرب مبتدا وقام فعل ماض وفاعله ضمير يرجع الى المبتدا والجملة خبر والا لزم القائل بتقديم الفاعل على الفعل أن لا يختلف الحال فى تقديمه وتأخيره وأن يقال الزيدان قام والزيدون قام ولما قيل الزيدان قاما والزيدون قاموا علم أن ذلك مبتدا وأن الضمير هو الفاعل وهذه المباحث ملخصة مما ذكرته فى التعليقة على الحاجبية (البر) مجرور بالاضافة المقدرة باللام (فى علالى) جار ومجرور ومضاف فى حرف جر وهى ظرفية متعلقة بيدب وعلالى مجرور بها والياء فى موضع جر بالاضافة (المعنى) أترجى المامة بمكان الحمى من الجزع يحصل لى بسببها دبيب نسيم البر فى علالى التى أكابدها من الاشواق وليس الترجى مما ينجى ولكنها طماعية النفوس وطباعها ومكابرتها فى الباطل ونزاعها ولله در القائل

لعل وما تغنى لعل وانها * علالة صب واستراحة هائم

وقال آخر

أتمنى تلك الليالى المنيرا * وتوجهد المحب أن يتمنى

وقال جمال الدين أبو الدر ياقوت الرومى

لله أيام تقضت بكم * ما كان أحلاها وأهناها
مرت فلم يبق لنا بعدها * شئ سوى أن نتمناها

ومثله قول الآخر

أحبتنا لم يبق من طيب وصلكم * على البعد الا أننا نتمناه

وأنشدنى من لفظه لنفسه الشيخ الامام الحافظ فتح الدين محمد بن سيد الناس اليعمرى

يا كاتم الشوق ان الدمع مبديه * حتى يعيد زمان الوصل مبديه
أصبو الى البان لما بان ساكنه * تعللا بليالى وصلنا فيه
عصر مضى وجلابيب الصبا قشب * لم يبق من طيبه الا تمنيه

وقول الطغرائى فى غاية الحسن والرقة وهو مأخوذ من قول أبى نواس

فتمشت فى مفاصلهم * كتمشى البرء فى السقم

(وحكى) الاصمعى قال حضرت مجلس الرشيد وعنده مسلم بن الوليد اذ دخل أبو نواس فقال ما أحدثت بعدنا يا أبا نواس قال يا أمير المؤمنين ولوفى الخمر قال قاتلك الله ولوفى الخمر فانشده

يا شقيق النفس من حكم * نمت عن ليلى ولم أنم

حتى أتى على آخرها فقال أحسنت والله يا غلام أعطه عشرة آلاف درهم وعشر خلع فاخذها وخرج فلما خرجنا من عنده قال لى مسلم بن الوليد ألم تر يا أبا سعيد الى الحسن بن هانئ كيف سرق شعرى وأخذ به مالا وخلعا فقلت وأى معنى سرق قال قوله فتمشت فى مفاصلهم فقلت وأى شئ قلت فقال قلت

غـراء فى فرعها الليل على قمر * على قضيب على دعص النقا الدعس
أذكى من المسك أنفاسا وبهجتها * أرق دبيا جـــة من رقة النفس
كأن قلبى وشاحاها اذا خطرت * وقلبها قلبها فى الصمت والخرس
تجـرى محبتها فى قلب وامقها * جرى السلامة فى أعضاء منتكس

فقلت وممن سرقت أنت هـذا المعنى قال لا أعـلم انى أخذته من أحـد فقلت بلى أخـذته من عمرو بن أبى ربيعة حيث يقول

أما والراقصـات بذات عرق * ورب الركن والبيت العتيق
وزمزم والطواف ومشعريها * ومشـتاق يحن الى مشوق
لقـد ذبب الهوى لك فى فؤادى * دبيب دم الحياة الى العروق

فقال وممن سرق عمر بن أبى ربيعة هذا المعنى (قلت) من بعض العذريين حيث يقول

وأشرب قلبى حبها وشى به * كمشى حميا الكاس فى عقل شارب
ودب هواها فى عظامى وحبها * كما دب فى الملسوع سم العـقارب

فقال لى وممن أخذ هذا العذرى قلت لا أعلم قال من أسقف نجران حيث يقول

منع البقاء تقلب الشمس * وطلوعها من حيث لا تمسى
وطلوعها حـمراء صافية * وغروبها صـفراء كالورس
تجرى على كبد السماء كما * يجرى حمام الموت فى النفس

انتهى ما حكاه الاصمعى (قلت) وقد أخذه أبو نواس برمته من بعض المذليين يصـف قانصا ظفر بصيد بسرعة مشى حيث يقول

فتمشى لا يحس به * كتمشى المار فى الفهم

فان بعض الروايات عن أبى نواس على هذا النص وهى أصح الروايات لانها آخرما استقرت عليه الحال وقد أخذ أبو الشيص قول عمرو بن أبى ربيعة بلفظه فقال

أما وحـرمـة كاس * من المـدام العتيق
وعقـد نحر بنحر * ومزج ريق بريق
لقد جرى الحب منى * مجرى دمى فى عروقى

وأخذه أبو الطيب فقال

جرى حبها مجرى دمى فى مفاصلى * فاصبح لى عن كل شغل بها شغل

وقال أبو الفرج بن هند

رب هم على الفؤاد جثوم * أزعجتـه عنى بنات الكروم
فتمشت فى قلبى المهموم * كتمشى الترياق فى المسموم

وأنى عبد الله بن الحجاج بن محصن بهذا المعنى من غير تشبيه فقال

وقد بت أسقاها سلافا مدامة * لها فى عظام الشاربين دبيب

وقال أبو الطيب فى وصف الخيل

من بنات الخيـل تمشى بنا فى الشـديد مشى الايام فى الآجال

وهو ماخوذ من قول مسلم بن الوليد

وان رددته لم أدمك فرجع اليه الرجـل فقال الجاحظ كأنك فضضت الورقـة قال نعم قال لا يضرك ما فيها فانه علامـة لى اذا أردت العناية بشخص فقال الرجل قطع الله يديك ورجليـك ولعنك فقال ما هـذا قاله علامة لى اذا أردت أن أشكر شخصا وقال نزلت عـلى صـديق لى فلم آكل عنده لحما فعرضت له فقال انى لا أكثر من اللحم منذ سمعت الحديث ان الله يكره البيت اللحم فقلت يا أخى انما أراد البيت الذى تؤكل فيه لحوم الناس بالغيبة فلم يؤخر حضور اللحم من ذلك اليوم (وحكى) أن أباطاهـر قال صرت الى الجاحظ ومعى جماعة وقد أسن واعتـل فى آخر عمره وهو فى منظرة له وعنده ابن خاقان جاره فقـرعنا الباب فـلم يفتح لنا وأشرف من المنظـرة فقال الا أنى قـد حوقلت وحملت رمح أبى سـعد وسقت الغنم فما تصنعون بى سلموا واسـلام الوداع فسـلمنا وانصرفنا قوله حوقلت أكثرت من قولى لاحول ولا قوة الا بالله لتتابع الامراض وقوله رمح أبى سعد هو رجل من العرب أسن فاستعان بالعصا وهو أول من فعـل ذلك فقيـ

موف على مهج فى يوم ذى رهج * كأنه أجل يسعى الى أمل

وقال آخر

وفى الظعائن مهضوم الحشا غنج * يخطو باعطاف كسلان الخطا ثمل

ظبى مشى الورد من خلقى بوجنته * مشى الاواحظ من عينيه فى أجلى

وقول الطغرائى يشبه قول أبى الطيب

وربيع يضاحك الغيث فيه * زهر الشكر من رياض المعالى

نفحتنا منه الصبا بنسيم * رد روحا فى ميت الآمال

وأما الاسترواح بأنفاس الديار وتلقى النسمات من أرض الحبيب فقد أكثر الشعراء فيه وطلبوا الحياة والشفاء بالقرب من أماكن المعشوق قال ابن الفارض

ياساكنى البطحاء هل من عودة * أحيا بها ياساكنى البطحاء

واذا أذى ألم بهجتنى * فشذا اعيشاب الحجاز دوائى

*(لأكرهن الطعنة النجلاء قد شفعت * برشقة من نبال الاعين النجل)*

(اللغة) كرهت الشئ أكرهه كراهة وكراهية فهو كريه ومكروه ومعناه المشقة وعدم الملايمة (الطعنة) من طعنه بالرمح شكله وطعن فى السن يطعن بالضم طعنا وطعن فيه بالقول يطعن أيضا طعنا وطعانا وذكرت هنا لى بيتين وهما

أفديه من أهيف بدت لى * من حسنه المنتقى غرائب

أسمر كالرمح فى اعتدال * لاطعن فى قده لعائب

(النجلاء) الطعنة الواسعة ومنه العيون النجل وسنان منجل واسع الطعنة ويقال نجله أى شقه لما طعنه ونجلت الاهاب اذا شققت عرقوبه جميعا ثم سلخته (شفعت) الشفع فى اللغة الزوج والوتر الفرد تقول كان وترا فشفعته ومعناه هنا قد ثنيت (برشقة) الرشق الرمى وقد رشقته بالنبل أرشقه رشقا بالفتح المصدر وبالكسر الاسم وما أحسن قول محيى الدين بن قرناص

أتى الحبيب مائسا * والردف قد أقلقه

يرشق ثم يثنى * لله ما أرشقه

(نبال) جمع نبل وهى السهام العربية اسم جمع لا واحد له من لفظه وهى مؤنثة وجمعت على نبال والنبال صاحب (النبل) والوجه أن يقال نابل مثل لابن وتامر والنابل الذى يعمل النبال والفعل النبالة النجل بالتحريك سعة شق العين والرجل أنجل والعين نجلاء والجمع نجل (الاعراب *لا) حرف نفى (أكره) فعل مضارع من كره يكره وهو مرفوع لخلوه من ناصب وجازم والفاعل ضمير مستتر فيه تقديره لا أكره أنا (الطعنة) مفعول به (النجلاء) صفة للطعنة فهى منصوبة (قد شفعت) تقدم الكلام على قد وشفع فعل ماض مغير لما لم يسم فاعله والتاء علامة التأنيث نائب الفاعل وهو ضمير مستتر فيه تقديره قد شفعت هى يرجع للطعنة والجملة فى موضع النصب على الحال تقديره لا أكره الطعنة النجلاء مشفوعة (برشقة) الباء حرف جر ويجوز أن تكون للمصاحبة وأن تكون للاستعانة (من نبال) جار ومجرور ومن هنا لبيان الجنس (الأعين) مضاف الى نبال والاضافة معنوية بمعنى اللام (النجل) مجرور على انه صفة للاعين تبعه فى تعريفه وجمعه وتأنيثه وجره (المعنى) لا أكره الطعنة

العظيمة

لكل من شاخ أخذ ميح
أبى سعد وقوله سقت الغنم هو عند العرب كناية عن المحرم لان سائق الغنم يطامن رأسه *وكان سبب علة الجاحظ أنه حضر مائدة ابن أبى دواد وفى الطعام سمك ولبن وكان ابن بختيشوع الطبيب حاضرا فنهاه عن الجمع بينهما فقال الجاحظ ان السمك ان كان مضادا للبن فانى اذا أكلتهما دفع كل منهما ضرر الآخر وان كانا متساويين فكأنى أكلت شيا واحدا فقال ابن بختيشوع أنا لا أحسن الكلام ولكن ان شئت أن تجرب فكل فأكل فاصابه فالج عظيم ونقرس حتى دخل عليه بعض أصحابه فقال له كيف حالك فقال اصطلحت على الاعلال لو خرج شقى الايمن ما حسست به من الفالج ولو مرت على شقى الايسر ذبابة أوجعتنى وأشد ما أشكو التسعون (وحكى) بعض أبناء البرامكة قال تقلدت السند وحصل لى ما شاء الله ثم صرفت عنها وكنت قد اكتسبت بها ثلاثين الف دينار فصغتها عشرة آلاف اهليلجة وجاء الصارف فركبت البحر وانحدرت الى البصرة فخبرت أن الجاحظ بها وأنه عليل

العظيمة الواسعة التى تنالنى وقد ثنيت برشقة من سهام العيون المتسعة لان الالم اذا جاء
فى أثناء اللذة لا اعتبار به كانه يهون على صاحبه ما توهمه من بأس رجال الحى لما أخذ
يصفهم بالشجاعة والغيرة فهو يقول أنا لا أكرم ظفرى برؤية هذه الفتيات الحسان وقوع
الطعنات لان ذلك رخيص اذا تهيأ لى ومن هذا قولهم من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل
وقول القائل

يغوص البحر من طلب اللآلى * ومن رام العلا سهر الليالى
تروم العز ثم تنام ليلا * لقد اطمعت نفسك بالمحال

وقول أبى الطيب

تريدين ادراك المعالى رخيصة * ولا بد دون الشهد من ابر النحل

وقول أبى فراس

تهون علينا فى المعالى نفوسنا * ومن طلب الحسناء لم يغلها المهر

وما زال المحبون يقتحمون الاخطار ويركبون الاهوال حتى ينال أحدهم لمحة أو اشارة سلام
ويبذلون الجليل من نفوسهم فى بلوغ القليل من المحبوب قال تعالى فلما رأينه أكبرنه وقطعن
أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم * قال وهب اتخذت مائدة ودعت
أربعين امرأة واعدت لهن أترجا وموزا وقال غيره أترجا وسفرجلا وكن يقطعن بالسكين ويأكلن
الاترج بالعسل فلما رأينه أكبرنه قال ابن عباس أى حضن من الفرح أو من الدهش قال
مجاهد ما أحس الا بالدم وما وجدن لايديهن ألما قال وهب ويلغنى أن نساء فتن به فى ذلك
المجلس وقلن حاش لله ما هذا بشرا فقال محمد بن على أردن ما هذا أهل لأن يدعى للمباشرة بل
مثله ينزه عن الشهوة وقيل ان أهل مصر فتنوا به من النظر الى وجهه حتى كانوا اذا جاءوا
اشتغلوا بالنظر اليه وقرئ ما هذا بشرى أى بكسر الباء والشين أى مملوك وأنكر الزجاج هذه
القراءة لانها تخالف رسم المصحف لانه بالالف وأنكر تفسيرا كبرنه بالحيض لانه عداه الى
الضمير فهذا ما وقع فى الخارج من أمر النسوة لما رأين يوسف عليه السلام حتى قطعن أيديهن
وما شعرن بالالم بعد غوص السكاكين فى أكفهن لذة بالنظر اليه وشغلا عن جراحتهن بما
وجدنه من اللذة ولم يتقدم لهن به شغل قلب ولا فكر ولا وسواس بل رأينه بغتة فكيف بمن
هو مشتغل برؤية محبوبه وقد أعمل المطى اليه وقطع القفار ليلا ونهارا كما قال الآخر

وما صبابة مشتاق الى أمل * من اللقاء كمشتاق بلا أمل

وأنشدنى لنفسه اجازة المولى صفى الدين عبد العزيز بن سرايا الحلى

ان لم أزر بعكم سعيا على الحدق * فان ودى منسوب الى الملق
تبت يدى ان ثنتنى عن زيارتكم * بيض الصفاح ولو سدت بها طرقى

وأنشدنى من لفظه الشيخ الامام الحافظ فتح الدين محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمرى قال
أنشدنى لنفسه اجازة الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد الملك القزارى

ان لم أمت فى هوى الاجفان والمقل * فواحيائى من العشاق واخجلى
ما أطيب الموت فى عشق الملاح كذا * لا سيما بسيوف الاعين النجل
يا صاحبى اذا مامت بينكما * دون الشهيين ورد الخد والقبل

بالفالج وأحببت أن أراه قبل وفاته فصرت اليه وقرعت الباب فخرجت الى خادمة صغرى فقلت رجل غريب أحب أن أنظر الى الشيخ فبلغته فسمعته يقول قولى له ما تصنع بشق ماثل ولعاب سائل ولون حائل فقلت للعارية لا بد من النظر اليه فقال هذا رجل ورد البصرة وسمع بى ويريد أن يقول رأيت الجاحظ فاذن لى فدخلت وسلمت فرد رد جميلا وقال من تكون أعزك الله فانتسبت له فقال رحم الله أسلافك وآباءك السمحاء فلقد كانت أيامهم رياض الدهر ولقد رأى بهم الخلق خيرا كثيرا فسقيا لهم ورعيا فدعوت له وقلت له أنشدنى شيأ فقال

لئن قدمت قبلى رجال فطالما
مشيت على رسلى فكنت المقدما
ولكن هذا الدهر تأتى صروفه
فتبرم منقوضا وتنقص مبرما

ثم نهضت فلما قربت من الباب قال يا فتى أرأيت مفلوجا ينفعه الاهليلج قلت لا قال ان الاهليلج الذى معك ينفعنى فابعث الى منه فقلت نعم وعجبت من وقوعه على خبرى مع كتمى له وبعثت

فاستعفر الى وقولا عاشق غزل * قضى صريع القدود الهيف والمقل
راش الفتور له سهما فأخطأه * حتى أتيح له سهم من الكحل
وللعيون اللواتى هن من أسد * الى القلوب سهام هن من نحل
فالجرح منهن لذات بلا ألم * والطعن عند محبيهن كالقبل

وقال ابن الساعاتى

فاضح الظبى اذا الظبى رنا * مخجل البدر اذا البدر كمل
فارسى فاذا خاف سطا * نظرة لا ذبطرف من ثعل

وقال أبو دلف العجلى

كم فى بنى الروم من أعجوبة مثل * تبقى وفى العرب من ذى نجدة بطل
اباؤنا سيما فيا نعلوا أكابرهم * قهرا وتقتلنا الولدان بالمقل
اذا رجعنا بأسرى من سراتهم * نالوا التراث بلحظ الاعين النجل

وقال أبو فراس يصف نساء الصبى

وغريدة كرمت على آباتها * وعلى بوادر خلقنا لم تكرم
خطبت بحد السيف حتى زوجت * كرها وكان مذاقها للقسم
راحت وصاحبها بعرس حاضر * برضى الاله وأهلها فى مأتم

وقال ابن سناء الملك

فلم يبق الا من سبى الجيش منهم * وان كان يسبى الجيش بالحدق النجل

قال ابن جبارة أين هذا البيت من المسروق منه وهو قول أبى الطيب

فلم يبق الا من حماها من الظبى * لمى شفتيها والذى النواهد

قلت لو استحضر ابن جبارة أبيات أبى دلف المتقدمة لما عدل عن الثالث منها اذ نسبة السرقة اليه أكمل لانها بالمعنى واللفظ وقد أولع الشعراء المتقدمون بالغزل فى العيون النجل قال أبو الطيب

مثلث عينك فى حشاى جراحة * فتشابها كتاهما نجلاء

وقد قال ابن وكيع قوله فتشابها كان يجب أن يقول فتشابهتا ولكن العين تانيثها غير حقيقى ولو استعمل القياس على قوله لقال فكلاهما أنجل أو فتشابهتا فكلتاهما نجلاء وقد سلك أبو الطيب فى وصف جراح الممدوح مسلكا غريبا فقال

اذا ما ضربت القرن ثم أجزتنى * فكل ذهبا لى مرة منه بالكلم

وهذا معنى غريب لكنه غث الالفاظ والشاهد على الغزل فى العين النجلاء كثير وما أحسن قول سيف الدين بن المشد

ان أنكرت نجل العيون جراحتى * فدليل قتلى انها نجلاء

وهذا من قول أبى الطيب ولكنه أسلس فى تركيبه وقول الارجانى

كم طعنة نجلاء تعرض بالحمى * من دون نظرة مقلة نجلاء

وأما المتاخرون فانهم تغزلوا فى العيون الضيقة وهى عيون الاتراك وما ألطف قول القائل وقد أنشدنيه غير واحد لعلاء الدين الجوينى صاحب الديوان وليس له

له منه شيأ * ومن كلامه فى رسالة أبقاك الله بقاء أياديك ولا تقلنا عن ظلك ولا أضلنا عن سبلك فما صان وجه الاحرار سوالك ولا أخذ الملهوف مظلمته فى دهر الا بعدوالك * وكتب الى قلب المغربى والله يا قليب لولا أن كبدى فى هوالك مقروحه وروحى بك مجروحه لساجلتك هذه القطيعة ومادتك حبل المصارمة وأرجو أن الله تعالى يديل صبرى من جفائك فيردك الى مودتى وأنف القلى راغم فقد طال العهد بالاجتماع حتى كدنا نتناكر عند الالتقاء * وكتب الى ابن أبى داود يستعطفه ليس عندى أعزك الله سبب ولا أقدر على شفيع الا ما طبعك الله عليه من الكرم والرحمة والتأميل الذى لا يكون الا من نتاج حسن الظن واثبات الفضل بحال المأمول وأرجو أن أكون من العتقاء الشاكرين فتكون خير معتب وأكون أفضل شاكر ولعل الله أن يجعل هذا الامر سببا لهذا الانعام وهذا الانعام سببا للانقطاع اليكم والكون تحت أجنحتكم فيكون لا أعظم بركة ولا أنمى بقية من ذنب أصبحت فيه وبمثلك جعلت فداك عاد المذنب وسيلة والسيئة حسنة

أبادية الاعراب عني فانني * بحاضرة الاتراك نيطت علائقي
وأهلك يانجلا العيون فانني * فتنت بهذا الناظر المتضايق

أقول نعم فان في الخمر معنى ليس في العنب وما أحق المتأخرين بقول القائل كم ترك الاول للآخر وما أحسن قول ابن النبيه

يصد بطرفه التركي عني * صدقتم ان ضيق العين بخل

وقال أيضا

بي ضيق العين وان أطنبوا * في الحدق النجل وان أوسعوا

وقال أيضا

من بنى التراك لين العطف قاسي القلب سهل القياد صعب المراس
ضيق العين وهو من صفة البخل فان جاد كان ضد القياس

ومن قول ابن النبيه الاول أخذ محيي الدين بن قرناص فقال

علقته تتريا * يشجي القلوب بلينه
لا يرتجى الجود منه * بالوصل من ضيق عينه

وقال شهاب الدين الشاغوري

تناسى صحبتي وذمام عهدي * وعند الترك ما يرعى الذمام
بضيق جفونه وسعت عذري * فزال العزل عني والملام

وما أحسن قول الارجاني

ياغلاما أضحى دليل وجود الشخص منه وجود عقد القباء
كلما شد طعنة في فؤادي * قال خذها نجلاء من حوصاء

وقال محمد بن أحمد الافريقي المتيم

قد أكثر الناس في الصفات وقد * قالوا وزادوا في الاعين النجل
وعين مولاي مثل موعده * ضيقة عن موارد الكحل

وأنشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

وخاطر عنت الاشواق يجبسه * جاذر الترك لازى الاعاريب
من كل أغيد ضاقت عينه فتى * يجود لي من تلاقيه بمطلوب

وأنشدني من لفظه لنفسه أيضا

بهت العذول وقد رأى ألحاظها * تركية تدع الحليم سفيها
فثنى الملام وقال دونك والاسى * هذي مضائق لست أدخل فيها

ونقل هذا المعنى الى غيره القاضي علم الدين سليمان بن ابراهيم متولي دمشق وأنشد فيه من لفظه

قالوا تخل عن النساء ومل الى * حب الشباب فذا بلطفك أجمل
فأجبتهم شاورت ايري قال لا * هذي مضائق لست فيها أدخل

(رجع) وأنشدني اجازة لنفسه المولى صفي الدين بن عبد العزيز الحلي ومن خطه نقلت

لم تترك الاتراك بعد جمالها * حسنا لمخلوق سواها يعشق

ومثل من انقلب به الشر خيرا والغرم غنما من عاقب فقد أخذ حظه وانما الاجر في الآخرة وطيب الذكر في الدنيا على قدر الاحتمال وتجرع المرائر وأرجو أن لا أضيع وأهلك فيما بين عقلك وكرمك وما أكثر من يعفو عن صغر ذنبه وعظم حقه وانما الفضل والثناء العفو عن عظيم الجرم ضعيف الحرمة وان كان العفو العظيم مستطرفا من غيركم فهو تلاد فيكم حتى ربما دعا ذلك كثيرا من الناس الى مخالفة أمركم فلا أنتم عن ذلك تتكلون ولا على سالف احسانكم تندمون وما مثلكم الا كمثل عيسى ابن مريم حين كان لا يمر بملا من بني اسرائيل الا أسمعوه شرا وأسمعهم خيرا فقال له شمعون الصفا ما رأيت كاليوم كلما أسمعوك شرا أسمعتهم خيرا فقال كل امرئ ينفق مما عنده وليس عندكم الا الخير ولا في أوعيتكم الا الرحمة وكل اناء بالذي فيه ينضح * ومن كلامه في المعنى زينك الله بالتقوى وكفاك ما أهمك من الآخرة والاولى من عاقب أبقاك الله تعالى على الصغيرة عقوبة الكبيرة وعلى الهفوة عقوبة الاصرار فقد تناهى في الظلم ومن

جذبوا القسى الى قسى حواجب * من تحتها نبل اللواحظ ترشق
نشروا الشعور فكل قد منهم * لدن عليه من الذؤابة صنجق
لى منهم رشاء اذا قابلته * كادت لواحظه بسحر تنطق
ان شاء يلقانى بخلق واسع * عند اللقاء نهاه طرف ضيق

ونقلت من خط القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر

مفزع للقلوب ينهبها * فهو لعمرى البطال والبطل
من فتية خالفوا المقول فكم * ضاقت عيون لهم وما بخلوا

وقلت أنا

اتركك هوى الاتراك ان شئت أن * لا تبتلى فيهم بهم وحير
ولا ترج الجود من وصلهم * ما ضاقت الاعين منهم لخير

وقلت أيضا

أحببت من تركك الخطا ذا قامة * فصحت غصون البان لما أن خطا
اياكم وجفونه فأنا الذى * سهم أصاب حشاه من عين الخطا

وقلت أيضا

يا قلب لا تقدم على * سحر العيون اذا سطا
ومن العجائب أنه * أضحى يصح مع الخطا

وقلت أيضا

غزال من الاتراك ما ضاق لحظه * لحا لى الا كى تضيق مذاهبى
كان الحشا طير وكاسر جفنه * تصيده من هدبه بمخالب

وقلت أيضا

يا شادنا أبدا أرى نفسى له * دون البرية لا تفارق شيقه
والله ما اتسعت هموى فى الدجى * حتى بليت بمقلتيك الضيقه

*(ولا أهاب الصفاح البيض تسعدنى * بالدمع من خلل الاستار والكلل)*

(اللغة) أهاب أخاف تهيبت الشئ وتهيبنى أى تخوفنى وتخوفته والهيبة والمهابة الاجلال والخوف الصفاح جمع صفيحة وهى السيف العريض لانها صفحت تسعدنى الاسعاد الاعانة بالدمع لحه وألحه لحاحا اذا أبصره بنظر خفيف والاسم اللمحة خلل الخلل الفرجة بين الشيئين والجمع الخلال مثل جبل وجبال وقرئ فترى الودق يخرج من خلاله وخلله الاستار جمع ستر والسترة ما يستتر به كائنا ما كان وكذا الستارة الكلل جمع كلة وهى الستر الرقيق يخاط كالبيت يتوقى به من البق (الاعراب ولا) الواو عاطفة لا حرف نفى (أهاب) فعل مضارع تقول هابه يهابه والامر هب الاصل هاب سقطت الالف لاجتماع الساكنين واذا أخبرت عن نفسك قلت هبت وأصله هيبت فلما سكنت الياء سقطت لاجتماع الساكنين ونقلت كسرتها الى ما قبلها وذكرت بالجمع بين ساكنين قول محمد بن شرف القيروانى فى رجل عجز عن اقتضاض عرسه

كم ذكر فى الورى وأنثى * أولى من اثنين باثنتين

لم يفرق بين الاسافل والاعالى والادانى والاقاصى فقد قصر والله لقد كنت أكره سرف الرضا مخافة أن يؤدى الى سرف الهوى فاظنك بسرف الغيظ وغلبة الغضب من طياش عجول فحاش ومعه من الخرق بقدر قسطه من التهاب المرة الحمراء وأنت روح كما أنت جسم وكذلك جنسك ونوعك الا أن التاثر فى الرقاق أسرع وضده فى الغلاظ الجفاة أكمل ولذلك اشتد جزعى عليك من سلطان الغيظ وغلبته فاذا أردت أن تعرف مقدار الذنب اليك من مقدار عقابك عليه فانظر فى علته وفى سبب اخراجه الى معدنه الذى منه نجم وعشه الذى منه درج والى جهة صاحبه فى الشرع والثبات والى حلمه عند التعرض وفطنته عند التوبة فكل ذنب كان سببه ضيق صدر من جهة الغيض فى المقادير أو من طريق الانفة وغلبة طباع الحمية من جهة الجفوة أو من جهة استحقاقه فيما زين له عمله انه مقصر به فى حقه مؤخر عن رتبته أو كان مبلغا عنه مكذوبا عليه أو كان ذلك جائزا فيه غير ممتنع منه فاذا كانت ذنوبه من هذا الشكل فليس يقف عليها كريم ولا

أرى الليالى أتت بالمحن * بجمعها بين ساكنين

وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن محمد بن نباتة

بكيت وما يجدى البكاء عن الفتى * وألف تشتيت الاحبة أشجانى

كأن زمانى خاف منى فلم يكن * ليجمع بين الساكنين بأوطانى

وقول الآخر

زمانى ساكن وسكنت قالوا * تحرك لالتقاء الساكنين

فقلت هنالك التحريك كسر * وقبل كسرت أكسر مرتين

وقول شمس الدين محمد بن التلمسانى ومن خطه نقلت

ياساكنا قلبى المعنى * وليس فيه سواك ثانى

لاى معنى كسرت قلبى * وما التقى فيه ساكنان

قلت هذا المعنى فيه نقص لان القلب ظرف لاجتماع الساكنين فيه وحينئذ يكون الساكنان غير القلب والكسر انما وقع على القلب لا على أحد الساكنين ومن تأمله حق التأمل ظهر له هذا الايراد موجها وقد ذكرت ذلك لجماعة من كبار المتأدبين وما رأيت فيهم من تنبه له ويقارب هذا الاشكال ما دار بينى وبين المولى جمال الدين محمد بن نباتة فى الجامع الاموى بدمشق سنة احدى وثلاثين وسبعمائة فانه أنشدنى قول ابن الرومى فيما أظن

ومن العجائب أن عضوا واحدا * هو منك سهم وهو منى مقتل

فقلت له هذا ليس بعجيب اذا تركنا ظاهره اللهم الا ان فتحنا باب التأويل وأحضرنا المجاز فقال لاى شئ قلت لان عين العاشق فى الهوى غير عين المعشوق يقينا أما انهما من جنس واحد فسلم وهذا مثل قولك بالمجاز من انسان يقتل انسانا أو من فرس يعلو فرسا وليس هذا من العجيب فى شئ وأما اذا كان على ما تبادر الى ذهنك من أن العضو الواحد هو سهم ومقتل معا فى حالة واحدة فنعم وليس كذلك بل عين العاشق غير عين المعشوق بدليل اضافة كل منهما الى شخص معين على حدته فأخذ فى التصميم على ذلك فقلت له سلمت لك أن العضو الواحد منهما هو سهم ومقتل معا من أين لك أن العين مقتل وانما المقتل القلب على عادة الشعراء المألوفة فى ذلك قال الارجانى

أعينى كفا عن فؤادى فانه * من البغى سعى اثنين فى قتل واحد

وقال الآخر

عوقب قلبى وجنى ناظرى * وربما عوقب من لا جنى

وقال أبو الطيب

وأنا الذى اجتلب المنية طرفه * فمن المطالب والقتيل القاتل

فانظر الى أبى الطيب كيف ادعى أن العين هى السبب فى اجتلاب المنية فالذنب عند الشعراء كلهم للعين لكونها سببا بنظرها الى هلاك الفؤاد والدواوين ملأى بهذا المعنى وهو أشهر من أن يزاد له بينة من الشواهد عليه فقال أليس أنها السبب فى القتل قلت له قد تقدم انه لابد من تأويل فى البيت وتقدير المجاز فيه كأنه قال ومن العجائب أن عضوا واحدا هو منك سهم وهو منى سبب مقتلى فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وهو كثير انتهى والمليح فى

ينظر فيها حليم ولست أسميه
بكثرة معروفه كريما حتى
يكون عقله غامرا لعلمه
وعلمه غالبا على طباعه كما
لا أسميه بكف العقاب
حكيما حتى يكون عارفا
بمقدار ما أخذ وترك ومتى
وجدت الذنب بعد ذلك
لا سبب له الا البغض المحض
والنفار الغالب فلو لم ترض
لصاحبه بعقاب دون قعر
جهنم لعذرك كثير من
العقلاء وصوب رأيك عالم
من الاشراف والاناة أقرب
من الحمد وأبعد من الذم
وأنأى من خوف العجلة وقد
قال الاول عليك بالاناة فانك
على ايقاع ما تتوقعه أقدر
منك على رد ما قد أوقعته
وليس يصارع الغضب أيام
شبابه شئ الا صرعه ولا ينازعه
قبل انتهائه الا قهره وانما
يحتال له قبل هيجه فمتى
تمكن واستفحل وأذكى ناره
وأشعل ثم لاقى من صاحبه
قدرة ومن أعوانه سمعا
وطاعة فلو استبطنته بالتوراة
وأوجرته بالانجيل ولددته
بالزبور وأفرغت على رأسه
القرآن افراغا وأتيته بآدم
شفيعا لما قصر دون أقصى
قوته وان يسكن غضب
العبد الا ذكره غضب الرب
فلا تقف حفظك الله بعد
منسيك فى عتابى التماسا

هذا المعنى قول ابن سهل المغربي في أول موشحه

بالحظات للفتن * في كرها أو في نصيب
ترمي وكلي مقتل * وكلها سهم مصيب

وقول ابن سناء الملك

مالحظها سهم وقلبي مقتل * بل كلها سهم وكلي مقتل

وسألت الشيخ الامام العلامة تقي الدين أحمد بن تيمية رحمه الله سنة سبعمائة وثمانية عشر أو سنة سبعمائة وسبعة عشر بدمشق المحروسة عن قوله تعالى وأخر متشابهات فقلت المعروف بين النحاة أن الجمع لا يوصف الا بما يوصف به المفرد من الوصف فقال كذا هو فقلت ما مفرد متشابهات فقال متشابهة فقلت كيف تكون الآية الواحدة في نفسها متشابهة وانما يقع التشابه بين الاثنين وكذا قوله تعالى فوجد فيها رجلين يقتتلان كيف يكون الرجل الواحد يقتتل مع نفسه فعدل بي من الجواب الى الشكر وقال هذا ذهن جيد ولو لازمتني سنة انتفعت وسألته في ذلك المجلس قبل هذا السؤال مسئلة في الواجب والممكن وذكرت له اشكالا كان على ذهني في تعريفهما عند المتكلمين فأزاله وقرر ما قالوه وسألته أيضا عن تفسير قوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها الى قوله فتعالى الله عما يشركون فاجاب بما قاله المفسرون في الجواب وهو آدم وحواء وان حواء لما أثقلت بالحمل أتاها ابليس في صورة رجل وقال أخاف من هذا الذي في بطنك أن يخرج من دبرك أو يشق بطنك وما يدريك لعله يكون بهيمة أو كلبا فلم تزل في هم حتى أتاها ثانيا وقال سألت الله أن يجعله بشرا سويا وان كان كذلك فسميه عبد الحرث وكان اسم ابليس في الملائكة الحرث فذلك قوله تعالى فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما وهذا مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما فقلت له هذا فاسد من وجوه الاول انه تعالى قال في الآية الثانية فتعالى الله عما يشركون فهذا يدل على أن القصة في حق جماعة الثاني انه ليس لابليس في الكلام ذكر الثالث أن الله تعالى علم آدم الاسماء كلها فلا بد وانه كان يعلم أن الحرث اسم لابليس الرابع أنه تعالى قال أيشركون ما لا يخلق شيأ وهم يخلقون وهذا يدل على أن المراد به الاصنام لان ما لا يعقل ولو كان ابليس لقال من التي هي لمن يعقل فقال الشيخ تقي الدين قد ذهب بعض المفسرين الى أن المراد بهذا قصي لانه سمى أولاده الاربعة عبد مناف وعبد العزى وعبد قصي وعبد الدار والضمير في يشركون له ولاعقابه الذين يسمون أولادهم بهذه الاسماء وأمثالها قلت وهذا أيضا فاسد لانه تعالى قال خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها وليس كذلك الا آدم لان الله تعالى خلق حواء من ضلعه فقال المراد بهذا أن زوجته من جنسه قرشية عربية فما رأيت التطويل معه وأما الجواب عن متشابهات فهو أن العرب نطقت بهذه الصيغة أشياء ولم ترد بها المفاعلة كقولهم طابقت النعل وعاقبت اللص وخامرت الحب وان قلت ان الصيغة على أصل المفاعلة كان الجواب ان التشابه لا يكون الا بين اثنين فما فوقهما واذا اجتمعت الاشياء المتشابهة كان كل منها مشابها للآخر فلما لم يصح التشابه الا في حالة الاجتماع وصف الجمع بالجمع لان كل واحد من مفرداته يشابه الآخر وعلى ذكر خلق حواء من ضلع آدم قد نقلت من خط قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان ما صورته وعن شريح انه تقدمت اليه امرأة ففالت أيها

القاضي

للعفو عني ولا تقصر عن افراطك من طريق الرحمة بي ولكن تقف وقفة من يتهم الغضب على عقله والشيطان على دينه ويعلم أن للكرام أعداء يملك امساك من لا يبرئ نفسه من الهوى ولا يبرئ الهوى من الخطا ولا تنكر لنفسك أن تزل ولعقلك أن يهفو فقد زل آدم صلى الله عليه وسلم وقد خلقه بيده ولست أسألك الا ريثما تسكن نفسك ويرتد اليك ذهنك وترى الحلم وما يجلب من السلامة وطيب الاحدوثة والله يعلم وكفى به عليما لقد أردت أن أفديك بنفسي في مكاتباتي وكنت عد نفسي في عداد الموتى وفي حيز الهلكى فرأيت أن من الخيانة لك ومن اللؤم في معاملتك أن أفديك بنفس ميتة وأن أريك أني قد جعلت لك أنفس ذخر والذخر معدوم وأنا أقول كما قال أخو ثقيف مودة الاخ التالد وان أخلق خير من مودة الاخ الطارف وان ظهرت مساعيه وراقت حدته سلمك الله وسلم عليك وكان لك ومعك * ومن فصوله القصار قال البخل والجبن غريزة واحدة يجمعهما سوء الظن بالله تعالى وقال من قابل الاساءة بالاحسان فقد خالف الرب

القاضي انى جئتك مخاصمة فقال أين خصمك قالت أنت فأخلى لها المجلس وقال تكلمي فقالت أيها امرأة لها احليل وفرج فقال قد كان في هذا الامير المؤمنين قصة وورث من حيث جاء البول وكان شريح قاضي علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقالت انه يجيئ منهما جميعا فقال لها من أين يسبق البول فقالت ليس شئ منهما يسبق به بل يخرجانه في وقت ويقطعانه في وقت فقال انك لتخبريني بعجيب فقالت أقول أعجب من ذلك تزوجني ابن عمي وأخذ مني خادما فوطئتها فأولدتها واني جئتك لما أولدنها فقام شريح من مجلس القضاء ودخل على علي رضي الله عنه وأخبره بما قالت المرأة فأمر بها علي فادخلت فسألها عما قال القاضي فقالت يا أمير المؤمنين هو الذي قال فأحضر زوجها فقال هذه زوجتك وابنة عمك قال نعم يا أمير المؤمنين قال أفعلمت ما كان قال نعم أخذ متها خادما فوطئتها فاولدتها ووطئتها بعد ذلك قال له على لانت أجسر من الاسد جيئوني بدينار الخادم وكان معدلا وامرأتين فقال خذوا هذه المرأة وأدخلوها الى بيت فجردوها من ثيابها وألبسوها ثيابا وعدوا اضلاع جنبيها ففعلوا ذلك ثم خرجوا اليه فقالوا يا أمير المؤمنين عدد أضلاع الجانب الايمن ثمانية عشر ضلعا وعدد أضلاع الجانب الايسر سبعة عشر ضلعا فدعا الحجام وأخذ شعرها وأعطاها حذاء وردا وألحقها بالرجال فقال الرجل يا أمير المؤمنين امرأتي وابنة عمي ألحقتها بالرجال ممن أخذت هذه القضية فقال له علي اني ورثتها من أبي آدم ان حواء أمنا خلقت من آدم فاضلاع الرجال أقل من اضلاع النساء وعدد أضلاعها أضلاع رجل فاخرجوا انتهى (قلت) قال الامام فخر الدين في مفاتيح الغيب الذي يقول ان عدد أضلاع الجانب الايسر من الذكر أنقص من أضلاع الجانب الايمن منه بواحدة مبني على خلاف الحس والتشريح بقي أن يقال اذا لم نقل بذلك فما المراد من كلمة من في قوله تعالى وخلق منها زوجها فنقول قد ذكرنا أن الاشارة الى الشئ تارة تكون بحسب شخصه وأخرى بحسب نوعه قال عليه الصلاة والسلام في يوم عاشوراء هذا اليوم الذي أظهر الله فيه موسى عليه السلام على فرعون والمراد النوع لا الشخص وقال تعالى في قصة آدم عليه السلام ولا تقربا هذه الشجرة والمراد النوع لا الشخص فكذا هنا قوله تعالى وخلق منها زوجها أي من نوع الانسان زوج آدم عليه السلام والمقصود منه التنبيه على انه تعالى جعل زوج آدم عليه السلام انسانا مثله انتهى (قلت) قد ورد التفسير بذلك عن ابن عباس وهو حبر الامة الذي دعا له النبي صلى الله عليه وسلم وقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل وقال ابن مسعود نعم ترجمان القرآن ابن عباس وكان يسمى البحر لعلومه والذي قاله الامام متوجه فما بقي الا أن يقال ان ذلك كان خاصا بآدم عليه السلام ولم يطرد ذلك في الذرية وأيضا فلفظ ابن عباس رضي الله عنهما لم يكن فيه تصريح بان ذلك مطرد في جميع الرجال من ذريته وانما قال وخلق منها زوجها وهي حواء خلقها الله سبحانه وتعالى من ضلع آدم من غير أذى فليس في هذا دلالة على انه كان عليه السلام ناقصا بل قال من ضلعه فلعل ذلك من جزء يسير منه لان من للتبعيض ولهذا قال من غير أذى ولكن هذا قد استقاض وانتشر والتحقيق ما ذكرته في ذلك من التاويل والله أعلم بالصواب (رجع الصفاح) مفعول به لاهاب والالف واللام هنا للجنس (البيض) منصوب على الصفة للصفاح (تسعدني) فعل مضارع من أسعد وهو مرفوع لخلوه من ناصب وجازم والنون نون الوقاية والياء ضمير المفعول فهي في موضع

في تدبيره وظن أن رحمته فوق رحمة الله جل ثناؤه والناس لا يصلحون الا على الثواب والعقاب وقال من رسالته من العدل المحض أن تحط عن الحاسد نصف عقابه لان ألم حسده لك قد كفاك شر مؤنة غيظه عليك وقال لما مسخ الانسان قردا أنزل فيه مشابه من الانسان ولما مسخ زمانا لم ينزل فيه مشابه من الازمان * ومن شعره يقول

يطيب العيش ان تلقى حكيما
غذاه العلم والفهم المصيب
فيكشف عنك حيرة كل جهل
وفضل العلم يعرفه اللبيب
سقام الحرص ليس له شفاء
وداء الجهل ليس له طبيب

ومنه

ان حال لون الرأس عن حاله
ففي خضاب المرء مستمتع
هب أن من شاب له حيلة
فما الذي تجدي له الاصلع

ومنه

وكم كان من أصدقاء له
وأعداء تفانوا فما خلدوا
تساقوا جميعا كؤس الردى
فمات الصديق ومات العدو

وله من أبيات يمتدح بها

بدى حين أثرى باخوانه
يقلل عنهم شباة العدم
وذكره الحال صرف الزمان
فبادر قبل انتقال النعم

فتى خصه الله بالمكرمات
فمازج منه الحيا بالكرم
ومما أورده الشريف المرتضى والعهدة عليه فان هذا الشعر أرفع طبقة من شعره يذكر فيه الخضاب

رب فتاة من بنى هلال
قد عجلت الى بالسؤال
مالى أرالك فانى السبال
كأنما كرعت فى جريال
تنح عن فكرى وعن خيالى

(ومالك بن أنس مستفتيك) (هو مالك بن أنس بن مالك ابن أبى عامر التميمى) وكنيته أبو عبد الله امام دار الهجرة ولد بالمدينة سنة سبع وتسعين ويقال انه أقام فى بطن أمه ثلاث سنين * وكان يقول قد يكون الحمل ثلاث سنين وقد حمل ببعض الناس ثلاث سنين يعنى نفسه وكان طويلا شديد البياض مائلا الى الشقرة مهيبا سوى اللباس والمجلس وهو أول من صنف فى الفقه كتابا فوقع الموطأ كذا قال العسكرى فى الاوائل ولعله أراد بالمدينة * وكان مالك اذا أراد أن يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يغتسل ويتبخر ويتطيب فاذا رفع أحد صوته قال له اخفض صوتك فان الله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى فمن رفع صوته

نصب والفاعل ضمير مستتر يرجع الى الصفاح (باللمع) الباء هنا للاستعانة وهى متعلقة بتسعدنى (من خلل) جار ومجرور ومن هنا لابتداء الغاية (الاستار) مجرور بالاضافة والاضافة معنوية بمعنى اللام والالف واللام هنا للعهد الذهنى أى أستار تلك الفتيات الحسان اللاتى تقدم ذكرهن (والكلل) الواو عاطفة والكلل مجرور بالعطف على الاستار وجملة تسعدنى وما بعدها فى موضع الحال كأنه قال ولا أهاب الصفاح البيض فى حال اسعادها اياى باللمع من خلل الاستار فموضعها النصب (المعنى) هذا البيت كالبيت الذى تقدم ومعناه انى لا أخاف السيوف البيض اذا كانت تساعدنى بالتماحها من خلل الاستار وما أرق قول ابن ميادة

فنظرن من خلل الحجال بأعين * مرضى يخالطها السقام صحاح
وأرشن حين أردن أن يرمينني * نبلا بلا ريش ولا بقداح

وقول الارجانى

وفى الحى كل كليل اللحاظ * يطالعنا من خصاص الكلل
يذيب الفؤاد بتعذيبه * وأيسر أمر الهوى ما قتل

هذا قول أبى الطيب بعينه أحيى وأيسر ما لاقيت ما قتلا وبعضهم رواه أحيى وأيسر بضم همزة أحيى كأنه يستفهم عن حياته وأيسر ما قاساه الذى قتل والذى فتق الهمزة أراد أفعل التفضيل معناه أفضل حياة وأقرب شئ قاسيته الذى قتل وفى بيت الطغرائى من البديع الاستخدام وهو أن يكون للكلمة معنيان فيؤتى بعدها بكلمتين أو يكتنفانها فيستخدم فى كل واحدة منهما معنى من ذينك المعنيين ومثل أرباب البديع فى هذا يقول أبى الطيب

برغم شعيب فارق السيف كفه * وكانا على العلات يصطحبان
كان رقاب الناس قالت لسيفه * عدولك قيسى وأنت يمانى

فيمانى له معنيان أحدهما السيف والآخر ضد قيس ولم تزل العداوة بين قيس وأهل اليمن ويقول الآخر

وخلطتم بعض القران ببعضه * فجعلتم الشعراء فى الانعام

وبأشياء أخر غير هذا قال الشيخ بدر الدين بن النحوى فى أسفار الصباح له والتمثيل بجميع ذلك غلط لانه من باب التورية لا من باب الاستخدام اما ما وقع به الكلمتان فكقول البحترى

فسقى الغضا والساكنيه وان هم * شبوه بين جوانحى وضلوعى

فاستخدم فى قوله والساكنيه أحد مفهوميه وفى قوله شبوه مفهومه الآخر لان الاول أراد به المكان والثانى أراد به الحطب وأما ما اكتنفه كلمتان فهو كقول الآخر

اذا نزل السماء بأرض قوم * رعيناه وان كانوا غضابا

اذ السماء تستعمل للمطر والنبات فاستخدم فى قوله نزل المطر واستخدم فى قوله رعيناه النبات وهذا وان كان حقيقة ومجازا لانه كثر استعمال مجازه حتى صار حقيقة عرفية فامكن اعتبار الاشتراك ومن هذا قول الطغرائى لانه ذكر الصفاح وهى هنا مشتركة بين السيوف حقيقة وبين العيون مجازا وقد غلب العرف عليها بين الشعراء فصارت حقيقة عرفية فامكن اعتبار الاشتراك فقال ولا أهاب الصفاح البيض فهو الى هنا فى الحقيقة اللغوية والسامع يظنه

فى ذكرها ثم ترك المفهوم الاول وأخذ فى المفهوم الآخر فقال تسعدنى بالملح من خلل الاستار والكلل فاستعمل الصفاح فى العيون وهى الحقيقة العرفية وهذا فى غاية الغزل لانه يقول أنا لا أهاب السيوف ووقعها اذا كانت تسعدنى على جراحى بالملح من فروج الاستار أى ما السيوف غيرها وما أحسن قول ابن التعاويذى

بين السيوف وعينيه مشاكلة * من أجلها قيل للاغماد أجفان

وان كان أخذه من أبى الطيب فى قوله

ولذا اسم أغطية العيون جفونها * من أنها عمل السيوف عوامل

فانه تناوله بخبث حديد واعاده قلادة جيد ولم يكف أبا الطيب بشاعة اللفظ فى قوله أغطية العيون حتى هجنه بتقديم ترتيبه وتأخيره والتقدير من انها عوامل عمل السيوف وأبلغ ماسمعت فى التورية والاستخدام ما أنشدنى من لفظه المولى جمال الدين محمد بن نباتة قال أنشدنى من لفظه لنفسه القاضى زين الدين عمر بن المظفر المعروف بابن الوردى وقد أنشده بعض شعراء العصر بيتا له يجمع استخدامين فاستخدم هو أربعة فقال

ورب غزالة طلعت * بقلبى وهو مرعاها
نصبت لها شباكا من * نضار ثم صدناها
وقالت لى وقد صرنا * الى عين قصدناها
بذلت العين فأكحلها * بطلعتها ومجراها

قلت معنى الاستخدامات الاربعة بذلت الذهب فاكحل عينك بطلعة عين الشمس ومجرى العين الجارية من الماء لانه وطأ لهذه المعانى فى الابيات المتقدمة وأتى بالبيت الرابع فتنزل جملة على ماتفصل وهذا يدل على الفكر الصحيح والتخيل التام وما أعرف لغيره هذه العدة فى هذا الوزن القصير وأنشدت لرشيد الدين الفارقى

ان فى عينيك معنى * حدث النرجس عنه
ليت لى من غضه سهـ * ـما ففى قلبى منه

وهذا ايضا فيه أربعة ولكن تعود الى شيئين لان قوله من غضه فيه معنيان أحدهما غض الطرف وهو كسره الى أسفل والثانى من الغضاضة وهى الطراوة فالاول للعين والثانى للنرجس وقوله سهما فيه معنيان أحدهما النصيب وهو الذى تمناه والثانى الذى يرشق به من النبل وهو واحد السهام الذى فى قلبه منه وهذا وان كان بديعا الا انه أربعة لاثنين والاول أربعة لواحد وهو لفظة العين فكان أكمل وقد وضعت كتيبا وسميته نفض الختام عن التورية والاستخدام أوضحت فيه هذين النوعين فمن أراد الوقوف على ذلك فلينظره لعله يظفر منه ببعض مراده وأما قول الطغرائى فى هذا البيت واخراجه الحماسة فى صورة الغزل فهو من قول أبى الطيب اذ ليس لاحد معه فى هذا الباب دخول لانه يصف الحروب ويظهرها مظاهر الغزل وهذا من القدرة فى التخيل الا ترى قوله

تعود أن لا تقضم الحب خيله * اذا الهام لم ترفع جيوب العلائق
ولا ترد الغدران الا ماؤها * من الدم كالريحان تحت الشقائق

وأخذه ابن عنين فقال

عند حديثه فكأنما رفعه عند صوته وقال زيد بن داود رأيت فى المنام كأن القبر انفرج واذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد والناس مصفوفون فصاح صائح أين مالك بن أنس فجاء مالك حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعطاه شيأ فقال فرقه على الناس فاذا هو مسك وقال الشافعى رحمه الله تعالى قال لى محمد ابن الحسن أيهما أعلم صاحبنا أم صاحبكم يعنى أبا حنيفة ومالكا رضى الله تعالى عنهما فقلت على الانصاف قال نعم فقلت ناشدتك الله من أعلم بالقرآن قال اللهم صاحبكم قلت فمن أعلم بالسنة قال اللهم صاحبكم قلت فمن أعلم بأقاويل الصحابة قال اللهم صاحبكم قلت فلم يبق الا القياس والقياس لا يكون الا على هذه الاشياء فعلى أى شئ تقيس وقال وهب سمعت مناديا ينادى ألا لا يفتى الناس الا مالك بن أنس وابن أبى ذؤيب وقال محمد بن جعفر لما دعى مالك وأشار وقبل منه حسده الناس وبغوه بكل شئ فلما ولى جعفر بن سليمان سعوا به اليه وقالوا انه لا يرى ايمان بيعتكم هذه بشئ وهو يأخذ بحديث رواه الاحنف فى طلاق المكره أنه

وتعاف خيلهم الورود بمنهل * مالم يكن بدم الوقائع أحمرا

وقول أبي الطيب

ان كوتبوا أولقوا أوحوربوا وجدوا * في الخط واللفظ والهيجاء فرسانا
كأن أسنهم في النطق قد جعلت * على رماحهم في الطعن خرصانا
كأنهم يردون الموت من ظمأ * وينشقون من الخطي ريحانا

وقوله أيضا

انك من معشر اذا وهبوا * مادون أعمارهم فقد بخلوا
قلوبهم في مضاء ما امتشقوا * قاماتهم في تمام ما اعتقلوا

وقوله أيضا

بكل أشعث باق الموت مبتسما * حتى كأن له في قتله أربا

وقوله أيضا

كأن الهام في الهيجا عيون * وقد طبعت سيوفك من رفاد
وقد صغت الأسنة من هموم * فما يخطرن الا في فؤاد

وقد عد علماء الشعر سرقته هذا المعنى من عدة أماكن منها قول منصور النميري

وكأن موقعه بجمجمة الفتى * حذر المنية أو نعاس الهاجع

ومنها قول مهلهل

الطاعن الطعنة النجلاء تحسبها * نوما أناخ بجفن العين يغفيها
بلهذم من هموم النفس صيغته * فليس ينفك يجري في مجاريها

ومنها قول ابن المعتز

أين الرماح التي غذيتها مهجا * مذمت ما وردت قلبا ولا كبدا

ومنها قول الآخر

كأن سنان زابله ضمير * فليس عن القلوب له ذهاب

ومنها قول أبي تمام

كأنه كان ترب الحب مذ زمن * فليس يعزه قلب ولا كبد

وهذا جملة ما وعدوه في ذلك (قلت) وليس في جميعه ما يقال له طيب غير قول أبي الطيب

* وأين فضل الطل من الوابل الصيب * وقد أخذه بعد ذلك الشريف الرضي فقال

كأن سيفك ضيف الشيب ليس له * اذا أتى عن ورود الرأس منصرف

والارجاني فقال

كان سيوف الهند فيها كواكب * مع الصبح في هام الكماة تغود

وهذا أيضا من قول ابن المعتز

مترديا نصلا اذا * لاقى المنية لم يراقب
فكأنه في الحرب شمس * والرؤس له مغارب

وقال ابن الساعاتي

أمن الهجر سيفه فهو لاين * فلك مذ كان قاطعا بتارا

لا يجوز قد عاجسفر بمالك وقد غضب فاحتج عليه بما قيل عنه ثم جرده وضربه بالسياط ومدت يده حتى خلعت يداه وكتفاه فوالله مازال مالك بعد ذلك في رفعة من الناس وعلو من قدره واعظام من الناس له حتى كأنما كانت تلك السياط التي ضرب بها حليا حلي به وقيل انما ضرب مالك لانه سأل عن سيرة عبد الرحمن بن معاوية الاموي الداخل الى الاندلس والمتملك بجزيرته فقيل له انه يأكل خبز الشعير ويلبس الصوف ويجاهد في سبيل الله وعددت مناقبه فقال مالك ليت أن الله زين حرمنا بمثله فنقم عليه بنو العباس هذا القول وبلغ عبد الرحمن فسر بقوله وجمع أهل الاندلس على مذهب مالك فهذا سبب اجتماع المغاربة على مذهبه * وتوفي رضي الله عنه سنة تسع وسبعين ومائة * ومن اخباره ما حكى الشافعي رضي الله عنه قال رأيت على باب مالك رضي الله عنه كراعا من أفراس خراسان ويقال مصر فلما رأيت مثله قلت لمالك ما أحسنه قال هو هدية مني اليك فقلت يا أبا عبد الله دع لنفسك منها ما تركبه فقال أنا أستحيي من الله أن أطأ تربة فيها رسول الله صلى الله عليه

أم من الحب رسمه فهو لاياً * لف الا القلوب والافكارا

وقال أيضا

من معشر يجعل قدر علائه * عن أن يقال لمثله من معشر
بيض الوجوه كان زرق رماحهم * سر يحل سواد قلب العسكر

والاول من الاول والثاني من الثاني بديعان خصوصا قوله قلب العسكر وقال ابن عبدون

كأن عداه في الهيجا ذنوب * وصار مسه دعاء مستجاب

وقال القاضي الفاضل

يئس من هون لاقدارهم * والسيف في الروع يرى هشا
كأنما أسيافه في الوغى * طير ترى الهام لها عشا

ولم أر لاحد من الشعراء غزلا في وعظ مثل قول أبي الطيب

زودينا من حسن وجهك مادا * م فحسن الوجوه حال يحول
وصلينا تصلك في هذه الدنـ * ـيا فان المقام فيها قليل

وأخذه ابن سناء الملك فقال

صلني وهذا الحسن باق فربما * يعزل بيت الحسن منه ويكنس

(رجع) الى ذكر الحماسة في صورة الغزل قال البحتري

تسرع حتى قال من شهد الوغى * لقاء أعاد أم لقاء محبائب

وقال أبو تمام

يستعذبون منايا هم كأنهم * لا ييأسون من الدنيا اذا قتلوا

وقال ابن قلاقس

تخاله واهتزاز الرمح في يده * ليثا يلاعب غصنا بثعبان
هل الرماح غصون بات يغرسها * من الصدور طعانا فوق كثبان

وقال ابن الساعاتي في فتح القدس يمدح صلاح الدين بن أيوب من أبيات

فقد أصبحت تجلو العيون بأرضها * مخافة هندا الظبي تنكر السقما
وأصبح ذاك الثغر جذلان باسما * والسنة الاغماد توسعه لثما
وكانت سيوف الهند سرا غمودها * فها هي سر لا تطيق له كتما
ينم على فتكاته زهر القنا * كذاك حديث الزهر يحلو اذا نما
ويخلو مع الخطي من كلف به * ويحسبه قدا فيوسعه ضما

وهذا مأخوذ من قول عنترة

فوددت تقبيل السيوف لانها * لمعت كبارق ثغرك المتبسم

و من قول أبي الحسن بن القبطرية البطليوسي

ذكرت سليمى وحر الوغى * بقلبي كساعة فارقتها
وأبصرت بين القنا قدها * وقد مال نحوي فعانقتها

وقال ابن الساعاتي

يهوى قوام الرمح وهو مهفهف * والسيف في وجناته تورید

وسلم بحافر دابته * ووجه الرشيد الى مالك رضي الله تعالى عنه ليأتيه فيحدثه فقال مالك ان العلم يأتى فصار الرشيد الى منزله واستند الى الجدار فقال مالك يا أمير المؤمنين من اجلال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلال العلم فقام فجلس بين يديه فحدثه فبعث الرشيد الى سفيان بن عيينة فاتاه سفيان فقعد بين يديه فحدثه فكان الرشيد يقول يا مالك تواضعنا العلم فانتفعنا به وتواضع لنا علم سفيان فلم ننتفع به * وحكي أن أبا يوسف القاضي حضر مجلس مالك فقال أبو يوسف من جملة كلام الانسان تارة يخطئ وتارة لا يصيب فقال مالك هكذا عرفنا مشايخنا فضحك بعض الحاضرين فلما خرجوا قال بعض أصحاب مالك ان أبا يوسف قال كذا ولعله متعمد وأجبت كذا فخجل مالك ودعا على أبي يوسف أن لا ينتفع بعلمه فكان كذلك مع جودة كتبه عند الحنفية (وحكي) ابن جدون في تذكرته أن حسن بن نعمان قال كنت بالمدينة فخلا لي الطريق نصف النهار فجعلت أتغنى في شعر ذي يزن وأقول

ما بال قومك يا رباب
حذرا كأنهم غضاب
فاذا كوة قد فتحت واذا وجه قد بدا منها تتبعه لحية

فكأنما سمر الرماح معاطف * والهام فوق صدورهن نهود

وقال أبو بحر صفوان المرسى

يرى اعتناق العوالى فى الوغى غزلا * لان خرصانها من فوقها مقل

وقال أبو عبد الله بن عثمان الحداد الاندلسى

انى أراع لهم وبين جوانحى * شوق يهون خطبهم فيهون

أوهل يهاب ضرابهم وطعانهم * صب بألحاظ العيون طعين

فكأنما بيض الصفاح جداول * وكأنما سمر الرماح غصون

وقال المعتمد بن عباد

ولما اقتحمت الوغى دارعا * وقنعت وجهك بالمغفر

حسبنا محياك شمس الضحى * عليها سماء من العنبر

وقال أبو بكر الرصافى

لو كنت شاهده وقد غشى الوغى * يختال فى درع الحديد المسبل

لرأيت منه والقضيب بكفه * بحرا يريق دم الكماة بجدول

وجمع معنى هذين المقطوعين المولى شهاب الدين أحمد بن مهاجر فيما أنشدنى من لفظه بحلب سنة ثلاثة وعشرين وسبعمائة

ما لاح فى درع بصول بسيفه * والوجه منه يضىء تحت المغفر

الا حسبت البحر مذ يجدول * والشمس تحت سحائب من عنبر

ومن قول الرصافى قول ابن سناء الملك

وقام من الدرع فى منهل * ويمناه بالسيف فى جدول

وقال ابن خفاجة

يعللنى منه بموعد رشفه * خيال له يغرى بطل وليان

شققت عليه لجة من صوارم * عليها حباب من أسنة بران

وقال آخر

كثير نجوم البيض ليل قتامه * طويل وجفن السيف فيه مسهد

وأضحوا وكل بات من سكرة الردى * يقبل خد الارض وهو مورد

وقال شرف الدين شيخ الشيوخ بحماه

ونحن معاشر نأبى الدنايا * ونلبس من صوان العرض سردا

نعانق من رماح الخط بانا * ونتشق من سيوف الهند وردا

وقلت أنا

وسيوف اذا مضت فى جراح * قلت هذا ينفجج فى شقيق

ينشد الجسم روحه من ظباها * ودماه بين النقا والعقيق

*(ولا أخل بغزلان أغازلها * ولو دهتنى أسود الغيل بالغيل)*

(اللغة) أخل يقال أخل الرجل بمركزه اذا تركه واختل الى الشئ احتاج اليه الغزلان جمع غزال ويجمع على غزلة مثل غلمان وغلمة ويقال للشادن غزال حين يتحرك وقد أغزلت

جمراء فقال يا فاسق أسأت التأدية ومنعت القائلة وأذعت الفاحشة ثم اندفع فغنى الصوت غناء لم أسمع بمثله فقلت أصلحك الله من أين لك هذا الغناء قال نشأت وأنا غلام فأعجبنى الاخذ عن المغنين فقالت أمى يا بنى ان المغنى اذا كان قبيح الوجه لم يلتفت الى غنائه فدع الغناء واطلب الفقه فتركت المغنين وتبعت الفقهاء فبلغ الله بى الى ما ترى فقلت أعد الصوت جعلت فداك فقال لا ولا كرامة تريد أن تقول أخذته عن مالك بن أنس واذا به مالك رضى الله تعالى عنه *ومن كلامه اذا ترك العالم قول لا أدرى أصيبت مقاتله * وقال ليس العلم بكثرة الرواية وانما هو نور يقذفه الله فى القلب وسأله رجل عن قوله تعالى الرحمن على العرش استوى فقال الاستواء معقول والكيف مجهول وما أظنك الا رجل سوء

(وأنت الذى أقام البراهين ووضع القوانين)

البرهان فى اللغة بيان الحجة وظهورها وهو مصدر برهه يبره اذا ابيض وامرأة برهاء وبرهرهة شابة بيضاء وقال الراغب البرهان أوكد الادلة وهو الذى يقتضى

الظبية أغازلها أحادثها مغازلة ومغازلة النساء محادثتهن وقد تقدم في قوله حلوا الفكاهة دهتني دهته الداهية أصابته ودواهي الدهر مايصيب الناس من عظيم نوبه أسود تقدم الكلام عليها في قوله فالحب حيث العدى والاسد رابضة الغيل الاجمة وهو موضع الاسد والغيل مثل خيس لايدخلها الماء والجمع غيول وقال الاصمعي الغيل الشجر الملتف يقال منه تغيل الشجر بالغيل الغوائل الدواهي وفلان قليل الغائلة أي الشر (الاعراب ولا) الواو حرف عطف لا حرف نفي (أخل) فعل مضارع مرفوع خلا من ناصب وجازم وفاعله ضمير مستتر فيه تقديره ولا أخل أنا (بغزلان) جار ومجرور والباء هنا للتعدية (أغازلها) فعل مضارع مرفوع تخلوه عن ناصب وجازم والهاء والالف ضمير الغزلان وهو في موضع نصب بالمفعولية والجملة في موضع جر صفة لغزلان تقديره مغازلة لي (ولو) قال الشيخ بدر الدين محمد بن مالك رحمه الله لو في الكلام على ضربين مصدرية وشرطية أما المصدرية فهي التي يحسن في موضعها أن وأكثر ما تقع بعد ود أو ما في معناها كقوله تعالى يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وأما الشرطية فهي للتعليق في الماضي كما أن ان في المستقبل ومن ضرورة كون التعليق في الماضي أن يكون شرطها منفي الوقوع لانه لو كان ثابتا لكان الجواب كذلك ولم يكن تعليق في البين بل ايجاب لايجاب لكن لو للتعليق لا للايجاب فلابد من كون شرطها منفيا وأما جوابها فان كان مساويا للشرط في العموم كما في قولك لو كانت الشمس طالعة كان النهار موجودا فلابد من انتفائه أيضا وان كان أعم من الشرط كما في قولك لو كانت الشمس طالعة لكان الضوء موجودا فلابد من انتفاء القدر المساوي منه للشرط ولذلك تسمع النحاة يقولون لو حرف يمتنع به الشيء لامتناع غيره أي يدل على امتناع الجواب لامتناع الشرط ولا يرون أنها تدل على امتناع الجواب مطلقا لتخلفه في نحو لو ترك العبد سؤال ربه لاعطاه وانما يريدون أنها تدل على انتفاء المساوي من جوابها للشرط والاولى أن يقال لو حرف شرط يقتضي نفي مايلزم من ثبوته ثبوت غيره فينبه على أنها تقتضي لزوم شيء لشيء وكون الملزوم منفيا ولا يتعرض لنفي اللازم مطلقا ولا لثبوته لانه غير لازم من معناها انتهى * (مسئلة) * قوله تعالى ولو أن مافي الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله قال الشيخ شهاب الدين أحمد ابن ادريس القرافي قاعدة لو أنها اذا دخلت على ثبوتين كانا منفيين وعلى نفيين كانا ثبوتين وعلى نفي وثبوت فالنفي ثبوت والثبوت نفي تقول لو جاءني لاكرمته فهما ثبوتان فجاءك ولا أكرمته ولو لم يستدن لم يطالب فهما نفيان وقد استدان وطولب ولو لم يؤمن أريق دمه التقدير انه آمن ولم يرق دمه وبالعكس لو آمن لم يقتل واذا تقررت هذه القاعدة فيلزم أن تكون كلمات الله قد نفدت وليس كذلك لان لو دخلت على ثبوت أولا ونفي آخرا فيكون الاول نفيا وهو كذلك فان الشجرة ليست أقلاما ويلزم أن يكون النفي الاخير ثبوتا فتكون نفدت وليس كذلك ونظير هذه الآية قوله عليه الصلاة والسلام نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه اذ يقتضي أنه خاف وعصى مع الخوف وهو أقبح فيكون ذلك ذنبا لكن الحديث سيق في المدح وعادة الفضلاء الولوع بالحديث كثيرا أما الآية فقليل من يتفطن لها وقد ذكروا في الحديث وجوها وأما الآية فلم أر لاحد فيها شيأ ويمكن تخريجها على ماقالوه في الحديث غير انه ظهر لي جواب عن الحديث والآية جميعا وسأذكره بعد وقال ابن عصفور لو في الحديث بمعنى ان لمطلق

الصدق أبد الاحالة ودلالة تقتضي الكذب أبدا ودلالة الى الصدق أقرب ودلالة الى الكذب أقرب ودلالة هي اليهما سواء وقال بعض الحكماء مبادي البرهان خمس الاوليات والمشاهدات والمتواترات والمجربات والحدسيات وقال آخر البرهان حجة تنتج يقينا وينقسم الى برهان انى وبرهان لمى وأمثلته معروفة وقد ذكرت ان أول من حرر كتب المنطق ارسطا ليس وقد تقدم ذكره (والقوانين) واحدها قانون وهو لفظ رومي ومعناه عند المنطقيين صورة كلية تتعرف منها أحكام جزئياتها المطابقة لها

* (وحد الماهية وبين الكيفية والكمية) *

ماهية الشيء تصوره في الفكر ومعرفة ماهو وأوجز حدوده في المنطق قولهم ماهية الشيء مايحصل في الذهن من صورة كلية مطابقة له بعد حذف المشخصات منه ان كان جزئيا وهي أحد حدود العلم عند الحكماء فان العلم ينقسم الى ثلاثة أقسام علم ماهو وعلم كيف وعلم كم فالعلم الذي يطلب منه ماهيات الاشياء هو العلم الالهي والذي يطلب منه كيفيات الاشياء هو الطبيعي والذي

يطلب منه كميات الاشياء هو الرياضي والكمية والكيفية النسبة الى كم وكيف وكم عبارة عن العدد ومن النحاة من يجعله اسما ناقصا مبنيا على السكون والنسبة اليها الكمية بالتخفيف ومنهم من يجعله اسما تاما فشدد آخره وصرفه فقال أكثرت من الكم والنسبة اليه الكمية بالتشديد وهو عند المنطقيين قسم من أقسام العرض وهو نوعان منفصل ومتصل فان لم يكن بين أجزائه حد مشترك فهو الكم المتصل وان كان بين أجزائه حد مشترك فهو الكم المنفصل وهو ان كان قار الذات فهو المقدار وان لم يكن قار الذات فهو الزمان وكيف اسم مبهم غير متمكن وانما حرك آخره لالتقاء الساكنين وبني على الفتح دون الكسر لمكان الياء قال الراغب يسأل به عما يصح أن يقال شبيه وغير شبيه كالاسود والابيض والصحيح والسقيم ولهذا لا يصح أن يقال في الله عز وجل كيف وقال بعض الحكماء هو كل هيئة قارة في جسم لا تقتضي قسمة ولا نسبة فقولنا قارة يخرج الزمان وقسمة يخرج الكم ونسبة تخرج المقولات في العرض والله تعالى بكل شئ

الربط وأن لا يكون نفيها ثبوتا ولا ثبوتها نفيا فيندفع الاشكال وقال الشيخ شمس الدين الخسر وشاهي ان لو في أصل اللغة لمطلق الربط وانما اشتهرت في العرف بانقلاب ثبوتها نفيا وبالعكس والحديث انما ورد بمعنى اللفظ في اللغة وقال الشيخ ابن عبد السلام الشئ الواحد قد يكون له سبب واحد فينتفي عند انتفائه وقد يكون له سببان لا يلزم من عدم أحدهما عدمه لان السبب الثاني يخلف الاول كقولنا في زوج هو ابن عم لو لم يكن زوجا لورث أي بالتعصيب فانهما سببان لا يلزم من عدم أحدهما عدم الآخر وكذلك ههنا اذا الناس في الغالب انما لم يعصوا لاجل الخوف فاذا ذهب الخوف عصوا لاتحاد السبب في حقهم فأخبر صلى الله عليه وسلم أن صهيبا رضي الله عنه اجتمع له سببان يمنعانه عن المعصية وهذا مدح جليل وكلام حسن وأجاب غيرهم بأن الجواب محذوف تقديره لو لم يخف الله عصاه الله ويدل على ذلك قوله لم يعصه وهذه الاجوبة تتأتى في الآية غير الثالث فان عدم نفود كلمات الله تعالى وانها غير متناهية أمر ثابت لها لذاتها وما بالذات لا يعلل بالاسباب فتأمل ذلك هذا كلام الفضلاء الذي اتصل بي والذي ظهر لي أن لو اصلها أن تستعمل للربط بين شيئين نحو ما تقدم ثم انها أيضا تستعمل لقطع الرابط فتكون جوابا لسؤال محقق ومتوهم وقع فيه ربط فتقطعه انت لاعتقادك بطلان ذلك الربط كما لو قال القائل لو لم يكن ذلك زوجا لم يرث فتقول أنت لو لم يكن زوجا لم يحرم تريد أن ما ذكرته من الربط بين عدم الزوجية وعدم الارث ليس بحق فتقصد لذلك قطع ربط كلامه لا ربط كلامه وتقول لو لم يكن زيد عالما لا كرم أي لشجاعته جوابا لسؤال سائل يتوهمه أو سمعته يقول انه اذا لم يكن عالما لم يكرم فيربط بين عدم العلم وعدم الاكرام فتقطع أنت ذلك الربط وليس مقصودك أن تربط بين عدم العلم والاكرام لان ذلك غير مناسب ولا من أغراض العقلاء ولا يتجه كلامك الا على عدم الربط فكذلك الحديث لما كان الغالب على الناس أن يرتبط عصيانهم بعدم خوف الله تعالى وان ذلك في الاوهام قطع رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الربط وقال لو لم يخف الله لم يعصه وكذلك لما كان الغالب على الاوهام ان الاشجار كلها اذا صارت أقلاما والبحر المحيط مع غيره يكتب به الجميع والوهم يقول ما يكتب بهذا شئ الا نفد وما عساه أن يكون قطع الله هذا الربط وقال ما نفدت الخ وهذا الجواب أصلح من الاجوبة المتقدمة لوجهين أحدهما شموله لهذين الموضعين وبعضها لم يشمل كما تقدم وثانيهما أن لو بمعنى خلاف الظاهر وما ذكرته من الجواب ليس مخالفا للعرف أهل اللغة فانهم يستعملون ما ذكرته ولا يفهمون غيره في تلك الموارد ونعم هذا الجواب الواجب لذاته لصفات الله تعالى وكلماته والممكن القابل للتعليل كطاعة صهيب رضي الله عنه انتهى كلام شهاب الدين (رجح دهتني) فعل ماض والتاء علامة لتأنيث الفاعل والنون نون الوقاية والياء ضمير المفعول وهو المتكلم (أسود) جمع أسد وهو مرفوع على انه فاعل دهت (الغيل) مضاف اليه والاضافة بمعنى اللام والالف واللام للجنس (بالغيل) جار ومجرور والباء للاستعانة أو التعدية وهو متعلق بدهتني (المعنى الكلام في هذا البيت كالكلام في قوله صلى الله عليه وسلم نعم العبد صهيب ومعناه لو دهتني أسود الغيل بالغيل ما أخلت بغزلان أغازلها فكيف وما دهتني فعدم اخلالي بالطريق الاولى فالاخلال مرتبط بدهاء الاسود له وتخريجه على ما قاله القرافي ان الغالب على الاوهام أن الانسان يخل

بمعادته من يحادثه اذا دهته الاسود باغتيالها فقطع الشاعر هذا الربط وقال ما أخلى بمعادته هذه الغزلان مع وجود دهاء الاسود لى واغتيالها ايای وهذه مبالغة عظيمة فى الاشتغال بالمحبوب والانس به عن كل ما يذهل النفوس ويشغل القلوب التى ترتاع وتنفر من حصوله ولقد بالغ أبو الحسن على بن رشيق فى قوله

ولقد ذكرتك فى السفينة والردى * متوقع بتلاطم الامواج
والجو يهطل والرياح عواصف * والليل مسود الذوائب داجى
وعلى السواحل للاعادى غارة * يتوقعون لغارة وهياج
وعلت لاصحاب السفينة ضجة * وأنا وذكرك فى الذى تناجى

والاصل فى هذا المعنى قول عنترة

ولقد ذكرتك والرماح تواهل * منى وبيض الهند تقطر من دمى
فوددت تقبيل السيوف لانها * لمعت كبارق ثغرك المتبسم

وقال الارجانى

وانى لأرعاكم على القرب والنوى * وأذكركم بين القنا والقنابل

ونقلت من خط مجير الدين محمد بن تميم له

الا من يبلغ المحبوب أنى * وقفت وللظبا حولى صليل
وانى جلت فى جيش الاعادى * برمحى وهو فى فكرى يجول

وقال الصاحب جمال الدين يحيى بن مطروح

أرسلتها والعوالى فى الطلا ترد * فى موقف فيه ينسى الوالد الولد
وما نسيتك والارواح سائلة * على السيوف ونار الحرب تتقد

قلت ليس فى نسيان الولد لوالده كبير أمر ولا مبالغة ولو عكس كان أبلغ فان اشفاق الوالد على الولد أكثر وحنوه أكبر قيل لبعض الحكماء لاى شئ نحب أولادنا ومايحبوننا فقال لانهم منا ولسنا منهم وقيل لآخر ذلك فقال لان آدم لم يكن له أب فقال الشاعر

وانا اولادنا بيننا * أكبادنا تمشى على الارض

فاذا ذهل الولد عن الوالد ماخرج عن العادة المألوفة وانظر الى البلاغة فى قوله تعالى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت كيف جاءت المبالغة فى المرضع دون الوالدة لان المرضع أشد اشفاقا وأكثر تطلعا على ولدها الرضيع من الوالدة على الولد الذى خرج عن الرضاعة وترعرع

وقال ابن مطروح

ولقد ذكرتك والصوارم لمع * من حولنا والسمهرية شرع
وعلى مكافحة العدو فنى الحشا * شوق اليك تضيق عنه الاضلع
ومن الصبا وهل جراشيمتى * حفظ الوداد فكيف عنه أرجع

وقال الشريف البياضى

ولقد ذكرتك والطبيب معبس * والجرح منغمس به المسبار
وأديم وجهى قد فراه حديده * ويمينه حذرا على يسار
فشغلتنى عما لقيت وأنه * لتضيق منه برحبها الاقطار

عليم وناظر فى الجوهر والعرض وميزا الصحة من المرض قال بعض الادباء الكلام فى الجوهر والعرض على رأى الحكماء طويل غامض وانما أنقل نبذة من أقرب ماسمعت فالجوهر هو الجسم كالانسان والفرس والحجر ونحو ذلك والعرض الحال والوصف المتعاقب عليه كالالوان من بياض وسواد وحمرة والحركات المختلفة من قيام وقعود واضطجاع وجميع ماعدا الجوهر فاسم العرض واقع عليه وانما مثلنا الجوهر بالجسم دون غيره مما يقع عليه اسم الجوهر لان الذين أثبتوا جواهر ليست باجسام كالعقل والنفس والجزء الذى لايتجزأ أليس يمتنع أحد منهم أن يسمى الجسم جوهرا فصار الجسم هو الجوهر المتفق عليه وقال بعض الحكماء الجوهر خمسة أنواع المادة والصورة والجسم والنفس والعقل ووجه الحصر أنه ان كان حالا فى محل فهو الصورة وان كان محلا للحال فهو المادة وان كان مركبا منهما فهو الجسم وان لم يكن كذلك فهو الجوهر المفارق وهو ان تعلق بالجسم بالتدبير فهو النفس والا فهو العقل والعرض عند اكثرهم احد وعشرون ضربا وعند بعضهم ثلاثة

ونقلت من خط ابن القيسراني له

ذكرتك في حسنة والروابي * ملفعة المناكب بالرياض
ورعن الكثيب مخضر الجفاني * على الغدران مترعة الحياض
وقد سئمت من السير المطايا * ومل قتودها حنق العضاض
وضاقت ساحة الاخلاق حتى * نبا الخلق الكريم عن التغاضي
وعندك انني مع ما الاقي * نسيتك لا وأعينك المراض

وأنشدني لنفسه اجازة الشيخ الامام العلامة شهاب الدين أبو الثناء محمود

ولقد ذكرتك والسيوف لوامع * والموت يرقب تحت حصن المرقب
والحصن من شفق الدروع تخاله * حسناء ترفل في رداء مذهب
سامي السماء فمن تطاول نحوه * للسمع مستقر اماه بكوكب
والموت يلعب بالنفوس وخاطري * يلهو بطيب ذكرك المستعذب

وأنشدني لنفسه اجازة المولى صفي الدين عبد العزيز الحلي

ولقد ذكرتك والرجاج كأنه * مطل الغني وسوء عيش المعسر
والشوس بين مجدل في جندل * منا وبين معفر في مغفر
فظننت أني في صباح مسفر * بضيا وجهك أو مساء مقمر
وتعطرت أرض الكفاح كأنما * فتقت لنا ريح الجلاد بعنبر

وأنشدني أيضا له اجازة

ولقد ذكرتك والسيوف مواطر * كالسحب من وبل النجيع وطله
فوجدت انسا عند ذكرك كاملا * في موقف يخشى القنى من ظله

وأنشدني لنفسه اجازة أيضا

ولقد ذكرتك والجماجم وقع * تحت السنابك والاكف تطير
والهام في أفق الجماجة حوم * فكأنها فوق النسور نسور
فاعتارني من طيب ذكرك نشوة * وبدت على بشاشة وسرور
فظننت اني في مجالس لذتي * والراح تجلى والكؤس تدور

وأنشدني من لفظه لنفسه الشيخ الامام الحافظ أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بالقاهرة سنة سبعمائة وثمانية وعشرين

لقد ذكرتك والبحر الخضم طغت * أمواجه والورى منه على سفر
في ليلة أسدلت جلباب ظلمتها * وغاب كوكبها عن أعين البشر
والماء تحت وفوق المزن واكفة * والبرق يسل أسيافا من الشرر
والفلك في وسط الماءين تحسبها * عينا وقد أطبقت شفرا على شفر
والروح من حزن راحت وقد وردت * صدري فيالك من ورد بلا صدر
هذا وشخصك لا ينفك في خلدي * وفي فؤادي وفي سمعي وفي بصري

وكلفت أنا في سنة سبعمائة وعشرين نظم شئ في هذه المادة فقلت

ولقد ذكرتكم وحرب ينثني * عن بأسها الليث الهزبر الاغلب

وعشرون عشرة منها تختص بالاحياء وهي الحياة والقدرة والشهوة والقوة والارادة والكراهة والاعتقاد والظن والنظر والالم واحد عشر تكون للاحياء وغير الاحياء وهي الكون وتشتمل على اربعة اشياء الحركة والسكون والاجتماع والافتراق والتأليف والاعتماد كالثقل والخفة والبرودة واليبوسة والرطوبة واللون والرائحة والطعم والاثنان اللذان زادهما بعضهم هما البقاء والموت * والصحة هي وجود الاعتدال الخاص بالانسان وتستعار لغيره والمرض الخروج عن الاعتدال والتمييز الفصل بين الشيئين والمعنى انك الذي حرر صناعة الطب وذكر الطب عقب الجوهر والعرض لان الجميع من العلوم العقليات وقد يكون مراده التمييز بين صحة الاشياء ومرضها كالحقائق والشكوك والفضائل والرذائل وانما شبهت الشكوك والرذائل بالمرض لكونها مانعة عن ادراك الفضل كالمرض المانع للبدن عن ادراك التصرف الكامل وعلى كلا الوجهين فالمراد انك أنت الحكيم الذي تنظر في هذه العلوم واظهرها

والصافنات

والصافنات بركضها قد أنشأت * ليلا وكل سناسنان كوكب
والبيض تنثر كلما نظم القنا * والنبل يشكل والجماجم يترب
وحشاشة الابطال قد تلفت ظما * ودم الفوارس مستهل صيب
والنفس قد سالت على حد الظبا * وأنا بذكرك وأميل وأطرب

وقلت أيضا في هذه المادة على غير هذا النحو

ذكرتكموكاسات الندامى * تدور على بدور مثل شمس
واضواء الشموع نجوم أفق * قضت بالانس فيه لكل نفس
وأصوات المثالث والمثانى * علت ولها خفضنا كل حس
وقد رق النسيم وراق حتى * يكاد يفوت لطفا كل لمس
وقد رمت الجفون سهام سحر * يلاقيها المحب بغير ترس
وقد غنى النديم عن الحميا * بكأس مراشف كالشهد لعس
فنغص كل ما أنا فيه ذكرى * لكم فضى السرور وغاب أنسى

وكل هذه الحالات يمكن فيها ذكر المحبوب وأما ما روى عن ابراهيم عليه السلام فلا يقع ذلك الا من مثله صلوات الله وسلامه عليه فانه لما رماه نمرود من المنجنيق التى رماه منها فى النار المضرمة وصار فى الهواء اعترضه جبريل عليه السلام وقال له ألك حاجة قال أما اليك فلا وأما قصة ليلى الاخيلية مع توبة بن الحمير فهى مشهورة بين أهل الادب وهى أنها لما ماتت مر زوجها بقبر توبة قال لها هذا قبر الكذاب الذى يقول

ولو أن ليلى الاخيلية سلمت * على ودونى جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أوزقا * اليها صدى من جانب القبر صائح

فقالت دمه فقال أقسمت عليك الا ما دنوت منه وسلمت عليه فأبيت فكرر عليها ذلك فلما تقدمت الى القبر وقالت السلام عليك يا توبة طار من جانب القبر طائر كان هناك فنفر منه جمل ليلى فوقعت من أعلاه فاندق عنقها وماتت من وقتها ودفنت الى جانب توبة وقد أفرط توبة فى استحضار ذكرها وبالغ الى أن خرج عن حيز الامكان لان الحالات المتقدمة تحتمل ذكر المحبوب اذا كان الانسان متمكنا من ذاكرته اذا أرادها عرضت عليه ما فى خزانتها وأما من يفقدها جملة ويغيب الذاكر ويدخل فى العدم فهذا غير ممكن وقال عثمان بن ابراهيم حجبت أنا وأصحابى فلما رجعنا من مكة مررنا بالمدينة فرأينا عمر بن ابى ربيعة قد نسك وترك الغزل وقول الشعر فقال بعضنا لبعض هل لكم فيه فلنا اليه فسلمنا عليه وجلسنا وهو ساكت لا يكلمنا فقال له بعضنا أيعجبك قول الفزارى يا أبا الخطاب

سرت لعينك سعدى بعد منفاها * فبت مستلها من بعد مسراها

حتى أتى على آخر الابيات فلم يهش لذلك فقال آخر أيعجبك قول العذرى

لو خر بالسيف رأسى فى مودتها * لمر يهوى سريعا نحوها راسى
ولو بلى تحت أطباق الثرى جسدى * لكنت أبلى وما قلبى لكم ناسى
أو يقبض الله روحى صار ذكركمو * روحا أعيش به ما دمت فى الناس

فتحرك وقال ويحه أبعد ما يخر رأسه يميل اليها ائتنى بحدثنا

(وفك المعمى)

عمى الامر اذا التبس وعميت معنى البيت من الشعر اذا أخفيته ومنه المعمى اللغز والمراد هنا حروف يصطلح عليها الكاتب مع نفسه ويكاتب بها أو يسمى الآن المترجم ولها طرائق مذكورة تعين على استخراجها وأول من وضعها الخليل واضع العروض ولا بأس بايراد نبذة من أخباره وفوائده وكذلك أفعل عند كل بيت أو لفظة يمثل بها ابن زيدون فى هذه الرسالة فاحفظه من ألفاظ المتقدمين فانى أذكر قائلها وشيئا من نوادره اذ لابد فى ذلك من فائدة ونكتة والكلام عليها أولى من الكف عنها * والخليل هو أحمد بن عمر الفراهيدى الازدى ويكنى أبا عبد الرحمن ولد بالبصرة سنة مائة ونشأ بها واشتغل بالعلوم وصنف الكتب الكثيرة مثل كتاب العين ولم يتمه وكتاب النقط والشكل وكتاب النغم وكتاب الشواهد وأجودها العروض وهو أول من وضعه فهو من عجائب المخترعات كالشطرنج وشبهه ثم تبعه فيه الناس واستخرج من بحر المتقارب بحر مخبون الاجزاء وسمى الخبب ووصل الامر الى ابى نصر الجوهرى

فاوضحه اعنى العروض
واختصره أحسن اختصار
واول ماخالفه فيه أن
الخليل جعل الاحرف
التى يوزن بها الشعر ثمانية
اثنان خماسيان فعولن وفاعلن
وستة سباعية متفاعلن
فاعلاتن مستفعلن مفاعيلن
مفعولات فنقص الجوهرى
منها جزء مفعولات وأقام
الدليل على انه مقبول فى
مستفعلن مفروق الوتد لان
مفعولات مركب من سببين
خفيفين ووتد مفروق مؤخر
وزعم أن مفعولات لو كان جزأ
صحيحا لركب من مفرده بحر
كما يركب من سائر الاجزاء
يريد انه ليس فى الاوزان وزن
انفرد به مفعولات ولا يكرر
فى قسم منه ثم استخرج المعمى
وهو ايضا أول من نظر فيه
وذلك ان بعض اليونان
كتب بلغتهم كتابا الى الخليل
فظل به شهرا حتى فهمه فقيل
له فى ذلك فقال علمت انه لابد
وأن يفتتح باسم الله تعالى
فبنيت على ذلك وقست
وجعلته أصلا ففتحته ثم
وضعت كتاب المعمى وكان
الجاحظ يقول ليس المعمى
بشئ قد كان كيسان مستملى
أبى عبيدة يسمع خلاف ما يقال
ويكتب خلاف ما يسمع ويقرأ
خلاف ما يكتب وكان أعلم
الناس باستخراج المعمى

*(حب السلامة يثنى هم صاحبه * عن المعالى ويغرى المرء بالكسل)*

(اللغة) الحب العشق وقد تقدم الكلام عليه فى قوله يقتلن انضاء حب البت السلامة الرفاهية والنجاة من الخوف يثنى يعطف ويكف ثنيت الشئ عطفته وكففته وثنيته بالتشديد جعلته اثنين هم الهم العزم والارادة هممت بالشئ أهم هما وهو المراد هما والهم أيضا الحزن المعالى تقدم الكلام عليها الاغراء ان تولع الانسان بشئ وتهيجه وتحثه عليه والقصيدة المغربية التى أولها

ما كل يوم ينال المرء ماطلبا * ولا يسوغه المقدور ماوهبا

مشهورة لا فائدة فى سردها المرء الرجل تقول هذا امرؤ ورأيت امرأ ومررت بمرئ وضم الميم لغة وهما مرآن ولا يجمع على لفظه وبعضهم يقول هذه مرأة صالحة ومرة بترك الهمزة وفتح الراء فان جئت بالف الوصل كان فيه ثلاث لغات فتح الراء على كل حال حكاه الفراء وضمها على كل حال واعرابها على كل حال تقول هذا امرؤ ورأيت امرأ ومررت بامرئ ولا جمع له من لفظه وهذه امرأة مفتوحة الراء على كل حال فان صغرت أسقطت ألف الوصل فقلت مرئ ومرئية الكسل التثاقل عن الامر وقد كسل بالكسر فهو كسلان وقوم كسالى وكسالى بالضم فى الكاف والفتح وان شئت كسرت اللام كما فى الحمارى وامرأة مكسال لا تكاد تخرج عن محلها وهذا مدح مثل نؤوم الضحى قال امرؤ القيس نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل وما سمع فى الكسل أبلغ من قول القائل

دعوت الله يجمعنى بسلمى * ويطرحها ويلقينى عليها
وأرزق من يحركنى بلطف * وينزلنى اذا أنزلت فيها
ويأتى بعد ذاك سحاب غيث * يطهرنى ولا أسعى اليها

(الاعراب حب) مبتدا (السلامة) مضاف اليه والاضافة معنوية بمعنى اللام والالف واللام لتعريف الحقيقة (يثنى) فعل مضارع من ثنى يثنى فهو ثلاثى وهو مرفوع لخلوه من الناصب والجازم وعلامة الرفع ضمة مقدرة على الياء لانه معتل بالياء تقول هو يثنى ولن يثنى ولم يثن وهو فى موضع رفع لانه خبر المبتدا (هم) منصوب على أنه مفعول يثنى (صاحبه) مجرور بالاضافة المعنوية المقدرة باللام والهاء فى موضع جر بالاضافة وهى راجعة الى حب (عن المعالى) جار ومجرور وعن معناها التجاوز والجار والمجرور يتعلق بيثنى (ويغرى) الواو عطفت الفعل على الفعل يغرى فعل مضارع مرفوع كما قلت فى يثنى وهو خبر ثان للمبتدا (المرء) منصوب على أنه مفعول والفاعل ضمير تحمله يغرى وهو يرجع الى حب والالف واللام للجنس (بالكسل) الباء هنا للتعدية والجار والمجرور متعلق بيغرى (المعنى) يقول لصاحبه حب السلامة يعطف عزم صاحبه عن اكتساب المعالى ويغرى الانسان بالكسل كأنه لما عرض على صاحبه المرافقة الى الحمى الذى وصفه وجده مشتاقا لا عن مرافقته غير قابل للتوجه معه الى ذلك الحمى والمشاركة له فى المشاق والاخطار فاخذ يعظه بمثل هذا الكلام هذا ان قلت ان الكلام لصاحبه وان قلت انه قد قطع الكلام عنه وأخذ يخاطب نفسه فهذا الذى يسميه ارباب البلاغة التجريد وهو أن يخاطب المتكلم غيره وهو يريد نفسه كأن الانسان يجرد من نفسه مخاطبا افاما للواجهة بالقول وأحسن ما جاء فيه قول الصمة بن عبد

الله القشيري من المجلسة

حننت الى ريا ونفسك باعدت * مزارك من ريا وشطت مزارها

الابيات ولعمري ان السلامة في الخمول خير من العطب في المعالي فما بقي الوصل بالصدود

قال الشاعر

ان مدحت الخمول نبهت قوما * غفلا عنه سابقون اليه

هو قيد دلني على لذة العيش فما لي أدل غيري عليه

وقال أبو العلاء المعري

ولو جرت النباهة في طريق الخمول الى لاخترت الخمولا

قد رضي بالخمول جماعة من الرؤساء الاكابر المتقدمين في العلم والمنصب وفارقوا مناصبهم وأخلوا الدسوت من تصديرهم منهم مجد الدين أبو السعادات المبارك ابن الاثير صاحب جامع الاصول والنهاية في غريب الحديث وغيرهما فانه اتصل بعدة خدم كثيرة بخدمة عز الدين بن مودود صاحب الموصل وتولى ديوان رسائله الى أن مات ثم خدم نور الدين ارسلان شاه وحظي عنده وتوفرت حرمته لديه فلم يزل الى أن عرض له مرض كف يديه ورجليه فمنعه من الكتابة مطلقا فانقطع في منزله وكان الاكابر يغشونه ويترددون اليه فحضر اليه من التزم بعلاجه وافاقه من مرضه فلما طابه وقارب البرء وأشرف على الصحة دفع اليه ذهبا وقال امض الى سبيلك فلاموه على ذلك فقال لخواصه متى عوفيت طلبت وألزمت بالخدمة وذا أحب الي فاني توفرت على نفسي ومطالعة ما أختاره من العلم وأنا مرمى الجانب عندهم لا أشاركهم في سلطانهم ولا أدخل معهم فيما يغضب الله ويرضيهم والرزق لابد منه فأختار العطلة مع عطلة جسمه على المنصب وفي هذه الحالة جمع جامع الاصول وغيره وابن طلحة كان وزير الملك الناصر الصغير وله عمل كتاب العقد وهو كتاب مفيد وله الدائرة المعروفة به بين أرباب هذا الشان ترك منصب الوزارة وخرج فقيرا وهذا الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما قال لمعاوية ان علي دينا فأوفوه عني وأنتم في حل من الخلافة فأوفوا دينه وترك لهم الخلافة وقد فعل ذلك جماعة من الاعيان وقال بعض العارفين آخر ما ينزع الله من رؤس الصديقين حب الرياسة وقال أبو اسحق ابراهيم الغزي

المجد سهل والطريق اليه بالاجماع وعر

وقال ابن وكيع

لقد رضيت همتي بالخمول * ولم ترض بالرتب العاليه

وما جهلت طيب طعم العلى * ولكنها تطلب العافيه

وقال آخر

بقدر الصعود يكون الهبوط * فايلك والرتب العاليه

وكن في مكان اذا ما وقعت * تقوم ورجلك في عافيه

وهذا يشبه قول ابن رشيق

تنازعني النفس أعلا الامور * وليس من العجز لا أنشط

ولكن بمقدار قرب المكان * تكون سلامة من يسقط

وكان النظام على قدرته على أصناف العلوم لا يقدر على استخراج أخف ما يكون من المعمى وللجاحظ تحامل على مصنفات الخليل ليس هذا موضع ذكره ثم استخرج الخليل أيضا اتفاق الحروف مع النجم فقال عدد الحروف العربية عدد منازل القمر ثمانية وعشرون وغاية ما بلغ الكلام اليه مع الزيادة سبعة على عدد النجوم السبعة وصور الزوائد اثنا عشر على عدد البروج وأربعة عشر تدغم مع لام التعريف مثل منازل القمر التي يسيرها تحت الارض وأربعة عشر فوقها ثم وضع في الشطرنج جلين في طرفي الرقعة لعب بهازمانا ثم تركت ثم أراد ان يخترع شيأ في الحساب فقال أريد أن أقرر نوعا من الحساب تمضي الجارية بدرهم الى البياع فلا يمكنه ظلمها فدخل المسجد وهو يعمل فكره في ذلك فصدمته سارية وهو غافل عنها لفكره فانقلب على ظهره فكان سبب موته ومات سنة ستين ومائتين وكان من العقلاء الزهاد واجتمع هو وابن المقفع يتحدثان الى الغداة فلما تفرقا قيل للخليل كيف رأيت ابن المقفع قال رأيت رجلا علمه أكثر من عقله وقيل لابن المقفع كيف

وقال الأرجاني

أنا صائن عرضي وان صفرت يدى * كم من أغر ولا يكون مجملا
أنا عـــلى غض الزمان لمعشر * من دون ماء وجوههم ماء الطلا

وقال شهاب الدين بن مسعود السنبلي

لذ خـولي وحـلا مره * اذ صانني عن كل مخلوق
نفسي معشوقي ولي غيرة * تمنعني عن بذل معشوقي

وعلى الجملة فالزهـد أمر تمسك العقلا بعروته الوثقى ولهذا أفتى الفقهاء بأنه لو أوصى بثلث ماله لاعقل الناس انصرف الى الزهاد والسلامة كنز مفتاحه الزهد وكل ما تراه عينك رهن الزوال ومقدمات نتيجتها العدم ولله در ابن الشبلي البغدادي اذ يقول

صحة المرء للسقام طريق * وطريق الفناء هذا البقاء
بالذي نفتدي غوت ونحيا * أقتل الداء للنفوس الدواء
ما لقينا من غدر دنيا فلا كا * نت ولا كان أخذها والعطاء
صلف تحت راعد وسراب * كرعت منه موم خرقاء
راجع جودها عليها فهما * يهب الصبح يسترد المساء
ليت شعري جاما تمر به الأيـــام أم ليس تعقل الأشياء
من فساد يكون في عالم الكو * ن فما للنفوس منه انقضاء
وقليلا ما تعجب المهجة الجســـم ففيم الشقا وفيم العناء
قبح الله لذة لشقانا * نالها الامهات والآباء
نحن لولا الوجود لم نالم الفقـــد فما يجادنا علينا بلاء

وهي طويلة وقال الآخر

هذه الدنيا وهذا شأنها * أتعب الناس بها أعوانها
وذوو الأحلام قالوا انها * حلم يفضي بها يقظانها

وما أحسن قوله وذوو الأحلام ههنا ويقال ان الخليل بن أحمد رحمه الله تعالى أرسل اليه بعض الخلفاء فأتاه الرسول وهو يبل كسرة بماء ويأكل منها فقال له أجب أمير المؤمنين فقال ما لي اليه حاجة فقال انه يغنيك قال مادمت أجد هذين فاني لا أحتاج اليه وقال تلميذه النضر بن شميل أقام الخليل في خص من خصاص البصرة لا يقدر على فلسين وأصحابه يكتسبون بعلمه الاموال وأخبار الزهاد في اعراضهم عن الدنيا مشهورة وهذا الذي تقدم كله يخالف مراد الطغرائي في البيت فان رأيه السعي والكدو الجد والكدح والانتصاب لتلقي الأهوال في تحصيل المعالي والترقي الى منازل العز وكسب المجد بالحركة والنقلة والاقدام على ركوب الاخطار لنيل الاماني وبلوغ الاوطار وقال بعضهم

فما قضى حاجته طالب * فؤاده يخفق من رعبه
وغاية المفرط في سلمه * كغاية المفرط في حربه

ومن الكلم النوابغ صعود الكلام وهبوط الغيطان خير من القعود بين الحيطان وقال بعض الشعراء

رأيت الخليل قال رأيت رجلا عقله أكثر من علمه فكان كذلك أدى الخليل عقله الى أن مات زاهدا وابن المقفع الى أن مات قتيلا بسبب كتاب كتبه وحكي أن سليمان بن المهلب بعث اليه يوما بألف دينار ليتجهز بها ويأتيه الى الاهواز فدخل عليه الرسول وهو يبل كسرة يابسة ويأكلها فرد الالف دينار وقال للرسول مادمت أجد هذه فلا حاجة لي الى سليمان وقرأ عليه شخص كتاب العروض مدة فلم يفهم منه شيأ وأتعبه فقال له الخليل يوما قطع هذا البيت

أذا لم تستطع شيأ فدعه

وجاوزه الى ما تستطيع ففهم الرجل التعريض ولم يعد * ودخل يوما الى مريض يعوده فقال أخو المريض أفتح عينيك فان أبو عبد الرحمن حضر فقال الخليل ما داء أخيك الا من كلامك وكتب اليه بعض الثقلاء معمى يحله فاذا هو بيت من الشعر يقول فيه

أنا ان لم ألك أهوا
لك فرأسي في حرامي

فكتب الخليل تحته وان هويت أيضا * ومن كلامه الزاهد من لم يطلب المفقود حتى يفقد الموجود وقال من

أما ترينى على شأن العلا لا أعتباد العنا جولا دائم النصب
فما استوى شرف الا على كلف * ولا صفا ذهب الا على لهب

وقال ابن نباتة السعدى

لحى الله ملآن الفؤاد من المنى * اذا أمكنته فرصة لا يشمر
يلاحظها حتى يفوت طلابها * ويصبح فى ادبارها يتدبر

وقال أيضا

ومن طلب النجوم أطال صبرا * على بعد المسافة والمنال
وتثمر حاجة احتاج نجحا * اذا ما كان فيها ذا احتيال

ومما ينسب الى على بن أبى طالب رضى الله عنه

كذا كذا العبد ان * ثرت أن تصحرا
لا تقل ذا مكسب * رى سؤال الناس ازرى

وقد ظرف السراج الوراق فى قوله

دع الهوينا وانتصب وا كتسب * وا كدح فنفس المرء كداحه
وكن عن الراحة فى معزل * فالصفع موجود مع الراحة

وما أحسن ما استخدم الراحة هنا فى معنييها الاول الراحة من الاستراحة والثانى الراحة من اليد وكذا فعل أبو الحسين الجزار فى قول أبى نواس لما ضمنه فى ما قاله يوم نيروز وكتبه الى بعض أصحابه

كتبت بها فى يوم نوروزها متى * تمارس من ابطاله ما تمارس
وعندى رجال للمهمون ترجلت * عمائمهم عن هامهم والطيالس
فللراح ما زورت عليه جيوبها * وللماء ما دارت عليه القلانس
مساحب من جراء الرفاق على القفا * وأضغاث انطاع جنى ويابس

فانظر الى هذا الرجل كيف تلاعب بالكلام ونقل المعنى بحسن التوطئة له من وصف الكأس المصورة فى الابيات السينية المشهورة حتى كأن هذا البيت لم يقله أبو نواس الا فى وصف الصناع يوم النيروز فنقل الراح من اسم الخمر الى جمع راحة وهى اليد وقد ذكرت لهذا نظائر فى كتابى المسمى بفض الختام (عن التورية والاستخدام فمن أراد الوقوف على ما يبهر عطفه ويخلب لبه فليقف عليه هناك ومن هذا النوع ما كتبته على مجلد قديم مضمنا

ملكت كتابا أخلق الدهر جلده * وما أحد فى دهره بمخلد
اذا عاينت كتبى الجديدة حاله * يقولون لا تهلك أسى وتجلد

فنقلته من التجلد الى التخليد وقلت مضمنا

قل للرقيب يستريح من رصدى * ما أصبح المعشوق عندى مشتهى
وارتد قلبى عن سيوف لحظه * وكل شئ بلغ الحد انتهى

نقلت الحد من الغاية فى الاصل الى حد السيف وانتهى من النهاية والكمال الى الانتهاء والارعواء

*(فان جنحت اليه فاتخذ نفقا * فى الارض أو سلما فى الجو فاعتزل)*

استعمل الحزم فى وقت الاستغناء عنه غنى عن الاحتيال فى وقت الحاجة اليه وقال بحسب امرئ من الشر أن يرضى من نفسه فسادا لا يصلحه ومن علم بفساد نفسه علم بصلاحها وأقبح التحول أن يتحول المرء من ذنب الى غير توبة منه وقال من الابواب ما لو شئنا شرحناه حتى يستوى فى علم القوى والضعيف كفعلنا ولكنا نحب أن يكون للعالم مؤنة * ومن محاسن شعره ما أورده أبو حيان التوحيدى

زر وادى القصر نعم القصر والوادى
لا بد من زورة من غير ميعاد
زره فليس له شبه يماثله
من منزل حاضر ان شئت أو باد
تلقى سفائنه والعيس سائرة
والنون والضب والملاح والحاد

ومنه ما قاله فى سليمان بن المهلب

ان الذى شق فى ضامن
للرزق حتى يتوفانى
أحرمنى خيرا قليلا فما
زادك فى مالك جرمانى

وقال فيه وقد قطع عنه برا

بازلة يكثر الشيطان ان ذكرت
منها التعجب جاءت من سليمانا

(اللغة) جنح يجنح جنوحا بفتح النون ويجنح بكسرها أيضا اذا مال واجتنح مثله وأجنحه غيره نفقا النفق سرب في الأرض له مخلص الى مكان وفي المثل ضل دريص نفقه أي جحره والنفقة احدى جحرة اليربوع يكتمها ويظهر غيرها وهو موضع يرفقه فاذا أتى من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانتفق أي خرج والجمع النوافق السلم الذي يرتقى عليه وجمعه سلاليم والجو ما بين السماء والارض فاعتزل اطلب العزلة اعتزله وتعزله بمعنى والمعتزلة طائفة من المسلمين يرون أن أفعال الخير من الله تعالى وأفعال الشر من الانسان وأن الله تعالى يجب عليه رعاية الأصلح للعباد وأن القرآن مخلوق محدث وليس بقديم وأن الله تعالى غير مرئي يوم القيامة وأن المؤمن اذا ارتكب ذنبا مثل الزنا وشرب الخمر كان في منزلة بين منزلتين يعنون بذلك انه ليس بمؤمن ولا كافر وأن اعجاز القرآن في الصرفة عنه لأنه في نفسه معجز ولم يصرف الله العرب عن معارضته لأنوا بما يعارضه وأن المعدوم شئ وأن الحسن والقبيح يثبتان بالعقل وأن الله تعالى حي بذاته عالم بذاته قادر بذاته لا بحياة ولا علم ولا قدرة وأن من دخل النار لم يخرج منها وانما سموا معتزلة لان واصل بن عطاء كان يجلس الى الحسن البصري رضي الله تعالى عنه فلما ظهر الخلاف وقالت الخوارج بكفر مرتكبي الكبائر وقالت الجماعة بأنهم مؤمنون وان فسقوا بالكبائر خرج واصل بن عطاء عن القريقين وقال ان الفاسق من هذه الامة لا مؤمن ولا كافر بل هو في منزلة بين منزلتين فطرده الحسن عن مجلسه فاعتزل عنه وجلس اليه عمرو بن عبيد فقيل لهما ولاتباعهما معتزلة وهم يسمون أنفسهم أهل العدل والتوحيد ويسمون الاشاعرة مجبرة وليس الامر كما ادعوه لان الاشاعرة لا يعتقدون الجبر بل يقولون ما قاله علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الامر بين أمرين لا جبر ولا تفويض وانما الاشاعرة يخالفون مع المعتزلة في خلق الافعال الى أن يلتزموا بالجبر فاذا ثبت الجبر نقلوا البحث مع الجبر من الجبر الى مذهب الاشاعرة وهو أن للعبد مشيئة تما وكسبا تما وذلك أن الاشعري يقول للمعتزلي أنت توافق على انه اذا حصلت القدرة والداعي تعين وجود الفعل وأنا أقول ان القدرة هي سلامة الاعضاء والداعي ان كان من الانسان احتاج الى داع آخر يبعثه ويحركه فاما أن يدور أو يتسلسل وكلاهما محال فبطل القول بأن الداعي من العبد فلم يبق الا أن الداعي أجرى قعه الله في نفس العبد يبعثه على وجود الفعل مع سلامة الاعضاء فيتعين بهما ايجاد الفعل وايقاعه فيضطر المعتزلي الى الاعتراف بذلك اذ لا محيد له عنه حتى قال أبو الحسين البصري منهم لولا مسئلة الداعي والقدرة تم دست الاعتزال فاذا تقرر أن سلامة الاعضاء من الله تعالى والداعي من الله تعالى كان الفعل كله مخلوقا لله تعالى وهذا هو الاجبار ويحتاج الاشعري من هنا أن يبحث مع المجبر على أن الاجبار ليس بصحيح فيقول ان الاجبار هو مثل حركة المرتعش الذي لا يجد محيصا ولا محيدا عن حركة يده كالسعفة في الريح أو الريش الطافي على وجه النهر فهذا هو الجبر في الحركة وأما الانسان فقادر على مديده الى الكأس أو الى السبحة وعلى أن تكون الحركة الى المسجد أو الى خانقة السبيل والحانة فليكون العبد متمكنا من نفسه في كل حركة علم أنه غير مجبر وله مشيئة تما في الفعل وكسب تما وعلى تلك الدقيقة حسن الثواب والعقاب وخلصنا من شناع المعتزلي في انه اذا كان الفعل مخلوقا لله تعالى ففيم العقاب والثواب

والذم

لا تحبن لرفد نزل من يده
فالكوكب الشمس يسقي
الارض أحيانا

وقال أيضا

أبلغ سليمان أني عنه في سعة
وفي غنى غير أني لست ذا مال
شحا بنفسي اني لا أرى أحدا
يموت هزلا ولا يبقى على حال

وقال نظرت في علم النجوم فهجست منه على ما لزمني تركه فقلت منشدا اذ ذاك

بلغا عني المنجم أني
كافر بالذي قضته الكواكب
عالم أن ما يكون وما كا
ن قضاه من المهين واجب

(وفصل بين الاسم والمسمى)

الاسم ما يعرف به ذات الاصل وأصله من السمو وهو الذي ذكر به المعرف ويقال اسم وسم وسما واختلف في تقدير أصله والمسمى هو المعنى الذي وضع له الاسم وللقدماء مباحث طويلة في معنى الاسم والمسمى فمنها قول بعضهم وعليه الجمهور الاسم غير المسمى وهو الذي يراد به التسمية كقولك للرجل عرفني ما اسمك لست تسأله أن يعلمك بذاته وانما تلتمس منه العبارة المعبر بها عنه واستشهد بقوله تعالى ولله الاسماء الحسنى وقوله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة ولو كان

والذم والمدح ومع ذلك فلا بد لمشيئة العبد أن تقارن مشيئة الله تعالى قال الله تعالى وما تشاؤون الا أن يشاء الله ان الله كان عليما حكيما فأثبت الله تعالى للعبد مشيئة ولهذا قال الامام الشافعي

ماشئت كان وان لم أشأ * وماشئت ان لم تشالم يكن
خلقت العباد لما قد علمت * ففي العلم يجري الفتى والمسن
فمنهم شقي ومنهم سعيد * ومنهم قبيح ومنهم حسن
على ذا مننت وهذا خذلت * وهذا أعنت وذا لم تعن

و بلغني أن الامام فخر الدين شرح هذه الابيات في مجلدة ولم أرها الى الآن وهذه المسئلة من أعظم مسائلهم قال الامام فخر الدين اذا ناظرت المعتزلي في خلق الافعال فلا تنس مسئلة الداعي والقدر فلم يزل مذهب الاعتزال يبدو شيأ فشيأ الى أيام الرشيد وظهور بشر المريسي واحضار الشافعي مكبلا في الحديد وقال بشر له بقوله ما تقول يا قرشي في القرآن فقال اياي تعني قال نعم قال مخلوق فخلى عنه وواقعته بين يدي الرشيد مشهورة ولما أحس الشافعي رضي الله عنه بالشر وأن الفتنة ستشتد في اظهار القول بخلق القرآن هرب من بغداد الى مصر ولم يقل الرشيد رحمه الله تعالى بخلق القرآن وكان الامر بين الاخذ والترك الى أن ولي المأمون فقال بخلق القرآن وقوي يقدم رجلا ويؤخر أخرى في دعوة الناس الى ذلك الى أن قوي عزمه في السنة التي مات فيها وطلب الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه فأخبر في الطريق أنه توفي فبقي أحمد رضي الله عنه محبوسا بالرقة حتى بويع المعتصم فاحضر الى بغداد وعقد له مجلس المناظرة وفيه عبد الرحمن بن اسحق والقاضي أحمد بن أبي دؤاد وغيرهما فناظروه ثلاثة أيام فذكر بعضهم قوله تعالى ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث وقال أفيكون غير مخلوق فقال أحمد قال الله تعالى ص والقرآن ذي الذكر فالذكر هو القرآن وتلك ليس فيها ألف ولام وذكر بعضهم حديث عمران بن حصين ان الله خلق الذكر فقال هذا خطأ حدثنا غير واحد أن الله كتب الذكر وذكر بعضهم حديث بن مسعود ما خلق الله من جنة ولا نار ولا سماء ولا أرض أعظم من آية الكرسي فقال انما وقع الخلق على الجنة والنار والسماء والارض ولم يقع على القرآن ولم يزل في جدال معهم الى بعد ثلاثة أيام فأمر به فضرب بالسياط الى أن أغمي عليه ونخسه عجيب بالسيف ورمى على الارض وديس عليه وهو مغشي عليه ثم حمل الى منزله ولم يقل بخلق القرآن وكان مدة مكثه في السجن ثمانية وعشرين شهرا ولم يزل يحضر الجمعة بعد ذلك والجماعة وفشي ويحدث حتى مات المعتصم وولي الواثق فأظهر ما أظهر من المحنة وقال لاحمد بن حنبل لا تجتمعن الي أحد ولا تساكني في بلد أنا فيه فاختفى الامام أحمد وصار لا يخرج الى صلاة ولا غيرها حتى مات الواثق وولي المتوكل فأحضره وأكرمه وأطلق له مالا فلم يقبله وفرقه وأجرى على أهله وولده في كل شهر أربعة آلاف درهم ولم تزل عليهم جارية الى أن مات المتوكل وفي أيام المتوكل ظهرت السنة وكتب الى الآفاق برفع المحنة واظهار السنة وبسط أهلها ونصرهم وتكلم في مجلسه بالسنة فلم يزالوا أعني المعتزلة في قوة ونماء الى أيام المتوكل فحمدوا ولم يكن في هذه الملة الاسلامية أهل بدعة أكثر منهم والمعتزلة جنس يطلق على فرق منهم الواصلية والهذلية والنظامية والجاحظية والمعمرية والمزدارية والثمامية

الاسم ههنا هو المسمى لكان الله تعالى تسعة وتسعين شيأ وهذا كفر وقول عائشة رضي الله تعالى عنها والله يا رسول الله ما أهجر الا اسمك وقال آخرون الاسم هو المسمى لا بمعنى أن العبارة عين المعبر عنه وأن اللفظ هو الشخص فان ذلك محال ولكن الاسم هو المسمى على معان ثلاثة الاول انما وضعت الاسماء ليتصور بها المسميات في نفوس الناطقين وتقوم عند الغيبة مقامها لو شاهدوها فلما ناب الاسم من هذا المناب المسمى في التصوير جاز أن يقال ان الاسم هو المسمى الثاني أن أكثر ما يتبين في الاسماء التي تشتق للمسمى من معان موجودة فيه قائمة به كقولنا لمن وجدت فيه الحياة حي فالاسم من هذا النوع لازم للمسمى يرتفع بارتفاعه ويوجد بوجوده ألا ترى أن الحياة اذا بطل وجودها من الجسم بطل أن يقال له حي واذا بطل أن يقال له حي بطل أن يكون به حياة فيجوز من هذا أن يقال ان الاسم عين المسمى يوجد بوجوده ويرتفع بارتفاعه الثالث ان العرب قد تذهب بالاسم الى المعنى الواقع تحت التسمية فتقول هذا اسمي زيد أي هذا المسمى

والهشامية والجاحظية والبشرية والخاطية والجبائية وهم البهشمية ومن مشاهيرهم الفضلاء الأعيان الجاحظ وأبو الهذيل العلاف وابراهيم النظام وواصل بن عطاء وأحمد ابن حائط وبشر بن المعتمر ومعمر بن عباد السلمي وأبو موسى عيسى الملقب بالمزدار ولقب براهب المعتزلة وثمامة بن أشرس وهشام بن عمرو الفوطي وأبو الحسين بن أبي عمرو الخياط أستاذ الكعبي وأبو علي الجبائي أستاذ الشيخ أبي الحسن الأشعري أولا وابنه أبو هاشم عبد السلام وهؤلاء رؤساء مذهب الاعتزال وهم أساطين هذه البدع واليهم تنسب هذه الفرق وبينهم خلاف في مسائل معروفة بين أصحاب الكلام ومن فضلاء المعتزلة أبو الحسن البصري والكعبي والقاضي عبد الجبار والرماني النحوي وأبو علي الفارسي وأقضى القضاة الماوردي الشافعي وهذا غريب فان الغالب في الشافعية أشاعرة والغالب في الحنفية معتزلة والغالب في المالكية قدرية والغالب في الحنابلة حشوية ومن المعتزلة الصاحب بن عباد والزمخشري صاحب الكشاف والفراء النحوي والسيرافي وما أظرف قول ابن سناء الملك

رب ملق قال لي عاتبا * ياهاجري ظلما ولم أهجر
معتزلي صرت فقلت اتئد * واعتب على مبدع الأشعر (ى)

ولغيره

قلت وقد لج في معاتبتي * وظن أن الملال من قبلي
حسنك مازال شافعي أبدا * ياما لكي كيف صرت معتزلي
خدك ذا الأشعري حنفني * وكان من أحمد المذاهب لي

(الاعراب فان) ان حرف شرط اذا دخلت في الكلام اقتضت جملتين تسمى الاولى شرطا والثانية جزاء وجوابا أيضا وحق الجملتين أن تكونا فعليتين ويجب ذلك في الشرط دون الجزاء لان الجزاء قد يكون جملة فعلية وقد يكون اسمية واذا كان الشرط والجزاء فعلين جاز أن يكونا فعلاهما مضارعين وهو الأصل وان يكونا ماضيين لفظا وان يكون الشرط ماضيا (والجواب) مضارعا وبالعكس فالمضارعان نحو وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله والماضيان نحو وان عدتم عدنا والماضي والمضارع نحو من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها والمضارع والماضي نحو قول الشاعر

ان تصرمونا وصلنا كم وان تصلوا * ملأنموا نفس الاعداء ارهابا

قال الشيخ بدر الدين محمد بن مالك وأكثر النحاة يخصون هذا النوع بالضرورة وليس بصحيح بدليل ما رواه البخاري من قوله صلى الله عليه وسلم من يقم ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وقول عائشة رضي الله عنها ان أبا بكر رجل أسيف متى يقم مقامك رق انتهى وانما اقتضت الجزم في عملها لانها دخلت على جملتين فلطول ما اقتضته ناسب أن يكون جزما لانه أقل من الحركات فناسب الاختصار ليقابل الطول * (فائدة) نص النحاة والاصوليون على أن ان لا يعلق عليها الا مشكوك فيه فلا تقول ان غربت الشمس آتك بل اذا غربت آتك وان اذا يعلق عليها المشكوك والمعلوم وقد جاء في القرآن الكريم عدة مواضع كقوله تعالى ان كنتم اياه تعبدون وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا والشك على الله تعالى محال والجواب أن الخصائص الالهية لا تدخل في أوضاع العربية بل هي مبنية

بهذه اللفظة التي هي الزاي والياء والدال ويقولون في هذا المعنى هذا اسم زيد وهو باب ظريف من كلام العرب يحتاج الى فضل نظر ويجيء في كلامهم على ضربين الاول ما صرح فيه بلفظ الاسم حتى بان لمتأمله مثل قول ذي الرمة يصف بذلك خشفا

ما يرفع الطرف الا ما تخونه * داع ينادي باسم الماء مبغوم

يعني ان هذا الخشف لا ينتبه من التعاس الا ادا تفقدته امه للرضاع فصاحت به ماء ماء وكان ابو عبيدة يذهب في تأويل هذا اللفظ الى ان الاسم زائد والتقدير ينادي بالماء وابو علي الفارسي يحمله على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه فالتقدير ينادي باسم معنى والثاني ما لم يصرح فيه بذكر معنى الاسم الا انه موجود من طريق المعنى مثل قولهم كتبت اسم زيد فليس المراد انه كتب هذه الاحرف وانما يريد انه كتب اسم المسمى الواقع تحتها وقال قوم يكون الشيء الواحد مسمى من جهة وتسمية من أخرى فان قولنا اسم لفظة تحوي الجنس والنوع لانه يوقع تحتها الالفاظ التي يعبر بها عن المعاني كجوهر وعرض ورجل

على خصائص الخلق وهذا منزل منزلة كلامهم فيما بينهم كأنه قيل ان العادة بين الناس الشك في أمر الاله والرسول والمعاد وليس ذلك مما وقع القطع به في الذهن الا بعد النظر وقيام الادلة فلهذا ورد القرآن العظيم على العادة فيما بينهم لانه خطاب لهم وعكس هذا الايراد قولنا ان كان الواحد نصف العشرة فالعشرة اثنان وهذا مما لا شك فيه والتعليق جائز ولا يرد هذا فقد علق عليها أمر قضي والجواب ان هذه أمور مفروضة في الذهن دون غيره والفروض والتقديرات يحتمل أن تقع وأن لا تقع فصار هذا من قبيل المشكوك فيه فلهذا حسن تعليقه بان وذكرت بالتعليق هنا مما حدث به قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة بدمشق في ذي الحجة سنة ثلاث وتسعين وستمائة من أنه وقع ببغداد فتيا صورتها في رجل قال لزوجته ان ثم وقف عندان فانت طالق فقرأها جميع من أفتى فيها ان تم وقف عبدان وكتبوا تحتها ان تم وقف الشخص المذكور طلقت فلما وقف القاضي ابن البيضاوي عليها علم أن التصحيف قد وقع على المفتين فيها وأن بعضهم قلد البعض في قراءتها فقال الصحيح انها في رجل قال لزوجته ان تم وقف عندان ثم انه كشف عن ذلك من صاحب المسئلة فوجد كما قال ابن البيضاوي رحمه الله وأما المسئلة السريجية المنسوبة الى ابن سريج رحمه الله في الطلاق فهي اذا قال الرجل لزوجته ان طلقتك فأنت طالق قبله ثلاثا فطلقها وقع المنجز على الراجح ولا يقع معه المعلق للدور لانه لو وقع المعلق وهو الطلاق الثلاث لم يقع المنجز لانه زائد على عدد الطلاق واذا لم يقع المنجز لم يقع المعلق فأدى وقوعه الى عدم وقوعه وقيل لا يقع شئ لان وقوع المنجز يقتضي وقوع المعلق ووقوع المعلق يقتضي عدم وقوع المنجز وجرى عليه كثير لكن الاول هو الصحيح وقال بعضهم لا يجوز في ذلك التقليد لما قيل من أن ابن سريج برئ مما نسب اليه فيها (رجع جنحت) فعل ماض ومعناه الاستقبال وهو في موضع جزم بالشرط والتاء ضمير الفاعل وهو المخاطب (اليه) جار ومجرور وقد تقدم الكلام على الى في شرح قوله فسرنا في ذمام الليل البيت (فاتخذ) الفاء جواب الشرط اتخذ فعل أمر والفاعل مستتر فيه تقديره أنت به قاعدة جميع أفعال الامر فاعلها يجب استتاره فيها ولا وجه لابرازه الا ان قصد التوكيد أو العطف على الفاعل كقوله تعالى اسكن أنت وزوجك الجنة وعلى هذا فيرد على الشيخ جمال الدين بن الحاجب ومن تابعه في قولهم الكلمة لفظ وضع لمعنى مفرد فان ضمير الفاعل المستتر في الامر كلمة باجماع النحاة ولم يتلفظ به وأجيب بأن المراد بالتلفظ ما كان بالقوة أو بالفعل فالضمائر المستترة في الاوامر كلها لفظ بالقوة أي في قوة المنطوق به ولهذا قال الشيخ جمال الدين محمد بن مالك في التسهيل الكلمة لفظ مستقل دال بالوضع تحقيقا أو تقديرا أو منوى معه كذلك وقال ولده محمد بدر الدين الكلمة لفظ بالقوة أو الفعل مستقل دال بحمالته على معنى بالوضع (رجع نفقا) منصوب على انه مفعول به (في الارض) جار ومجرور والالف واللام لتعريف الحقيقة (أو سلما) أو حرف عطف وتكون لمعان منها التخيير نحو خذ هذا أو ذاك والاباحة نحو جالس الحسن أو ابن سيرين والفرق بين التخيير والاباحة أن الاباحة لا تنافي الجمع والتخيير يأباه والتقسيم كقولك العدد زوج أو فرد والابهام كقولك أنت في هدى أو ضلال وشك المتكلم كقولك قام زيد أو عمرو والاضراب نحو قولك أنا أخرج ثم يبدو لك فتقول أو أقيم وانشد الشيخ جمال الدين بن مالك على مجيئها للاضراب قول جرير

وفرس وزيد وعمرو فكل واحد من هذه الالفاظ يقال له اسم وهو تسمية لما تحته من معناه فيكون باضافته الى الاسم الذي فوقه مسمى ويكون باضافته الى المعنى الذي تحته تسمية واسما مثال ذلك قولنا زيد وانسان وحي فانك تجد الانسان الذي هو الواسطة بين زيد والحي مسمى اذا كان يقال على الحي واسما اذا كان يقال على زيد وتجد زيدا والانسان وان كان أحدهما مسمى والآخر اسما قد تساويا في انهما مسميان للحي اذا كان الحي يقال على كل واحد منهما وتجد الحي الذي هو اسم الانسان والانسان الذي هو مسمى قد تساويا في انهما اسمان لزيد وقد طال هذا الفصل عن الغرض في هذا الكتاب وانما ذكرته لتعلق بعضه ببعض بعد حذف كثير

(وصرف وقسم وعدل وقوم) لم أتحقق المعنى المراد بهاتين الكلمتين فسألت عنهما بعض علماء الاسلام فقال الصرف نوع من المعاوضة وهو ما كان العوضان فيه من النقدين أعني الذهب والفضة وقوله وقسم كأنه يريد به تقسيم الاموال المشتركة ووجه مناسبة الصرف أن المال

المشترك اذا كان ذهبا قليلا فقد يتعذر قسمه بالدنانير فيصرف بالدراهم ثم يقسم وقوله وعدل وقوم يريد به تعديل الاقسام وتقويمها فان المال المشترك اذا كانت أجزاؤه مختلفة في الصورة والقيمة كالدور والبساتين فاذا أريد قسمتها ولا بد فتعدل بالتقويم ثم تقسم مثلا اذا كان البستان بين ثلاثة بالسوية تقوم البستان في الاول ثم تعدل الاجزاء باعتبار ذلك فتجعل الثلاثة أجزاء متساوية ثم تقسم بالاقراع أو بتعيين الحاكم كل هذا داخل في أبواب الفقه وقد قيل ان مالكا أول من صنف فيه وقد تقدم ذكره

(وصنف الاسماء والافعال)

(الاسماء والافعال) هنا ما اصطلح عليه النحويون في أقوالهم وقسموه في كتبهم الموجودة والاسم عندهم ما وقع على معنى غير مقرون بزمان ويعرف بدخول الجر عليه ويصلح فيه نعتي وضربني ويدخل عليه أيضا الالف واللام وهو أصل والفعل فرع عليه وقسمه بعض القدماء على ثلاثين قسما وهي معرب ومبني وظاهر ومكني ومعرفة ونكرة ومعين ومبهم وعربي وأعجمي وذكر وأنثى ومقصور

ماذا ترى في عيال قد برمت بهم * لم أحص عدتهم الا بعداد
كانوا ثمانين أو زادوا ثمانية * لولا رجاؤك قد قتلت أولادي

(وحكى) الفراء اذهب الى زيد أودع ذلك فلا تبرح اليوم وقد تجيء بمعنى الواو كقول امرئ القيس

فظل طهاة القوم ما بين منضج * صفيف شواء أو قدير معجل

وقول الآخر

قوم اذا سمعوا الصريخ وجدتهم * ما بين ملجم مهره أو سافع

(مسئلة) قوله تعالى وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون ذهب كثير الى انها بمعنى الواو وقال قوم بل هي بمعنى بل لان الشك في كلام الله تعالى محال قال المبرد في كتاب الازمنة قول المتكلفين للتفسير بغير معرفة ان معنى أو يزيدون بل يزيدون يقال لهم بل للاضراب والاضراب اما للغلط أو للنسيان ولكن يجوز أن يكون ذلك النبي صلوات الله عليه افترض عليه ربه وألزمه الرسالة الى مائة ألف وأباحه ما بعد ذلك فيكون الى مائة ألف معدودين معلومين عنده لا يدمنهم أو يزيدون ان شاء ذلك النبي وهذا كلام بين صحيح ويجوز أن يكون أرسله الى عالم لم يقع عليهم عدد عادا الا الذي خلقهم فقال الى مائة ألف أو يزيدون عندكم هذا ملخص كلام المبرد وأوفى البيت للتخيير وسلما منصوب على انه مفعول اتخذ (في الجو) في هنا للظرف والجو مجرور بفي والالف واللام لتعريف الحقيقة والجار والمجرور متعلق باتخذ (فاعتزل) الفاء للعطف وهي مرتبة واعتزل فعل أمر والامر مبني على السكون وانما حركه للضرورة في القافية على ما تقدم (المعنى) فان ملت الى حب السلامة فادخل في نفق في الارض أو اصعد في سلم في الجو لان السلامة متعذرة عليك مادمت بين الناس ولا سبيل الى النزول في النفق ولا الى الصعود في سلم في الجو اذ لا بد لك من الناس والسلامة منهم عزيزة وفي هذا تحريض على الحركة والسعي والاجتهاد في احراز المعالي لان السلامة ممتنعة فالاولى بالانسان الحركة والطلب وقد قال أبو العلاء المعري في وصف النوع الانساني بالاذى وانه لا يسلم من أذاه حيوان بحري ولا حيوان جوي

أتعبتم السابح في لجة * ورعتم في الجو ذات الجناح
هذا وأنتم عرض للردى * فكيف لو خلدتم يا فباح

وطلب السلامة بالتحرز والتوقي ممنوع لان القضاء والقدر لا محيص عن وقوعهما قال ابن الرومي فيما أظن

واذا خشيت من الامور مقدرا * وفررت منه فنحوه تتوجه

وأخذه أبو اسحق الغزي فقال

كل يفر من الردى ليفوته * وله الى ما فر منه مصير

وقال آخر

يوشك من فر من منيته * في بعض غراته يوافقها

ويحسن أن ينشد في هذه المادة قول جميل

أريد لانسى ذكرها فكأنما * تمثل لي ليلى بكل سبيل

وقول أبي العتاهية ومن الاول أخذ

كأن بعيني في حيثما * نظرت من الارض تمثالها

وأخذه العباس بن الاحنف أيضا فقال

وما عرضت لي نظرة مذ عرفتها * فانظر الا مثلت حيث أنظر

وحكي أن كثيرا أتى الفرزدق فقال الفرزدق يا أبا صخر أنت أنسب العرب حيث تقول اريد لانسى ذكرها البيت فقال كثير وأنت أفخر العرب حيث تقول

ترى الناس ان سرنا يسيرون خلفنا * وان نحن أومأنا الى الناس وقفوا

والبيتان لجميل وكان كثير سرق الاول والفرزدق سرق الثاني فقال له ما أشبه شعرك بشعري أو كانت أمك أتت الى البصرة فقال لا والكن كان كثير امايزورها أبي وينزل في بني دارم الجواب لكثير وبيت الطغرائي يسميه أرباب البديع التلميح وبعضهم يسميه الاقتباس وهو نوع من التضمين ولكن التضمين هو أن يأتي لفظ الآية أو الحديث أو البيت كاملا وان لم يأت كاملا فهو الاقتباس والطغرائي اقتبس كلامه هنا من قوله تعالى وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت أن تبتغي نفقا في الارض أو سلما في السماء وما أحسن ما استعمل القاضي الفاضل النفق والسلم في قوله وكذلك فتوحات هذه الايام مفتاحها سنجقها وسمة مهابتها فيلقها ودم الاعداء مدادها واعلام النصر ورقها ولا يعادي سيفها من الاعداء الا عنقها واذا سيقت الى أرض كادت الارض بالعجاج تسبقها وان ابتغت الاعداء نفقا في الارض أو سلما في السماء فالجزع سلمها والفبر نفقها انتهى وما أحسن قول ابن سناء الملك من قصيدة

وكم قلعة فوق السماء أساسها * وعامرها أسلاف عاد وجرهم

رقى سلما للعزم أوصله لها * فقد نال أسباب السماء بسلم

واتفق لي استعمال السلم والنفق فقلت

كن في الخمول آمنا * واخش المعالي واتق

كم نافق في سلم * وسالم في نفق

ويعجبني قول ابن خفاجة الاندلسي

ولا تقف بطلول الكتب تسألها * فلست تحظى بغير الهم والحزن

وكن اذا التقت الارماح سائلة * فربما اندق صدر العامل اليزني

وقال ابن التعاويذي

وقالوا الغنى عرض للخطوب * فكيف تعرض للعدم

وقالوا السلامة تحت الخمول * فما لي خملت ولم أسلم

ودخل القاضي المنازي على أبي العلاء المعري فأخذ أبو العلاء يشكو اليه طعن الناس فيه وثلبهم لعرضه وأذاهم له وقال ياقاضي أيفعلون بي هذا كله وقد تركت لهم دنياهم فقال القاضي المنازي والله واخراهم فقال ياقاضي وأنت تقول مثل هذا وجعل يكرر هذا القول

(ودع غمار العلى للمقدمين على * وكوبها واقتنع منهن بالبلل)

(اللغة) دع معناه اترك أو ذر وقد جاء في كلام العرب فعلان لا ماضي لهما ولا مصدر ولا اسم

وجحود وعامل وغير عامل ومشتق وغير مشتق ومضارع وغير مضارع ومعتل وصحيح وزائد وناقص ومنصرف وغير منصرف ومفرد ومضاف ومدغم ومظهر وشرح ذلك موجود في كتبهم والفعل ما تصرف بالزمن كقولك ضرب ويضرب وقال السيرافي وهو محتمل للزوائد التي هي الياء والتاء والنون والالف وهو الحال قال التوحيدي وسمعت أبا حفص الاشعري يقول لا معنى للحال انما هو الماضي والمستقبل وتحصيل الحال محال وتوهم باطل لانك لا تفرغ من الماضي الا الى المستقبل ومتى فرضت بينهما واسطة كنت فيها واهما فقيل له ان الذي يوضح الحال أنك اذا أتيت بالسين في سيصلي لم يكن المعنى الا في الاستقبال فلولا أن الغرض قد كان كامنا في قولنا يصلي لم توضحه السين فكان الشبهة أن يصلي دال على الحال متضمن معنى الاستقبال حتى يقترن باللفظ ما ينصب دليلا على الغرض الواضح فكان يكابر عند هذا البيان ويقول لو صح هذا الصح قول الفلاسفة في الفصل بين الشيئين أي ما يكون مشتركا بين شيئين كأنه مركب من بدئهما فقيل

فاعل ولا اسم مفعول وانما استعمل منهما فعل الامر والمضارع خاصة وهما دع وذر ولا يقال ودعه الا ما جاء في ضرورة الشعر كقوله

ليت شعري عن خليلي ما الذي * غاله في الحب حتى ودعه

وقرئ في الشاذ ما ودعك ربك وما قلى بتخفيف الدال ولا يقال وادع بل تارك وكذا ذر وما تصرف منه يقال ترك فهو تارك غمار يقال بحر غمر وبحار غمار والغمرة الشدة والزحمة في الماء والناس والجمع غمار ودخلت في غمار الناس بكسر الغين وضمها وفتحها العلى تقدم الكلام عليه في شرح قوله أريد بسطة كف البيت المقدمين اسم فاعل من أقدم يقدم فهو مقدم وهم مقدمون والاقدام الشجاعة والدخول في الاخطار من غير تروّ ولا فكر اقتنع افتعل أمر بالقناعة البلل النداوة اليسيرة وما أحسن قول أبي الطيب

الهجر أقتل لي مما أراقبه * أنا الغريق فما خوفي من البلل

وتضمين الآخر أحسن منه حيث قال

عاتبت في نيكه ايري وقلت له * يا ايرخف سلمه وادخل على مهل

فظل يوسعه رهزا وينشدني * أنا الغريق فما خوفي من البلل

(الاعراب ودع) الواو للعطف عطفت هذا الامر على قوله فاعتزل ودع فعل أمر وقد تقدم الكلام عليه في اللغة وذكرت هنا قوله تعالى أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين قالوا ما الحكمة في العدول عن أن يقول أتدعون بعلا وتدعون الى ما أتى به لفظ القرآن مع أن المعنى واحد فان يدع مثل يذر ويكون في اللفظ زيادة الجناس وهو من أنواع البديع الذي هو احد أثافي البلاغة وأجيب بانه لو أتى على هذه الصفة لاحتمل التحريف في اللفظ ويقال بالعكس أي أتدعون بعلا وتدعون أحسن الخالقين بتحريك الدال من الاول وسكونها من الثاني هذا الذي ذكروه قلت هذا الجواب ليس بشئ لان سياق الكلام وقرينة اللفظ والحال يمنعان من هذا الوهم ويبطلان هذا التحريف لانه انكار على من دعا الصنم وترك الله وقوله أحسن الخالقين قرينة توجه الانكار على دعاء الصنم وترك أحسن الخالقين والجواب أن لفظ القرآن الكريم أعذب في السمع وأخف على اللسان فان تكرار الحروف على اللسان بالثقل والخفة أعقد ويحتاج الى احضار الذهن لئلا يقع التحريف وينطق بالاول كالثاني وعكسه فان قلت هذا يرد على باب الجناس كله وهو معدود من البديع قلت الجناس وان كان من أنواع البديع لكن بعض صوره مستثقل كقول ابن الفارض من قصيدة

أما لك عن صد أما لك عن صدي * لظلمك ظلما منك ميل لعطفة

ومنها فرحن بحزن جازعات بعيدما * فرحن بحزن الجزع بي لشبيتي

فانظر الى استثقال البيت الاول لما فيه من جناس التحريف في صد وصد الاول من الصدود والثاني صداي عطشان وفي ظلم وظلم الاول الظلم بالفتح وهو الريق والثاني بالضم وهو الجور مع التقديم والتأخير الذي يحتاج الى اقليدس حتى يستخرج ترتيبه على خط مستقيم والتقدير فيه أما لك ميل لعطفة عن صد أما لك ظلما منك عن صد لظلمك فأما لك الاولى مركبة من همزة الاستفهام وما النافية ولام الجر وكاف الخطاب وأما لك الثانية مركبة من فعل ماض من الامالة وكاف الخطاب وأما البيت الثاني ففيه فرحن مرتين الاولى الفاء فاء العطف

له أيضا هذا كما قاله من خالفته وأنت في ذلك أجهل من هرة فانها تمشي على حافة الجدار غير متمكنة من سمته وتربيع مع ذلك مكانا آخر للفضل الذي يلوح لها وهي لا تمسك نفسها ولا ترسلها فما ظنك يا أباحفص بشبهة تكشفها هرة * والافعال تنقسم أيضا الى أقسام كثيرة كالماضي والمضارع والامر والمتعدي الى واحد واثنين وثلاثة وغير المتعدي والتام والناقص وما سمي فاعله وما لم يسم فاعله وأفعال القلوب وغيرها * وأفعال المقاربة وأفعال التعجب وغيرها وأفعال المدح والذم وغيرها وأول من وضع علم النحو أبو الاسود الديلي واسمه ظالم ابن عمرو بن سفيان وكان من فقهاء البصرة وعلمائهم وفصحائهم وشيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وولاه البصرة وسبب وضعه لذلك انه دخل على ابنته بالبصرة فقالت له يا أبت ما أشد الحر فقال شهر اذار فقالت يا أبت انما أخبرتك ولم أسألك وكان مرادها التعجب فاتى أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه فقال يا أمير المؤمنين ذهبت لغة العرب

ورحن فعل ماض من الرواح لجماعة الاناث والثانية فعل ماض من الفرح لجماعة الاناث أيضا والراء في الاولى مضمومة وفي الثانية مكسورة وفيه الحزن مرتين الاولى بضم الحاء ضد الفرح والثانية بفتح الحاء من الارض ضد السهل ولهذه الالفاظ التي عقدها عقد الميزان لأجل الجناس صار كلامه وحشيا من العوام بل من بعض الخواص الذين لم يتمهروا في الادب وقل ان تجد لديوانه نسخة صحيحة وأكثر ما يساعد الافاضل على تصحيح ألفاظه وزن الشعر كما في قوله صد وصد الاولى مشددة والثانية مخففة وكما في قوله

واذا أذى ألم ألم بهجتي * فشذا أعيشاب الحجاز دوائي

فانظر الى هذا لم يستقم الكلام الا بمراعاة الوزن فانه يضطر الواقف عليه الى أن يجعل الاول من الالم والثاني من الالمام ولهذا جاء جناس العماد الكاتب في الشعر أخف منه في النثر لان الوزن يضع كل كلمة في مكانها ومن الجناس المستثقل جناس التحريف كقوله أيضا

وما احترت حتى اخترت حبيك مذهبا * فواحيرتي ان لم تكن فيك خيرتي

ومنها وجذ بسيف العزم سوف فان تجد * تجد نفسا فالنفس ان جدت جدت

فان في البيت الاول احترت من الحيرة واخترت الثانية من الاختيار وفي الثاني تجد الاول من الجود والثانية من الوجدان وهذه الاشياء لا يخفى على ذي الذوق السليم ما فيها من الاستثقال ولم أقل هذا الكلام جهلا بمقدار الشيخ شرف الدين بن الفارض رحمه الله وانه لم يكن من الفصحاء الا ترى قصائده التي أخلاها من الجناس مثل الميمتين والجيمية واللامية والمهموزة وغيرها فما أرقها وأحلاها والجناس اذا كثر في الكلام مل اللهم الا أن يكون سهل التركيب ليس على المتكلم فيه كلفة كما حكي عن بعض جواري المعتمد بن عباد أنها قالت له وهما في سجن اغمات يا مولاي لقد هنا هنا فقال المعتمد

قالت لقد هنا هنا * مولاي أين جاهنا

قلت لها الهنا * صيرنا الى هنا

وكما حكي عن جارية من جواري القاضي الفاضل انها قالت له وقد تعبت في بعض مرضاته والله ياسيدي ما لنا قدرة على مرضاتك في مرضاتك وكقول القائل

دهرنا أمسى ضنينا * بالتلاحي ضنينا

يالياليالوصل عودي * واجمعينا أجمعينا

وهما للشيخ زين الدين عمر بن الوردي أنشدنيهما لنفسه اجازة ومن خطه نقلت (رجع غماد) منصوب على أنه مفعول به (العلى) مجرور بالاضافة المعنوية المقدرة باللام ولم يظهر فيه الجر لانه مقصور (للقدمين) جار ومجرور وعلامة الجر الياء لانه جمع مذكر سالم صفة لعاقلين ومتى اجتمعت هذه الشروط أعرب بالواو في حالة الرفع وبالياء في حالتي النصب والجر وبنون مفتوحة في الاحوال الثلاث وضم ما قبل الواو في الرفع وكسر ما قبل الياء في النصب والجر الا أن يكون جمع مقصور مثل أعلى ومصطفى فان ما قبل حرف الاعراب يكون مفتوحا قال الله تعالى وأنتم الاعلون وقال تعالى وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار وقد تكسر نون الجمع على لغة من قال

وماذا تبتغي الشعراء مني * وقد جاوزت حد الاربعين

لما خالطت الاعاجم ويوشك أن تضمحل وأخبره خبر ابنته فامره فاشترى صحفا فاملى عليه الكلام كله لا يخرج عن اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ثم قال له انح هذا النحو فسمي النحو ثم رسم رسوم النحو كلها وقيل كان سبب وضع النحو أن معاوية أرسل الى زياد يطلب ابنه فأدخل عليه فسمعه يلحن فارسل الى أبيه يلومه فارسل زياد الى أبي الاسود أن يضع في النحو شيأ وكان ابو الاسود من افصح الناس ويقول اني لأجد للحن غمرا كغمر اللحم فابى ابو الاسود وكره اجابة زياد فوجه زياد رجلا وقال له اقعد في طريق ابي الاسود فاذا مر بك فاقرأ شيأ من القرآن وتعمد اللحن فقعد فلما مر به ابو الاسود قرأ ان الله برئ من المشركين ورسوله بالجر فاستعظم ابو الاسود ذلك وعاد الى زياد فقال قد أجبتك ثم وضع مختصره في أصول النحو وأول ما وضع باب التعجب ثم وضع بعده عنبسة ثم أبو عمرو بن العلاء وغيرهما الى ان وصل الى سيبويه فاخذ الغاية على من قبله وبعده * وكانت وفاة ابي الاسود سنة تسع وستين بالبصرة بالطاعون الجارف

وأنشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة قال وقد أرسل اليه مبلغ احد وأربعين درهما

عتبت ابن الفلاني وشك ظني * فأعتبني وعاد الى اليقين

وقال نواله هيهات يشكو * ذوو الأشعار من عهدي المتين

وماذا تبتغي الشعراء مني * وقد جاوزت حد الاربعين

كما ان نون التثنية تفتح على لغة من قال

على احوذيين استقلت عشية * فماهي الا لمحة وتغيب

وحرف الاعراب هنا بدل من الحركة في اعراب المفرد والنون بدل من التنوين ولهذا تحذف النون عند الاضافة كما يسقط التنوين في المفرد عند الاضافة تقول ضارب زيد ولقد أحسن أبو الفتح البستي حيث قال

حذفت وغيري مثبت في مكانه * كأني نون الجمع حين تضاف

وقد يتصف ما لا يعقل بصفات من يعقل فيعرب بالحروف قال الله تعالى اني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين وقال تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين والكواكب والسماء والارض مما لا يعقل خلافا للحكماء فانهم يعتقدون ان لكل فلك عقلا وأن الكواكب أحياء ناطقة والعلة أنها لما اتصفت بالسجود وبالقول وهما من صفات من يعقل أعطيت هذا الاعراب وانما كان اعراب الجمع المذكر بالحروف دون الحركات لان الحركات أصل في الاعراب والحروف فرع عليها والمفرد أصل والجمع فرع عليه فأعطى الاصل الاصل والفرع الفرع طلبا للمناسبة فان قلت فلاي شيء ما أبقوا الالف في النصب قلت لانه كان يشتبه المنصوب في الجمع بالمرفوع في المثنى (فان قلت) فلاي شيء كان المثنى يرفع بالالف (قلت) لان الالف أتم حروف المد وهي أصل لاختيها الواو والياء ولهذا لم تقبل الحركة والرفع هو أصل الاعراب فأعطى الاصل الاصل طلبا للمناسبة ولان الالف من ضمائر الرفع كقولك قاما قعدا فلما كانت ضمير امرفوعا ناسب أن تقع علامة للرفع في اعراب المثنى (فان قلت) فلاي شيء ما راعوا هذه المناسبة في الجمع وأعربوه بالف (قلت) لان التثنية قبل الجمع فاختص المثنى بهذا وسبق اليه فلم يبق للجمع الا هذه الصورة (رجع على ركوبها) على حرف جر وقد تقدم الكلام عليها وركوب مجرور بعلى والهاء والالف في موضع جر بالاضافة ولم يظهر الجر لان الضمائر كلها مبنية والضمير يرجع الى العلى لانها مؤنثة أو الى غمار لانها جمع غمرة أو غمر والجار والمجرور متعلق بالمقدمين (واقتنع) الواو عاطفة عطفت فعل أمر على مثله وهو دع (منهن) جار ومجرور ولم يظهر الجر لان الضمائر مبنية ومن لبيان الجنس وهو متعلق باقتنع والضمير يعود على الغمار (بالبلل) الباء هنا للاستعانة أو للتعدية تقول قنعت بكذا (المعنى) واترك لجج المعالي للذين أقدموا على مشاق ركوبها وصبروا على أهوالها وكابدوا شدائدها واقتنع من اللجج بالبلل وكنى بالبلل عن الشيء اليسير من العيش كانه قال ارض من اللجة بالبلالة اذا لم تمكن تقدم على الاهوال فاذا الانزال في ظلمها لانك ما ركبت اللجة والامر كما ذكره الصغراني فانه لم يحظ بالدر من لم يغص عليه ولم يطعم الشهد من لم يصبر على ابره ولم يظفر بالسلب من لم يهون ألم الجراح

وهو ابن خمس وثمانين سنة وكان عالما شاعرا اذا رأى الا انه كان شديد البخل جدا والتشيع فمن اخباره ما حدث ابو عمر وقال كان ابو الاسود نازلا في بني قشير وكانوا يخالفونه في المذهب لان ابا الاسود كان شيعيا فكانوا يذمونه بالليل فاذا أصبح شكا ذلك فشكاهم مرة فقالوا نحن ما نرميك ولكن الله يرميك فقال كذبتم لو كان الله يرميني ما اخطأني وقال لهم يوما يا بني قشير ما احب الى طول بقاء منكم قالوا ولم ذاك قال لانكم اذا ركبتم امرا علمت انه غي فاجتنبته واذا اجتنبتم امرا علمت انه رشد فاتبعته وقال له رجل انت والله ظرف علم وحلم غير انك بخيل فقال وما خير ظرف لا يملك ما فيه وسأله رجل فمنعه فقال يا ابا الاسود أما أصبحت حاتميا فقال بلى قد أصبحت حاتمكم من حيث لا تدري أليس حاتم يقول اما وى اما مانع فبين

واما عطاء لا يهنهنه الزجر

وحكي ان اعرابيا مر به وهو يأكل رطبا على باب داره فقال السلام عليكم فقال ابو الاسود كلمة مقولة فقال أأدخل قال وراءك اوسع لك قال انا ابن الجماسة قال انصرف وكن ابن اي طائر شئت قال سألتك بالله الا

ولم يتمتع بالحسناء من لم يجد بالمهر الغالي فمن لم يغص قمع بالصدف ومن لم يصبر على السم لم يذق الحلاوة ومن لم يهون ألم الجمر احتمال سلب ما عليه ومن لم يسمح بالمال في المهر عاد بالخيبة فاقتحم لجج الطلب والدأب واصبر على مضض الهجر والفكر لتعد من أعيان العلماء وتتكلم على رؤس الاشهاد وترتقي ذرى المنابر وتصدر في المجالس ويشار اليك بالانامل وتعقد عليك الخناصر ومن الكلم النوابغ قرب ابن قريب بأصمعيه لا بأصمعه والا لم يشر اليه الرشيد بأصبعه ابن قريب هو الاصمعي وهو منسوب الى جده اصمع والاصمعان القلب الذكي والرأي الحازم وأما القناعة بالنزر القليل والرضى بالدون من العيش فهو أمر يوجب السلامة ويؤمن الخطر ومن كلام البديع الهمذاني الثناء منجح أني سلك والسخي حوده بما ملك وان لم تكن غرة لائحة فلمعة دالة وان لم يكن مجر فخل فان لم يصبها وابل فطل وبذل الموجود غاية الجود وما قل خير من عدم ماجل وقليل في الجيب خير من كثير في الغيب وجهد المقل خير من عذر المخل وكوخ في العيان خير من قصر في الوهم وما كان أجود من لوكان وعصفور في الكف خير من كركي في الجو ولأن تقطف خير من أن تقف ومن لم يجد الجيم رعى الهشيم ومن لم يحسن صهيل انهق ومن لم يجد ماء تيمم وقيل لاعرابي لم لا تضرب في البلاد فقال يمنعني من ذلك طفل بارك ولص سافل ودهر فاتك ثم اني لست مع ذلك بالواثق بنجح طلبتي ولا بقضاء حاجتي ولا بالعاطف علي من دوني لاني أقدم على قوم قد أطغاهم السلطان واستمالهم الشيطان وساعدهم الزمان واسكرتهم حداثة الاسنان وفي معنى قول الطغرائي ماقاله أبو اسحق الغزي

لاتحقرن طقيف الرزق وارض به * ما الغمر مجتمع الامن الوشل
وانزل اذا لم تجد للمرتقى سببا * فبالسقي المرء يرجو نازل السبل

ولو كان لي في بيت الطغرائي حكم لقلت ودع عمار العلى للقدمين على اخطارها أو أهوالها لان المقام هنا مقام تهويل وهذا اللفظ له مهابة في السمع بخلاف ركوبها الاتراه كيف استعار اللجة للعالي لان اللجة مخوفة قل من يقدم على هولها أو بركب ظهرها وأنشدني من لفظه الشيخ الامام الحافظ العلامة أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف قال أنشدني من لفظه لنفسه بدر الدين أبو المحاسن يوسف المهمندار سنة تسع وثمانين وستمائة

لو عاينت عيناك يوم نزالنا * والخيل تضبح في العجاج الاكدر
وسما الاسنة والضياء من الظبا * كشفا لاعيننا قتام العثير
وقد اطلخم الامر واحتدم الوغى * ووهى الجبان وساء ظن المجتري
لرأيت سدا من حديد مائرا * فوق الفرات وفوقه نار ترى
حتى سبقنا أسهما طاشت لنا * منهم الينا بالحيول الضمر
ظفرت وقد منع الفوارس مدها * تجري ولولا خيلنا لم تظفر
لم يفتحوا للرمي منهم أعينا * حتى كلل بكل لدن أسمر
ما كان أجرى خيلنا في أثرهم * لو أنها برؤسهم لم تعثر
فتسابقوا هربا ولكن ردهم * دون الهزيمة رمح كل غضنفر
كم قد فلقنا صخرة من صرخة * ولكم سللنا محجرا من محجر

اطعمتني مما تاكل فالقى اليه ثلاث رطبات فوقعت احداهن في التراب فاخذها فمسحها بثوبه فقال دعها فان الذي تمسحها منه أنظف من الذي تمسحها به فقال انما كرهت ان ادعها للشيطان فقال لا والله ولا لجبريل وميكائيل تدعها وجلس يوما الى معاوية يتحدثان في خلوة ثم تحرك فضرط فقال لمعاوية استرها علي قال نعم فلما خرج حدث بها معاوية عمرو بن العاص ومروان ابن الحكم فلما غدا اليه ابو الاسود قال له عمرو ما فعلت ضرطتك يا ابا الاسود قال ذهبت مع الريح كما تذهب من شيخ الان الدهر اعضاءه عن امالك مثلها وكل اجوف ضروط وان امرأ ضعفت امانته عن كتمان ضرطة لحقيق ان لا يؤتمن على المسلمين * واسر يوما الى معاوية بشئ وكان ابخر فاصغى اليه معاوية ماسكا أنفه فمضى أبو الاسود يده عن أنفه وقال لا والله لا تسودني تصبر على سرار البخر ومن شعره يقول

وكنت متى لم ترع سرك منشرا * توازعه من مخطئ ومصيب
فما كل ذي لب بمؤتيك نصحه * ولا كل مؤت نصحه بلبيب

وكتب الى معاوية وقد وعده فأبطأ عليه يقول

فانظر الى هذه الالفاظ المفخمة التى أتى بها هذا الشاعر البليغ فى وصف هذا المقام المهول وأظن أن هذه الابيات نظمها مهندارا العرب فى واقعة الملك الظاهر رحمه الله لما ألقى روحه فى الفرات ورمى الجيش نفوسهم خلفه وفيها يقول القاضى محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر

تجمع جيش الشرك من كل فرقة * وظنوا بأنا لا نطيق لهم غلبا
وجاؤا الى شاطئ الفرات ومادروا * بأن جياد الخيل تقطعها وثبا
وجاءت جنود الله فى العدد التى * تميس بها الابطال يوم الوغى عجبا
فعمنا بسد من حديد سباحة * اليهم فما استطاع العدو له نقبا

ويقول الموفق عبد الله بن عمر الانصارى

الملك الظاهر سلطاننا * نفديه بالمال وبالاهل
اقتحم الماء ليطفى به * حرارة النار من الغل

ويقول ناصر الدين حسن بن النقيب

ولما ترامينا الفرات بخيلنا * سكرناه منا بالقرى والقوائم
وأونفت النار عن جريانه * الى حيث عدنا بالغنى والغنائم

وأنشدنى لنفسه اجازة الشيخ الامام شهاب الدين أبو الثناء محمود رحمه الله قصيدة نظمها فى هذه الواقعة التى خاض الظاهر فيها الفرات منها

لما نزا قصت الرؤس وحركت * من مطربات قسيك الاوتار
خضت الفرات بسابح أفصى منى * هوج الصبا من نعله الآثار
جلتك أمواج الفرات ومن رأى * بحرا سواك تقله الانهار
وتقطعت فرقا ولم يك قودها * اذ ذاك الا جشك الجرار

ومنها رشت دماؤهم الصعيد فلم يطر * منهم على الجيش السعيد غبار

ومنها وقد قرأتهما عليه وهو يسمع

شكرت مساعيك المعاقل والورى * والترب والآساد والاطيار
هذى منعت وهؤلاء حميتهم * وسقيت تلك وعم ذى الآبار

(رجع الى ما يتعلق بتفخيم الالفاظ) ونقلت من خط مجير الدين محمد بن تميم له

كم معرك اشتد غدت أبطاله * كالاسد نزأر فى عرين صعاده
ضاق المجال بخيلهم فقتيلهم * يقضى ويمكث فوق ظهر جواده

وخبر أبى زبيد الطائى عن الاسد ووصفه له فى مجلس عثمان رضى الله عنه مشهور فانه أتى فيه بألفاظ مفخمة جدا روى صاحب الاغانى أن بعض الحاضرين حيق فى أثناء سماعه الوصف فقال له عثمان بن عفان رضى الله عنه أسكت رضى الله فاك فلقد رعبت قلوب المسلمين وأبيات بشر بن أبى عوانة فى وصف الاسد وأبيات البحترى وأبيات أبى الطيب الجميع مشهور فلا فائدة فى التطويل بذكر ذلك

(رضى الذليل بخفض العيش مسكنة * والعز عند رسيم الاينق الذلل)

(اللغة) الرضى والرضوان بكسر الراء وضمها فى الثانى وهما من القراآت السبع والمرضاة جميع ذلك واحد ورضيت الشئ وارتضيته فهو مرضى وقد فالوا مرضو فجاؤا به على الاصل

ورضيت

لا يلذن برقك برقا خلبا
ان خير البرق ما الغيث معه
لا تهنى بعد أن أكرمتنى
فشديد عادة منتزعه
وقال يخاطب ولده كان
لا يطلب الرزق
وما طلب المعيشة بالتمنى
ولكن ألق دلوك فى الدلاء
تجىء بملئها طورا وطورا
تجىء بحمأة وقليل ماء
وقال أيضا
يقول الارذلون بنو قشير
طهال الدهر لا تنسى عليا
رمى لبنى [illegible] بحربه
أحب الناس كلهم اليا
أحبهم كحب الله حتى
أجىء اذا بعثت على هويا
فان يكن حبهم رشدا أصبه
ولست بمخطئ ان كان غيا
فروى أن بنى قشير قالوا له قد
شككت ما أبا الاسود فقال
كلا ما شككت أما سمعتم
قول الله تعالى وانا أو اياكم
لعلى هدى أو فى ضلال مبين
أفترون أن الله تعالى شك
وقوله ويا بلغة هذيل قال
أبو ذؤيب
سبقوا هوى وأعنقوا لهواهم
فتخرموا ولكل جنب مصرع
(وبوب الظرف والحال)
(الظرف) فى النحو يقال
للزمان والمكان اذا جعل
محلا للامور تقع فيه كقولك
أعجبنى الخروج اليوم فاليوم
محل للخروج الذى أسندت

ورضيت عنه رضى مقصور مصدر والرضاء ممدود اسم المصدر عن الاخفش وعيشة راضية بمعنى مرضية الذليل ضد العزيز جمل ذليل بين الذل والذلة والمذلة من قوم أذلاء وأذلة والذل بكسر الذال اللين الخفض الدعة يقال عيش خافض وهم فى خفض من العيش والخفض فى الصوت غضه وخفض عليك الامر هونه العيش الحياة وقد عاش الرجل معاشا ومعيشا كل منهما يصلح إن يكون مصدرا وأن يكون اسما مثل معاب ومعيب وممال ومميل وأعاشه الله عيشة راضية مسكنة المسكنة مصدر تمسكن والمسكين الفقير العاجز عن الاكتساب وقد يكون بمعنى الذلة والضعف وهو المراد هنا يقال تمسكن الرجل كما قالوا تمدرع وتمندل فى المدرعة والمنديل على تفعل وهو شاذ وقياسه تسكن وتدرع وتندل مثل تشجع وتحلم وفى الحديث ليس المسكين الذى ترده اللقمة واللقمتان بل المسكين الذى لا يسأل ولا يفطن له فيعطى العزضد الذل الرسيم ضرب من سير الابل وهو فوق الذميل قال أبو عبيدة اذا ارتفع السير عن العنق قليلا فهو البريد فاذا ارتفع عن ذلك فهو الذميل ثم الرسيم والعنق سير مسبنتر وقد رسم يرسم بالكسر ولا يقال أرسم الاينق جمع الناقة تقدير ها فعلة بالتحريك لانها جمعت على نوق مثل بدنة وبدن وخشبة وخشب وفعلة بالتسكين لا تجمع على ذلك وقد جمعت فى القلة على أنوق مثل أسهم ثم انهم استثقلوا الضمة على الواو فقدموها فقالوا أونق حكاه يعقوب عن بعض الطائيين ثم عوضوا من الواو ياء فقالوا أينق وقد تجمع الناقة على نياق مثل ثمرة وثمار الا أن الواو صارت ياء لانكسار ما قبلها الدال دابة ذلول بينة الذل اذا كانت طائعة سهلة القياد ودواب ذلل ومنه قولهم بعض الدل أبقى للأهل والمال (الاعراب رضى) مبتدأ وتمام لم يظهر فيه الرفع لانه مقصور والمقصور يقدر اعرابه فى أحواله الثلاث (الذليل) مجرور بالاضافة اليه وهى اضافة معنوية بمعنى اللام (بخفض) الباء هنا للتعدية أو هى للاستعانة (العيش) مجرور بالاضافة الى خفض وهى اضافة معنوية بمعنى اللام (مسكنة) مرفوع على انه خبر المبتدأ الذى تقدم (والعز) الواو للابتداء والعز مرفوع على انه مبتدأ والالف واللام لتعريف الحقيقة أو للعهد الذهنى (عند) ظرف مكان وفيها لغات كسر العين وفتحها وفتح النون مع فتح العين تقول عندفال الشاعر

وكل شئ قد يحب ولده * حتى الحبارى ويطير عنده

قال الحريرى فى درة الغواص ويقولون ذهبت الى عنده فيخطئون فيه لان عند لا يدخل عليه من أدوات الجر الا من وحدها ولا يقع فى تصاريف الكلام مجرورا الا بها كما قال سبحانه وتعالى قل كل من عند الله وانما خصت من بذلك لانها أم الباب ولأم كل باب اختصاص تمتاز به وتنفرد بمزيته كما خصت ان المكسورة بدخول اللام فى خبرها وخصت كان بجواز ايقاع الفعل الماضى خبرا عنها وخصت باء القسم باستعمالها مع ظهور فعل القسم وبدخولها على الاسم المضمر وأما قول الشاعر

كل عند لك عندى * لا يساوى نصف عند

فانه من ضرورات الشعر كما أجرى بعضهم ليت وسوف وهما حرفان مجرى الاسماء المتمكنة فأعربهما فى قوله

ليت شعرى وأين منى ليت * ان ليتا وان سوفا عناء

وقد تستعمل عند لعدة معان فتكون بمعنى الحضرة كقولك عندى زيد وبمعنى الملك كقولك

الى الحديث فاذا قلت أعجبنى اليوم لم يسم ظرفا لانك انما تحدث عنه لا عن شئ وقع فيه فان خاصة الظرف أن لا يكون محدثا عنه وأن يصلح فيه تقدير فى وكان الخليل يقول أنا أول من سمى الاوعية ظروفا لما يحل فيها (والحال) ما يعرف من هيئة الفاعل والمفعول فى حال وقوع الفعل كقولهم جاء زيد راكبا وضربت اللص قائما فالركوب هيئة زيد فى وقت مجيئه والقيام هيئة اللص فى وقت ضربه والحال اما أن يكون نكرة أو فى حكمها وبعد كلام تام أو حكمه وبعد اسم معرفة أو حكمها ولها أقسام مثل المستحبة والسادة والمحكية والموطئة والمؤكدة وغير ذلك

(وبنى وأعرب ونفى وتعجب) المبنى ما لم يتغير آخره من الكلام بدخول العامل عليه * والمعرب ما تغير آخره بدخول العامل عليه بحركة أو حرف ولا يعرب من الكلام الا الاسم المتمكن والفعل المضارع * وأشار بالنفى والتعجب الى أن الكلمة الواحدة قد يراد بها النفى وقد يراد بها التعجب فمن لا يدرى النحو لا يميز بين محليهما كما فى قولهم ما أحسن

زيدوما أحسن زيدا فانها
فى الاول للنفى ولهذا ارتفع زيد
لانها نفت المسند الى زيد
وفى الثانى للتعجب ولهذا
انتصب زيد لان فاعل
أحسن هو ضمير مستكن
فيه يعود على ما فان معناها
فى الاصل شئ أحسن زيدا
وبسبب هذه المسئلة وضع
علم النحوى كما تقدم فى ذكر
أبى الاسود الديلى مع ابنته
(ووصل وقطع وثنى وجمع)
أشار الى معرفة مواقع همزة
الوصل من مواقع همزة القطع
وقد أنشد البيت المشهور فى
مدح النبى صلى الله عليه وسلم
على وجهين وهو
فشق له من اسمه ليجله
فذو العرش محمود وهذا محمد
فقيل شق له من اسمه باثبات
الهمزة وسلامة النظم من
الزحاف وقيل شق له من
اسمه باستعمال الوصل
ويكون ذلك مع دخول القبض
فى الجزء الثانى من الطويل
وهو مفاعيلن بحذف الياء
فيصير مفاعلن وهو زحاف
مستعمل فى هذا البحر تقع
المعاقبة بينه وبين الكف
وهو أخف منه وأكثر
استعمالا (والتثنية) زيادة
ألف أو ياء مفتوح ما قبلها فى
آخر الكلمة مع نون مكسورة
كقولهم الرجلان والرجلين
(والجمع) ضربان أحدهما

عندى مال وبمعنى الحكم كقولك زيد عندى أفضل من عمرو أى فى حكمى وبمعنى الفضل والاحسان كما قال سبحانه وتعالى اخبارا عن خطاب شعيب لموسى عليهما الصلاة والسلام فان أتممت عشرا فمن عندك أى من فضلك (ورجع رسيم) مجرور بالاضافة الى عند (الاينق) مجرور بالاضافة اليه لان رسيم أضيف الى الاينق وتقدم الكلام فى اللغة على تصريف أينق (الذلل) مجرور على انه صفة للاينق تبعه فى أربعة من عشرة وهى التعريف والجمع والتانيث والجر وأما الخبر الذى يطلبه المبتدا وهو العز فانه محذوف وهو ما تعلق به الظرف الذى سد مسده وتقديره والعز مستقر أو مطلوب أو كائن عند رسيم الاينق (المعنى) يقول رضى الذليل بلين العيش ودعته مع وجود الذل مسكنة عند صاحب النفس الابية وانما العز موجود عند سير النوق المذللة فى الاسفار وهذا حث على الحركة والتنقل على مواطن الذل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل لمؤمن أن يذل نفسه قالوا يا رسول الله وكيف يذل نفسه قال يتعرض من البلاء لما لا يطيق ومن الكلام النوابغ الحر لا يدر على العصاب ولا يذل وان منى بالصعاب العصاب الحبل الذى يعصب به فى ذا الناقة ومنها كم لأيدى الركاب من أيادى فى الرقاب الأيدى جمع اليد التى هى الجارحة والايادى جمع اليد وهى النعمة هذا هو الصحيح وقد أخرجهما عوام العلماء باللغة عن أصل وضعهما فاستعملوا الايادى فى جمع اليد الجارحة وتجد أكثر الناس يكتب الى صاحبه المملوك يقبل الايادى الكريمة وهو لحن وانما الصواب الايدى الكريمة قال أبو العلاء المعرى

وأضعف الرعب أيديهم فطعنهم * بالسمهرية دون الوخز بالابر

فجمع اليد الجارحة على أيد وقال أبو الطيب

أقامت فى الرقاب له أياد * هى الاطواق والناس الحمام

ولقد جرى لى محاورة مع بعض أهل العصر ممن عانى الادب وهو انى أنشدت يوما بحضرته هذا البيت وأخذت فى استحسانه فأخذ يرد على فى ذلك ويقول الا انه صفع الناس كلهم فى هذا البيت تجمعه بين الرقاب والايادى فبقيت له مكان غلطه وقلت له ليس هذا البيت من هذا الباب ولو أوردت هذا فى قول الشاعر

اذا الحمل الثقيل توازعته * اكف القوم هان على الرقاب

لمشى لك الذى تريد فلم يحر جوابا وذكرت هنا قول القائل

ماذا يفيد المعنى * من الجوى المتتابع
بصر ذات الايادى * وتيلها ذى الاصابع

وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن محمد بن نباتة

وقفت أصابع نيلنا * وطفت وطافت فى البلاد
وأتت بكل مسرة * ماذى أصابع ذى أياد

وهذان المقطوعان يغتفر فيهما اللحن الخفى لرشاقة نظمهما وعلى ذكر النيل فما أحسن قول القائل

النيل قال وقوله * اذ قال ملء مسامعى
فى غيظ من طلب الفلا * عم البلاد منافعى
وعيونهم بعد الوفا * قلعتها بأصابعى

وأنشدت لخليل المهذاني الكفتي

مولاي ان البحر لما زرته * حياك وهو أخو الوفا بالاصبع
فانظر لبسطته فرؤيتك التي * هي مشتهاه وروضة المتمتع
أرخى عليه الستر لما جئته * خجلا ومد تضرعا بالاذرع

وما أحسن قول علاء الدين الوداعي ومن خطه نقلت

ربع صر وبسكانها * شوقي وجد دعهدي الخالي
وصف لي القرط وشنف به * سمعي وما العاطل كالحالي
وارو لنا يا سعد عن نيلها * حديث صفوان بن عسال
فهو مرادي لا يزيد ولا * ثور وان رقاو راقالي

ومن كتاب أنشأه القاضي محيي الدين بن عبد الله بن عبد الظاهر السعدي رحمه الله في بشارة النيل ولما تكامل إيابه وصح في ديوان الفلاح والفلاحة حسابه أظهر ما عنده من ذخائر اليسر وودائعه ولقط عموده جل ذلك على أصابعه وكتب ابن سناء الملك الى القاضي الفاضل رحمه الله يخبره بعدم وفاء النيل وأما النيل فانه نضبت مشارعه وتقطعت أصابعه وتيمم العمود لصلاة الاستسقاء وهم المقياس من الضعف بالاستلقاء وما أحسن قول ابن عماتي

ولقد عهدت النيل سنيا يرى * عمرا ويتبع رأيه تسديدا
والآن أضحى في الورى متشيعا * متوقفا ما ان يحب يزيدا

وكتبت أنا في البشارة بالنيل كتابا جاء منه فلو خاصم النيل مياه الارض لقال عندي قبالة كل عين اصبع ولو فاخرها لقال أنت بالجبال أثقل وأنا بالملق اطبع والنيل له الآيات الكبر وفيه العجائب والعبر منها وجود الوفاء عند عدم الصفاء وبلوغ الهرم اذا احتد واضطرم وأمن كل فريق اذا قطع الطريق وفرح قطان الاوطان اذا كسر والماء كما يقال سلطان الى غير ذلك من خصائصه وبراءته مع الزيادة من نقائصه وهو أنه في هذا العام المبارك جذب البلاد من الجدب وخلصها بذراعه وعصمها بخنادقه التي لا تراع من تراعه وحصنها بسواري الصواري تحت قلوعه وماهي الا عمد تحت قلاعه وراعى الادب بين أيدينا الشريفة بمطا العتنا في كل يوم بخبر قاعه في رقاعه حتى اذا أكمل الستة عشر ذراعا وأقبلت سوابق الخيرات سراعا وفتح أبواب الرحمة بتغليقه وجد في طلب تخليقه تضرع بمد ذراعيه الينا وسلم عند الوفاء باصابعه علينا وتشرع لم سيره وطلب لكرم طباعه جبر العالم بكسره فرسمنا بان يحلق ويعلم تاريخ هنائه ويعلق فكسر الخليج وقد كاد يعلوه فوج موجه ويهيل كثيب سده هول هيجه ودخل يدوس زرابي الدور المبثوثه ويجوس خلال الخنايا كأن له فيها خبايا موروثه ورق كالسهم من قسي قناطره المنكوسه وعلاه زبد حركته ولولاه لظهرت في باطنه من بدور أناسه أشعتها المعكوسه وبشر بركة الفيل ببركة الفال وجعل المجنونة من تياره المخدر في السلاسل والاغلال وازدحمت في عبارة شكره أفواج الافواه وملأ كف الرجاء باموال الامواه وأعلم الاقلام بحزها عما يدخل من خراج البلاد وهنأت طلائعه بالطلائع التي نزلت بركاتها من الله تعالى على العباد وقلت في زيادته سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة

جمع التصحيح وهو ما سلم فيه بناء مفرده وهو قسمان جمع المذكر ويكون بزيادة واو أو ياء مكسور ما قبلها في آخر الكلمة ونون مفتوحة نحو المسلمين والمسلمون وجمع المؤنث ويكون بزيادة ألف وتاء في آخر الاسم كتمرات ومسلمات في جمع تمرة ومسلمة والضرب الثاني جمع التكسير وهو ما لم يسلم فيه بناء مفرده كرجال وأصحاب في جمع رجل وصاحب

(وأظهر وأضمر واستفهم وأخبر)

(الاضمار) أن يؤتى في الكلمة بلفظ مضمر وهو ما وضع لمتكلم أو مخاطب أو غائب كانا وأنت وهو مأخوذ من الضمر وهو الخفاء (والاظهار) أن يؤتى باللفظ المظهر وهو ما عدا المضمر مأخوذ من ظهر الشئ اذا كان على ظاهر الارض واضحا (والاستفهام) طلب الاخبار بشئ واللفظ الدال عليه بالوضع اما اسم كقولنا ما الانسان ومن زيد وكيف أنت ومتى تقوم واما حرف وهو الهمزة في نحو قولك أقام زيد وهل في هل قام زيد (والاخبار) الاتيان بالجملة المحتملة للصدق والكذب كقولك قام زيد وما أشبه ذلك

قالوا علا نيل مصر فى زيادته * حتى لقد بلغ الاهرام حين طما
فقلت هذا عجيب فى بلادكم * أن ابن ست وعشر يبلغ الهرما

وقلت فيه أيضا
قد زاد هذا النيل فى عامنا * فاغرق الارض بانعامه
وكاد ان يعطف من مائه * عرى على أزرار اهرامه

وقلت مضمنا
يقول لنا المقياس والنيل هابط * لنقطع آمال المنى والمطامع
ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابض * على الماء خانته فروج الاصابع

وقلت أيضا
لما أهيم بمصر * وارتضيها واعشق
وما ترى العين أحلى * من مائها ان تملق

(رجع ومن الكلام النوابغ) ان لم تكن ذا عرنين أشم كنت لريح الذل أشم وقال بعض الاعراب
سأعمل نص العيس حتى يكفنى * عن المال يوما أو عن الحدثان
فللموت خير من حياة ترى لها * على المرء بالاقلال وسم هوان

وقيل ظلم اعرابى من بنى بكر بن وائل فقتل ظالمه فعنف فقال ما أساء من قتل ظالمه فقيل له أتحب أن تلقى الله ظالما أم مظلوما فقال بل ظالما ما عذرى غدا عند الله تعالى اذا قال خلقتك مثل الغير ثم تجىء تشكونى قال الجربادى كان لابن أبى عتيق صديق من الاعراب فغاب عنه حينا ثم رآه يوما يحمل فى المدينة مقيدا بالحديد فقال له ويحك ما هذا قال لطمت حوضا لى فظلمنى بعض جيرانى فخطرت يدى خطرة فأصابت صدره فأتى على أجله فقال له ولم فعلت ذلك فأنشد

فأى امرئ فى الناس يهدم حوضه * اذا كان ذا رمح ولما يمانع

فقال ابن أبى عتيق أما والله كنت أصلحه بكف طين ولا يكون فى رجلى ما فى رجلك وفى أمثال العرب رهبوت خير من رحموت معناه لأن ترهب خير من أن ترحم وقال المتلمس

ان الهوان حمار البيت يألفه * والحر ينكره والفيل والاسد
ولا يقيم بدار الذل يألفها * الا الذليلان غير السوء والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته * وذا يشج فلا يرثى له أحد

وتقول العرب فى أمثالها قال الحائط للوتد لم تشقنى قال سل من يدقنى فان الذى ورائى ما خلانى ورائى وقال أبو تمام الطائى

لا يمنعنك خفض العيش فى دعة * نزوع نفس الى أهل وأوطان
تلقى بكل بلاد ان حللت بها * أهلا بأهل وجيرانا بجيران

وقال أبو الطيب
واطلب العز فى لظى وذر الذل * ولو كان فى جنان الخلود

وقال أيضا
انى أصاحب حلمى وهو بى كرم * ولا أصاحب حلمى وهو بى جبن
ولا أقيم على حال أذل به * ولا أسر بما أعرضى به دونى

وقال أيضا
من يهن يسهل الهوان عليه * ما لجرح بميت ايلام
ذل من يغبط الذليل بعيش * رب عيش أخف منه الحمام

وقال أيضا
عش عزيزا أو مت وأنت كريم * بين طعن القنا وخفق البنود

وقال القرمطى الخارجى بالشام

(وأهمل وقيد وأرسل وأسند وبحث ونظر)
اما أن يكون أراد الحروف المهملة التى هى غير المقيدة بالنقط والشكل وعلى ذلك وضع الخليل كتاب النقط والشكل واما أن يكون أراد بالمهمل المطلق وعدل عنه اليه لموازنة قوله فى السجعة الثانية أرسل وأسند والمطلق ما لم يقيد (والمقيد) ما ضمن وصفا كقوله تعالى حرمت عليكم أمهاتكم الى قوله وأمهات نسائكم فأطلق وقال فى الربائب وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فقيد (والمرسل والمسند) ما اصطلح عليه فى علم الحديث فالمرسل عند المحدثين قول التابعى الكبير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وفعل كذا فهذا مرسل عندهم باتفاق وأما قول التابعى الصغير كالزهرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قوم يسمى مرسلا وقال قوم بل يسمى منقطعا لان أكثر روايتهم عن التابعى وأما المسند فهو ما اتصل سنده من روايه الى منتهاه وفيه أقوال وينقسم الى صحيح وحسن وضعيف فالصحيح ما اتصل سنده برواية العدل الضابط عن مثله وسلم من شذوذ وعلة

أرى أن المنية بالمعالى * أحب الى من ذل القعود

وقال ديك الجن

حتى أصادف مالا أو يقال فتى * لاقى الردى بين أسياف وأرماح

وقال التهامى واذا الفتى ألف الهوان فبينى * ما الفرق بين الكلب والانسان

موت الذليل كعشة ويد الفتى * شلاء أو مقطوعة سيان

وقال الارجانى ولم أغترب الا لأكتسب الغنى * فأسفى منه كل ذى ظمأ سجلا

ويعلو الغمام الارض من أجل انه * يسوق اليها وهى لن تبرح الوبلا

اذا ما قضت نفسى من العز حاجة * فلست أبالى الدهر أمالى لها أم لا

وقال آخر حاولت أن ألقى الزمان بطبعه * لولا الوفاء وشيمة لا تنقل

فى الارض متسع لنفس حرة * ان تنب منزلة وعاها منزل

وقال ابن عنين فاقامقاما يضرب الجد حوله * سرادقه أو باك يا لحمام

فان أنا لم أبلغ مقاما أروم * فكم حسرات فى نفوس كرام

---

*(فادر أبهاء فى نحور البيد حافلة * معارضات مثانى اللجم بالجدل)*

(اللغة) ادر افعل أمر من الدرء وهو الدفع ومنه قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها أى تدافعتم ومنه ادرؤا الحدود بالشبهات أى ادفعوا النحور جمع نحر وهو موضع القلادة فى الحلق وهو هنا مجاز استعاره للبيد والبيد جمع بيداء وهى المفازة ومنه باد الشئ يبيد أى هلك وأبادهم الله تعالى أى أهلكهم جافلة جفل اذا أسرع والجافل المنزعج واجفلت الريح فهى مجفل أى أسرعت وجافلة أيضا وأجفلت الريح التراب فهى مجفل أى أذهبته وطيرته وأنشد الاصمعى * وهاب كعثمان الحمامة أجفلت * به ريح برح والصبا كل مجفل

وانجفل القوم أى انقلبوا كلهم فضوا ممعارضات تقول عارضته فى المسير اذا سرت حياله وعارضته بمثل ما صنع أى أتيت اليه بمثل ما أتى وعارضت كتابى بكتابه أى قابلته وذكرت هنا ما نظمته فى ملمح قابل معى كتابا وهو

جنيت خدك وردا * غضا وقدك ذابل

فهات أنا كل وقت * أجنى وأنت تقابل

أجنى هنا من الجناية ومن الجنى وتقابل من مقابلة المذنب بالعقوبة على جنايته ومن مقابلة الكتاب بغيره طلبا لتصحيحه مثانى جمع مثنى من قولك جاء القوم مثنى مثنى أى اثنين اثنين ومثنى لا ينصرف لما فيه من العدل والصفة لانه عدل به عن اثنين اثنين فالعدل فيه تحقيقى قال الله تعالى أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع وقال تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع معناه اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة وقد تمسك بعض الرافضة بهذه الآية فجوز للرجل أن يتزوج بتسعة قال لان اثنين وثلاثة وأربعة جملتها تسعة ولأن النبى صلى الله عليه وسلم مات عن تسع نسوة وهذا كلام من لم يطعم ثمرة العربية لانك اذا قلت جاء القوم مثنى وثلاث ورباع معناه انهم جاؤا اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة فتنصب ذلك على الحال والحال هى التى تبين هيئة الفاعل أو المفعول فأنت تريد أن تبين كيف كان مجيئهم أى لم يجيئوا جماعة ولا فرادى فالله سبحانه وتعالى أبان ما أباحه من النكاح بقوله

والشاذ ما يرويه الثقة مما يكون مخالفا لما رواه الناس والمعتل ما فيه سبب قادح على نص ظاهره السلامة واما الحسن فهو ما عرف مخرجه واشتهر رجاله وقال بعضهم هو الذى فيه ضعف يحتمل ويصلح العمل به والضعيف كل حديث لم يجتمع فيه شروط الحديث الصحيح ولا الحسن المتقدم ذكرهما (والبحث) الكشف عن الشئ والطلب يقال بحثت عن الامر وبحثت كذا (والنظر) تقليب البصيرة لتأمل الامر مأخوذ من تقليب البصر لادراك الشئ

(وتصفح الاديان)

صفح الشئ عرضه كصفح الكتاب والوجه وتصفحته استعرضته وتأملت وجهه (والاديان) جمع دين وهو الشريعة والملة والاصل فى الدين الطاعة واستعير للشريعة للانقياد اليها والطاعة والمراد النظر فى مذاهب أهل الاديان وشرائعهم واختلاف فرقهم كالمسلمين والاسلام على ضربين أحدهما دون الايمان وهو الاعتراف باللسان وبه يحقن الدم ومنه قوله تعالى ولكن قولوا أسلمنا والثانى فوق الايمان وهو أن يكون مع

فانكحوا ما طاب لكم الخ أى اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة فلا يفهم من هذا الكلام الجمع بين المجموع وأما النبى صلى الله عليه وسلم فان ذلك من خواصه التى انفرد بها عن أمته ولم يشركوه فيها وذكر لى بعض الافاضل أن الشيخ نجم الدين بن الرفعة ذكر له تسعين خاصة وهذا تتبع كثير واطلاع مفرط وغالب خواصه صلى الله عليه وسلم فى النكاح وأمر الزوجات ولهذا ترى الفقهاء سردوها فى كتاب النكاح واختلف أهل العربية هل هذا العدد من الواحد الى العشرة أو هو ما نطق به القرآن الكريم فقط والصحيح أنه الى رباع حسب وقيل الى سداس وقيل الى عشار وأنشدوا فى ذلك شعرا يتضمن العدد الى عشار وأورده الحريرى فى درة الغواص وغيره وهل يقال موحد ومثلث ومربع الى العشرة ضعيف الى الغاية وقال الحريرى فى هذا الكتاب بعد ما أورد قول ابى الطيب

أحاد أم سداس فى أحاد * ليلتنا المنوطة بالتناد

غلط أبو الطيب هنا فى عدة مواضع من هذا البيت الاول انه قال أحاد وسداس ولم يسمع فى الفصيح الا مثنى وثلاث ورباع والخلاف فى خماس وما بعده الى عشار الثانى انه صغر ليلة على لييلة وانما تصغر على لييلية الثالث انه صغرها والتصغير دليل القلة فكأنها قصيرة ثم قال المنوطة بالتناد ولا يكون شئ أطول منها حينئذ فناقض آخر كلامه أوله (قلت) ليس فى هذا تناقض لان التصغير فى كلام العرب على أربعة أنواع الاول تصغير التحقير كقليس ورجيل والثانى تصغير التقريب كقويق وبعيد وقبيل ودوين والثالث تصغير التحبيب كقولك ما أمليحه وما أحيسنه والرابع تصغير التعظيم كقولك انا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب وقال الشاعر

وكل اناس سوف تدخل بينهم * دويهية تصفر منها الانامل

فأبو الطيب صغر الليلة هنا للتعظيم لانه استطالها حتى جعلها منوطة بالتناد وقال النور الاسعردى مضمنا

نديمى لا تهزأ بشمولة وان * بدا لك منها بهجة وشمائل
وراقك فيها رقة فى قوامها * ولاحت كشمس أضعفتها الاصائل
فلا تغترر منها بلين فانها * دويهية تصفر منها الانامل

وأنشدنى المولى بدر الدين حسن بن على الغزى من لفظه لنفسه فى الخمر

وصفراء حال المزج يصبغ ضوءها * اكف الندامى وهو فى الحال ناصل
وتهفو بألباب الرجال لانها * دويهية تصفر منها الانامل

(رجع اللجم) جمع لجام وهو فارسى معرب وهو للخليل بمثابة الزمام للنوق الجدل جمع الجديل وهو زمام الناقة المجدول من ادم تقول جدلت الحبل أجدله جدلا اذا أحكمت فتله وجارية مجدولة الخلق حسنة الجدل (الاعراب فادرأ) ادرأ فعل أمر من درأت وقد تقدم الكلام على أفعال الامر من الثلاثى فالهمزة هنا ساكنة (بها) جار ومجرور والضمير يرجع الى الاينق فى البيت الذى قبله (فى نحور) فى حرف جر وهى ظرفية ونحور مجرور بها (البيد) مجرور بالاضافة المعنوية المقدرة باللام (جافلة) منصوب على الحال من الضمير الذى يعود على الاينق (معارضات) منصوب على انه حال ثانية وعلامة نصبه كونه مكسورا لانه جمع مؤنث سالم

الاعتراف اعتقاد بالقلب ووفاء بالفعل والاستسلام لله تعالى فى كل ما قضى وقدر كقوله تعالى فى قصة ابراهيم أسلمت لرب العالمين والتصفح لمذاهب المسلمين وفرقهم كالمعتزلة والاشعرية والامامية وغير ذلك وكاليهود وفرقهم من العنانية والموسكانية والعدرانية والقرائين والسامرية وما أشبه ذلك واسم اليهود مأخوذ من هاد الرجل اذا رجع وتاب وانما لزمهم هذا الاسم لقول موسى عليه السلام انا هدنا اليك أى رجعنا وتضرعنا وكان فى الاول اسم مدح ثم صار بعد نسخ شرائعهم ذما لهم والنصارى وفرقهم من الملكانية واليعقوبية والنسطورية والارمن والروم والمارونية وغيرهم واسم النصارى مأخوذ من قول عيسى عليه السلام من أنصارى الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله ثم صار ذما لهم بعد نسخ شريعتهم أيضا وقيل مأخوذ من نسبتهم الى قرية يقال لها ناصران والمجوس وفرقهم من الكيومرثية والزرادشية وما أشبه ذلك وقد استوفى ابن حزم الكلام على جميع هذه الاصول والفروع فى الملل والنحل

واحده معارضة وهذا الجمع اذا كان بالالف والتاء اعرب بالضم فى حالة الرفع وبالكسر فى حالتى النصب والجر تقول جاءنى معارضات ورأيت معارضات ومررت بمعارضات وانما أعربوه هذا الاعراب ليقابلوا به الجمع المذكر السالم لما كان يعرب بالواو فى حالة الرفع وبالياء فى حالتى النصب والجر وانما أعربوا هذا الجمع المؤنث بالحركات دون الحروف لانه تقدم فى اعراب الجمع المذكر السالم ان الاعراب بالحركات هو الاصل والاعراب بالحروف هو الفرع والافراد هو الاصل والجمع هو الفرع فاعطوا الاصل للاصل والفرع للفرع فصار اعراب الجمع بالحروف هو الاصل ولما استقر ذلك قاعدة جاؤا الى الجمع المؤنث السالم فوجدوه فرعا على الجمع المذكر فلم يعطوه اعراب الاصل فى الجمع الذى هو بالحروف فاعطوه الاعراب الفرعى بالنسبة الى الجمع وهو بالحركات لانهم مالهم اعراب بغير هذين ولا يعربون ما جمع بالالف والتاء هذا الاعراب المخصوص الا ما له مذكر يعرب بالحروف كقولك مسلمون ومسلمات وفائمون وفائمات وكانهم ألحقوا بباب الجمع المذكر السالم ما ليس منه مثل عالمون وعلمون وأرضون وسنون كذلك ألحقوا بهذا الباب ما ليس منه مثل عرفات واذرعات تقول هذه عرفات ورأيت عرفات ومررت بعرفات لانه لا يقال فى مذكره عرفون وهكذا أولات تقول جاءنى أولات حسن ورأيت أولات حسن ومررت بأولات حسن والاصل فى هذه التاء أن تكون أصلية للتأنيث فى المفرد مثل شجرة ومسلمة أما اذا كانت غير أصلية مثل رواة فانها تعرب على الاصل تقول هذه رواة ورأيت رواة ومررت برواة وان كانت لغير التأنيث أعربت على الاصل تقول هذه أبيات ورأيت أبياتا ومررت بابيات لان التاء فى المفرد لغير التأنيث ولقد رأيت جماعة من الفضلاء يكتبون بخطهم وقد نظم المملوك أبياتا فاذا أفكر ناذلك عليهم يقولون قال الشيخ جمال الدين محمد بن مالك رحمه الله تعالى

وما بتا وألف قد جمعا * يكسر فى الجر وفى النصب معا

فاقول لهم الشيخ قال ما جمع بالالف والتاء وهذا ليس منه لانها فى المفرد أصل فيقولون وكذلك مسلمة التاء فيه أصلية فاقول التاء الاصلية فى مسلمة حذفت فى الجمع وكان اصله مسلمتات فاستثقل الجمع بين علامتى تأنيث فحذفت الاولى وعلى كل تقدير فلا بد لهذا الجمع أن يكون جمع مؤنث سالما وأبيات جمع مذكر مكسر غير سالم فلا يهتدون لما أقول (رجع مثانى اللحم) مثانى منصوب بمعارضات لانه اسم فاعل يعمل عمل الفعل اذا كان غير مضاف تقول هذا مكرم زيدا وزيد مكرم عمرو فتنصب المفعول اذا نونت وتجره اذا أضفت ولم يظهر النصب فى مثانى لانه يجوز ذلك فى المنقوص وهو من أحسن الضرورات ولكن الاصل فيه معارضات مثانى اللحم بفتح الياء والوزن اضطره الى سكونها (بالجدل) الباء حرف جر وهى لتعدية الفعل تقول عارضت كذا بكذا والجار والمجرور فى موضع النصب على انه مفعول ثان لمعارضات (المعنى) فادفع بالاينق الدلل فى نحور المفاوز والقفار مسرعة غير ملتفتة و بجياد الخيل فعارض بجم تلك بازمة هذه وهذا حث منه على اعمال الركاب وأن يرمى بها فى نحور البيد مسرعة تبارى بازمتها الجم الخيل فى مسيرها وهذا البيت مأخود من قول أبى الطيب

لا أبغض العيس لكنى وقيت بها * قلبى من الحزن أو جسمى من السقم
طردت من مصر أيديها بارجلها * حتى مرقن بها من جوش والعلم

(ورجع بين مذهبى مانى وغيلان)

(هو مانى بن ماش الثنوى) الذى تنسب اليه المانوية كان راهبا بنجران قائلا ببنوة المسيح معظما فى أساقفة النصارى محمود السيرة فيهم فزنى فسقطت مرتبته وكان له حسدة من بطارقة زمانه فوجدوا السبيل الى ما أرادوا منه فلما رأى حاله أخذ فى الرد على أصحابه وقال لم أزن ولكنهم حسدونى وأنكروا مخالفتى لهم فى أصل دينهم اذ كانوا يقرون بالمسيح اللاهوتى رسول الشيطان وكان مانى فى الاصل مجوسيا عارفا بمذاهب القوم فاحدث دينا ودعا اليه وظهر فى أيام سابور ابن اردشير وتبعه خلق عظيم من المجوس وادعوا له النبوة ونسبوه لها الى ان قتل فى زمان بهرام ابن سابور كما سيأتى ذكره حدث البرمكى وغيره قال زعم مانى وأصحابه ان صانع العالم اثنان فاعل الخير نور وفاعل الشر ظلمة وهما قديمان لم يزالا ولن يزالا حساسين سميعين بصيرين وهما مختلفان فى النفس والصورة متضادان فى الفعل والتدبير فجوهر النور فاضل حسن نير ونفسه خيرة حليمة نفاعة منها الخير والسرور والصلاح وليس

تبرى بهن نعام الدو مسرجة * تعارض الجدل المرخاة باللجم

وما أحسن قول أبى الطيب

وجرد مددنا بين آذانها القنا * فبتن خفافا يتبعن العواليا

تجاذب فرسان الصباح أعنة * كأن على الاعناق منها أفاعيا

وهذا تشبيه حسن فى العنان وفيه زيادة معنى لان الخيل تجاذب الفرسان الاعنة فهى تطلب أمام وفرسانها تجذب أعنتها لتخفيف السير عنها وأخذه ابن القيسرانى فقال ومن خطه نقلت

وأسرى نعاس يمموا كعبة الندى * فهم سجد فوق المذاكى وركع

على كل نشوان العنان كأنما * جرى فى وريديه الرحيق المشعشع

شكائمها معقودة بسياطها * تخال بأيدينا أراقم تلسع

ولمح هذا المعنى المولى صفى الدين بن عبد العزيز بن سرايا الحلى فانشدنى لنفسه اجازة ومن خطه نقلت من أبيات

فقلت لاقال ولا سابق * مرفه السوط شقى العنان

فانظر اليه كيف نظر الى ذلك المعنى من طرف خفى واختلسه ثم زاده زيادة ملحة وهو انه مرفه السوط وما سمعت أحسن من هاتين الكنايتين فى شقاوة العنان ورفاهية السوط وقد أخذ عبد الصمد بن بابك قول أبى الطيب فى تشبيه العنان بالافعى وزاد عليه زيادة حسنة فقال فى زمام الناقة

ولقد أتيت الملك تحمل نرقتى * حرف يسكن طيشها الدالان

ينفى الزفير خطامها فكأنما * غار يحاول نقبه ثعبان

وقال أبو نواس فى جذب الازمة

يثوى لانقاض أضربها * جذب البرى فخدودها صفر

فكأنه مصغ ليسمعه * بعض الحديث باذنه وقر

وقال ابراهيم بن المهدى

اذا جذبت بها الاتساع أصغت * كاصغاء النجى الى النجى

وقال ابو اسحق بن خفاجة

طاف الخيال به فأسرج ادهما * وسما السمالك به فأشرع لهذما

وسرى يطير به عقاب كاسر * امسى يلاعب من عنان ارقما

وقال آخر

رجعة اسفار كأن زمامها * شجاع لدى يسرى الذراعين مطرق

(ان العلى حدثتنى وهى صادقة * فيما تحدث ان العز فى النقل)

(اللغة) العلى تقدم الكلام عليها الحديث الخبر يأتى على القليل والكثير العز ضد الذل النقل جمع نقلة وهى اسم للانتقال من موضع الى موضع (الاعراب ان) حرف ينصب الاسم ويرفع الخبر وقد تقدم الكلام عليها فى شرح قوله انى اريد طروق الحى البيت (العلى) اسم ان فهى منصوبة ولم يظهر النصب لانها مقصورة والالف واللام للعهد الذهنى أو لما تقدم فى اثناء القصيدة من ذكرها فى مثل على قضاء حقوق للعلى قبلى (حدثتنى) حدث فعل ماض والتاء علامة التأنيث وفاعله ضمير مستتر فى حدثت عائد على العلى تقديره حدثت هى والنون نون الوقاية والياء ضمير المفعول وهى للتكلم والجملة فى موضع رفع لانها خبر ان (وهى) الواو

منها من الشر شئ وجوهر الظلمة على ضد ذلك جميعه والنور مرتفع فى ناحية الشمال والظلمة منحطة فى ناحية الجنوب وزعموا أن لكل واحد منهما أجناسا خمسة أربعة منها أبدان وخامس هو الروح فابدان النور الاربعة النار والنور والريح والماء وروحها الشجر المتحرك فى هذه الابدان وابدان الظلمة أربعة الحريق والظلام والسموم والضباب وروحها الدخان وسموا أبدان النور ملائكة وأبدان الظلمة شياطين وبعضهم يقول أبدان النور تتولد ملائكة وأبدان الظلمة تتولد شياطين وان النور لا يقدر على الشر ولا يجوز منه والظلمة لا تقدر على الخير ولا يجوز منها قال بعض المتكلمين والذى حملهم على هذا انهم رأوا فى العالم شرا واختلافا فقالوا لا يكون من أصل واحد شيآن متضادان كما لا يكون فى عنصر النار السخن والبرد وقدرد عليهم بعض العلماء فى قولهم الصانع اثنان فقال لو كانا اثنين لم يخل من أن يكونا قادرين أو عاجزين أو أحدهما قادرا والاخر عاجزا لا جائز أن يكونا عاجزين لان العجز يمنع ثبوت الالهية ولا يجوز ان يكون أحدهما عاجزا

واو الابتداء وهي ضمير مرفوع المحل على الابتداء راجع الى العلى (صادقة) خبرها (فيما) في حرف جر وهي ظرفية تتعلق بحدثتني وما اسم ناقص بمعنى الذي لا يتم الا بصلة وعائد وهو في موضع جر (تحدث) فعل مضارع وهو صلة ما التي تقدمت والعائد محذوف لانه فضلة تقديره فيما تحدثه (ان العز) ان واسمها وهي هنا مكسورة لانها محكية (في النقل) في حرف جر وهي للظرف معنى والنقل مجرور بها والجار والمجرور يتعلق بمحذوف هو خبر ان تقديره ان العز مستقر في النقل وقوله ان العز وما بعده في موضع النصب على انه مفعول حدثتني وهو مفعول ثان وقوله وهي صادقة جملة اعتراضية لا محل لها من الاعراب اعترضت بين قوله حدثتني وبين قوله فيما تحدث (المعنى) ان العلى حدثتني وهي صادقة فيما حدثت من الاخبار ان العز موجود في النقل من مكان الى مكان والاغتراب من مكان نبا بساكنه الى مكان يلائمه ويوافقه وينال فيه المعالي وقد اكثر الشعراء في الحث على الانتقال والحركة قال ابو تمام

وطول مقام المرء في الحي مخلق * لديباجتيه فاغترب تتجدد
فاني رأيت الشمس زيدت محبة * الى الناس اذ ليست عليهم بسرمد

وقال ابو الغنائم محمد بن المعلم

سوطا لبا غاياتها اما ترى * فوق الثريا او ترى تحت الثرى
لا تخلدن الى المقام فانما * سير الهلال قضى له ان يقمرا
لا تبلك دار افاقني من ان دعا * دمعا عصاه وان دعاه دما جرى
اين الكناس من العرين واين غز * لان اللوى في المجد من اسد الشرى
لو ينتج الوطن العلى ما سار عن * غمدان سيد حمير مستنصرا
ولو استتم بمكة لمحمد * ما رام لم ينصب بيثرب منبرا
والليث لو وجد الفريسة رابضا * اوناهضا في خيسه ما اسحرا
لا عار في بيع النفوس على الردى * عندي اذا كان العلاء المشترى
حتام حظي في الوهاد وحظ أصحاب الدناءة في الثواهق والذرى
ما الجبن يحميني الحمام ولا أرى الاقدام يجلب لي سوى ما قدرا
لابد منها وثبة تعرى الظبا * فيها وتكسو الجو فيها العثيرا
أشكو الى الايام ما ألقى لها * وجها على تلوينها مستبشرا
ما عذر من لم يلق وجها أبيضا * منهن ان لم يلق يوما أحمرا

أثبت هذه الابيات على طولها وان كان بعضها ماله تعلق بهذا البيت على الخصوص لان لها علاقة بالقصيدة على العموم ومن كلام الحكمة ان الله لم يجمع منافع الدنيا في أرض بل فرقها وأحوج بعضها الى بعض وقيل المسافر يجمع المغانم ويكسب التجارب ويجلب المكاسب وقيل الاسفار مما تزيد علما بقدرة الله وحكمته وتدعو الى شكر نعمته وقيل ليس بينك وبين بلد نسب خير البلاد ما حملك وقال ابن الساعاتي

أهلك والليل مضى أجملك * شمر فخير البلاد ما حملك
لا خير في بقعة تروق من الأرض اذا لم تنل بها أملك
حتام لا تعمل الجياد ولا * تعمل في أم غاية ابلك

فبقي ان يقال هما قادران فيتصور أن أحدهما يريد تحريك هذا الجسم في حالة يريد الآخر تسكينه فيها ومن المحال وجود ما يريدانه فان تم مراد أحدهما ثبت عجز الآخر ورد عليهم آخر في قولهم ان النور يفعل الخير والظلمة تفعل الشر بأنه لو هرب مظلوم فاستتر بالظلمة فهذا خير وقع في شر ومن ههنا أخذ المتنبي فقال

وكم لظلام الليل عندي من يد
تخبر أن المانوية تكذب

وقال الجاحظ المانوية تزعم أن العالم بما فيه مركب من عشرة أجزاء يعني أجناسا خمسة منها خير ونور وخمسة منها شر وظلمة والانسان مركب من جميعها فمتى نظر نظرة رحمة فتلك النظرة من الخير والنور ومتى نظر نظرة قسوة فتلك النظرة من الشر والظلمة وكذلك جميع الحواس وكان المأمون يسأل المانوية عن مسئلة قريبة المأخذ قاطعة ناظر أحدهم فقال أسألك عن حرفين فقط هل ندم مسيء على اساءته قال بلى قد ندم كثير قال فخبرني عن الندم على الاساءة اساءة أم هو احسان قال احسان قال فالذي ندم هو الذي أساء قال نعم قال فاري

لقد تربصت خيفة الاجل المحتوم لو كان دافعا أجلك
وجدا ذاك لو وجدت فتى * أفضل يوما عليك أو فضلك

وقال ابن قلاقس

سافر اذا حاولت قدرا * سار الهلال فصار بدرا
والماء يكسب ماجرى * طيبا ويخبث ما استقرا
وينقسله الدرر النفيسة بدلت بالبحر نحرا

وأخذه بعضهم فقال

نقل ركابك فى الفلا * ودع الغوانى فى القصور
لولا التنقل ما ارتقى * در البحور الى النحور
ما الماكثون بأرضهم * الا كسكان القبور

وقال أيضا

شرفى جاوز العلى ومن العا * رض ما انحط عن رؤس الجبال
كيف لا أسرع التنقل والمشـ * ـهور للبدر سرعة الانتقال

وقال أيضا

ان مقام المرء فى بيته * مثل مقام الميت فى لحده
فواصل الرحلة نحو الغنى * فالسيف لا يقطع فى غمده
والنار لا يحرق مشبوبها * الا اذا ما طار عن زنده

وقال آخر

ليس ارتحالك ترتاد الغنى سفرا * بل المقام على خسف هو السفر

وقال أبو الفرج بن هندو

صح تحيك العلى الى الغايات * ما غنى الاسود فى الغابات
لا يرد الردى لزوم بيوت * لا ولا يقتضيه جوب فلاة
مولد الدرجاة فاذ اسا * فرحلى الثيجان واللبات
اف للدهر ماينى يتعس الفا * ضل فى بدئه وفى العقبات
يسكن المسك سرة الظبى بدأ * ثم تصليه جمرة الوقدات

وقال ابن قلاقس

والصغير الحقير يسمو به السيـ * ـر فيعنوله الكبير الجليل
فرزن البيدق التنقل حتى انـ * ـحط عنه فى قيمة الدست فيل

وقال أبو الفضل التميمى

دعنى أسر فى البلاد ملتمسا * فضلة مال ان لم يفرزانا
فبيدق الرخ وهو أيسرما * فى الدست ان سار صار فرزانا

وذكرت هنا أبياتا لابن الرومى فمن يلعب بالشطرنج غائبا وهى

غلط الناس لست تلعب بالشطـ * ـرنج لكن بأنفس اللعباء
غير ما ناظر بعينيك فى الدسـ * ـت ولا مقبل على الرسلاء

صاحب الخير هو صاحب الشر وقد بطل قولكم ان الذى ينظر نظر الوعيد غير الذى ينظر نظر الرحمة قال فان الذى أزعم ان الذى أساء غير الذى ندم قال فندم على شئ كان من غيره أو على شئ كان منه فقطعه بهذه الحجة ولمانى وأصحابه فى امتزاج النور والظلمة وحدوث الشمس والقمر والنجوم لاستصفاء النور من الظلمة الى أن لا يبقى شئ منه فى هذا العالم وتنطبق السماء على الارض ويرجع كل شكل الى شكله أقوال عجيبة الى غير ذلك من انه لا يرى المنا كح يستعجل فناء العالم ويسرع بجمع الاشكال ولم تزل اتباعه تكثر وشوكته تعظم الى أن أحضره بهرام بن يزدجرد قيل سابور وأراد قتله باتفاق الموابذة فامر أدرياد موبذ موبذان بان يناظره فناظره فى مسئلة قطع النسل وتحيل فراغ العالم فقال الموبذ أنت الذى تزعم وتقول بتحريم النكاح تستعجل فناء العالم ويرجع كل شكل الى شكله وان ذلك حق واجب فقال مانى واجب أن يعان النور على خلاصه بقطع النسل مما هو فيه من الامتزاج فقال له أدرياد فمن الواجب أن يحمل لك هذا الخلاص الذى

بل تراها وأنت مستدبر الظهـ ـر بقلب مصور من ذكاء
مارأينا خصما سواك يولى * وهو يردى فوارس الهيجاء

وقال أبو اسحق في المهذب في كتاب الشهادات ان سعيد بن جبير كان يلعب الشطرنج ذكره في فضل اللعب بالشطرنج وقد رأيت أنا غير مرة بالديار المصرية شخصا متجندا يعرف بعلاء الدين بن قيران وهو أعمى يلعب بالشطرنج مع العوالي ويحطهم ويغلبهم وما راعني فيه الا انه يقعد ويتحدث وينشدنا الاشعار ويحكي كل منا حكاية في شأنه وهو يشاركنا فيما نحن فيه ويدع اللعب ويقوم الى الخلاء ويحضر ولم يغب عنه شيء مما هو فيه وهذا غريب وهو مشهور بالقاهرة لا يكاد يجهله من يلعب بالشطرنج الا أنا قلائل ورأيت غير مرة أيضا بدمشق سنة احدى وثلاثين وسبعمائة شخصا يعرف بالنظام العجمي وهو يلعب الشطرنج غائبا في مجلس الصاحب شمس الدين وأول ما رأيته لعب مع الشيخ أمين الدين سليمان رئيس الاطباء وكان طبقة فغلبه مستدبرا ولم يشعر به حتى ضربه شاه مات بالفيل ولم يره حتى التفت الينا وقال مات وحكي لي أنه كان يلعب غائبا على رقعتين وحكي لي عنه صاحبنا المولى بدر الدين حسن الغزي انه رآه يلعب على رقعتين غائبا وقدامه رقعة يلعب فيها حاضرا وغلب في الثلاث والعهدة في ذلك عليه اه وكان الصاحب شمس الدين يدعه في وسط الدست ويقول له عد لنا قطعك وقطع غريمك فيسردها جميعا كأنه يراها بين يديه وأنشأ فيه المولى جمال الدين محمد بن نباتة مقامة بديعة ختمها بقوله

لله في الشطرنج فكرة لاعب * ان غاب أو حضرا جتنبت حداثقه
شركته نفس اللعب أو نفس النهى * هاتيك صامتة وهذى ناطقه

وبقوله أيضا

ولاعب يعرف شطرنجه * عن فهمه المقتدا الصائب
يغيب لكن ذهنه حاكم * ياحبذا من حاكم غائب

قلت كذا رأيته ولو قال ياحسنه أو ياعجبا سلم من حذف فاعل حب الذي هو بدل من ذا وهو غير جائز وأنشدني من لفظه لنفسه ملغزا في الشطرنج

وما صامت يمضي ويرجع مفكرا * ويقضي على أوصاله الوصل والصد
كان الضنا آلى عليه ألية * فما فيه الا النقس والعظم والجلد
وأحرفه خمس ولكن شطره * ثلاثة أخماس الحروف التي تبدو

وقال بعضهم ملغزا فيه أيضا

وما اسم ثلاثة أخماسه * هو الشطر منه ومن غيره
وباقيه ان رمت معكوسه * قطعت رجاءك من خيره

وما أحسن قول أبي الحسين الجزار ملغزا فيه أيضا

وما شيء له نفس ونفس * ويؤكل عظمه ويحك جلده
يؤدبه الفتى ادراك سؤال * وقد يلقى به مالا يوده
ويؤخذ منه أكثره بحق * ولكن عند آخره يرده

وأنشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

تدعو اليه وتعان على ابطال هذا الامتزاج المذموم فانقطع ما في فارس بهرام بصلبه على الخشب فجعل يصيح ويقول أيها المعبود النوراني بلغت ما أمرتني به وهذه عادتهم في وفي أمثالي وأنت الحكيم وها انا الآن مار اليك وما آذيت صامتا ولا ناطقا فتبارك أنت وعالمك النوراني الازلي فكان آخر قوله ثم ملأ جلده تبنا وكان بهرام في الاول قد أظهر متابعته حتى أحاط علما بمن تبعه فلما قتله أمر بقتل أصحابه ثم ظهر من يسلك مسلكهم في الاسلام بشر عظيم يسمون الزنادقة قتلهم المهدي وأبادهم * وأما غيلان فهو ابن يونس القدري الدمشقي كان أبوه مولى لعثمان بن عفان وغيلان أول من تكلم في القدر وخلق القرآن في الاسلام وقيل أول من تكلم في القدر رجل من أهل العراق كان نصرانيا فاسلم ثم تنصر واخذ عنه معبد الجهني وغيلان الدمشقي وروي ان مكحولا قال لغيلان ويلك ياغيلان ألم أجدك ترامي النساء بالسفاح في شهر رمضان ثم صرت حارثيا تخدم امرأة الحرث الكذاب وتزعم انها أم المؤمنين ثم

تحولت بعد ذلك قدر ما زنديقا
ورؤى أن غيلان وقف يوما
على ربيعة فقال له أنت
الذى تزعم أن الله يحب أن
يعصى فقال له ربيعة أنت
الذى تزعم أن الله يعصى
قسرا وقيل لغيلان من كان
أشد عليك قال عمر بن عبد
العزيز كأنما كان يلقن من
السماء وحكى ابن مهاجر
قال بلغ عمر بن عبد العزيز أن
غيلان وفلانا نطقا فى القدر
فأرسل اليهما وقال ما الامر
الذى تنطقان به فقالا هو
ما قال الله يا أمير المؤمنين قال
وما قال الله قالا قال هل أتى
على الانسان حين من الدهر
لم يكن شيأ مذكورا ثم قال
انا هدينا ه السبيل اما شاكرا
واما كفورا ثم سكتا فقال
عمر اقرآ فقرآ حتى بلغا ان
هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى
ربه سبيلا وما تشاؤن الا أن
يشاء الله الى آخر السورة قال
كيف تريان يا بنى الاتانة
تأخذان الفروع وتدعان
الاصول قال ابن مهاجر ثم
بلغ عمر بن عبد العزيز انهما
أسرفا فأرسل اليهما وهو
مغضب فقام عمرو كنت
خلفه قائما حتى دخلا عليه
وأنا مستقبلهما فقال لهما
ألم يكن فى سابق علم الله
حين أمر الله ابليس بالسجود
أن لا يسجد قال فأومأت اليهما

أشكوا السقام وتشكو مثله امرأتى * فنحن فى الفرش والاعضاء تترجح
نفسان والعظم فى قطع يجمعنا * كأننا نحن فى التمثيل شطرنج

وللك فى لفظ الشطرنج لغتان بالشين المعجمة وهو الافصح لانه مأخوذ من الشطر لان كل لاعب له شطر من القطع و بالسين المهملة لانه مأخوذ من تسطير الرقعة بيوتا وان ألحقته بأوزان العربية كسرت أوله فقلت شطرنج لان فعال فى العربية له نظير مثل قرطعب والصحيح ان هذه لفظة أعجمية كذا جاءت وأصله بالعجمية شش رنك معناه ستة ألوان وهى الشاه والفرز والفيل والفرس والرخ والبيدق يقال ان بعضهم سمع آخر يقول ياسجاع هات الشطرنج من تحت السجرة بالسين المهملة فى الجميع فقال ضيعت على النحوى تسع نقط وكثير من الناس يغلط فى الصولى وهو أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد بن صول تكين الكاتب ويزعم انه واضع الشطرنج لما ضرب به المثل فيه والصحيح ان واضعه صصه بن داهر الهندى كان أردشير بن بابك أول ملوك الفرس الاخير قد وضع النرد ولذلك قيل له نرد شير جعله مثالا للدنيا وأهلها فرتب الرقعة اثنى عشر بيتا بعدد شهور السنة والمهارك ثلاثين قطعة بعدد أيام الشهر والفصوص مثل الافلاك ورميها مثل تقلبها ودورانها والنقط فيها بعدد الكواكب السيارة كل وجهين منها سبعة الشش ويقابله التسك والبنج ويقابله الدو والجهار ويقابله السه وجعل ما يأتى به اللاعب من النقوش كالقضاء والقدر تارة له وتارة عليه وهو يصرف المهارك على ما جاءت به النقوش لكنه اذا كان عنده حسن نظر عرف كيف يتأتى ويتحيل على الغلب وقهر خصمه مع الوقوف عند ما حكمت به الفصوص وهذا هو مذهب الاشاعرة وأخبرنى من أثق به أن الشيخ تقى الدين بن تيمية رحمه الله كان يقول اللعب بالنرد خير من اللعب بالشطرنج لان لاعبه يعترف بالقضاء والقدر والشطرنج لاعبه ينفى ذلك فهو أقرب الى الاعتزال أو كما قال وما أحسن قول الحكيم شمس الدين بن محمد بن دانيال من قصيدته اللامية

وفى الفصوص لعبنا * منقل كالمثل
تلوح فى أكفنا * كالجوهر المفصل
تفعل فيما بيننا * فعل القضا فى الدول

ولابى عبد الله محمد بن أحمد الخياط بدمشق قصيدة سينية يصف فيها النرد أبدع فيها فلما وضع أردشير ذلك افتخرت به الفرس وكان ملك الهند يومئذ بلهيت فوضع له صصه المذكور الشطرنج فقضت حكماء ذلك العصر بتفضيله ولما عرضه على الملك وأوضح له أمره سأله أن يبنى عليه فبنى عليه عدد تضعيفه قعافا فاستصغر الملك ذلك من همته وأنكر عليه ما قابله به من طلب النزر القليل فى ذلك المقام فقال ما أريد غير ذلك فأمر له به فلما حسبه أرباب الديوان قالوا للملك ما عندنا ما يقارب القليل منه فأنكر ذلك فأوضحوه له بالبرهان فأعجبه الامر الثانى أكثر من الاول قال القاضى شمس الدين أحمد ابن خلكان رحمه الله تعالى ولقد كان فى نفسى من هذه المبالغة شئ حتى اجتمع بى بعض حساب الاسكندرية وذكر لى طريقا تبين صحة ما ذكروه وأحضر لى ورقة بصحة ذلك وهو انه ضاعف الاعداد الى البيت السادس عشر فانبت فيه اثنين وثلاثين ألفا وسبعمائة وثمانية وستين حبة وقال تجعل هذه الجملة مقدار قدح وقد

عبرتها فكان الامر كما ذكره والعهدة عليه فى ذلك النقل ثم ضاعف السابع عشر الى البيت العشرين فكان فيه وبية ثم انتقل من الويبات الى الاردب ولم يزل يضعفها حتى انتهى فى البيت الاربعين الى مائة ألف اردب وأربعة وسبعين ألف أردب وسبعمائة واثنين وستين اردبا وثلثى اردب وهذا المقدار شونة ثم انه ضاعف الشون الى بيت الخمسين فكانت الجملة ألفا وأربعة وعشرين شونة وهذا المقدار مدينة ثم انه ضاعف ذلك الى البيت الرابع والستين وهو آخر الابيات فكانت الجملة ستة عشر ألف مدينة وثلاثمائة وأربعا وثمانين مدينة وقال تعلم انه ليس فى الدنيا مدن أكثر من هذا العدد انتهى قلت آخرما اقتضاه تضعيف رقعة الشطرنج ثمانية عشر ألف ألف ست مرات وأربعمائة وستة وأربعون ألفا خمس مرات وسبعمائة وأربعة وأربعون ألفا أربع مرات وثلاثة وسبعون ألفا ثلاث مرات وسبعمائة وتسعة آلاف ألف مرتين وخمسمائة واحد وخمسون ألفا وستمائة وخمسة عشر حبة عددا وانشدنى من لفظه الشيخ الامام العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصارى بيتا واحدا يضبط هذا العدد وهو هذا

ان رمت تضعيف شطرنج فجملته

ها و اهه طعجز مدد ز و د د ط ح

١ ٨ ٤ ٤ ٦ ٧ ٤ ٤ ٠ ٧ ٣ ٧ ٠ ٩ ٥ ٥ ١ ٦ ١ ٥

وقال انه اذا جمع هذا العدد هرما واحدا مكعبا كان طوله ستين ميلا وعرضه كذلك وارتفاعه كذلك بالميل الذى هو أربعة آلاف ذراع بالعمل الذى هو ثلاثة أشبار معتدلة على ان الاردب المصرى مساحته ذراع مكعب ووزنه مائتان وأربعون رطلا وكل رطل مائة وأربعة وأربعون درهما والدرهم أربعة وستون حبة من القمح وكل بيت اذا رعنا ما فيه من العدد حصل من مربعه ما يجب أن يكون فى البيت الذى عدده كضعف ذلك البيت الا واحدا فاذا رعنا ما حصل فى الثالث مثلا حصل ما فى الخامس واذا رعنا ما حصل فى الخامس حصل ما فى التاسع فاذا رعناه حصل ما فى السابع عشر فاذا رعنا ما حصل ما فى الثالث والثلاثين فاذا رعناه حصل ما فى الخامس والستين فاذا انقصنا منه واحدا كان الباقى جملة ما فى البيوت كلها الى البيت الرابع والستين وان نصفناه قبل أن ينقص منه واحد كان نصفه حاصل البيت الرابع والستين وبهذا العمل يحصل تضعيف رقعة الشطرنج من خمس ضربات اه كلامه وحكى لى من لفظه المولى رشيد الدين يوسف بن أبى البيان قال قال لى الشيخ تقى الدين أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى يا رشيد الدين قال ابن حزم أول كذبة كذبها بنو اسرائيل انهم دخلوا مصر اثنين وسبعين نفسا فى زمن يوسف عليه السلام وخرجوا مع موسى بن عمران عليه السلام ستمائة ألف قال فقلت له هذا ابن حزم من الصحابة قال لا قلت ولا من التابعين قال لا قلت هذا ابن حزم ما كان يدرى ان اثنين واثنين أربعة فقال لا ى شئ قلت ما يعلم سيدنا ان رقعة الشطرنج أربعة وستون بيتا فاذا ضعفناها من واحد انتهت الاعداد الى كذا وكذا وذكر العدد الذى حصل هنالك ومع ذلك فبنو اسرائيل انما عدوا الرجال وأما النساء والصبيان والاشياخ الذين بلغوا الحرم فلم يذكروهم قال فسكت الشيخ تقى الدين رحمه الله انتهى فقلت أنا له يا مولاى رشيد الدين قوم يخرجون فى عدة ألف ألف

رأسى أن قولا نعم والا فهو الذبح فقال الانعم فقال أولم يكن فى سابق علم الله حين نهى آدم وحواء عن الشجرة أن يأكلا منها فأكلا منها أن يأكلا منها فأومأت اليهما برأسى فقالا نعم فأمر باخراجهما وأمر بالكتاب الى سائر الاعمال بخلاف ما يقولان وأمسكا عن الكلام فلم يلبثا الا يسيرا حتى مرض عمر ومات ولم ينفذ الكتاب وسأل بعد ذلك منهما السيل وكان غيلان قد تاب على يد عمر بن عبد العزيز فقال عمر اللهم ان كان كاذبا فلا تمته حتى تذيقه حر السيف فقطعت يداه ورجلاه وصلب فى أيام هشام بن عبد الملك حين قال يا غيلان ما هذه المقالة التى بلغتنى عنك فى القدر فقال يا أمير المؤمنين هو ما بلغك فأحضر من أحببت يحاجنى فان غلبتنى ضربت رقبتى فأحضر الاوزاعى فقال له الاوزاعى يا غيلان ان شئت ألقيت عليك سبعا وان شئت خمسا وان شئت ثلاثا فقال ألق ثلاثا فقال له أقضى الله على عبد ما نهى عنه قال ما أدرى ما تقول قال فأمر الله بأمر خال دونه قال هذه اشد من الاولى قال فحرم الله حراما ثم أحله قال ما أدرى ما تقول قال فأمر به هشام

نفس على القليل هاربين على وجوههم من فرعون على ماذا حملوا زادهم وأى ماء اذا نزلوا عليه يقوم بكفايتهم هذا بعيد من العادة فلم يحر جوابا قلت له أنا أتبرع لك بالجواب وهو انهم كان معهم موسى عليه الصلاة والسلام وبيده العصا التى يضرب بها الحجر فتنفجر منه اثنتا عشرة عينا وعناية الله بهم تحملهم وتعينهم على ما يحتاجون اليه من كل شئ وعلى الجملة فالذى استبعده ابن حزم لا ينكر لان هذا عدد كثير على ما يزعمون (رجع الى ذكر الشطرنج) وانما يذكر الصولى ويضرب به المثل لانه أجاد اللعب به وبلغ الغاية لا لانه واضعه حكى المسعودى فى مروج الذهب ان الامام الراضى بالله أتى فى بعض منتزهاته بستانا موشقا وزهرا رائقا فقال لمن حضره ممن كان من ندمائه هل رأيتم منظرا أحسن من هذا فكل أنشأ يصف محاسنه وانه لا يفى بها شئ من زهرات الدنيا فقال الراضى لعب الصولى بالشطرنج احسن من هذا ومن كل ما تصفون وقيل انه لما دخل الصولى على الامام المكتفى فى أول أمره كان عنده انسان يعرف بالماوردى قد ألفه المكتفى زمانا فلعبا بين يديه وأخذ المكتفى بزهر الماوردى ويشجعه وينصره حتى دهش الصولى فلما اتصل اللعب بينهما ورأى اجادة الصولى قال للماوردى عادما وردك بولا ويقال فضائل الهند ثلاثة سبقوا بها من سواهم من الناس كتاب كليلة ودمنة ولعبة الشطرنج والتسعة أحرف التى تجمع أنواع الحساب وما أحسن قول ابن القيسرانى ومن خطه نقلت

وقد اختصرت لك الثناء وربما * وافاك بالمقصود صدر ملطف
هذا الحساب يفوت أوهام الورى * ويحوزه الهندى بتسعة أحرف

ورأيت أنا بعض الاصحاب يأخذ قطع الشطرنج يرصها رصا مخصوصا صورة دائرة ويدعى أن مركبا كان على ظهر البحر الاعظم فى اللجة وفيه مسلمون وكفار فاشرفوا على الغرق وأرادوا أن يرموا بعضهم الى البحر ليخف المركب فينجو بعضهم ويسلم المركب فقالوا نقترع ومن وقعت القرعة عليه ألقيناه فنظر الريس اليهم وهم جالسون على هذه الصورة فقال ليس هذا حكما مرضيا وانما الحكم أنا نعد الجماعة فكل من كان تاسعا ألقيناه فارتضوا بذلك ولم يزل يعدهم ويلقى التاسع فالتاسع الى أن ألقى الكفار أجمعين وسلم المسلمون وهذه صورة ذلك

فقطعت يداه ورجلاه فمات
وقيل صلب حيا على باب كيسان بدمشق ثم قال هشام للاوزاعى يا أبا عمرو فسر لنا ما قلت قال قضى الله على عبد ما نهى عنه بنى آدم أن يأكل من الشجرة ثم قضى عليه فأكل منها وأمر ابليس أن يسجد لآدم وحال بين ابليس والسجود وقال حرمت عليكم الميتة ثم قال فمن اضطر فأحلها بعد ما حرمها ومن كان يميل الى هذا المذهب أيضا غيلان وهو ذو الرمة الشاعر قال اختصم ذو الرمة ورؤبة الراجز عند بلال بن أبى بردة فقال رؤبة والله ما فحص طائر أفحوصا ولا تقرمص سبع قرموصا الا بقضاء من الله وقدر فقال ذو الرمة والله ما قدر الله على الذئب أن يأكل حلوبة عيائل ضرائك فقال رؤبة أفبقدرته أكلها هذا كذب على الذئب فقال ذو الرمة الكذب على الذئب خير من الكذب على رب العالمين * قوله عيائل جمع عيل وهو ذو العيال وضرائك جمع ضريك وهو الفقير وعن اسحق بن سعد قال أنشدنى ذو الرمة قوله

وعينان قال الله كونا فكانتا * يعولان بالالباب ما يفعل الخمر

فقلت له فعولين خبر الكون

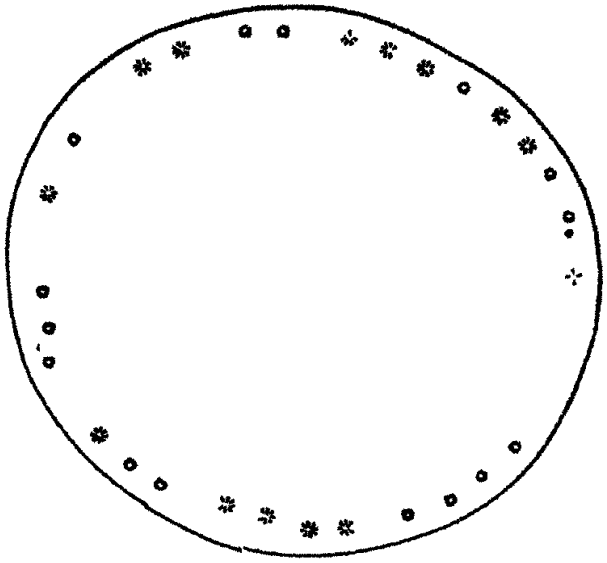

والمسلمون هم الحمر وابتداء العدد منهم أولا ويبتدئ من أول الاربعة الحمر الى جهة الشمال فينتهي التاسع الى آخر السودا الخمسة ثم يبتدئ من الاحمرين بالعدد وهكذا الى أن تلقى السود باجمعها ولقد ذكرتها النور الدين علي بن اسمعيل الصفدي وهو من الذكاء في الغاية فاعجبته وأخذ يكررها مدة فيقول أربعة مسلمون ثم خمسة كفار ثم مسلمان ثم كافر وهكذا الى أن ينتهي العدد ثم يعود يريد بذلك حفظ ترتيبها فقلت له هذا متعب وقد يشذ عنك وقت الحاجة فقال كيف أصنع بحفظ هذا الترتيب فلما رأيت تشوقه لذلك قلت له الضابط في هذه بيت واحد تجعل حروفه المعجمة للكفار والمهملة للمسلمين وهو

ولما فتنت بلحظ له * عذلت فما خفت من شامت

فلما امتحن ذلك وصح قال لي كشفت عني غمة وبعضهم يحفظ له بيتا آخر وهو

الله يقضي بكل يسر * ويرزق الضيف حيث كانا

ولك أن تقيد ذلك بحروف الجمل فتقول

دهبا جا أبجا بيا

١٢٥٤ ١٣ ٣٢٢١ ١٢٣١

وذلك أربعة وخمسة واثنان وواحد وثلاثة وواحد وواحد واثنان واثنان وثلاثة وواحد واثنان واثنان وواحد ورأيت من يضع وفقا على عدد بيوت الرقعة ويضع في أبياته اعدادا مخصوصة فيحصل من مجموعها وفق كيفما عددته من اليمين الى الشمال وبالعكس أو من فوق الى أسفل وبالعكس أو من قطريه تجده مائتين وستين عددا لا يختلف وفي أربعة أركانه أربعة أوفاق كل منها وفق بذاته على نقل الفرزان وهذه صورته

علامة المسلمين هذا الدائرة التي باطنها أبيض وما عداها علامة الكفار وذلك لعدم وجود الاحمر الذي نبه عليه المؤلف في الصفحة التي تلي هذه اه

فقال لي لو سبحت ربحت انما قلت فعولان وانما تحرز ذو الرمة بهذا الكلام عن القول بخلاف مذهبه والله تعالى أعلم بالصواب

(وأشار بذبح الجعد)

(أما الجعد) فهو ابن درهم مولى بني الحكم كان يسكن دمشق ويعلم مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية فنسب اليه وقيل مروان الجعدي ويروى أن أم مروان كانت أمة وكان الجعد أخاها وهو أول من تكلم بخلق القرآن من امة محمد بدمشق ثم طلب فهرب ثم نزل الكوفة فتعلم منه الجهم بن صفوان القول الذي نسب اليه الجهمية وقيل ان الجعد أخذ ذلك من أبان بن سمعان وأخذه أبان من طالوت بن أعصم اليهودي الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم وكان يقول بخلق القرآن وكان طالوت زنديقا وهو أول من صنف لهم في ذلك ثم أظهره الجعد بن درهم فقتله خالد بن عبد الله القشيري يوم الاضحى بالكوفة

وكان واليا عليها أتى به فى الوثاق فصلى وخطب ثم قال فى آخر خطبته انصرفوا وضحوا بضحاياكم تقبل الله منا ومنكم فانى اريد اليوم أن أضحى بالجعد بن درهم فانه يقول ما كلم الله موسى تكليما ولا اتخذ الله ابراهيم خليلا تعالى الله عما يقول علوا كبيرا ثم نزل وحز رأسه بالسكين بيده وطفئت نار نتنته الى أن نشأت فى أيام ابن أبى داود * وأما خالد فهو ابن عبد الله بن يزيد بن أسد القشيرى البجلى كان من أمراء الدولة الاموية ولى اليمن ومكة من قبل الوليد ابن عبد الملك وولاه هشام العراقين بعد عمر بن هبيرة وله مكايدات وأخبار فمن أعجبها ما حكى أن ابن هبيرة لما هرب من سجن خالد ووفد على هشام وأمنه أرسل خالد فائته من الخيل فى المضمار فدا نتخبها وأمر السواس ان يعارضوا بها هشاما اذا ركب وكان هشام معجبا بالخيل لا يشتهى ان يكون عند غيره من جيدها شئ فلما ركب هشام رأى خيلا راقته فسأل القوم عنها لمن هى فقالوا لابن هبيرة فاستشاط غضبا وقال واعجبى اختان ما اختان ثم قدم فوالله ما رضيت عنه بعد وهو يوائمنى

١

١	٢	٦٣	٦١	٦٠	٥٩	٧	٨
٩	١٠	٥٤	٥٣	٥٢	٥١	١٥	١٦
٤٨	٤٧	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٤٢	٤١
٤٠	٣٩	٣٧	٢٨	٢٩	٣٠	٣٤	٣٣
٣٢	٣١	٣٥	٣٦	٣٧	٣٨	٢٦	٢٥
٢٤	٢٣	٤٣	٤٤	٤٥	٤٦	١٨	١٧
٤٩	٥٠	١٤	١٣	١٢	١١	٥٥	٥٦
٥٧	٥٨	٦	٥	٤	٣	٦٣	٦٤

وقيل ان المأمون كان لا يجيد اللعب بالشطرنج ويقول عجبا منى كيف أدبر ملك الارض ولا أحسن تدبير رقعة ذراعين فى ذراعين وقال النور الاسعردى

أعييت اذ لاعبت بالشطرنج من * أهوى فابدى خده توريدا
وغدا لفرط الفكر يضرب أرضه * بقطاعة لما انثنى مجهودا
فطفقت أنشده هناك معرضا * وجوانحى فيه تذوب صدودا
رفقا بهن فما خلقن حديدا * أو ما تراهما أعظما وجلودا

وقال محمد بن شرف القيروانى فى مدح الشطرنج حرب رجال وخيل عجال وفرسان ورجال قريبة الآجال سريعة عودة الجمال تستغرق الفكره وتسلب اللب استلاب السكره وتترك اللسان وما أراد أساء وأجاد الا انها تدنى مجلس الصعلوك من أشراف الملوك حتى لا يكون بينهما فى أقرب بقعه الا عرض الرقعه وربما التقت ثيابهما فى بيت القطعه ولسانهما على بيت القطعه لعب أصولى وغريب صولى قريحاجى ولعب حلاجى مظفر الفئه براها عن مائه بيوته حصينه وشاهه مصونه ودوابه مجتمعه وشاهه ممتنعه جيد النظر شديد الحذر لا يبقى ولا يذر عينه تغلى وفكرته تعلى ويده تبلى وقال فى ضد ذلك آخر الطبقة وأول الآبقه لعب كل يطرح له الكل رخه أبدا فيل وشاهه قتيل لعب برمدو يكمد لعب الغريب فيه غريب والصواب فيه لا يصاب دفع ما فيه نفع وقطع على تطع ما فى دفعاتها أغراب ولا لوقعاتها اطراب طويل حد الرقعه كثير مس القطعه على طول امساك وثقل حراك قلت ويعجبنى قول القائل

وهبك أتقنتها ماذا أتيت به * يا زوج أكبر ما فيها من القطع

(رجع الكلام الى قول الطغرائى) وقد استعار الحديث للعلى لان العلى أمور معنوية لا تتصف بالكلام ولكنه لما جرب وجود العز بالنقلة والحركة صارت التجربة عنده علما استفاده فصار كأنه حدثته العلى بذلك فاسند ذلك الى العلى تعظيما للرواية فى اسنادها الى العلى ليتلقاها السمع بالقبول وقوله وهى صادقة جملة اعتراضية اعترض بها وقد زاد الكلام

To: www.al-mostafa.com

حسنا التأكيد الصدق عند المخاطب كما تقول حدثني فلان وهو صدوق فيما يرويه طلبا للتأكيد في قبول ما يأتي به من الرواية عمن يروي الحديث عنه وهذا أبلغ من قوله ان العلي حدثني فيما تحدث ان العز في الفقر ومن الجمل الاعتراضية قوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم فاعترض اعتراضين أحدهما أصل والثاني فرع الاول اعتراضه بقوله وانه لقسم بين قوله بمواقع وبين قوله انه لقرآن كريم الثاني انه اعترض بقوله لو تعلمون بين قوله وانه لقسم وبين قوله عظيم وقد رأيت ما أفادت هاتان الجملتان في الاعتراض من الجزالة والبلاغة ومثل هذا الاعتراض يسميه المتأخرون حشوا للوزن يجيء كقول عوف بن محكم

ان الثمانين وبلغتها * قد احوجت سمعي الى ترجمان

فقوله وبلغتها حشو يتم المعنى بدونه ومن فوائد هذا الحشو تكميل الوزن وافادة اللفظ رونقا لو عدمه لم يكن وقد تتعدد فوائده كقول أبي بكر القهستاني

كأني لما بي تحت الحشا * وحاشاك فوق شفا أو شغن

الشغن أخشن ما يكون من الجلود كالتمساح وغيره فقوله وحاشاك حشو يتم المعنى بدونه ولكنه أفاد هنا ثلاث فوائد اقامة الوزن والدعاء للمحبوب والجناس ومثل هذا قول أبي الحسين الجزار يمدح فخر القضاة نصر الله بن بصاقة من أبيات

ويهتز للعدوى اذا ما مدحته * كما اهتز حاشا وصفه شارب الخمر

وههنا افاد الحشو كمال الوزن وتنزيه الممدوح وهو الاحتراس والرونق الذي لولاه لم يكن في البيت على ان ابا الحسين أخذه من ابن الساعاتي حيث يقول

يهزه المدح هز الجود سائله * أولا وحاشاه هز الشارب الثمل

وهذا من الاحتراس في الادب مع الممدوح اذا خاطبه الشاعر أو الصغير اذا خاطب الكبير وما أحسن قول القاضي الفاضل

يد الجود عندي من يديك عظيمة * واعظم منها عندي الحمد والشكر

ومجلسك الاعلى المطهر مسجد * فما قلت خذها خيفة انها الخمر

وكان المولى جمال الدين ابن نباتة قد امتدح الشيخ الامام العلامة كمال الدين محمد بن علي الزملكاني رحمه الله بقصيدة تائية مطولة اولها

قضى وما قضيت منكم لبانات * متيم عبثت فيه الصبابات

واستطرد في اولها الى ذكر الخمر واوصافها ونعوتها وأطال في ذلك فقال المولى شمس الدين محمد بن يوسف الخياط الدمشقي قصيدة تائية على وزنها ومدح الشيخ كمال الدين بها ولم يتغزل بالخمر ثم قال في آخرها

ما شان مدحيك وصفي للسلاف ولا * اضحت مساجد شعري وهي حانات

والجماعة كلهم اخذوا لفظة حاشا من ابي الطيب حيث يقول

ويحتقر الدنيا احتقار مجرب * يرى كل ما فيها وحاشاه فانيا

وقد يفيد الحشو البيت حسن المناسبة ايضا كقول ابي الطيب

وخفوق قلب لو رأيت لهيبه * يا جنتي لوجدت فيه جهنما

في الخيل على بعد فدعا به وهو يسير في عرض الموكب فجاء مسرعا فقال له هشام ما هذه الخيل فكأنه فطن لما صنع خالد فقال خيل أمير المؤمنين اخترتها وطلبتها من مضانها حتى جمعتها لك فمن يقبضها فأعجبه ذلك وسلت خالد عن أمرها وفسدت مكيدته ولم يزل ابن هبيرة يغري به الغوائل الى ان عزل وأقام بالشام برهة ثم عذب الى أن مات سنة ست وعشرين ومائة في خلافة الوليد بن يزيد وكان جوادا فصيحا عظيم الهمة الا انه كان مارقا في الدين * فاما جوده فان حيص بيص الشاعر دخل عليه يوما فقال اني مدحتك ببيتين قيمتهما عشرة آلاف درهم فاحضرها حتى أنشدهما فاحضر الدراهم ثم أنشد حيص بيص يقول

قد كان آدم قبل حين وفاته * أوصاك وهو يجول بالحوباء

بنيه ان ترعاهم فرعيتهم * وكفيت آدم عيلة الابناء

فدفع اليه خالد الدراهم وأمر ان يضرب اسواطا وينادى عليه هذا جزاء من لا يعرف قيمة شعره ثم قال له ان قيمتهما مائة الف وروي انه دخل على خالد شيخ كبير فقبل بين يديه فقال شيخ جذبه اليك سنة أبدت العظام فان

فقوله ياجنتي حشويتم المعنى بدونه ولكن افاد الوزن والمناسبة بين لفظة الجنة وجهنم ولو قال ياماليكي لكان تورية ولكن جنتي الطف في اللفظ واغزل وقد يفيد التورية كما انشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

لوذقت بردثناياه ومبسمه * ياحار مالمت اعطاه في التي ثملت

فقوله ياحار حشويتم المعنى بدونه ولكن أفاد كمال الوزن والتورية في حارفانه ورى به أنه ينادي اسم حرث مرخم وهو يريد الحمار الذي هو مرادف السخن بدليل قوله بردثناياه وهذا مع مافيه من النظر في حار في غاية الحسن وأخبرني انه أنشده للمولى الفاضل شرف الدين حسين ابن القاضي جمال الدين سليمان بن رياض فقال له وكذا لو قلت ياصاح بدل ياحار فانه يخدم معك في المعنيين لان صاح ترخيم صاحب وصاح اسم فاعل من الصحو ويرشحه للتورية ثملت وهذا في غاية الذوق اللطيف وقد أورد كثير من الناس في هذا الباب قول كثير عزة

ولوان عزة حاكمت شمس الضحى * في الحسن عند موفق لقضى لها

وأقول ان هذا ليس من الحشو في شيء لان من شروط ذلك ان يكون المعنى تاما بدونه ولا تمام لهذا المعنى بدون موفق لانه لابد أن يقول عند حاكم أما كونه موفقا أو غير موفق فهذا من متممات البلاغة اذ قوله موفق مبالغة لاحتمال أن يظن بالحاكم أنه يميل في حكمه لامر ما فاذا كان موفقا فلا غالب ورود هذا النوع اما بالنداء كقول المتنبي ياجنتي في البيت الذي تقدم وكقول بن الساعاتي

تود نجوم الليل لو نصلت بها * وان لقيت بؤسا ذوابل ملده

ولو تملك الحكم الا هلة لم تكن * ويا لخسرها الا نعما لجرده

وأما بلفظة حاشا كقول القهستاني والجزار وقد تقدما وحكي ان ابن حيوس لما سمع قول ابن الخياط

لم يبق عندي ما يباع بدرهم * وكفاك شاهد منظري عن مخبري

الا بقية ماء وجه صنتها * عن ان تباع وأين أين المشتري

قال لو قال وأنت نعم المشتري لكان أحسن قلت اشتهر هذا بين الناس واستحسنه أهل الادب وليس ذلك واردا على ابن الخياط فانه لكل مقام مقال وابن الخياط هنا ليس في مقام التعرض للاستماحة من أحد بل هو في مقام تشك وتظلم من الدهر وانه من الفقر في غاية ولم يبق ما يباع له غير ماء وجهه ولو باعه لعز وجود المشتري له لعدم الكرام ألا ترى كيف أكده بقوله أين ثانيا وما أحسن قول البارع

قد تعففت وارتضيت بتدفيع زماني وقلت اني وحدي

لا لاني أنفت مع ذا من الكد * بة أين الكرام حتى أكدي

ومن محاسن الاعتراض والحشو قول المضرب السعدي

فلو سألت سرات الحي سلمى * على أن قد تلون بي زماني

لخبرها بنو أحساب قومي * وأعدائي وكل قد بلاني

وقول كثير عزة

لو ان الباخلين وأنت منهم * رأوك تعلموا منك المطالا

رأيت أن تجبره بفضل وتنعشه بسجل قال خالد على ان اقارعك فان قرعتك لم أعطك شيا وان قرعتني أعطيتك فقارعه خالد فقرعه فقال اقلني فاقاله ثم قارعه اخرى فقرعه أيضا فقال أقلني فاقاله ثانية ثم قارعه فقرع خالدا فقال اقلني فقال لخالد لا اقالني الله اذا فقال أعطوه بدرة يدخلها في حر أمه فقال وأخرى أيها الامير أدخلها في استها فضحك وأمر له ببدرتين وكان يقول أيها الناس لو رأيتم البخل لرأيتموه مشوها تنفر منه القلوب وقال له بعض أصحابه والله انا لنسالك امورا لا حاجة لينا بها فقال ولم قال لعلمنا بحبتك فيمن سالك حاجة واما فصاحته فحنها انه أقام على المنبر بواسط فحمد الله وصلى على نبيه ثم قال أيها الناس تنافسوا في المكارم وسارعوا الى المغانم ومهما يكن لاحدكم عند احد نعمة فلم يبلغ شكرها فالله أحسن له جزاء وأجزل عليه عطاء واعلموا ان حوائج الناس اليكم نعم من الله عليكم فلا تملوها فتحول نقم وأفضل المال ما اكسب أجرا وأورث ذكرا واجود الناس من اعطى من لا يرجوه ومن لم يطلب حرثه لم يزك نبته

وقول أبي تمام الطائي

وان الغنى لي لو لحظت مطالبي * من الشعر الا في مديحك أطوع

وهذا البيت فيه اعتراضان أحدهما بين اسم ان وخبرها والثاني ما استثنى به من قوله الا في مديحك بين ان الغنى أطوع من الشعر وبين لو لحظت مطالبي وتقدير هذا البيت وان الغنى لو لحظت مطالبي لي أطوع من الشعر الا في مديحك يعني فانه لا يتقدم مديحك شعر وقد عده جماعة في الحشو والاعتراض وأنا أرى أن أبا تمام قد أذهب حلاوته بتقديم ألفاظه وتأخيرها وهو من باب التعاطل كقول الفرزدق ومامثله في الناس البيت وقلت أنا في هذا النوع

حسبي الذي ألقاه من ألم الهوى * وعلى الصحيح فبعض ذاك كفاني
فانظر الى قلبي اذا فابلته * ياغصن كيف يطير بالخفقان

وقلت أيضا

لا تلح قلب الشجي تقابل * معروف أهل الهوى بمنكر
فلو ترشفت ريق فيه * كنت يقينا ياصاح تسكر

ووقفت على أبيات لجماعة تغزلوا في المشايخ فقلت رداً عليهم

كم قد أقمنا على حب العذارلمن * يهواه عذرا اذا ما جاء يعتذر
وما لحينا على حب اللعى أحدا * قد هام فيها وقلنا الأمر يغتفر
فكيف نقضي على حب الشيوخ وهل * يكون في الشيب حسن قط يادرر

فقولي هنا يادرر أفاد تمام الوزن والقافية والتورية في الشيب والدرة وقلت أيضا في مليحة في يدها سوار

تكون من بردزندها * وجمر السوار عليه ائتلق
فلا ذا على ما علمت انطفا * ولا ذا وحاشاه من ذا احترق

فقولي وحاشاه الضمير يعود على الزند وهو حشو حسن هنا وظرف من قال موالیا

جازت تفاطعت قالت مد في جزرك * خاب الذي أملوا في وصلنا خورك
شيخ مفلس وقد هد الكبر ازرك * ترى الطبيب وصف يامن دفه بزرك
لو أن في شرف المأوى بلوغ مني * لم تبرح الشمس يوما دارة الحمل

(اللغة) الشرف العلو والمكان العالي قال الشاعر

آتي الندى فلا يقرب مجلسي * وأقود للشرف الرفيع حماري

يقول خرفت فلا ينتفع برأيي ولا أستطيع أركب حماري الا من مكان عال وجبل مشرف أي عال واذن شرفاء أي طويلة وشرفة القصر واحدة الشرف التي تكون في أعاليه المأوى كل مكان يأوي اليه الشئ ليلا أو نهارا ومنه قوله تعالى سآوي الى جبل يعصمني من الماء ومأوى الابل بكسر الواو لغة في مأوى الابل خاصة وجنة المأوى أحد الجنات الثمانية وقد نطق بها القرآن الكريم وهي جنة الفردوس وجنة النعيم وجنة المأوى وجنة عدن وجنة الخلد ودار المتقين ودار السلام ودار القرار والنار سبع وهي جهنم والجحيم وسقر ولظى والحطمة والسعير والهاوية بلوغ مصدر بلغت المكان اذا وصلت الى حده ومنه قوله تعالى

والاصول عن مغارسها تنمو وباصولها تسمو أقول قولي واستغفر الله لي ولكم ومنها انه صعد يوما المنبر فارتج عليه الكلام فقال أيها الناس ان الكلام يجبن أحيانا ويعزب أحيانا ور بما طلب فأبى وكوبر فعصى والتأني لجبنه أيسر من التعاطي لابيه وقد يختلج في الجري جنانه ويتعاصى على الذرب لسانه ثم لا يكابر القول اذا امتنع ولا يرد اذا اتسع وأولى الناس من عذر على النبوة ولم يؤاخذ على الكبوة من عرف ميدانه اشتهر احسانه وسأعود وأقول ثم نزل * وأما مروقه من الدين واستهتاره فحكى انه حفر بئرا بمكة عذبة الماء ثم نصب طستا الى جانب زمزم ثم خطب فقال قد جئتكم بماء العاذبة لا تشبه ماء ام الخنافس يعني زمزم ثم قال ان نبي الله اسمعيل استسقى ربه فسقاه ملحا اجاجا وسقى أمير المؤمنين عذبا زلالا فراتا يعني هذا البئر (وحكي) أن سفيان بن أبي عبد الله قال سمعت خالدا القشيري على المنبر وكان بنو أمية أمروا بلعن علي على المنابر يقول اللهم افعل بعلي بن أبي طالب بن عبد المطلب زوج فاطمة وأبي الحسن والحسين كيت وكيت وكان مع ذلك

فاذا بلغن أجلهن أى وصلن منى جمع منية وهى ما يتمناه الانسان لم تبرح يقال لا أبرح عن ذلك أى لا أزال أفعله الشمس ياتى الكلام عليها فيما بعد دارة الحمل ما أعرف الدارة الا للقمر والشمس اللهم الا أن يكون أراد الدارة لغة وهى ما يدور حول الشئ والحمل أول برج من بروج الكواكب الاثنى عشر وشرف الشمس فى تسع عشرة درجة منه ويخص هذا البرج من الثمانية وعشرين منزلة منزلتان وثلث وهى السرطان وهما قرنا الحمل وتسمى هذه المنزلة النطح وما أحلى قول حسان بن المصيصى

ان النطاح من الورى خلق * حتى الكواكب بينها النطح

والمنزلة الثانية هى البطين وما أحلى قول بعضهم

وعلق تعلقته بعد ما * غدا وهو من سقطات المتاع
ولم يبق فيه على ما يقا * لشئ سوى أكلة والوداع
فاعجلته عن دخول الكنيف * بجهل مطاع وحلم مضاع
فغرقنى منه نوء البطين * وغرق منى بنوء الذراع

وقول بن التعاويذى من أبيات

فبت وباتت الى جانبى * يعد المنازل فيها كلانا
ترينى البطين ولكننى * اقارضها فأريها الزبانا

وبعض الثريا والثريا فى صورة الحمل بمثابة الالية والحمل هو الكبش يقال ان بعضهم كان اذا لعب الشطرنج مع أى من كان تضارب معه فوصف لبعض الظرفاء فقال أنا ألعب معه والتزم انه لا يحصل بيننا تضارب فلما أتى اليه ولعبا وقال له فى أثناء اللعب شاه استر فقال مليح والله القرنان أنت والقواد أنت فقال يا أخى ما الذى قلت قال قلت استر وهى تصحيف اشتر وما يشتر الا الحمل والحمل تصحيف الحمل والحمل هو الكبش والكبش هو القرنان والقرنان هو الذى يقود فقال له يا أخى ما رأيت من يضارب بتصحيف وتفسير وتسلسل غيرك قلت كذا حكاه لى جماعة وهو غلط لان اشتر لا يعرفه أهل اللغة والذى يقولونه فى كل ذى كرش انه يجتر بالجيم فاعرفه وكتب محيى الدين يوسف بن يوسف بن زبلاق الى بدر الدين بن لؤلؤ صاحب الموصل صحبة حمل أهداه اليه

يا أيها المولى الذى * يباب كل أمل
لو لم تكن بدر الما * أهدى لك الثور الحمل

وللصابى رسالة حسنة كتبها عن أبى العباس بن سابور المستخرج الى أبى الخير بن سبرة أطال فيها وأطاب منها وقلت اذ نحه فيكون وظيفة للعيال واقمه رطبا مقام قديد الغزال فانشدنى وقد اضرمت النار وحدت الشفار وشمر الجزار

اعذها نظرات منك صادقة * ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

وقال ما الفائدة فى ذبحى وانا

لم يبق الا نفس خافت * ومقلة انسانها باهت

وللحمدونى فى شاة أبى سعيد بن احمد عدة مقاطيع منها

أبا سعيد لنا فى شاتك العبر * جاءت وما أن لها بول ولا بعر

وكيف

يبر قوما من بنى هاشم فحكى أن محمد بن عبد الله بن عمرو ابن عثمان اتاه يستمنحه فلم يرمنه ما يحب فقال اما المنافع فللهاشميين واما نحن فاحبوتنا منه الاشتمه عليا على منبره فبلغ خالدا ذلك فقال ان احب تناولنا له عثمان بشئ

(وقتل بشار بن برد)

هو بشار بن برد بن برجوج الشاعر المقدم من مخضرمى الدولتين الاموية والعباسية كان جده من طخارستان من سبى المهلب ويدعى انه مولى بنى عقيل وحدث عن نفسه قال لما دخلت على المهدى قال لى فيمن تعد يا بشار فاجبته وقلت أما اللسان فعربى وأما الاصل فعجمى كما قلت فى شعرى يا أمير المؤمنين ونبئت قوما بهم جنة

يقولون من ذا وكنت العلم
ألا أيها السائلى جاهلا
ليعرفنى أنا أنف الكرم
نمت فى الكرام بنو عامر
فروعى وأصلى قريش العجم
وكان يتاون فى ولائه فتارة يفتخر بقيس وتارة بغيرهم وتارة ينشد ويقول

أصبحت مولى ذى الجلال وبعضهم
مولى العذيب فخذ بفضلك واظهر
وارجع الى مولاك غير مدافع

وكيف تبعر شاة عندكم مكثت * طعامها الابيضان الشمس والقمر
لو أنها أبصرت في يومها علفا * غنت له ودموع العين تنحدر
يا مانعي لذة الدنيا بأجمعها * اني ليقنعني من وجهك النظر

وقد فعل الحمدوني في هذه الشاة كما فعل في طيلسان أحمد بن حرب المهلبي ولكن مقاطيع الطيلسان فوق الخمسين وكلها بديع وقال بعضهم

اطعمنا الشيخ رئيس الكفاه * فوق ثمان من جدي شواه
فكان ما عمر في موته * اضعاف ما عمره في الحياه

ومما اشتهر بين الادباء قولهم أخف من دينار يحيى وهو يحيى بن علي بن منارة بلي بالعباس ابن الوليد المصيصي الخياط لما أعطاه دينارا خفيفا فقال فيه عدة مقاطيع منها

دينار يحيى زائد النقصان * فيه علامة سكة الحرمان
قد رق منظره ودق خياله * فكأنه روح بلا جثمان
اهداه مكتتما الى برقعة * فوجدته أخفى من الكتمان

وضرطة وهب وما احسن قول ابن الرومي يعتذر له

قد اكثر الناس في وهب وضرطته * حتى اقدم لما قالوا وقد بردا
لم تعل ضرطة هاجيه كضرطته * في الذاكرين ولم يحسد كما حسدا
يا وهب لا تكترث بالعائبين لها * فانما انت غيث وبمار عدا

وظرف ابن قلاقس في قوله في لحية بعضهم

هي فوق الصدر قد سد * ته من شرق لغرب
لحية ردته في النا * س ولا ضرطة وهب

ولاحمد بن ابي طاهر مصنف في الاعتذار عن ضرطة وهب ويقال ان يعقوب ابن المهدي كان لا يقدر أن يمسك الغساء اذا جاء فاتخذت دابة له مثلثة وطينتها وتأنقت فيها فلما وضعتها تحته فسا وقال هذه المثلثة ليست بطيبة فقالت له فديتك قد كانت طيبة وهي مثلثة فلما ربعتها فسدت وقيل أن بعضهم وقعت في رجله شوكة فلما حركتها زوجته بالابرة ضرط فقال لها رأيتيها فقالت لا ولكني سمعت صوتها وقال النور الاسعردي يضمن قول المرضى

قلت اذ نام من أحب وأيدي * ضرطة آذنت اشملي بجمع
فاثني أن أرى الديار بطرفي * فعلى أرى الديار بسمعي

وقيل انه كان لمطيع بن اياس صديق من العرب يجالسه فضرط ذات يوم عنده فاستحى وغاب عن المجلس فتفقده مطيع حتى عرف السبب فكتب اليه

أظهرت منك لنا هجرا ومقلية * وغبت عنا ثلاثا ليس تغشانا
هون عليك فاني الناس ذو ابل * الا وأينقه يشردن احيانا

ودخل البديع الهمذاني على الصاحب بن عباد فتزحزح له واجلسه على السرير معه فخبق البديع حبقة وأراد أن ينفي عن نفسه التهمة فقال يا مولانا هذا صرير التخت فقال الصاحب بل صفير التخت فخرج خجلا وانقطع عن المثول بين يديه فكتب اليه الصاحب

قل للصفيري لا تذهب على خجل * من ضرطة أشبهت نايا على عود

سبحان مولاي العلي الاكبر
وكان يلقب بالمرعث لرعاث كان في أذنه وهو صغير والرعاث القرط وقيل لبيت ذكر فيه الرعاث وولد اعمى فكان يقول اشد ما هجيت به قول الباهلي حيث يقول

وعبدي فقأ عينيك في الرحم ابره
فحثت ولم تعلم لعينيك فاقتا

وكان يشبه الاشياء بما لا يقدر عليه البصراء وسئل عن ذلك فقال عدم النظر يقوي ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل بما ينظر اليه من الاشياء فيتوفر حسه وسئل ابو عبيدة من اشعر عندك ابشار ام مروان بن ابي حفصة فقال بن بشار احكم لنفسه بامور لم يعطها غيره وذلك انه قال لي اثني عشر الف بيت جيد فقيل له كيف ذلك فقال لي اثني عشر الف قصيدة ان لم يكن في كل قصيدة بيت جيد فلعنها الله ولعن قائلها وكان يتهم بالزندقة وروى الجاحظ قوله

الارض مظلمة والنار مشرقة
والنار معبودة مذ كانت النار

وقال بهذا البيت وجدوا صل ابن عطاء السبيل الى تكفير بشار وخطب فيه خطبته المحذوفة الراء (وحكى) سعيد ابن مسلم قال كان بالبصرة ستة من اصحاب الكلام

فانها الريح لا تستطيع تحبسها * اذلست أنت سليمان بن داود

وقيل ان بعض الفقراء أصابه قولنج شديد في بعض المساجد فجعل يتكرب ويتقلق ويقول يا الله ضرطة وأقلق رفاقه فلما كان الصبح أشرف على الهلاك وعاين الموت فقال يا الله الجنة فقال له بعض رفاقه ما رأيت أحمق منك أنت من المغرب الى الآن تسأله ضرطة ما فرحت بها وتسأله الجنة ومن الالغاز في ذلك

ومولودة لم تعرف الطمث أمها * وليس لها روح ولا تتحرك
يقهقه منها القوم من غير رؤية * وصاحبها من عارها ليس يضحك

وما أظرف قول شمس الدين محمد بن دانيال في ابن البعريني

أمسي الضياء منادمي وحشا لي * محشوة بغرائب الاخلاط
عصفت على رياحه فوجدتها * أقوى هبوب بامن رياح شباط
قد كنت انعس لانتشاق فسائه * غشيا فيوقظني بصوت ضراط
مازلت أنشق منه ريحا منتا * حتى استحال الى الخراء مخاطي
يا أيها المفتوق من أرياحه * هذي النصيحة فيك للخياط

وكان الامير علم الدين سنجر المروزي والي القاهرة يعرف بالخياط وقال ناصر الدين بن النقيب

انفلتت منه ضرطة سمعت * فكاد منها يحمى العرق
فالتزقت في دون فاعلها * وما ظننت الضراط يلتزق

ووقف بين يدي الحجاج أو غيره رجل من البادية فلما أخذ في الكلام ضرط فضرب يده على استه وقال اما ان تتكلمي وأسكت واما ان تسكتي وأتكلم أنا مع الامير وقلت انا مضمنا في ضروط

عاتبت من سد سمعي صوت فقعته * ولم اجد ملجأ لي من مطاردها
فقال فوق ضرائطي كلما سخت * أنام ملء جفوني عن شواردها

وممن له شهرة بين المحدثين غسيل الملائكة وهو حنظلة بن أبي عامر الانصاري خرج يوم أحد فأصيب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا صاحبكم قد غسلته الملائكة وقتيل الجن وهو سعد بن عبادة ومصافح الملائكة وهو عمران بن الحصين وحمى الدبر وهو عاصم بن ثابت ابن أبي الافلح حمته النحل الى ان كان الليل فاجتحفه السيل ولم يصل عداه الى حز رأسه وذو الشهادتين وهو خزيمة بن ثابت الانصاري شهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في قضاء دين اليهود وذو العينين وهو قتادة بن النعمان أصيبت عينه يوم أحد فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وذو اليدين وهو عبيد بن عبد عمرو الخزاعي كان يعمل بيديه معا وذو العمامة وهو أبو أحيحة سعيد بن العاص بن أمية كان اذا لبس عمامته لم يلبس قرشي عمامته حتى ينزعها وذو الثدية وكان باب الخوارج وكبيرهم وجد بين القتلى يوم النهروان كانت احدى يديه مخدجة كالثدي وعليها شعيرات وذو الثفنات وكان يقال ذلك لعلي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ولعلي بن عبد الله بن عباس لما على أعضاء السجدات منهما من شبه ثفنات البعير وذو السيفين وهو أبو الهيثم بن التيهان لتقلده في الحروب بسيفين وذات النطاقين وهي أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما لانها شقت نطاقها لسفرة ليلة خرج أبوها والنبي

عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء وبشار الاعمى وعبد الكريم ابن ابي العوجاء وصالح بن عبد القدوس ورجل من الازد يعني جرير بن حازم فكانوا يجتمعون في منزل الازدي ويختصون عنده فاما عمرو وواصل فصارا الى الاعتزال واما عبد الكريم وصالح فصحا الثنوية واما الازدي فمال الى السمنية وهو مذهب من مذاهب اهل الهند واما بشار فبقي متحيرا فقيل انه قال بعد بمذهب الثنوية وبعده تزندق قال احمد بن خالد كنت اكلم بشارا وارد عليه سوء مذهبه بميله الى الالحاد فكان يقول لا أعرف الا ما عاينت او عاينه معاين وكان يطول الكلام بيننا فقال لي ما أظن الامر يا أبا مخلد الا كما يقال انه خذلان ولذلك أقول

طبعت على ما في غير مخير * هواي ولو خيرت كنت اهذبا
اريد فلا اعطى واعطى فلم أرد * وغيب عني ان أنال المغيبا
واصرف عن علمي وعلمي مبصر * فامسي وما اعقبت الا التعجبا

وروى المازني قال قال رجل لبشار اتأكل اللحم وهو مباين لمذهبك فقال انما ادفع به شر هذه الظلمة

ومثل هذه الحكايات المنسوبة اليه دبر عليه يعقوب وزير

صلى الله عليه وسلم مهاجرين الى المدينة وسيف الله وهو خالد بن الوليد وسيأتي الكلام عليه والذين ثبتوا مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين حين فر الناس عنه تسعة وهم أبو بكر وعمر وعلي والعباس وأبو سفيان بن الحرث وابنه الفضل وربيعة بن الحرث واسامة بن زيد وأيمن بن أم أيمن بن عبيد وقتل يومئذ وبعض الناس يعد قثم بن العباس ولم يعد أبا سفيان وعماله شهرة بين ذوي الاخبار درة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال الشعبي كانت درة عمر أهيب من سيف الحجاج وقميص عثمان وهو الذي تضرج بدمه يوم قتل وفقه العبادلة وهم عبد الله بن مسعود وعبد الله ابن عباس وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن الزبير وذكاء اياس بن معاوية القاضي وشيبة عبد الحميد ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب وكان من أجمل أهل عصره أصابته شجة في وجهه فلم تشنه وما أحسن قول محيي الدين ابن قرناص في مليح مشتور

لم يشنه شتر الجفن ولا نقص حسنه
سيف ذاك اللحظ ماض * فلهذا شق جفنه

وشيبة الحمد وهو عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وذلك انه لما ولد كان في ذؤابته شعرة بيضاء وملاعب الاسنة وهو عامر بن الطفيل وازواد الراكب وهم ثلاثة من قريش مسافر بن أبي عمرو بن امية وزمعة بن الاسود بن عبد المطلب بن عبد العزى بن قصي وأبو امية المغيرة ابن عبد الله بن عمرو بن مخزوم سموا بذلك لانهم لم يتزود معهم أحد في سفر قط وعروة الصعاليك وهو عروة بن الورد كان اذا شكى اليه أحد أعطاه فرساور محا وقال له ان لم تستغن بذلك فلا أغناك الله وسليك المقانب وهو سليك بن سلكة وكان أعدى الناس حتى أن الفرس لم تدركه وطفيل الاعراس وهو من غطفان وقيل من موالي عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه وكان يتتبع الاعراس فيأتي اليها من غير دعوة واليه نسبة الطفيلي وأشج بني أمية وهو عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه جاء الحديث فيه الاشج والناقص أعدلا بني أمية والناقص هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان وكان فيه تاله وسمي بالناقص لانه كان ناقص الورك بين في قول المدني وقال غيره كان أسمر حسن الوجه نحيف الجسم معتدل القامة أعرج وقيل لانه نقص الناس من عطائهم والاول أصح وجبار بني العباس وهو هرون الرشيد لانه أغزى ابنه القاسم الروم فقتل منهم خمسين ألفا وأخذ منهم خمسة الاف دابة بسرجها الفضة ولجمها وأغزى علي بن عيسى بن ماهان بلاد الترك فقتل منهم أربعين ألفا وغزا هو بنفسه الروم ففتح هرقلة وأخذ الجزية من ملك الروم وقيافة بني مدلج وعيافة بني لهب وبنات طارق وهن بنات العلاء بن طارق بن أمية بن عبد شمس يضرب بهن المثل في الحسن والشرف وبنات الحرث بن هشام يضرب بهن المثل في الشرف وغلاء المهر وزرقاء اليمامة كانت تبصر الشيء من مسيرة ثلاثة أيام وبغلة أبي دلامة يضرب بها المثل في جميع العيوب وعير أبي سيارة وهو رجل من عدوان كان له حمار أسود أجاز الناس عليه من المزدلفة الى منى أربعين سنة ويوسف هذه الامة قاله عمر رضي الله عنه في جرير بن عبد الله البجلي وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وكان بديع الجمال تام الحسن طويلا يصل الى سنام البعير وقيل ذراع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه مسحة ملك وفارس الاسلام وهو سعد بن أبي وقاص

المهدي حتى قتل (حكى) ابن نصر قال قدم بشار من البصرة الى بغداد وقد مدح المهدي بقصيدته الرائية ثم أنشده اياها فلم يحظ منه بشيء فقيل انه لم يستجد شعرك فقال والله لقد مدحته بشعر لو مدح به الدهر لم يخش صرفه على احد ولكنا نكذب في القول فنكذب في الامل ثم مدح يعقوب ابن داود وزيره فلم يحفل به ولم يعطه شيأ وأقام ينتظر جائزته برهة فمر يعقوب يوما ببشار فصاح بشار طال الثواء على رسوم المنزل فقال يعقوب

فاذا تشاء ابا معاذ فارحل

فغضب بشار وقال يهجوه

بني امية هبوا طال نومكم
ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا
خليفة الله بين الناي والعود

ثم رحل وحضر حلقة يونس النحوي فقال ههنا من تحتشمه فقال لا فانشده هجاءه في المهدي وهجاءه في يعقوب فسعى به الى يعقوب وكان المهدي قد قدم البصرة فدخل عليه يعقوب وقال للمهدي ان بشارا زنديق وقد قامت عليه البينة وقد هجا امير المؤمنين فامر ابن نهيك وهو صاحب الشرطة بأمره ثم

أحد العشرة وهو أول من رمى بسهم فى سبيل الله عز وجل وكان مجاب الدعوة وهو مقدم الجيوش فى فتح العراق وآخر من خرج من الحد رسول الله صلى الله عليه وسلم قثم بن العباس وكان ممن يشبه النبى صلى الله عليه وسلم وهم خمسة أنشدنى من لفظه لنفسه الشيخ الامام الحافظ فتح الدين محمد ابن محمد بن سيد الناس بالقاهرة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة

لخمسة شبه المختار من مضر * ياحسن ماخولوا من شبهه الحسن
لجعفر وابن عم المصطفى قثم * وسائب وأبى سفيان والحسن

فاما جعفر فهو ابن أبى طالب وأما قثم فهو ابن العباس وأما السائب فهو ابن عبيد جد الشافعى وأما أبو سفيان فهو ابن الحرث بن عبد المطلب وأما الحسن فهو ابن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين وأول مولود ولد فى الاسلام وفارس قريش هو عبد الله بن الزبير وهو أحد السادات الطلس وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يلحد بمكة كبش من قريش اسمه عبد الله قاتله عليه مثل نصف أوزار الناس ومن السادات الطلس القاضى شريح وهو شاعر زاجر قائف وأول من سمى فى الاسلام عبد الملك هو عبد الملك بن مروان قال فيه ابن عمر ولد الناس ابناء وولد مروان أبا والطلحات المعدودون فى الجود طلحة بن عبيد الله أحد العشرة وهو طلحة الفياض وطلحة الجود وهو ابن عمر بن عبيد الله بن معمر التيمى وطلحة الدراهم وهو ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق وطلحة الخير وهو ابن الحسن بن على بن أبى طالب ولم يعقب وطلحة الكندى وهو ابن عبد الله ابن عوف الزهرى وطلحة الطلحات وهو ابن عبيد الله بن خلف الخزاعى وأجواد الاسلام عبد الله بن عباس بن عبد المطلب وعبد الله بن جعفر بن أبى طالب وسعيد بن العاص بن سعد بن العاص بن أمية وعبيد الله بن عامر بن كريز وحمزة بن عبد الله بن الزبير بن العوام وعمر بن عبيد الله بن معمر التيمى وخالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن العيص وقيس بن سعد بن عبادة الانصارى وعتاب بن أبى ورقاء أحد بنى رباح بن يربوع ابن حنظلة وأسماء بن خارجة بن حصن بن بدر الفزارى وعبيد الله بن ابى بكرة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحاب النوادر ابن أبى عتيق وأشعب الطمع وأبو الغصن يحيى وأبو العيناء وأبو العير وأبو العنبس وأبو الخصاص وزيد المدنى وأغربة العرب ثلاثة عنترة العبسى وخفاف بن ندبة وسليك بن السلكة والفتاك عبد الرحمن ابن ملجم قاتل على بن أبى طالب كرم الله وجهه وشمر بن ذى الجوشن قاتل الحسين ابن على بن أبى طالب وعمير بن جرموز قاتل الزبير بن العوام وأبو لؤلؤة فيروز قاتل عمر بن الخطاب وأصحاب العاهات من الملوك الاسكندر كان أخنف وأنوشروان كان أعور ويزدجرد كان أعرج وجذيمة الوضاح كان أبرص والنعمان بن المنذر كان أحمر العينين والشعر وعبد الملك بن مروان كان أبخر ويزيد بن عبد الملك كان أقنم وهشام بن عبد الملك كان أحول ومروان الحمار كان اشقر ازرق وعبد الله بن الزبير كان كوسجا والهادى كان فى شفته العليا تقلص وكان ابوه المهدى قد رتب معه خادما يلازمه متى غفل وفخ فاه يقول له موسى اطبق وابراهيم بن المهدى كان اسود سميناً يلقب بالتنين واربعة من اهل البصرة لم يمت كل منهم حتى رأى من ولده وولد ولده مائة انسان وهم أنس مالك الانصارى وابو بكرة مولى النبى صلى الله عليه وسلم وعبد الرحمن بن عمير الليثى وخليفة بن السعدى وخليفة سلم عليه وعمه وعم ابيه

ازف خروجهم فاخرجه ابن نهيك معه فى زورق فلما كانوا بالبطيحة ذكره فارسل الى ابن نهيك يأمره بضرب بشار بالسياط ضرب التلف ويلقيه بالبطيحة فاقيم فى صدر السفينة وامر الجلادين ان يضربوه ضربا متلفا ففعل يقول كلما وقع عليه السوط هس وهى كلمة تقولها العرب عند الالم فقال بعضهم انظروا الى زندقته ماتراه يحمد الله تعالى فقال بشار ويلك اثر يد هو احمد الله عليه فلما بلغ سبعين سوطا اشرف على الموت فالقى فى صدر السفينة فقال ليت عين ابى الشمقمق ترانى حين يقول

ان بشار بن برد

تيس اعمى فى سفينه

ثم مات من ساعته فالقى فى خرارة البطيحة فحمله الماء الى البصرة فاخذه اهله ودفنوه (وحكى) ابن خلاد قال لما ضرب بشار بعث المهدى الى منزله من يفتشه على كتب الزندقة فوجدوا طوما رافيه بسم الله الرحمن الرحيم انى أريد هجاء آل سليمان بن على فذكرت قرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فتركتهم اجلالا له صلى الله عليه وسلم فلما قرأه بكى وندم على قتله وقال

وعم جده يرون وهو هرون الرشيد عمه هو سليمان بن المنصور والعباس بن محمد هو عم ابيه
المهدى وعبد الصمد بن على بن عبد الله بن عباس هو عم جده المنصور وخليفة سلم عليه سبعة
كلهم ابن خليفة وهو المتوكل سلم عليه محمد بن الواثق واحمد بن المعتصم وسليمان بن
المأمون وعبد الله بن محمد وأبو احمد بن الرشيد والعباس بن موسى ومنصور بن المهدى
واعرق الناس فى الخلافة هو المنتصر بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد بن المهدى بن المنصور
واعرق الناس فى الوزارة ابو على الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب كان
ابو على وزير المقتدر وابوه القاسم وزير المعتضد وسليمان وزير المهتدى وبعده للمعتمد واخو أبى
على ابو جعفر وزير القاهر ولم يتقلد الخلافة من ابوه حى سوى الطائع لله وابى بكر الصديق
رضى الله عنه وكلاهما اسمه ابو بكر وليس لهم خليفة هاشمى من هاشمية غير الحسن بن على
رضى الله عنهما ومحمد الامين بن زبيدة ولم يل الخلافة من اسمه جعفر الا المقتدر والمتوكل
وقتلا جميعا المتوكل ليلة الاربعاء والمقتدر يوم الاربعاء قال الصولى الناس يرون أن كل
سادس يقوم بامر الناس منذ أول الاسلام لابد أن يخلع النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر
وعثمان وعلى والحسن خلع ثم معاوية ويزيد ومعاوية ومروان وعبد الملك وعبد الله بن
الزبير خلع وقتل ثم الوليد وسليمان وعمر بن عبد العزيز ويزيد وهشام والوليد بن يزيد خلع
ثم أتى الله بالدولة العباسية فكان السفاح والمنصور والمهدى والهادى والرشيد والامين
خلع ثم المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين خلع ثم المعتز بالله والمهتدى
والمعتمد والمعتضد والمكتفى والمقتدر خلع فى فتنة ابن المعتز ثم رد الى هنا قول الصولى
قال صاحب رأس مال النديم ثم القاهر ثم الراضى ثم المتقى ثم المستكفى ثم المطيع ثم
الطائع خلع قلت ثم القادر والقائم والمقتدى والمستظهر والمسترشد والراشد خلع ثم المقتفى
والمستنجد والمستضئ والناصر والظاهر والمستنصر بالله قيل انه مات مسموما وكان الذى سمه
خلعه فخلع وقتل أيام قلاوون لما فتحت بغداد وكذلك العبيديون وهم الذين تسموا بالفاطميين
وأول من ملك الغرب المهدى عبيد الله والقائم بامر الله والمنصور صاحب افريقية والمعز
بانى القاهرة والعزيز والحاكم قتلته أخته وولت ابنه الظاهر والمستنصر والمستعلى والآمر
والحافظ والظافر فخلع وقتل وولى ابنه الفائز والعاضد وهو آخرهم وكذلك بنو أيوب فى ملك
مصر أولهم صلاح الدين وولده العزيز وأخوه الافضل بن صلاح الدين والعادل الكبير أخو
صلاح الدين والكامل ولده والعادل الصغير خلع قبض عليه أمراء دولته وأحضروا أخاه
الصالح نجم الدين أيوب وكذلك دولة الاتراك أولهم المعز وابنه المنصور والمظفر قطز والظاهر
وابنه السعيد واخوه العادل سلامش خلع وملك السلطان المنصور سيف الدين قلاوون
وخرج عليه سنقر الاشقر بدمشق ثم فر الى حصن صهيون ثم ملك الاشرف خليل بن قلاوون
ثم أخوه الناصر محمد وتوجه الى الكرك فتولى كتبغا ثم تولى حسام الدين لاجين فخلع وقتل ثم
طلب الناصر ثم رحل الى الكرك فتولى الجاشنكير بيبرس المظفر ثم عاد الناصر ومات فملك
المنصور أبو بكر وبعده الاشرف كجك ثم الناصر أحمد فخلع وقتل ثم ولى الصالح اسمعيل ثم
الكامل شعبان ثم المظفر حاجى ثم الناصر حسن ثم الصالح صالح ثم عاد الناصر حسن أدام الله
أيامه وأما من اشتهر من الفقهاء فهم فقهاء المدينة السبعة وقد نظمهم بعض الشعراء فقال

لاجزى الله يعقوب خيرا فانه
لما هجاه لقى عليه شهودا
على انه زنديق فقتله وندمت
حين لا ينفع الندم * ومن
مستظرف اخبار بشار قال له
هلال بن عطية يوما يمازحه
وكان صديقا له ان الله تعالى
لم يذهب ببصر احد الا عوضه
منه شيأ فما عوضك قال
الطويل العريض قال وما هو
قال انى لا اراك ولا امثالك
من الثقلاء ثم قال يا هلال
اتطيعنى فى نصيحة انتفع
بها قال نعم قال انك كنت
تسرق الحبر زمانا ثم تبت
وصرت رافضيا فعد الى سرقة
الحبر فهى والله خير لك من
الرفض * ومرت به نسوة
حسان فقلن له ايسرك اننا
بناتك يا ابا معاذ فقال اى
والله والدين كسروى ويقال
انه كفر بهذا اللفظ فانه اراد
بسمرى ايضا ان الدين كسروى
ودخل يوما الحمام وفيه بعض
ولد قتيبة فقال يا بشار وددت
انك تبصر فترانى فى الحمام
وتعلم كذبك فى قولك
حيث قلت
على استاه سادتهم كتاب
موالى عار وسيم بنار
فقال بشار يا ابن اخى ذهب
عنك الصواب انما قلت
سادتهم ولست منهم وكان
يوما فى مجلس المهدى ينشده
قصيدة فى مدحه فدخل خال

الاكل من لا يقتدى بأئمة * فقسمته ضيزى عن الحق خارجه
فخذهم عبيد الله عروة قاسم * سعيد أبو بكر سليمان خارجه

فعبيد الله هو ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلى وعروة هو ابن الزبير ابن العوام والقاسم هو ابن محمد بن أبى بكر الصديق وسليمان هو ابن يسار مولى ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم وسعيد هو ابن المسيب وأبو بكر هو ابن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام بن المغيرة وخارجة هو ابن زيد بن ثابت الانصارى ورواة الاقوال القديمة عن الشافعى رضى الله عنه أربعة وهم أبو على الحسن الزعفرانى وأبو ثور واحمد بن حنبل والكرابيسى ورواة الاقوال الجديدة عنه ستة وهم المزنى والربيع ابن سليمان الجيزى والربيع بن سليمان المرادى والبويطى وحرملة ويونس بن عبد الاعلى وأصحاب القفال كلهم أصحاب وجوه فى المذهب منهم أبو على السنجى والقاضى حسين والشيخ أبو محمد الجوينى والد امام الحرمين والفورانى والمسعودى والصيدلانى وفى مقابلة القفال من العراقيين الشيخ أبو حامد الاسفرايينى شيخ العراقيين فى وقته وأصحابه أصحاب وجوه فى المذهب ومن مشاهيرهم أقضى القضاة الماوردى صاحب الحاوى والقاضى أبو الطيب والمحاملى والبندنيجى (رجع) وقد أطلت فى سرد هذه الاشياء ولكن ماخلت من افادة ان شاء الله تعالى ولم يكن من فوائد التاريخ الا واقعة رئيس الرؤساء مع اليهودى لكنى وذلك أن بعض اليهود أظهر كتابا ادعى فيه انه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم باسقاط الجزية عن أهل خيبر وفيه شهادة الصحابة منهم على بن أبى طالب رضى الله عنه وحمل الكتاب الى رئيس الرؤساء فعرضه على الحافظ أبى بكر خطيب بغداد فتأمله وقال هذا زور فقيل له من أين لك هذا وقال فيه شهادة معاوية وهو أسلم عام الفتح وفتوح خيبر سنة سبع وفيه شهادة سعد بن معاذ وقد مات سعد بوم بنى قريظة قبل خيبر بسنتين (الاعراب لو) تقدم الكلام عليها فى قوله ولا أخل بعزلان تعارلنى البيت (أن) حرف ينصب الاسم ويرفع الخبر وفتحت أن ههنا لانها غير ماذكر فى الشروط الستة التى توجب كسرها (فى شرف) جار ومجرور وفى هنا ظرفية تتعلق بمحذوف هو خبر أن تقديره مستقر فالجار والمجرور هنا سد مسد الخبر وتقدم على اسم ان لان الخبر مجرور ومتعلق بنكرة (المأوى) مجرور بالاضافة ولم يظهر الجر فيه لانه مقصور ويكتب بالياء لدخول الامالة فيه ولانه من أويت (بلوغ) منصوب على انه اسم أن والخبر تقدم الكلام عليه (منى) فى موضع جر بالاضافة ولم يظهر الجر فيه لانه مقصور ويكتب بالياء لان واحده منية (لم) حرف يجزم المضارع ومعناه النفى وقد تقدم الكلام عليه ٣ (تبرح) فعل مضارع مجزوم بلم وانما حركت الحاء لالتقاء الساكنين وهما الحاء ولام التعريف فى الشمس وتبرح من أخوات كان ترفع الاسم وتنصب الخبر وهذه الجملة جواب الشرط الذى فى لو (الشمس) مرفوع على انه اسم تبرح والالف واللام لتعريف الحقيقة أو للعهد الحسى أو الذهنى (يوما) منصوب على انه مفعول فيه فهو ظرف والعامل فيه تبرح (دارة) مفعول به ولا يكون خبرا لتبرح لانها هنا تامة اكتفت باسمها كقوله تعالى فلن أبرح الارض فان قلت لاى شئ جعلتها تامة ولم تجعل الشمس اسمها ودارة خبرها قلت لان المعنى حينئذ يفسد لان الخبر فى هذا الباب انما هو الخبر الذى كان خبرا فى أول الامر فى باب المبتدا والخبر والخبر صفة يحكم بها على المبتدا تقول زيد قائم فاذا أدخلت كان قلت كان زيد قائما

المهدى وكان فيه غفلة فقال لبشار ما صناعتك فقال اثقب اللؤلؤ فضحك المهدى وكل من حضر * وجلس اليه رجل فاستثقله فضرط فظن الرجل انها انفلتت منه غضبا ثم ضرط اخرى ثم اخرى فقال له الرجل ما هذا الفعل فقال مسه أرايت ام سمعت فقال بل سمعت صوتا قبيحا قال فلا تصدق حتى ترى فقام الرجل من ساعته وتركه * ووقف عليه بعض المجان وهو ينشد شعرا له فقال يا بشار استرشعرك كما تسترعورتك فغضب بشار وصفق بيديه وتفل عن يمينه ويساره وكان يفعل ذلك اذا غضب واراد ان يقول هجاء ثم قال ويلك من انت فقال انا من باهلة واخوانى من باهلة واخوالى من سلول واصهارى من عك ومنزلى نهر بلال فضحك بشار وقال اذهب فانت عتيق لؤمك (وحكى) ابو عبيدة قال كان حماد عجرد يتهم بالزندقة وكان يعير بشارا بقبح خلقته فلما قال فيه والله ما الخنزير فى نتنه

بربعه فى النتن او خمسه
بل وجهه احسن من وجهه
ونفسه افضل من نفسه

فقال بشار ويلى على الزنديق لقد نفث عما فى صدره قيل وكيف قال ما اراد الزنديق

٣ (قوله) اسم تبرح الموافق لجعلها تامة كما سيذكره جعل المرفوع بعدها فاعلا اه فالقائم

فالقائم هو زيد وزيد هو القائم فلو جعلت دارة خبر الشمس لما حسن هذا الان الشمس لا تكون دارة للحمل ولا تتصف بذلك فتعين ان تكون تبرج تامة اكتفت باسمها عن الخبر قال الشيخ جمال الدين محمد ابن مالك جميع الباب يأتي تاما الا ليس وفتئ وقال في التسهيل ان أريد بتبرح تذهب سميت تامة اه ويحتمل أن تكون دارة منصوبة بنزع الخافض أي لم تبرح الشمس يوما من دارة الحمل ونزع الخافض كثير منه قوله تعالى واختار موسى قومه أي من قومه وقوله تعالى الا من سفه نفسه أي في نفسه وقول الشاعر

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به * أي أمرتك بالخير ويحتمل أن تكون تبرح بمعنى تفارق فيكون المعنى لم تفارق الشمس يوما دارة الحمل وهذا أحسن وأما قول أبي الطيب

٣ اذا كان شم الروح أدنى اليكم * فلا برحتني روضة وقبول

فللناس فيه كلام طويل وعابوا على ابن جني رحمه الله ما فسره به لانه جعل برح من أخوات كان التامة وأتى فيه بتأويل بعيد وأحسن ما قيل فيه قول المخزومي وهو أن رحيلا واحدا بيننا في الحياة وبعده رحيل ثان وهو الموت فلا أن يكون رحيل واحد أقرب من أن يكون رحيلان فدعا لنفسه بالحياة لانه مادام يشم الروح فهو أقرب منه اليهم اذا صار تحت التراب وهذا هو الصحيح وما سواه هدر ويكون برح هنا بمعنى فارق كما ادعيته في بيت الطغرائي (رجع الحمل) مجرور بالاضافة اليه والاضافة معنوية بمعنى اللام والالف واللام هنا للمح الصفة فيما غلب عليه الاستعمال في العلمية (المعنى) لو أن المقام في المكان الشريف يبلغ المنى ما برحت الشمس مقيمة في دارة الحمل لانها في هذا البرج تشرف في تسع عشرة درجة منه وهبوطها في برج الميزان وقد ظرف أبو الجوائز هبة الله الواسطي في قوله

اني لاعجبني الفتاة اذا رأت * أن المروءة في الهوى سلطان
لاكالتي وصلت وأكبر همها * في خدرها النقصان والرجحان
وكذاك شمس الافق في أبراجها * تعلو وبرج هبوطها الميزان

وهذا الذي مثله الطغرائي في غاية الحسن وفيه حث على الحركة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سافروا تصحوا واغزوا تستغنوا وفي حديث آخر سافروا تصحوا وتغنموا وفي التوراة مكتوب ابن آدم أحدث سفرا أحدث لك رزقا وقالت العرب من أجدب انتجع وقالوا الحركات بركات وقيل لاعرابي أين منزلك قال بحيث ينزل الغيث وما أحكم قول أبي الطيب

وكل امرئ يولي الجميل محبب * وكل مكان ينبت العز طيب

وقال البحتري

واذا الزمان كساك حلة معدم * فالبس له حلل النوى وتغرب

وقال ابن دراج القسطلي

دعي عزمات المستضام تسير * فتنجد في عرض الفلا وتغور
ألم تعلمي أن الثواء هو التوى * وان بيوت العاجزين قبور

وقال أبو اسحق الغزي

ياخليلي حلها عاطل البيـ * ـيد بوجه النجيبة الشملال
زحل أكبر الكواكب لا يحـ * ـمل الامن قلة الاثقال

الا قول الله تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم فاخرج الجود بها مخرج الهجاء وهذا خبث شديد من بشار وتغلغل وقد وقع بشار ايضا في مثل هذه الواقعة حدث السري بن الصباح قال دخلت على بشار بالبصرة فقال أما اني قد اوجعت صاحبكم وبلغت منه يعني حماد عجرد قلت بماذا يا ابا معاذ فقال بقولي هذا وانشد يقول

يا ابن نهار أس علي ثقيل * واجتمال الرأسين خطب جليل
فادع غيري الى عبادة ربـ * ـين فاني بواحد مشغول

فقلت له قد بلغ حمادا هذا الشعر ولكنه يرويه على خلاف هذا قال فما يقول قلت له يقول

فادع غيري الى عبادة ربـ * ـين فاني عن واحد مشغول

فلما سمعه اطرق وقال احسن والله ابن الفاعلة ثم كان يقول اذا سئل عن هذين البيتين ليس هما لي * ومن كلام بشار وكان الجاحظ يعده مع شعره من الخطباء المذكورين قوله لقد عشت في زمان فادركت اقواما لو اخلقت الدنيا ما تجمات الا بهم واني لفي زمان ما أرى فيه عاقلا حصيفا ولا جوادا شريفا ولا جليسا ظريفا ولا

قلت قوله أكبر الكواكب ليس على ظاهره من أن مراده ان جرمه أكبر من أجرام الكواكب لان جرم الشمس أكبر منه على ما يأتى فى شرح قوله وان علانى من دونى فلا عجب البيت والشعرى العبور أكبر جرما منه أيضا نعم هو أكبر من جرم القمر على ما تقرر فى علم مساحات الافلاك والكواكب فى الهيئة ولكن الغرض أراد بأكبر الكواكب أحد أمرين اما أنه فى الفلك السابع وما سواه من الكواكب تحته واما على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه كأنه أراد فلك زحل ولذلك قال أبو العلاء المعرى

زحل أشرف الكواكب دارا * من لقاء الردى على ميعاد

فلم يرد بشرفه الا أن فلك زحل أكبر أفلاك الكواكب السيارة وقوله لم يحمل الا من قلة الانتقال فيه ايهام انه قد يلبث فى مكان دون مكان فيكون قليل الانتقال وليس كذلك انما زحل لا يقطع فلكه دون دورة كاملة الا بعد مضى ثلاثين سنة تقريبا لاتساع دائرة فلكه فهو لا ينى ولا يفتر من الانتقال طرفة عين ولكن هو بالنسبة الى غيره من الافلاك كأنه قليل الانتقال ولاجل هذا من عانى الحركات والسكنات بالطالع انما يعول على حركات القمر لانه فى كل شهر يقطع فلك البروج الاثنى عشر ولا يعرج على زحل فى هذه الاشياء وهذا معنى قوله عند أصحاب المطالع وأغرب من هذا أنهم يقولون فى فلك البروج انه فلك الثوابت وليس كذلك ولكن لما كان هذا الفلك انما يدور الدورة التامة على ما يزعمونه فى كل ثلاثين ألف سنة مرة واحدة قالوا فلك الثوابت مبالغة فى بطء حركته (رجع) قال ابن قلاقس

ان كنت تبغى وطنا * من العلا فاغترب
فالسمر فى غاباتها * معدودة فى القصب
والشمس لا ترقب فى الـ * ـمشرق لو لم تغرب

وقال ابن الساعاتى

وكن غانيا عن كل أرض باختها * وان حل مغناها كواعب عين
فلولا فراق الدر أصداف بحره * لأنكره تاج وصدر جبين

وقال أيضا

ولا يصدك عن شئ ترفعه * فربما صار وردا نازح السحب
لم يشرف الدر لولا هجر موطنه * والبدر لم يتم حتى جد فى الطلب

وقال آخر

فالتبر كالترب ملقى فى مواطنه * والعود فى أرضه نوع من الحطب

وهو مأخوذ من قول الآخر

أضيع فى معشر وكم بلد * بعد عود الكباء من حطبه

وأنشدنى من لفظه الشيخ الامام العلامة حجة العرب أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف فى شعبان المعظم سنة ثمان وعشرين وسبعمائة بالقاهرة قال أنشدنى أبو الحسين القشيرى بقراءتى عليه قال أنشدنى أبو الحسن على بن أحمد الصوفى المؤذن ببستة قال أنشدنى أبو الشكر حماد بن هبة الله ابن حماد بحران لنفسه

قالوا نراك كثير السير مجتهدا * فى الارض تنزلها طورا وترتحل

من يساوى على الخبرة رغيفا
* وقال الاصمعى قلت لبشار ان الناس يعجبون من أبياتك فى المشورة ويعنى بذلك قوله
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة
فان الخوافى عدة للقوادم
فقال يا أبا سعيد ان المشاور بين صواب يفوز بثمرته أو خطا يشارك فى مكروهه
* ومات لبشار ولد فقيل له أجر قدمته وذخر أحرزته فقال بلى ولد دفنته وثكل عجلته وغيب وعدته فانتظرته وان لم أجزع للنقص لم أفرح بالمزيد
* ومن محاسن شعره قوله

حرم الله أن يرى كابن سلم
عقبة الخير مطعم الفقراء
مالكى تنشق عن وجهه الار
ض كما انشقت السماء عن ذكاء
ليس يعطيك للرجاء ولا الخو
ف ولكن يلذ طعم العطاء
لا ولا أن يقال شيمته الجو
د ولكن طبائع الآباء

وقوله من قصيدة فى المهدى

تسلى عن الاحباب وصال خلة
وصرام أخرى ما يقيم على أمر
وركاض أفراس الصبابة والهوى
بموت جحاشم استقلت كما أجرى
الى ملك من هاشم فى نبوة
ومن جمير فى الملك والعدد الدثر

فقلت لو لم يكن فى السير فائدة * ما كانت السبع فى الابراج تنتقل

ونقلت من مسودات بخط القاضى شمس الدين أحمد بن خلكان ما صورته ومن الشعر المنسوب الى الشهاب السهروردى المقتول ما رواه عنه الجلال سليمان بن أبى القاسم بن داود الديلمى المخلفا الى قال أنشدنى الشهاب لنفسه بخلاط فى سنة احدى وثمانين وخمسمائة

أقول لجارتى والدمع جارى * ولى عزم الرحيل من الديار
ذرينى أن أسير ولا تلومى * فان الشهب أشرفها السوارى

وقلت أنا

سافر تنل عز الغنى مسك الورى * الادم فى سرة الغزلان
والرمح لما فارق الوطن اغتدى * بذؤابة خفقت وتاج سنان

وقلت أيضا

سافر تنل رتب المفاخر والعلى * كالدر سار فصار فى التيجان
وكذا هلال الافق لو ترك السرى * ما فارقته معرة النقصان

وفى قول الطغرائى فى هذا البيت من البديع الايضاح وارسال المثل أما ارسال المثل فانه واضح لان كل من سمعه وحفظه تمثل به فيما يليق من المواقع وأما الايضاح فانه أزال به اللبس من خفاء الحكم الذى ادعاه فى البيت الذى تقدمه وهو ان العز فى النقل فهذا حكم خاف عند المخاطب حتى يوضحه بقوله لو أن فى شرف المأوى البيت فيزول اللبس ويتضح الحكم

(أهبت بالحظ لو ناديت مستمعا * والحظ عنى بالجهال فى شغل)

(اللغة) أهاب الراعى بغنمه اذا صاح بها لتقف أو لترجع وأهاب بالبعير وهاب زجر للخيل وهى زجر للفرس معناه توسعى وتباعدى الحظ النصيب والجد وجمع القلة أحظ والكثرة حظوظ وأحاظ على غير قياس كأنه جمع أحظ ولقد حظظت تحظ فأنت حظ وحظيظ ومحظوظ وأنت أحظ من فلان ناديت النداء الصياح مستمعا اسم فاعل من استمع الجهال جمع جاهل والجهل خلاف العلم تقول جهل جهلا وجهالة شغل فيه أربع لغات شغل بضم الشين وسكون الغين وبضمهما وشغل بفتح الشين وسكون الغين وشغل بفتحهما (الاعراب أهبت) فعل ماض من أهاب والتاء ضمير الفاعل (بالحظ) الباء هنا للتعدية والالف واللام للعهد الذهنى والجار والمجرور فى موضع النصب (لو) تقدم الكلام عليها فى قوله ولا أخل بغزلان البيت (ناديت) فعل ماض والتاء ضمير الفاعل (مستمعا) منصوب على أنه مفعول به لناديت (والحظ) الواو للابتداء الحظ مرفوع على الابتداء (عنى) جار ومجرور والنون الثانية نون الوقاية والياء ضمير المتكلم وهى فى موضع جر بعن (بالجهال) جار ومجرور والباء تتعلق بشغل (فى شغل) فى هنا ظرفية وهى متعلقة بمحذوف تقديره مستقر فوضع الجار والمجرور رفع على انه خبر للمبتدا وهو الحظ وتقديره والحظ مستقر فى شغل بالجهال عنى وما أحلى قول من قال

ورقيع أراد أن يعرف النحو وبزى الاحبار لا المستفتى
قال لى لست تعرف النحو مثلى * قلت سلنى عنه أجبك لوقتى
قال ما المبتدا وما الخبر المجرور أخبر فقلت ذقنك فى استى

من المشبرين الجد تندى من الندى
يداه ويندى عارضاه من العطر
فالزمت حبلى حبل من لا يعيبه
عفاه الندى من حيث يدرى ولا يدرى

وقوله فى لبائية المشهورة

اذا كنت فى كل الامور معاتبا
صديقك لم تلق الذى لا تعاتبه
فعش واحدا أو صل أخاك فانه
يقارف ذنبا تارة ويجانبه
اذا أنت لم تشرب مرارا على القذى
ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه

ويقول فيها ايضا

ولما تولى الحر واعتصر الثرى
لدى القيظ من نجم توقد لاهبه
غدت عانة تشكو بأبصارها الصدى
الى الحأب الا انها لا تخاطبه

ومنها يقول

اذا الملك الجبار صعر خده
مشينا اليه بالسيوف نعاتبه
كأن مثار النقع فوق رؤسنا
واسيافنا ليل تهاوى كواكبه

وقوله من قصيدة لخالد البرمكى ويقال ان خالدا كتب هذه الابيات فى صدر مجلسه وهى

اخالد ان الجد يبقى لاهله
جمالا ولا يبقى الكثير على الكد

وأنشدني من لفظه لنفسه المولى القاضي شمس الدين محمد بن علي بن أيبك السروجي قال أنشدني من لفظه لنفسه المولى زين الدين عمر بن الوردي وأنشدنيه فيما بعد اجازة ونقلته من خطه

وأغيد يسألني * ما المبتدا والخبر
مثلهما لي مسرعا * فقلت أنت القمر

(المعنى) صحت بالحظ وطلبت اقباله لو أني ناديت من يسمعني لأن الحظ اشتغل عني بالجهال وهذا ينظر الى قول عبد الرحمن بن الحكم

لقد أسمعت لو ناديت حيا * ولكن لا حياة لمن تنادي

والصحيح أن الحظوظ لا تعلل فما وجدانها وعدمها باستحقاق من الطرفين بل الله سبحانه وتعالى يرزق من يشاء بغير حساب قال الله تعالى والله فضل بعضكم على بعض في الرزق وقال تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد قلت نعم آمنت وصدقت انه لا ينفع ذا الجد منه الجد ولا معطي لما منع ولا مانع لما أعطى اذ سبحانه وتعالى هو فعال لما يريد لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون واعلم أن الحظوظ أمور يقدرها الله ويقضيها وقضاؤه وقدره لا يعللان على الصحيح لانه لو كان ما يوجد معللا بعلة لكانت تلك العلة أما قديمة ويلزمها قدم الفعل اذ المعلول يدور مع العلة وجودا وعدما وهو محال واما محدثة ويفتقر الامر في ذلك الى علة أخرى فاما يلزم الدور واما التسلسل وذلك محال وهذا هو المراد بقول مشايخ الاصول كل شئ صنعه ولا علة لصنعه وهذه حجة كافية في هذا الموطن والافللبحث في هذه المسئلة مجال متسع لانها من أمهات الاصول واذا كان الصحيح أن الله تعالى له أن يثيب العاصي ويعاقب الطائع في الدار الآخرة وهي دار القرار ونعيمها وجحيمها أبديان سرمديان فما ظنك بالحظ وهو نصيب هذه الدار الفانية التي لا بقاء لها والحظ فان في هذه الدنيا وثواب الآخرة وعقابها لانهاية لهما ولا نسبة للمتناهي في جنب ما لا يتناهى البتة أفترى أن الله تعالى ليس له أن يهب الحظ لمن يشاء استحقه أو لم يستحقه في هذه الدنيا الفانية قل متاع الدنيا قليل وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور وما أحسن قول أبي الفوارس سعد بن محمد ابن الصفي

علمي بسابقة المقدور الزمني * صبري وصمتي فلم أحرص ولم أسل
لو نيل بالقول مطلوب لما حرم الـ * ـرؤيا الكليم وكان الحظ للعجل
وحكمة العقل ان عزت وان شرفت * جهالة عند حكم الرزق والاجل

قلت قد فرق أرباب العربية بين الرؤيا والرؤية فقالوا الرؤيا مصدر رأى للعلم والرؤية مصدر أرى للعين وغلطوا أبا الطيب في قوله

مضى الليل والفضل الذي لك لم يمض * ورؤيا لك أحلى في العيون من الغمض

قالوا الرؤيا للعلم قال الله تعالى ان كنتم للرؤيا تعبرون فعلى هذا قد وهم هذا الشاعر في استعمال الرؤيا هنا في قوله لما حرم الرؤيا الكليم وانما حرم الرؤية وهذا الغلط قد وقع فيه كثير من الفضلاء وقريب من قول أبي الفوارس قول الآخر

فاطلع وكل من عارة مستردة
ولا تبقها ان العواري للرد

وقوله

دعتني حين شبت الى المعاصي
محاسن زائر كالريم غض
كان كلامه يوم التقينا
رقى ياخذن في طولي وعرضي

وقوله

ربما ثقل الجليس وان كا
ن خفيفا في كفة الميزان
ولقد قلت حين وتد في الار
ض ثقيل ارى على كيوان
كيف لا تحمل الامانة ارض
حملت فوقها اباحروان

وقوله

رايت السهيلين استوى
الجود فيهما
على بعدنا من ذاك في حكم حاكم
سهيل بن عثمان يجود بماله
كما جاد بالرمح سهيل بن سالم

وقوله

ارفق بعمرو اذا حركت نسبته
فانه عربي من قواريز

واما يعقوب الذي اشار بقتل بشار فهو ابن داود بن طهمان السلمي كان في الاصل هو واخوته كتابا لابراهيم بن عبد الله بن حسن المتغلب في ايام المنصور فلما قتل استخفوا فمن عليهم المهدي واطلقهم وكانوا ادباء البراء فصحاء وكان المهدي يتطلب الحسن ابن ابراهيم بن عبد الله فضمن له يعقوب احضاره وتوسط

سلع المطامع لا تفقت فان من * تركَ المطامع كان أربح متجرا
نال الذى تركَ المطامع خلفه * عين الحياة وفاتت الاسكندرا

قال العباس بن المأمون سمعت أمير المؤمنين المأمون يقول قال لى على بن موسى الرضى ثلاثة موكل بها ثلاثة تحامل الايام على ذوى الادوات الكاملة واستيلاء الحمر من على المتقدم فى صنعته ومعاداة العوام لاهل المعرفة وقال أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور استاذن العقل على الحظ فحجبه قلت هذا من جوامع الكلام وهو أنه كلام قليل معناه شريف جزيل يعنى ان الحظ هو الأمير المخدوم المحجب المطاع والعقل هو المأمور الخادم المبذول الممتثل لانه أتى الى باب الحظ والآتى دون من أتى اليه وسعى الى بابه واستأذن عليه لما لم يصل اليه ومن طلب منه الاذن أشرف ممن طلب له فما أذن والمحجوب أقل من المحجب بدركات وذلك أكثر بدرجات لانه لم يكن أهلا للدخول

من لم يكن للوصال أهلا * فكل احسانه ذنوب

ولا ينكر هذا الكلام من أهل بيت النبوة لانهم أحق العالمين بميراث البلاغة والفصاحة والحكم وقال بعض الحكماء قال الحظ للعقل ان شئت سر أو أقم فانى مستغن عنك ومن الكلام النوابغ خيم النقص والجد طنبيه وسافر الفضل والمجد جنيبه وقال بعضهم

كم من غبى غنى * ومن فقيه فقير

وقال الآخر

واذا استقام الدهر يوما للفتى * أغنت سعادته عن التحجيم

ومثله قول محمد بن شرف القيروانى

ونجوم كاساتى طوالع بالمنى * والسعد يستغنى عن التقويم

وحكى ابن أبى طى فى تاريخ حلب عن الوزير عون الدين بن هبيرة أنه قال الناس يتشاءمون بالتربيع وأنا وليت الوزارة يوم الاربعاء رابع ربيع الاول سنة اربعة وأربعين وخمسمائة فقال له ابن أبى الفضل ان تبركت أنت به فقد تشاءمنا نحن به وحكى أبو الفرج المعافى بن زكريا فى كتاب الجليس والانيس قال بينا أبو اسحق مزيد ذات يوم جالس اذ جاءه أصحابه فقالوا يا أبا اسحق هل لك فى الخروج بنا الى العقيق والى قبا والى أحد ناحية قبور الشهداء فان هذا يوم كما ترى طيب فقال اليوم يوم الاربعاء لست أبرح من منزلى فقالوا وما تكره من يوم الاربعاء وهو يوم ولد فيه يونس بن متى فقال بأبى وأمى صلى الله عليه وسلم فقد التقمه الحوت فقالوا يوم نصر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب فقال أجل ولكن بعد اذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وقال أبو عبادة البحترى

الا ليت المقادر لا تكون * ولم تكن الأحاظى والجدود
فيعلم أينا يغدو ويمسى * له هذى المراكب والعبيد

ومثله قول ابن مقلة

واذا رأيت فتى بأعلى رتبة * فى شاهق من عزه المتمنع
قالت لى النفس العروف بقدرها * ما كان أولانى بهذا الموضع

ومن عدم تعليل الحظ قول أبى الطيب

الى ان احضر له الحسن من مكة بأمان المهدى ودخل فى الطاعة وتمكن يعقوب وولى وزارة المهدى وغلب على امره وسره ودانت له الدنيا الى ان طلبه المهدى يوما قال فدخلت عليه وهو فى مجلس مفروش فى غاية الحسن وبستان عظيم وعنده جارية ما رأيت أحسن منها فقال كيف ترى فقلت متع الله أمير المؤمنين لم أر كاليوم فقال هو لك بما فيه والجارية ليتم سرورك فدعوت له ثم قال لى اليك حاجة فقلت الامر لك فقال ضع يدك على رأسى واحلف ففعلت فقال هذا فلان من ولد فاطمة أحب أن تريحنى منه فاستوحش الحسن من صنيع يعقوب وعلم انه كانت لهم دولة لم يعش فيها وان المهدى لا ينظره الى ذلك لكثرة السعاة به اليه والحسدة له فقال يعقوب الى اسحق بن الفضل الهاشمى وكان المهدى معظما فى دولة وهو الذى أخرجه من سجن المنصور فترامى اليه يعقوب وأقبل يريض له الامور فسعوا فيه الى المهدى وقالوا ان البلاد فى يده وأصحابه وانما يكفيه ان يكتب اليهم فيثوروا فى يوم واحد على ميعاد فيأخذوا الدنيا لاسحق بن الفضل فلؤا مسامع المهدى

هو الجد حتى تفضل العين أختها * وحتى يكون اليوم لليوم سيدا

ويعجبني قول ابن قلاقس

ولست ترى في محكم الذكر سورة * تقوم مقام الجد والكل قرآن

قلت انما يمشي على قول من قال ان الفاتحة لا بد منها في كل ركعة وهو مذهب الشافعي ومن تابعه مستدلا بقوله صلى الله عليه وسلم لا صلاة لمن لم يقرأ بالفاتحة وانما سميت السبع المثاني لانها تثنى في كل صلاة فعلى هذا الرأي يحسن بيت ابن قلاقس لانها لم يقم مقامها في الصلاة غيرها فان قلت يحمل ذلك على الفضائل التي وردت فيها قلت قد ورد في آية الكرسي فضائل عدة وفي غيرها من السور والآيات ولم ينفرد من القرآن جميعه بهذه المزية غير الفاتحة على رأي الشافعي أما على رأي من جوز الصلاة بما تيسر من القرآن ولو آية مستدلا بقوله تعالى فاقرؤا ما تيسر منه حتى يكفيه في ذلك مدها متان لانها آية وهو مذهب أبي حنيفة فلا مزية للحمد على غيرها وقد حكى ابن خلكان وغيره من أهل التاريخ ما جرى للقفال المروزي من صلاته بحضرة السلطان يمين الدولة محمود بن سبكتكين على مذهب الشافعي وعلى مذهب أبي حنيفة فمن أراد الوقوف عليها فلينظرها في ترجمة يمين الدولة وقد حكاها امام الحرمين أيضا في كتابه مغيث الخلق في اختيار الأحق ولكن ما رأيت أن أذكرها أنا لما فيها من الشناعة (رجع) وقال أبو اسحق الغزي

والحسن والقبح قد تحويهما صفة * شان البياض وزان الشيب والشنبا

ظبا المحارف أقلام مكسرة * رؤسهن وأقلام السعيد ظبا

والثاني ماخوذ من قول أبي العلاء المعري

لا تطلبن بآلة لك رتبة * قلم البليغ بغيره حظ مغزل

سكن السما كان السماء كلاهما * هذا له رمح وهذا أعزل

وقال ابو اسحق الغزي أيضا

لا تعتبن الزمان ان ذهبت * نيوب ليث العرين من نوبه

فالحول لولا الجدود ما قصرت * أيدي جماداه عن علي رجبه

وقلت أنا

لئن رحت مع فضلي من الحظ خاليا * وغيري على نقص به قد غدا حالي

فاني كشهر الصوم أصبح عاطلا * وطوق هلال العيد في جيد شوال

وقال ابن قلاقس الاسكندري

لولا الجدود لما ارتمت بمسافر * كف الغنى وتعلقت بمقيم

والحظ حتى في الحروف مؤثر * يختص بالترقيق والترخيم

وقال أبو تمام الطائي

لزموا مركز الندى وذرا * وعدتنا عن مثل ذاك العوادي

غير أن الرمى الى سبل الا * سواء أدنى والحظ حظ الوهاد

وقال ابن جني في قول أبي الطيب

أين أزمعت أيهذا الهمام * نحن نبت الربى وأنت الغمام

فأمهله قليلا ثم تجنى عليه جنايات ووضعه في السجن الى ان عمي وأخرج في أيام الرشيد فلما حضر بين يديه قال السلام عليك يا أمير المؤمنين المهدي قال لست به قال الهادي قال لست به قال الرشيد قال نعم فسلم ثم لحق بمكة المشرفة ومات في دولته

*(وانك لو شئت خرقت العادات وخالفت المعهودات)

(الخرق) قطع الشيء وتغييره على سبيل الفساد من غير تدبر وهو ضد الخلق فان الخلق فعل الشيء بتقدير والخرق بغير تقدير ومن ذلك قوله تعالى وخرقوا له بنين وبنات أي حكموا بذلك على سبيل الخرق وقولهم رجل أخرق وامرأة خرقاء لا تفعل الامر باحكام ولا تدبير (والعادة) تكرر الفعل مأخوذ من أعاد الحديث اذا كرره فخرق العادات تغيير ما تكرر أفعاله من المخلوقات واستقر على مرور الايام والليالي وكذلك الامر في قوله (وخالفت المعهودات)

*(فاحلت البحار عذبه * وأعدت السلام رطبه)

(البحر) كل مكان واسع جامع للماء الكثار ويقال في الاصل للماء الملح دون العذب وانما قيل البحران للملح والعذب للتغليب كما يقال العمران

انما خص الربى بالذكر لان نباتها أحسن وقال أبو زكريا الخطيب انما أتى بها للوزن وقال الشيخ تاج الدين الكندى وعندى أن نبت الربى أشد احتياجا للغمام من الوهاد لان الوهاد يمكن أن يسقى من غير الغمام قلت وهذا تأويل شعرى رقيق المأخذ حسن الى الغاية ومما دله على ذلك الاقول أبى تمام وقول أبى العلاء أيضا

ولو أن السحاب همى بعقل * لما أروى مع النخل القتادا
ولو أعطى على قدر المعالى * سقى الهضبات واجتنب الوهادا

وقال الباخرزى

لاحبذا البخت أعيانا ومال الى * قوم يعدهم الارذال أعيانا
يدرع البصل المذموم أكسية * ويترك النرجس المحمود عريانا
وينبت الشوك فى أرض وجارتها * تجنى أكف بغاث الرزق عقبانا

وقال أبو بكر بن اللبانة

ان ضعت والشعر مما قد علمت به * ونال جودك أقوام وما شعروا
فالجود كالمزن قد يسقى بصيبه * شوك القتاد ولا يسقى به الزهر
ان لم أكن أهل نعمى أرتجيك لها * فالسلك خيط وفيه تنظم الدرر

وقال مهيار الديلمى

لاتحسب الهمة العليا موجبة * رزقا على قسمة الارزاق لم يجب
لوكان أفضل ما فى الناس أسعدهم * ما انحطت الشمس عن عال من الشهب
أوكان أسير ما فى الأفق أسلمه * دام الهلال فلم يعشق ولم يغب

وقال الطغرائى

وأعظم مابى انى بفضائلى * حرمت ومالى غيرهن ذرائع
اذا لم يزدنى موردى غير غلة * فلا صدرت بالواردين مشارع

وقال القاضى الفاضل

ماضر جهل الجاهلين ولا انتفعت أنا بحذقى
وزيادتى فى الحذق فهى زيادة فى نقص رزقى

وقال شرف الدين بن عنين

كأنى فى الزمان اسم صحيح * جرى فتحكمت فيه العوامل
مزيد فى بنيه كواو عمرو * ملغى الحظ فيه كراء واصل

وقال أبو العلاء المعرى

ولابد للحسناء من ذم حسنها * ولاذم نفسى غير سيء بختها

وقال شمس الدين الحكيم بن دانيال

قد عقلنا والعقل أى وثاق * وصبرنا والصبر مر المذاق
كل من كان فاضلا كان مثلى * فاضلا عند قسمة الارزاق

ومما أحسن قول السراج الوراق ومن خطه نقلت

يمنعنى باخل وسمح * وليس لى منهما نصير

واختلف فى عدد البحار فقيل انها سبعة أبحر ستة ظاهرة وواحد محيط بالدنيا مظلم ومنه تستمد وقيل خمسة وقيل أربعة والاول أصح لقوله تعالى والبحر يمده من بعده سبعة أبحر قال بعض العلماء ولان السموات سبع والارضين سبع والنجوم السيارة سبع والايام سبع وخلق الانسان من سبع يعنى قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الآية ورزق من سبع لقوله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه الآية وذكر فى جغرافيا ان البحار مختلفة المقادير فمنها ماهو على هيئة الطيلسان ومنها ماهو على هيئة الشابورة ومنها ماهو على صورة التدوير وهو الغالب عليها وأشدها البحر الشرقى وهو لفارس والغربى وهو للروم يأخذان من البحر المحيط ويقال له قنطس والبحار تستمد منه وهى بالنسبة اليه كالخلجان ولا يتأتى فيه ركوب ولا يعيش حيوان ويقال ان أطراف السماء عليه كالخيمة ولا يعلم ماوراءه فأما البحر الشرقى فيأخذ من أقصى المغرب وينتهى الى أقصى الهند والصين ومنه خلجان عظيمة تتصل بأرض الحبشة ومنه

وغايتي ان ألوم حظي * وحظي الحائط القصير

وقال ابن سناء الملك

ورب مليح لا يحب وضده * تقبل منه العين والخد والفم
هو الجد خذه ان أردت مسلما * ولا تطلب التعليل فالامر مبهم

وقال أيضا

ما ثم الا الحظ فارقب له * ولا تقل عقلي ولا حزمي
كم نعمة في طيها نقمة * ويوجد الدرياق في السم

وقال أبو العلاء المعري

لك الخبر أمواه البلاد كثيرة * عذاب وخصت بالملوحة زمزم
هو الحظ غير الوحش يستاق انفه الشخزامي وأنف العود بالعود يخزم

وكتب الشريف الرضي الى الصابي

ما قدر فضلك ما أصبحت ترزقه * ليس الحظوظ على الاقدار والمهن
قد كنت قبلك من دهري على حنق * فزاد ما بك في غيظي على الزمن

وقال الامام الشافعي من أبيات

لو أن بالحيل الغنى لوجدتني * بنجوم أفلاك السماء تعلقي
لكن من رزق الحجا حرم الغنى * ضدان مفترقان أي تفرق
فاذا سمعت بأن محروما أتى * ما ليشربه فغاض فصدق
أو أن محظوظا غدا في كفه * عود فاورق في يديه فحقق
ومن الدليل على القضاء وكونه * بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق

وقال عبد الجليل بن وهبون

يعز علي العليا أني حامل * وان أبصرت مني خمودتها ابي
وحيث ترى زند النجابة واريا * فثم نرى زند السعادة كابي

وقال آخر

اذا جمعت بين امرأين صناعة * فأحببت ان تدري الذي هو أحذق
فلا تفقدنهما غير ما جرت * به لهما الارزاق حين تفرق
فحيث يكون الجهل فالرزق واسع * وحيث يكون العلم فالرزق ضيق

وقال آخر

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه * وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
هذا الذي ترك الاوهام حائرة * وصير العالم النحرير زنديقا

وقال أبو اسحق الغزي

كم عالم لم يلج بالقرع باب مني * وجاهل قبل قرع الباب قد ولجا

وقال ابن الخياط المكفوف الاندلسي

لم يخل من نوب الزمان أديب * كلا فشأن الثابتات تنوب
واذا انتهيت الى العلوم وجدتها * شيأ يعد بها عليك ذنوب

بحر فارس أوله من الابلة والبصرة وآخره بحر الهند عند جبل يقال له رأس الجمجمة ومنه مغاص اللؤلؤ من جزيرة كيش وأما البحر الغربي فانه يأخذ من المحيط من المغرب في الخليج الذي بين المغرب والاندلس ويسمى زقاق سبتة حتى ينتهي الى الثغور الشامية وقدره في المسافة أربعة أشهر ومن القلزم الذي هو لسان بحر فارس ومن بحر الروم على سمت الفرما أربع مراحل وزعم بعض المفسرين في قوله تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان انه هذا الموضع وزعموا أن بحر الروم متصل بالشرق وانه وجد فيه شيء من الناجيل الذي يكون في البحر الشرقي وهذا بعيد لبعد ما بينهما من المفاوز والجبال * واختلف في مبادي البحار على أقوال أحدها انها من الاستقصات الاربع خلقها الله تعالى يوم خلق السموات والارض والثاني انها بقية طوفان نوح عليه السلام والثالث انها من عرق الارض لما يناله من حر الشمس والرابع انها من مياه الارض فالملح ينحدر الى الاماكن المنخفضة والكل ملح وانما يتصعد منها للجو

وغضارة الايام تاتى ان يرى * فيها الابناء الذكا نصيب
وكذاك من صحب الليالى طالبا * جدا وفهما فاته المطلوب

وهذا من قول أبى الطيب

وما الجمع بين الماء والنار فى يد * بأصعب من ان أجمع الجد والفهما

وهو ينظر من طرف مريب الى قول أبى تمام حبيب

ولم يجتمع شرق وغرب لقاصد * ولا المجد فى كف امرئ والدراهم

وقال أبو الحسن على بن رشيق

أشقى لعقلك ان تكون أديبا * أوان يرى فيك الورى تهذيبا
مادمت مستويا ففعلك كله * عوج وان أخطأت كنت مصيبا
كالنقش ليس يصح معنى خطه * حتى يكون بناؤه مقلوبا

وقال ابن الخياط الدمشقى

ومازال شؤم الحظ من كل طالب * كفيلا ببعد المطلب المتدانى
وقد يحرم الجلد الحريص مرامه * ويعطى مناه العاجز المتوانى

ومنه قول الآخر

قد يرزق المرء لا من حسن حيلته * ويصرف المال عن ذى الحيلة الداهى

وقال ابن عنين

يعدو الرياض الحيا والارض مجدبة * رزقا وفى البحر ذيل السحب مسحوب
فلا العجز تعدى ذاك وابله * ولا الحرص سقت تلك الشآبيب

وقال أبو الاسود الدئلى

المرء يحمد سعيه من جده * حتى يزين بالذى لم يعمل
وترى الشقى اذا تكامل جده * يرمى ويقذف بالذى لم يفعل

وقال محمد بن شرف الدين القيروانى

اذا صحب الفتى جد وسعد * تحامته المكاره والخطوب
ووافاه الحبيب بغير وعد * طفيليا وقاد له الرقيب
وعد الناس ضرطته غناء * وقالوا ان فسا قد فاح طيب

وأخذه ابن النقيب فقال ومن خطه نقلت

لو لحن الموسر فى مجلس * لقيل عنه انه يعرب
ولو فسا يوما لقالوا له * من أين هذا النفس الطيب

يقال ان ابن بقية الوزير كان من أشد الناس لحنا فلما تولى الوزارة لم يره لحن الا فى الشاذ ونقلت من خط السراج الوراق له

الباء والخاء من بخت قد اقترنا * بالباء والخاء من بخل لانسان
واللام والتاء من هذا وذاك هما * لت المسائل عن أسباب حرمانى

ونقلت منه له أيضا

أراه يصدعنى وهو لاه * بنوبى كيل الهجر والصد

فيلطفه ويحليه ثم يهبط الى الارض فنه الانهار العذبة * ومراد ابن زيدون انك لو شئت فعلت ما لا يمكن وهو تفسير قوله خرقت العادات ومثله (وأعدت السلام رطبه) العود الرجوع الى الشئ بعد الانصراف عنه والسلام الحجارة الصلبة وانما عنى باعادتها الى الرطبة هو مازعم قوم ان الحجارة كانت فى الزمن الاول على عهد نوح لينة وعلى ذلك قول الراجز حيث يقول

انك لو عمرت عمر الحسل
أو عمر نوح زمن الفطحل
والصخر مبتل كطين الوحل
كنت رهين هرم أو قتل

(ونقلت غدا فصار امسا وزدت فى العناصر فكانت خمسا)

أصل الغد غدو فحذفوا الواو بلا عوض وفى هذا المعنى قال الشاعر

وما الناس الا كالديار وأهلها
بها يوم حلوها وغدوا بلاقع

(وأمسا) اسم حرك آخره لالتقاء الساكنين واختلف فيه فاكثرهم يبنيه على الكسر ومنهم من يعربه اذا دخل عليه الالف واللام يقول مضى الامس وقال سيبويه جاء فى ضرورة الشعر كقوله

فان لم يرعنى لبياض لونى * فيرعانى لحظى وهو أسود

ونقلت منه له أيضا

أولاد أولادى ما منهمو * من قال مثل الناس جدى السعيد
وما مرادى الحظ لكن أنا * ولو أردت الحظ رمت البعيد

ونقلت من خط ناصر الدين حسن بن النقيب له

وقالوا بماذا يكتب الحظ كاتب * جهول بظلماء الجهالة خابط
فقلت بظاء فاكتبوا الحظ قائما * سرى شؤم حظى وحده فهو ساقط

وأنشدنى لنفسه اجازة المولى جمال الدين محمد بن نباتة

ياسيدى عطفا على متألم * يشكو من الايام حظا ساقطا
لو جاء يكتب حظه متحرزا * ما جاء ذاك الحظ الا ساقطا

وأنشدنى أيضا من لفظه لنفسه

هى الحظوظ فعش منها بما وهبت * ولا تقل عالياحظى ولا دونا
تغنى بذا دون هذا عن تمائله * وقس على ما تراه الشين والسينا

وقال أبو الحسين الجزار

أشكو لعدلك جور دهر جائر * فضلت به فضلاءه الجهال
منعت به عقلاؤه اذ قسمت * بالجور فى انعامه الانفال

وقال ابن الساعاتى فى وصف قصيدته

وكم لى فيك من عذراء زفت * لفهمك فى غدو أو رواح
من الغيد الحسان بلا شبيه * فكيف يفوتها حظ القباح

وقال أبو بكر القهستانى

بالجد يسعى الفتى والا * فليس يغنى أبو وجد
وليس يجدى عليك كد * مادام بكدى عليك جد

وقال آخر

مضنا الدهر بنابه * ليت ما حل بنابه
لا يوالى الدهر الا * حاملا ليس بنابه

وقال القاضى الفاضل

واذا السعادة لاحظتك عيونها * نم فالمخاوف كلهن أمان
واصطدبها العنقاء فهى حبائل * واقتدبها الجوزاء فهى عنان

وقال ابن نباتة السعدى

الا فاخش ما يرجى وجدك هابط * ولا تخش ما يخشى وجدك رافع
فلا نافع الامع النحس ضائر * ولا ضائر الامع السعد نافع

وقال أبو العلاء المعرى

اذا أنت أعطيت السعادة لم تبل * ولو نظرت شزرا اليك القبائل
وان فوق الاعداء نحوك أسهما * نتنها على أعقابهن المناصل

لقد رأيت عجبا مذ أمسا
عجائزا مثل السعالى خمسا
ولا يصغر أمس كما لا يصغر
غدوا المعنى انك لو شئت قلبت
الاشياء اما قدرة واما تسمية
تقتدى الناس بك فيها
(والعناصر) أصول الخلق
وهى أربعة لا غير النار والهواء
والماء والتراب ثنتان تذهبان
صعدا وهما النار وطبيعتها
حارة يابسة والهواء وطبيعته
حار رطبة وثنتان تذهبان
سفلا وهما الماء وطبيعته
باردة رطبة والتراب وطبيعته
باردة يابسة وقيل فى قول
فيثاغورس والذى وهب
لنا الينبوع الاربع أراد
العناصر
(وانك المقول فيه كل الصيد
فى جوف الفرا)
هذا مثال قديم يضرب فى
وصف الشئ المربى على غيره
وأصله أن قوما خرجوا
للصيد فصاد أحدهم ظبيا
وآخر أرنبا وآخر اوهو الحمار
الوحشى فقال لاصحابه كل
الصيد فى جوف الفرا يعنى
ان جميع صيدكم يسير فى
جنب ما صدته وزعم بعضهم
أن الفرا اسم واد كثير الصيد
وهو قول مردود وأما قول
الشاعر
وواد كجوف العير قفر قطعته
فليس من هذا وانما أراد
الوادى المعروف بجوف حمار

وحكى أن بعض المطربين غنى فى جماعته عند بعض الامراء الاعاجم فلما أطربه قال للمملوكه هات قباءك لهذا المغنى ولم يفهم المغنى ما يقوله الامير فقام الى بيت الخلاء وفى غيبته جاء المملوك بالقباء فوجد المغنى غائبا وقد حصل فى المجلس عربدة وأمر الامير باخراج الجميع فقيل للمغنى وهو فى أثناء الطريق بعد ما أخرج ان الامير أمر لك بقباء ولم تلحقه فلما كان بعد أيام حضر عند ذلك الامير وغنى اذا أنت أعطيت السعادة لم تبل البيت لكن بفتح التاء وضم الباء فانكروا عليه ذلك فقال لما بلت فى ذلك اليوم فأتتنى السعادة من الامير فأوضحوا القضية للامير فاعجبه ذلك وأمر له به وقال عبد القدوس

وليس رزق الفتى من حسن حيلته * لكن جدود بارزاق وأقسام
كالصيد يحرمه الرامى المجيد وقد * يرمى فيرزقه من ليس بالرامى

وذكرت بالصيد هنا حكاية مطبوعة وهو أن الرشيد سأل جعفرا عن جواريه فقال يا أمير المؤمنين كنت فى الليلة الماضية مضطجعا تكبسنى جاريتان عندى فتناومت عليهما لانظر صنيعهما واحداهما مكية والاخرى مدنية فمدت المدنية يدها الى ذلك الشئ ولعبت به فانتصب قائما فوثبت اليه المكية وقعدت عليه فقالت المدنية أنا أحق به لانى حدثت عن نافع عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من أحيى أرضا ميتة فهى له فقالت المكية وأنا حدثت عن معمر عن عكرمة عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس الصيد لمن أثاره انما الصيد لمن قبضه فضحك الرشيد حتى استلقى على قفاه ثم قال هل من سلوة عنهما فقال جعفر هما مولاهما بحكمك يا امير المؤمنين وحملهما اليه وقال عيسى بن ابان كنت عند المأمون فاستأذنته فى الخروج الى البصرة الى عيالى فقال أنا أشوق منك الى عيالى ولكن وجه اليهم ليحملوا ثم قال لخادم على رأسه رهم بالوصول واقبل غلام لانبات بوجهه مخلق بالغالية فسلم فقال مرحبا فاجلسه على فخذه اليمنى وأقبل آخر فاقعده على فخذه اليسرى فجعلت أنظر اليهما والى حسنهما فقال يا عيسى بمن ترى ان أبدأ فقلت أعيذ أمير المؤمنين بالله فقد نزهه الله عن هذا وصانه فقال يا عيسى ليس هذا الذى ذهبت اليه انهما جاريتان اشتبهتهما فى زى الغلمان فقلت أمير المؤمنين اعلى عينا فقالت الاولى والله يا عيسى ما تحسن الحكومة ألم تسمع قول الله تعالى والسابقون الاولون فال فبقيت والله متعجبا وتمنيت انى كنت اهتديت الى ما قالت بجميع ملكى ثم قالت الاخرى والله ما تبصر من الحكومة شيأ ألم تسمع قول الله تعالى وللآخرة خير لك من الاولى فتركتهما معه وخرجت وقد ذكر ذلك صاحب كتاب الجليس والانيس (وجع) قلت والزمان مولع بخمول الادباء وخمود نار الاذكياء كم أخفى على الفضلاء وجهل قدر العلماء هذا الملك الافضل نور الدين على بن السلطان صلاح الدين يوسف كان متأدبا حليما حسن السيرة متدينا قل ان عاقب على ذنب يكتب الخط الحسن وله المناقب الجميلة وهو أكبر اخوته ما صفا له الدهر ولا هناه بالملك بعد أبيه بل لبث مدة يسيرة بدمشق ثم حضر اليه عمه العادل أبو بكر واخوه الملك العزيز عثمان فاخرجاه من ملكه بدمشق الى صرخد ثم جهزاه الى سميساط وفى ذلك كتب الى الامام الناصر ببغداد

مولاى ان أبا بكر وصاحبه * عثمان قد غصبا بالسيف حق على

وحمار اسم رجل قديم كان فى واد خصيب فظلم عشيرته فأرسل الله تعالى عليه نارا فاحرقته واحرقت الوادى فخلا وسكنته الجن فقيل أخلى من جوف حمار وعجب يوما أبو سفيان بن حرب عن النبى صلى الله عليه وسلم ثم أذن له فقال يا رسول الله ما كدت تأذن لى حتى تأذن لحجارة الجلهتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا سفيان كل الصيد فى جوف الفرا

(وليس الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد)

هذا البيت لابى نواس من جملة أبيات يقولها فى الفضل ابن يحيى ويخاطب بها الرشيد وهى

قولا لهرون امام الهدى
عند احتفال المجلس الحاشد
أنت على ما بك من قدرة
فلست مثل الفضل بالواجد
وليس لله بمستنكر
أن يجمع العالم فى واحد

وأبو نواس هو الحسن بن هانئ ابن الجراح الحكمى البصرى وكنى نفسه بابى نواس لانه ينتسب الى قحطان وكانت تعجبه كنى ملوكها مثل ذى رعين وذى نواس فاكتنى بابى نواس وكان مولده بالاهواز سنة مائة وخمس واربعين ثم نشأ بالبصرة وتأدب بها على أبى زيد وخلف

فانظر الى حظ هذا الاسم كيف لقى * من الاواخر مالاقى من الاول

وكتب اليه الامام الناصر الجواب

وافى كتابك يابن يوسف معلنا * بالصدق يخبر ان أصلك طاهر
غصبوا عليا حقه اذ لم يكن * بعد النبي له بيثرب ناصر
فاصبر فان غدا عليه حسابهم * وابشر فناصرك الامام الناصر

ولم ينصره الناصر بل توفى فجأة فى سميساط ومن شعره رحمه الله

أما آن للسعد الذى أنا طالب * لادراكه يومايرى وهو طالبى
ترى هل يرينى الدهر أيدى شيعتى * تمكن يوما من نواصى النواصب

ومن شعره رحمه الله على ماذكره ابن واصل فى مفرج الكروب

يامن يسود شعره بخضابه * لعساه من أهل الشيبة يحصل
هافاختضب بسواد حظى مرة * ولك الامان بانه لاينصل

ووجدتهما بخط القاضى شمس الدين أحمد بن خلكان فى بعض مسوداته لابن الكيزانى المصرى ووجدت بخطه أيضا ماصورته نقلت من خط كمال الدين بن العديم الحلبى من مسوداته التى علقها للتاريخ من ترجمة الملك الافضل نور الدين وذكر البيتين اللذين أولهما مولاى ان أبابكر وصاحبه ثم قال وبعض الناس يقول انهما من نظم أبى فراس بن أبى الفرج البزاغى ابن أخت الاديب حماد البزاغى ثم ذكر فى الحاشية ان أباطالب بن زيادة أجابه عن البيتين المذكورين بالابيات الثلاثة التى فى آخرها الناصر وكذا الملك الناصر داود صاحب الكرك ابن المعظم لم يزل منكد الحال مشتتا فى البلاد توجه الى بغداد ومعه فخر القضاة بن بصاقة والشيخ شمس الدين الخسروشاهى وقد استصحب جواهر نفيسة وتحفا ظريفة والتجأ الى الامام الناصر وطلب الحضور بين يديه ليشاهده فى الملأ فما قدر له ذلك ولا وافق الخليفة عليه حتى امتدحه بقصيدته البائية التى أولها

ودان ألمت فى الكثيب ذوائبه * وجنح الدجى وجف تحول غياهبه
تقهقه فى تلك الربوع رعوده * وتبكى على تلك الطلول سحائبه

ومنها

أيحسن فى شرع المعالى ودينها * وأنت الذى تعزى اليه مذاهبه
بانى أخوض الدو والدو مقفر * سباريته مغبرة وسبابه
ويأتيك غيرى من بلاد قريبة * له الامن فيها صاحب لايجانبه
فيلقى دنوا منك لم ألق مثله * ويحظى ولا أحظى بما أنا طالبه
وينظر من لألاء قدسك نظرة * فيرجع والنور الامامى صاحبه
ولو كان يعلونى بنفس ورتبة * وصدق ولاء فيه لست أصاقبه
لكنت أسلى النفس عما أرومه * وكنت أذود العين عما تراقبه
ولكنه مثلى ولوقلت انتى * أزيد عليه لم يعب ذاك عائبه

يشير الناصر الى مظفر الدين كوكبورى بن زين الدين كوجك فانه قدم الى الديوان وطلب الحضور فاذن له وبرز له الخليفة وشاهد وجهه ولما وقف الخليفة على هذه القصيدة أعجبته

الاجر ونظر فى كتاب سيبويه وقال الشعر البارع ومدح الخلفاء والامراء وكان يقال هو فى المحدثين مثل امرئ القيس فى المتقدمين وكان العتابى يقول لو أدرك الخبيث الجاهلية لم يفضل عليه أحد وسئل المرزبانى أيهما أشعر أبو نواس أم الرقاشى فقال ضراط أبى نواس فى جنب أشعر من تسبيح الرقاشى فى الجنة ثم مدح الامين واختص به وصار من ندمائه بذلك وبذلك كان أخوه المأمون يشنع عليه ويقول كيف يصلح للخلافة وجلسه أبو نواس القائل فى مجلسه كذا وكذا من الاشعار المحتوية على الفسق والكفر وكان أبو نواس قد انفرد فى زمانه باتفاق الشعر وافراط المجون والهتك قال أبو العتاهية عاتبته مرة على المجون فانشد يقول

أترانى يا عتاهى
تاركا تلك الملاهى
أترانى مفسدا بالـ
ـنسك عند القوم جاهى

فلما ألححت عليه قال

لاترجع الانفس عن غيها
مالم يكن منها لها زاجر
فوددت أن هذا البيت لى بجميع ما قلته وعلمت أنه لايصغى الى عذل ولم يزل على حاله الى ان توفى ببغداد

لانها

لانها من النظم البديع فى غاية واستدعاه سرا بعد شطر من الليل واجتمع به فى خلوة وماتم له ماظفر به مظفر الدين المذكور وذكر المؤرخون فى سبب ذلك ان الخليفة راعى عمه الكامل لانه قد كان تأذى على الناصر داود وما أرى السبب الا ماحواه من الادب وقد كان الناصر من الشعراء المجيدين والادباء المفيدين يفوق بلطفه على النسمات المتأرجه ويكتب خطا يزرى بالحدائق المدبجه وكذا المعتمد على الله بن عباد واقعته مشهورة ومصيبته على جبهات الايام مسطور وعبرة لمن تبصر وتذكرة لمن تذكر فيها وتفكر وستأتى نبذة من خبره بعد ولكن المعتمد تملك وصفت له الايام ودام ملكه ثلاثة وعشرين سنة كما ذكر ذلك فى قوله

أشرقت عشرون من انفسها * وثلاث نيرات تأتلق

لانه ولى سنة احدى وستين واربعمائة وجرت كائنته سنة اربع وثمانين واما الكائنة التى جرت عليه وعلى ذريته الى ان مات فى اغمات وماتوا قبله وبعده فما اتفقت لغيرهم ولا جرى فى خلع ملك ماجرى له رحمه الله تعالى وكذا عبد الله بن المعتز من خلفاء بنى العباس لم يزل منغصا طول عمره ولما بويع له بالخلافة ظن ان الحظ قد تنبه له فلم يتم له الامر الا يوما واحدا ثم قبض عليه وقتل رحمه الله على انه ما وافق على ولاية الامر حتى اشترط عليهم انهم لا يسفكون فى واقعته دما فيقال ان والده لما خلع ترك فى مطمورة ملئت ريشا فى يوم صائف شديد الحر الى أن مات ولما خلع هو القى فى صهريج ملئ ماء فى يوم شديد البرد الى ان مات وقيل ادخل حماما حارا حتى عطش عطشا شديدا فجئ اليه بماء بارد بثلج فحين شرب مات رحمه الله أو بالعكس فى امره وامر والده ومحله من الادب لا يخفى وشمعة فضله كالصبح لا تقط ولا تطفا وفى المعتز قيل

لله درك من ملك بضيعة * ناهيك فى العلم والعلياء والحسب
ما فيه لو ولا ليت فتنقصه * وانما ادركته حرفة الادب

وقال ابو تمام الطائى من ابيات

مازلت أرمى بآمالى مطالبها * لم يخلق العرض منى سوء مطلبى
اذا قصدت لشأو خلت انى قد * أدركته أدركتنى حرفة الادب

وقال بن الساعاتى

عفت القريض فلا أسموله أبدا * حتى لقد عفت ان أرويه فى الكتب
هجرت نظمى له لا من مهانته * لكنها خيفة من حرفة الادب

وقال بن قلاقس

لا اقتضيك لتقديم وعدت به * من عادة الغيث ان يأتى بلا طلب
عيون جاهك عنى غير نائمة * وانما أنا أخشى حرفة الادب

وقد أنصف الحسن بن أبى الحسن لما سئل لم صارت الحرفة مقرونة مع العلم والثروة مقرونة مع الجهل حيث قال ليس الامر كما زعمتم ولكن طلبتم قليلا فى قليل فاعجزكم طلبتم المال وهو قليل فى أهل العلم وهم قليلون ولو نظرتم الى من تحارف من أهل الجهل لوجدتموهم أكثر اه قلت هذا هو الانصاف لو عددنا العلماء السعداء لوجدناهم أضعاف المحارفين الجهلاء لانهم أناس يمكن ضبطهم ومن العلماء السعداء غالب الخلفاء والملوك والامراء المتقدمين والوزراء والقضاة وأرباب المناصب والولايات بل جمهورهم الاما ندر ولكن الناس قد ذهبوا بهذا

سنة مائتين هو ومعروف الكرخى فى يوم واحد فخرج مع جنازة معروف زهاء ثلثمائة ألف ولم يخرج مع جنازة أبى نواس غير رجل واحد فلما دفن معروف قال قائل ايس جمعنا وايا نواس الاسلام ودعا الناس فصلوا عليه فرى فى المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لى بصلاة الذين صلوا على معروف وعلى وأوصى ان يكتب على قبره هذا

وعذلتك أجداث صمت
ونعتك أزمنة خفت
ياذا المنى ياذا المنى
عش مابدا لك ثم مت

وأخبار أبى نواس وأشعاره مجموعة ومنها الزائدة والناقصة فمن مستطرف أخباره قبل تحاكم فى سؤال رافضى وسنى فيمن أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيا أبا نواس فسألاه فقال أفضلهم بعده يزيد بن الفضل فقالا ومن يزيد بن الفضل فقال رجل يعطينى كل سنة ثلاثة آلاف درهم وسئل عن الخمر فقال خمر الدنيا أجود من خمر الآخرة وقد جعلها الله تعالى لذة للشاربين فقيل له كيف هى أجود قال لانها انموذج والانموذج خيار الشئ وكان يوما جالسا وفى يده كأس خمر وعن يمينه

الامر وصار مشهورا بينهم والرزق والاجل مقدران من لدن حكيم عليم وقد تقدم أن الحظوظ لا تعلل والباحث عما لا يعلمه مضلل فاصبر واحتسب واجهد على تكميل ذاتك واكتسب قال بعضهم

خط ولاحظ وشعر ناله * سعرا أشر فيهما أم أنظم
كم جهد ارفع قصتي ويحطها * حظي وأنصب والحوادث تجزم

قلت اراد أن يقول ويخفض له حظي فما اتفق له فعدل الى يحطها وهو بمعناه ولكن الاول أكمل ولو اتفق له أن تكون القصة مرفوعة في اعرابها والحظ مكسورا لكان من البديع في غاية وما رأيت من استعمل هذا المعنى ولحظه وأتى به كاملا غير شهاب الدين التلعفري فقد أنشدني المولى شهاب الدين أبو العباس احمد بن غانم كاتب الانشاء السلطاني قال أنشدني من لفظه لنفسه شهاب الدين التلعفري بحماه سنة سبعين وستمائة

واذا الثنية أشرقت وشممت من * أرجائها أرجا كنشر عبير
سل هضبها المنصوب أين حديثه المرفوع عن ذيل الصبا المجرور

فانظر كيف نصب الهضب ورفع الحديث وجر ذيل الصبا وهذا في غاية الحسن من البديع مع انسجام هذه الالفاظ وعدم التكلف في تراكيبها وقد نظم شهاب الدين التلعفري المذكور هذا المعنى أيضا ولكن قصر عن هذه الغاية فقال

قل للصبا سرا فان لها شذا * يضحي بما يغضي اليه مذيعا
ياذيلها المجرور عن هضب الحمى * المنصوب هات حديثها المرفوعا

ونقلت من خط الوداعي له

ولقد وقفت على الثنية سائلا * عما أشار به فتى شيبان
فروت أحاديث الحمى عن عامر * وحديث روض السفح عن ابان

وقلت أنا في الحظ

شكوت حظي الى دهري وبيتي * فضلي ولكنها لم ترضها حكمي
ما رب عاقني عن نيلها قدر * جرى ولكنها لم تعل عن همي

وقلت أيضا

تشفعت للبين المشت بكم عسى * يعود هزيم الوصل عودة منصور
على ان جاه الحظ أكرم شافع * ولولاه لم يحتج الى بنت منظور
وما هو الا الحظ يعترض المنى * ولولاه كان الدهر اطوع مأمور

وفي الثاني اشارة الى قول الفرزدق

أما البنون فلم تقبل شفاعتهم * وشفعت بنت منظور بن زبانا

والواقعة مشهورة فلا فائدة في ذكرها

(لعله ان بدا فضلي ونقصهم * لعينه نام عنهم أو تنبه لي)

(اللغة) بدا الامر بدوا مثل قعد قعودا اذا ظهر وابديته أنا فضلي تقدم الكلام على الفضل في أول القصيدة ونقصهم النقص ضد الفضل لعينه تقدم الكلام على العين نام تقدم الكلام على النوم في قوله تنام عيني تنبه نبهته على الشئ أوقفته عليه فتنبه هو عليه وهو الامر تنساه

عنقود وعن يساره زبيب فقيل له ما هذا فقال الاب والابن والروح القدس وقيل له أتشرب الخمر قال نعم اذا اشترى بثمن خنزير سرق حتى يكون حراما ثلاث مرات وحكي عن نفسه قال دخلت الى دمشق وخلوت بامرد ودفعت له دينارا فلما رأى متاعي استعظمه فقلت اما ان ترد الدينار واما ان تحتمله وأما ان تشتم معاوية فاذ عن فرضي بالوسط فلما دفعته فيه سمعته يقول هذا في رضاك قليل يا أبا يزيد وقال له أردمتي تعطيني درهما قال اذا جرى الماء في العود وكان أبو عبيدة يجلس الى اسطوانة في جامع البصرة فكتب أبو نواس في أعلاها

صلى الاله على لوط وشيعته
أبا عبيدة قل بالله آمينا

فلما حضر أبو عبيدة رأى البيت ولم يعرف من كتبه فامر بعض تلامذته بحكه من الساريه فلم يصل فتطامن له أبو عبيدة وصعد على ظهره الى ان حكه فلما طال عليه الامر قال له أفرغت قال نعم حككت الكل الا حرفا قال وما هو قال كلمة لوط قال لقد بقي الكل * ومن شعره قيل ان سليمان بن المنصور دخل على الامين فرفع اليه انه هجاه وانه زنديق وأشار عليه

ثم تنبه له وأصله من الانتباه الذى هو اليقظة (الاعراب لعل) حرف ينصب الاسم ويرفع الخبر من أخوات أن ومعناه الترجى وقد تقدم الكلام عليه فى قوله لعل المامة بالجزع ثانية والهاء فى لعله ضمير يرجع الى الحظ وهو فى موضع نصب على انه اسم لعل (ان) حرف شرط وقد تقدم الكلام عليه فى قوله فان جنحت اليه (بدا) فعل ماض حكى الحريرى فى درة الغواص أن أبا عمر الجرمى حين شخص الى بغداد ثقل موضعه على الاصمعى اشفاقا من أن يصرف وجوه أهلها عنه ويصير الشوق له فاعمل الفكر فيما يغض عنه فلم ير الا أن يرهقه فيما يسأله عنه فاتاه فى حلقته وقال له كيف تنشد قول الشاعر

قد كن يخبأن الوجوه تسترا * فاليوم حين بدأن للنظار

أوحين بدين فقال له بدأن قال غلطت قال بدين قال غلطت انما هو بدون أى ظهرن فاسرها أبو عمر فى نفسه وفطن لما قصده به واستأنى به الى أن تصدر فى حلقته واحتف الجمع به فوقف عليه وقال له كيف تقول فى تصغير مختار قال مخيتير فقال أنفت لك من هذا القول أما تعلم أن اشتقاقه من الخير وان التاء فيه زائدة ولم يزل يندد بغلطه ويشنع عليه الى أن انقض الناس من حوله وقال الحريرى فيه مخير قلت وحكى ابن وكيع فى المنصف عن شيخه أبى الحسن المهلبى انه اجتمع بالمتنبى عند بعض الرؤساء فسأله عن تصغير مختار فقال لا يصغر فقال المهلبى ليهن مختارا وأم حنين العافية اه قلت ومن الاشياء التى لا تصغر الثريا والكميت لانهما تصغير ثروى وأكمت وذكرت هنا ما قاله الكسائى لمحمد بن الحسن فى مجلس الرشيد وهو أن الكسائى قال من تبحر فى علم اهتدى به الى جميع العلوم فقال محمد بن الحسن ما تقول فيمن سها فى سجود السهو هل يسجد مرة أخرى قال الكسائى لا قال لماذا قال لان النحاة قالوا المصغر لا يصغر فقال له محمد بن الحسن ما تقول فى تعليق الطلاق بالملك قال لا يصح قال لم قال لان السيل لا يسبق المطر وعلى ذكر مختار قد نقلت من خط القاضى محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر رحمه الله فى الطواشى مختار البغدادى لما حمل طيور اصرعها الملك السعيد بن الملك الظاهر قوله

عز أنكم للطير كم قد رقت * وكم أتاها منه مصروع
وكيف لا يصرع شئ بدا * وهو من البندق متبوع

ومنها

ملك شديد البطش ذو عزمة * لباسها فى القتل تنويع
مختار لم يحمل لها طائرا * الا لياتى منه مجموع

وما أحسن ما أنشدت للوفى الحكيم أظنه المعروف بالورل أو المعروف بساقرة الادب

لله أيامنا والشمل منتظم * نظامه خاطر التفريق ما شعر
والهف نفسى على عيش ظفرت به * قطعت مجموعه المختار مختصرا

أتى بالجمع والاختيار والاختصار فى نصف بيت بل فى ثلثه مع ما فى الاول من التورية أيضا (رجع بدا من ذوات الواو كما تقدم (فضلى) فاعل بدا والرفع فيه بضمة مقدرة على اللام لانه مضاف الى الياء وهى فى موضع جر بالاضافة (ونقصهم) الواو عطفت الاسم المرفوع على الاسم قبله والهاء والميم ضمير الجهال فى البيت المتقدم والضمير فى موضع جر بالاضافة (لعينه) اللام

بقتله فقال يا عم كيف أقتله وهو القائل

صدق الثناء على الامين محمد * ومن الثناء تكذب وتخرص
واذا بنو المنصور عد حصاهم * فحمد يا قوتها المستخلص

فانقطع سليمان عن الركوب فامر الامين بحبس أبى نواس فكتب اليه من السجن يقول

تذكر امين الله والعهد يذكر * مقامى وانشادى ولليأس حضر
وتثرى عليك الدر يا در هاشم * فيا من رأى درا على الدر ينثر
ومن ذا الذى يرمى بسهمك فى العلا * وعبد مناف والد وجدير
فان كنت لم أذنب ففيم عقوبتى * وان كان لى ذنب فعفوك أكبر

فلما قرأ الابيات قال أخرجوه ولو غضب ولد المنصور كلهم ومن شعره قوله من قصيدة

يا كثير النوح فى الدمن * لا عليها بل على السكن
سنة العشاق واحدة * فاذا أحببت فاستكن
ضن بى من قد كلفت به * فهو يجفونى على الضنن

ومنها

تضحك الدنيا على ملك * قام بالآثار والسنن
سن للناس الندى فغدا * فكأن البخل لم يكن

وقوله ايضا يمدح الامين

هنا للتعدية وعينه مجرور باللام والهاء في موضع جر بالاضافة وهي تعود الى الحظ (نام) فعل ماض وهو جواب الشرط (عنهم) عن حرف جر ومعناه المجاوزة والضمير في موضع جر ولم يظهر لبنائه وهو عائد على الجهال (أو) حرف عطف وهو هنا للتخيير وقد تقدم الكلام على أقسام او في قوله فان جنحت اليه البيت (تنبه) فعل ماض جواب ثان للشرط (لي) جار ومجرور واللام للتعدية والياء ضمير المتكلم وخبر لعل الجملة من الشرط والجزاء والتقدير لعل الحظ منصفني (المعنى) أترجى الحظ عساه اذا رأى فضلي وعلم نقصهم أن ينام عنهم فيسلبهم ما هم فيه أو يتنبه لي فيوفيني ما استحقه هيهات ضاع عمره وفني زمانه وانتهت مدته ومانام عنهم ولا تنبه له نعم كان قد نام عنه ثم تنبه له فاورده على ظمأ به جدول الحسام وأعانت على قتله فضائله الجسام ولكن الامل خلق جبلت النفوس على ألفه وطبع يزداد بنقص الانسان ويقوى بضعفه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشيب الانسان وتشب معه خصلتان الحرص وطول الامل ومن كلام الحكمة الامل ينقسم والاجل يبتسم وكيف يتنبه له الحظ والدهر كما قال التهامي

لبس الزمان وان حرصت مسالما * خلق الزمان عداوة الاحرار

وفي معنى قول الطغرائي

عمرت أروض خطوب الزمان * لوان جامحها يستقيد
وما كان أجدرني بالعلى * لوقد تنبه حظ رقود

وقال مهيار الديلمي

أياسكر الزمان متى تفيق * ويا وسع المطالب كم تضيق
ويا نيل الحظوظ أما اليها * بغير مذلة أبدا طريق
أكل فضيلة كانت عليها * تعين هي التي عنها تعوق
قضاء ضل وجه الرأي فيه * وكاذب دونه الظن الصدوق
وعتب طال والايام صم * كما يشكو الى الموج الغريق

وهذا المعنى كقول أبي الطيب المتنبي

لا تشكون الى خلق فتشمتهم * شكوى الجريح الى العقبان والرخم

وذلك لان الغريق أعظم آفة وأكبر الاسباب في هلاكه تواتر الموج وكذلك الجريح ما عليه أضر من العقبان والرخم فلا تفيد الشكوى اليهما شيأ وما أحلى قول القائل

يا رادفه رفقا على خصره * فانه جمل ما لا يطيق
يشكو الى ارادفه خصره * لو تسمع الامواج شكوى الغريق

(رجع) ولا بد للزمان من انتباهة للفضلاء بعد رقاده عنهم قال مؤيد الدين الطغرائي

لا تيأسن اذا ما كنت ذا أدب * على خمولك أن ترقى الى الفلك
بيتا ترى الذهب الابريز مطرحا * في معدن اذ غدا تاجا على الملك

وذكر الحريري في درة الغواص عن أبي العباس المبرد أنه قال قصد بعض أهل الذمة أبا عثمان المازني ليقرأ عليه كتاب سيبويه وبذل له مائة دينار فامتنع من ذلك وأصر على رده قال فقلت له جعلت فداك أترد مثل هذه المنفقة مع فاقتك وشدة ضيقك فقال ان هذا الكتاب

يشتمل

أنت الذي تأخذ الايدي بحجزته
اذا الزمان على ابنائه كلها
وكلت بالدهر عينا غير غافلة
من جود كفك تأسو كل ما جرحا

وقوله ايضا

عاقت بحبل من حبال محمد
امنت به من طارق الحدثان
تغطيت من دهري بظل جناحيه
فعيني ترى دهري ولبس براني

فلو تسأل الايام ما اسمي ما درت
وأين مكاني ما عرفن مكاني

وقوله ايضا

ألم تر اني أفنيت عمري
بمطلبها ومطلبها عسير
فلما لم أجد شيأ اليها
يقربني وأعيتني الامور
حمت وقلت قد حجبت جنان
فيجمعني واياها المسير

وقوله أيضا

أيها العاتب في الخ
رمني كنت سفيها
لو تركناها العتب
لاطعنا الله فيها

وقوله

دع عنك لومي فان اللوم اغراء
وداوني بالتي كانت هي الداء
صفراء لا تنزل الاحزان ساحتها
لو مسها حجر مسته سراء
من كف ذات حر في زي ذي ذكر
لها مجان لو طى وزناء

يشتمل على ثلثمائة وكذا وكذا آية من كتاب الله عز وجل ولست أرى أن أمكن منها ذميا غيرة على كتاب الله وحمية له قال فاتفق ان غنت جارية في حضرة الواثق بقول العرجي

أظلوم ان مصابكم رجلا * أهدى السلام تحية ظلم

فاختلف من بالحضرة في اعراب رجل فمنهم من نصبه وجعله اسم ان ومنهم من رفعه وجعله خبر ان والجارية مصرة على ان شيخها أبا عثمان المازني لقنها بالنصب فأمر الواثق باشخاصه قال أبو عثمان فلما مثلت بين يديه قال ممن الرجل قلت من بني مازن قال أي الموازن أمازن قيس أم مازن تميم أم مازن ربيعة قلت من مازن ربيعة فكلمني بلغة قومي وقال يا اسمك بالباء بدل الميم لانهم يقلبون الباء ميما والميم باء فكرهت أن أجيبه على لغة قومي مثلا أواجهه بالمكر فقلت بكر يا أمير المؤمنين فغطن لما قصدته وأعجب به ثم قال ما تقول في قول الشاعر أظلوم البيت أترفع رجلا أم تنصبه فقلت بل الوجه النصب يا أمير المؤمنين قال ولم ذلك قلت لان مصابكم مصدر بمعنى اصابتكم فاخذ اليزيدي في معارضتي فقلت هو بمنزلة قولك ان ضربي زيدا ظلم فالرجل مفعول مصابكم وهو منصوب به والدليل على ذلك أن الكلام معلق الى أن تقوم ظلم فيتم فاستحسنه الواثق وقال هل لك من ولد قلت نعم بنية قال ما قالت لك عند مسيرك قلت أنشدتني قول الاعشى

أيا ابنة الارم عنا دنا * فانا بخير اذا لم ترم
أرانا اذا أضمرتك البلا * دنجفى وتقطع منا الرحم

قال فما قلت لها قلت قول جرير

ثقي بالله ليس له شريك * ومن عند الخليفة بالنجاح

قال أنت على النجاح ان شاء الله تعالى ثم أمر لي بألف دينار وردني مكرما قال أبو العباس فلما عاد الى البصرة قال لي كيف رأيت يا أبا العباس ردنا الله مائة فعوضنا ألفا قلت لم تكن هذه المسئلة مما يخفى على أبي محمد اليزيدي وهو الذي قال للكسائي يوما في بعض مناظراته كيف تقول ان من خير القوم أو خيرهم نية زيدا وزيد افقال الكسائي زيد بالرفع فقال أخطأت علام ترفعه قال انه خبر ان قال فأين اسمها ٣ فالتبك فقال له زيد اسم ان والخبر في الجار والمجرور وهذا اليزيدي له مسائل عويصة سأل الكسائي عنها وأخطأ في الجواب منها أنه ساله بحضرة هرون الرشيد ويحيى بن خالد البرمكي عن قول الشاعر

٣ ما رأينا قط خربا * نقر عنه البيض صقر
لا يكون الغير مهرا * لا يكون المهر مهر

فقال الكسائي يجب أن يكون المهر منصوبا على أنه خبر كان في البيت على هذا التقدير اقواه فقال اليزيدي الشعر صواب لان الكلام تم عند قوله لا يكون الثانية وهي مؤكدة للاولى ثم استأنف الكلام فقال المهر مهر وضرب بقلنسوته الارض وقال أنا أبو محمد فقال له يحيى انسكتني بحضرة أمير المؤمنين والله ان خطأ الكسائي مع حسن أدبه لاحسن من صوابك مع سوء أدبك فقال اليزيدي أن حلاوة الظفر أذهبت عني التحفظ قلت وأخطأ الكسائي أيضا في تسميته هذا أقواء لان الاقواء اختلاف حركة الروي بالرفع والجر كقول النابغة في قصيدته الدالية المجرورة وبذلك أخبرنا الغراب الاسود فاما اذا كان الاختلاف بالرفع والنصب فهو

ومنها

دارت على فتية ذل الزمان لهم
فما يصيبهم الا بما شاؤا
ومنها يعني ابراهيم النظام
فقل لمن يدعي في العلم فلسفة
حفظت شيأ وغابت عنك اشياء
لا تحظر العفو ان كنت امرأ فطنا
فان حظرك بالدين ازراء

وقوله أيضا

قالوا ظفرت بعن تهوى فقلت لهم
الآن أطول ما كانت صباباتي
لا عذر للصب أن تهدى جوارحه
وقد تظلم فوه بالمدامات

وقوله أيضا

ودار ندامى عطلوها وأدلجوا
بها أثر منهم جديد ودارس
مساحب من جر الزقاق على الثرى
وأضغاث ريحان جنى ويابس
حبست بها صحبي فجددت عهدهم
وانى على أمثال تلك لحابس
ولم أدر منهم غير ما شهدت به
بشرقي ساباط الديار البسابس

٣ قوله فالتبك أي اختلط اه

٣ قوله خربا الخرب بفتحتين وذكر الجباري وانما سكن كالقاف من نقر للوزن اه

الاصراف والذى ذكره الحريرى من معارضة اليزيدى للمازنى بين يدى الواثق فيه تجوز لان أبا محمد اليزيدى كان يؤدب المأمون والكسائى كان يؤدب الامين وتوفى اليزيدى مع المأمون فى مرو او فى بغداد سنة مائتين واثنين والواثق تولى الامر بعد وفاة أبيه المعتصم سنة سبع وعشرين ومائتين ولعل هذا اليزيدى المذكور هنا أحد أولاد أبى محمد اليزيدى لانه كان له نحو أولاد كلهم علماء أدباء شعراء رواة للأخبار وهم أبو عبد الله محمد وابراهيم وأبو القاسم اسمعيل وأبو عبد الرحمن عبيد الله وأبو يعقوب اسحق وكلهم ألف فى اللغة والعربية فان كان ذلك المذكور أحدا من هؤلاء فكان ينبغى أن يعينه ولا يطلق لفظ اليزيدى لانه لا يفهم منه الا أبو محمد يحيى اليزيدى (رجع) نقلت من خط قاضى القضاة شمس الدين احمد بن خلكان ما صورته نقلت من خط القاضى كمال الدين ابن العديم من مسودة تاريخه ان ابن الرقاق البلنسى الشاعر المشهور كان يسهر فى الليل ويشتغل بالأدب وكان ابوه فقيرا حدادا فلامه ابوه وقال نحن فقراء ولا طاقة لنا بالزيت الذى تسهر عليه فاتفق انه برع فى العلم وقال الشعر ومدح ابا بكر بن عبد العزيز صاحب بلنسية قصيدة أولها

يا شمس خدرها لها مغرب * أرامة دارك ام غرب
ذهبت فاستعبر طرفى دما * مفضض الدمع به مذهب

ومنها

ناشدتك الله نسيم الصبا * اين استقرت بعدنا زينب
لم تسر الا بشذا عرفها * اولا فاذا النفس الطيب
ايه وان عذبنى حبها * فمن عذاب النفس ما يعذب

فأمر له بثلثمائة دينار فجاء الى ابيه وهو جالس فى حانوته مكب على صنعته فوضعها فى حجره وقال خذها واشتر بها زيتا وذكرت ببلنسية هذا ما حكاه صاحب الريحان والريعان قال حضر شاب ذكى فى بعض مجالس الأدب فقال بعضهم ما تصحيف نعمت فطنتنى قال تحصيف حسن فاستغرب اسراعه بالجواب وكان فى المجلس شاعر من اهل بلنسية فاتهم الشاب وقال مختبرا له ما تصحف ببلنسية فأطرق ساعة ثم قال اربعة أشهر فجعل البلنسى يقول صدق ظنى فيك انك تدعى وتنتحل ما تقول ويحك والقتى يضحك ثم قال له الفتى اشعر فأنت شاعر فقال له وأى نسبة بين أربعة أشهر وبين بلنسية فقال ان لم يكن فى اللفظ فهو فى المعنى ثم قام وهو يقول هو ذا فتنبه بعض الحاضرين بعد حين وتطرف اذا أربعة أشهر ثلث سنة وهو تصحيف بلنسية فجعل المنازع ومضى الى الشاب معتذرا معترفا اه قلت وقال آخر لا آخر ما تصحيف نعمت فصحت فجعل لا يهتدى الى تصحيفه فلما اعياه الامر قال له ما تصحيفه قال تحصيف صعب قال بالله قل لى ما تصحيفه قال تحصيف صعب ولم يزالا كذلك هو يسأله وذاك يجيبه ولم يهتد الى أن ذلك هو الجواب وقال آخر لا آخر ما تصحيف استنصح ثقة ففكر زمانا ولما أعياه قال له لم يظهر لى ايش تصحيفه فقال له قد أجبت ولم تعلم بأنك قد أجبت ومن التصحيف ما كتب به ابراهيم بن المهدى الى اسحق بن ابراهيم النديم أى شئ تصحيف لا ترج مثل الاسنة فكتب لا برث جميل الا بثينة فكتب اليه ابراهيم فما تصحيف هذا فكتب اليه وانه منك وحكى أن الامام الناصر قال لابن الدباهى وقد اشترى مملوكا اسمه بليه يا ابن الدباهى ثلثه ثلثه فقال يا أمير المؤمنين لا تعدو مثل هذا ما قاله لى بعض الاصحاب وقد رأى معى مليحا سلسلة يعنى به نينك تنيكه فقلت بقناديل أى

أقمنا بها يوما ويوما وثالثا
ويوم له يوم الترحل خامس
تدور علينا الراح فى عسجدية
حبتها بانواع التصاوير فارس
قرارتها كسرى وفى جنباتها
مهاة تدريها بالقسى الفوارس
فللراح ما زرت عليه جيوبنا
وللماء ما دارت عليه القلانس
كان الجاحظ يقول وجدنا الشعراء تجاذبوا المعانى الا قول عنترة فى وصف الذباب
هزجا يحك ذراعه بذراعه
قدح المكب على الزناد الاجذم
وقول أبى نواس يصف الكاس يعنى فى هذه الابيات السنية فان أحدا من الشعراء لم يجسر التعرض لها وقوله
كيف النزوع عن الصبا والكاس
قس ذا لنا يا عاذلى بقياس
قالوا كبرت فقلت ما كبرت يدى
عن ان تجىء الى فى بالكاس
وقوله
يقولون فى الشيب الوقار لاهله
ويشيبنى بحمد الله غير وقار
اذا كنت لا أنفك عن أريحية
الى رشا يسعى بكاس عقار
وقوله
ظلت جيا الكاس تبسطنا
حتى تهتك بيننا الستر
فى مجلس ضحك السرور به
عن ناجذيه وحلت الخمر

بقياد تلك وأحسن تصحيف رأيته في سلسلة بث بليتي له وهو أحسن من قولهم نيتك تنيكه وحكي أن ابن منقذ قال لابن الساعاتي الشاعر وكان مليحا في حال صباه حسن الصورة والخلق أجبي وأحدثكم فاجابه في الحال مرويك وحكي أن المتوكل قال لابن ماسويه بعت بيتي بقصرين فقال بطين آجرغدا كله قال الخليفة تعشيت فضرني فقال الطبيب بطبي اخرغد الله ونقلت من خط السراج الوراق له

أتيت أرجيه في حاجة * فلم تنبعث نفسه الجامده
وقتل في ذقنه والنغوس * تعاف المقتلة البارده
وكبدي مقطعة دونها * ونيرانها لم تكن خامده
فقلت له خل تقتيلها * وصحف عسى خلفها فائده

وقال ناصر الدين حسن بن النقيب

مازلت مذ غبت عنك في بلدي * حتى اذا ما أزحت علتها
أقمت أجرانها على عجل * وبعد هذا خزنت غلتها

وقال آخر أيضا

وقد كان فيما مضى داية * تحن علينا وتبغي رضانا
فماتت فآلمنا فقدها * فنحن جعلنا عليها حزانا

وقال ابو عبد الرحمن حمزة الاصفهاني في كتاب التنبيه على حدوث التصحيف سمعت ابن دريد يقول وجدت للجاحظ في كتاب البيان تصحيفا شنيعا في الموضع الذي يقول فيه حدثني محمد بن سلام الجمحي قال سمعت يونس يقول ماجاءنا عن احد من روائع الكلام ماجاءنا عن النبي صلى الله عليه وسلم وانما هو البتي فأما النبي صلى الله عليه وسلم فلا شك عند المسلم والذمي أنه أفصح الخلق اه كلام حمزة قلت وقد قلده جماعة من علماء الادب كالابي وغيره وهذا فيه بعد كبير على الجاحظ وهو ماهر في الادب وغيره ولا يجوز أن يقع الجاحظ في مثل ذلك لوجوه الاول انه لا يخفى هذا على من هو دونه الثاني لعله قال البتي بالباء والتاء وانما الناسخ هو الذي حرف ذلك وصحفه بالنبي بالنون والباء وما رأى ذكر النبي بدون ان يقول صلى الله عليه وسلم على عادة النساخ الثالث أن الجاحظ قال سمعت يونس يقول فهو نقله عنه سماعا من لفظه والسماع لا يقع فيه التصحيف ولئن كان الامر كذلك فينبغي أن يغلط يونس دون الجاحظ فاعدة التحقيق يقتضي ان القاف والنون والياء آخر الحروف اذا وقعت أخيرة لا تصحف لان القاف لا تشبه الفاء والنون لا تشبه الباء ولا التاء ولا الثاء وكذلك الياء أيضا ولا يصحف حبيبي بحسن لان الصورتين مختلفتان ولكن الناس تساهلوا في ذلك والتحقيق ماذكرته لان محققي الكتاب اذا وقعت هذه الحروف متطرفات لا ينقطوهن لعدم اللبس فاعرف ذلك

(اعلل النفس بالآمال أرقبها * ما اضيق الدهر لولا فسحة الامل)

(اللغة) علله بالشئ لهاه به كما يعلل الصبي بشئ من الطعام ويعلل نفسه بتعلة أي يلهي وعل الشئ فهو معلول وأنشدني من لفظه لنفسه الشيخ الامام أبو الفتح محمد بن محمد بن سيد الناس بالقاهرة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة من جملة قصيدة مطولة

ياخالي القلب قلبي في محبتهم * لك السلامة مشغوف ومشغول

ولقد تجوب بي الفلاة اذا
صام النهار وقالت العفر
شد نية وعت الحمى فاتت
ملء الجبال كأنها قصر
ومنها
يسعى اليك بها ينوامل
عتبوا فاعتبهم بك الدهر
أنت الخصيب وهذه مصر
فتدفقا فكلاكما بحر
ذكر بعض العلماء في قوله
وحلت الخمر أربعة أوجه
الاول أن طيب المكان
وتكامل السرور صار
مقتضيا لشرب الخمر وملجئا
الى تناولها ورافعا للحرج
فيها على مذهب الشعراء في
المبالغة وفائدة وصفها بأنها
حلت المبالغة في الوصف
بالحسن والجمال الثاني ان
يكون آلى على نفسه أن
لا يتناول الخمر الا بعد الاجتماع
بمحبوبه فكان الاجتماع به
مخرجا من يمينه على عادة
العرب وعلى ذلك قول امرئ
القيس
حلت لي الخمر وكنت امرأ
عن شربها في شغل شاغل
الثالث يريد بحلت نزلت من
الحلول لا من الحلال كأنه
وصف بلوغ آرابه وانها
تكاملت بحضور الخمر الرابع
اننا استحللنا الخمر بسكرنا
وذهولنا والى ذلك أشار في
المعنى بقوله

ذريني اكثر حاسديك برحلة
الى بلد فيه الخصيب امير
اذا لم تزر ارض الخصيب ركابنا
فأى فتى بعد الخصيب تزور

ومنها

فان تولني منك الجميل فأهله
والا فانى عاذر وشكور

وقوله ايضا من ابيات رويت منها هذين البيتين

لقد أتقيت الله حق تقاته
وجهدت نفسك فوق جهد المتقى
وأخفت أهل الشرك حتى انه
لتخافك النطف التى لم تخلق

احتج له فى بعض العلماء فى هذا البيت فقال الانسان اذا خاف شيأ خافه لحمه ودمه فكأن الاعداء خافته ونطفها فى ذلك الوقت دم فجرى الخوف فى الدم فجرى الدم فى الاخلاط واستحالت الى منى بعد الانعقاد والنضج التام فانعقد منه فى الرحم فتكون انسان فخافته من هذا القبيل وهذا أمر غامض والامر فيه محتمل وقال آخر خافته ذرية آدم منذ أخذ الله تعالى عليها الميثاق وهى فى ظهر أبينا آدم حين قال الله تعالى ألست بربكم قالوا بلى فلبث فى ظهر آدم صلوات الله وسلامه عليه القول الاول أمكن عند الحكماء وأما الثانى فهو قريب من باب الاحتمال وقوله

مضى بهم وبماض من تذكرهم * يعيده فهو مقتول ومعلول

النفس الروح يقال خرجت نفسه قال أبو خراش

تجاسالها والنفس منه بشدقه * ولم ينج الا جفن سيف ومئزرا

أى بجفن سيف ومئزر والنفس لغة الدم يقال سالت نفسه وفى الحديث مالا نفس له سائلة فانه لا ينجس الماء اذا مات فيه والنفس الجسد قال الشاعر

نبئت ان بنى سحيم أدخلوا * أبياتهم تامور نفس المنذر

والتأمور الدم واما قولهم ثلاثة أنفس فانهم يريدون بذلك الانسان هذا قول أصحاب اللغة والفقهاء وافقوهم على ذلك وأما ارباب المعقول فقد اختلفوا فى حقيقة النفس ما هى اختلافا كثيرا الى الغاية وأما الحكماء فقالوا النفس عبارة عن هذه الأجزاء النارية السارية فى هذا الهيكل لان النار خاصتها الاشراق والحركة ولهذا قال الاطباء ان مدبر الجسد هو الحار الغريزى وهذا رأى أفلاطون ومن تابعه ومنهم من قال هو عبارة عن هذا الهواء لانه متى كان النفس متردد كانت الحياة باقية فالنفس هو الهواء المستنشق المتردد فى مخارق البدن ولانه لا لون له ويدخل فى المنافس الضيقة وهذا رأى ديوجينس ومن تابعه ومنهم من قال النفس عبارة عن الماء لانه سبب لحصول النشو والنمو والنفس كذلك فكانت هى الماء وهذا رأى تاليس الملطى وهذه الاقوال فاسدة لان الاشتراك فى بعض الصفات لا يوجب التساوى فى تمام الماهية ومنهم من قال النفس عبارة عن مجموع الاخلاط الاربعة بشرط أن يكون كل واحد له قدر معين لانه ما دامت هذه الاخلاط باقية على كيفياتها المخصوصة وكيفياتها المنصوصة فالحياة باقية وهذا ضعيف أيضا لانه لا يثبت العلم بمجرد الدرر ومنهم من قال النفس عبارة عن الدم لانه أشرف اخلاط البدن ومتى نزف الدم عن الجسد فارقته الحياة وهذا رأى جالينوس ومن تابعه من الاطباء فوافقوا الفقهاء واهل اللغة وهذا ضعيف لان الجسد يعرض له عدم الحياة والدم فيه ولانه كان ينبغى ان تزيد النفس بزيادة الدم فى البدن وان تقوى معلوماتها وادراكاتها وتضعف بقلته فى البدن والقضية بالعكس فان الصائم والضعيف يقوى ادراكهما ومنهم من قال ان العناصر المركبة مختلفة فى ماهياتها فالطيف منها لا ينقلب كثيفا وبالعكس وكذا القول فى الرطب واليابس والحار والبارد فثبت أن النفس أجسام لطيفة لذواتها حية لذواتها وتلك الأجسام اذا شابكت هذا الهيكل المحسوس وسرت فيه سريان ماء الورد فى الورد والدهن فى السمسم صار هذا الهيكل حيا بتلك المشابكة ولا يتطرق الذوبان والانحلال الى هذا الهيكل دون تلك الأجسام اللطيفة الحية والاخلاط فيها قابلة لتلك الاجزاء فمتى ذهبت القابلية من الاعضاء والاخلاط انفصلت تلك الاجزاء اللطيفة الحية وكان ذلك هو الموت وهذا القول مشكل لانه يلزم من هذا أنه اذا قطعت أطراف الانسان اما ان يذهب كل طرف بما فيه من النفس وهو باطل لانه يوجب ضعف النفس فى تدبير البدن وضعف الادراك والعلم واما ان تتداخل تلك الاجسام فى الجسد الذى بقى ويقوى تدبير النفس للبدن فى الحركة وقوة الادراك لان تلك الاجزاء تقلصت واجتمعت فى هذا الباقى وهذا فيه قول بتداخل الاجسام وهو محال ومنهم من قال النفس عبارة عن الاجسام اللطيفة المتكونة فى البطن الأيسر من القلب النافذة فى الشرايين النابتة منه الى كل اجزاء البدن ومنهم من قال النفس عبارة عن الارواح المتكونة فى الدماغ الصالحة

لقبول قوة الحس والحركة والحفظ والفكر والذكر النافذة من الدماغ فى شظايا الأعصاب النابتة منه الى أقاصى البدن ومنهم من قال أجزاء هذا البدن على قسمين بعضها أجزاء أصلية باقية من أول العمر الى آخره من غير أن يتطرق اليها شئ من التغيرات والانحلال والزيادة والنقصان وبعضها أجزاء عارضية تبعية تارة تزداد وتارة تنقص فالنفس والشئ الذى يشير اليه كل أحد بقوله أنا هو القسم الاول قال الامام فخر الدين وهذا القول اختيار المحققين من المتكلمين وبهذا القول يظهر الجواب عن أكثر شبهات منكرى البعث والنشور اه وقال بعض المحققين النفوس جواهر روحانية ليست بجسم ولا جسمانية لا داخلة البدن ولا خارجة عنه لا متصلة به ولا منفصلة عنه لها تعلق بالأجساد تشبه علاقة العاشق بالمعشوق وهذا القول ذهب اليه أبو حامد الغزالى فى بعض كتبه ونقل عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال الروح فى الجسد كالمعنى فى اللفظ وما رأيت للنفس مثالا أحسن من هذا ويقال ان بعض المتكلمين سئل عن الروح والنفس فقال الروح هى الريح والنفس هى النفس فقال له السائل فعلى هذا اذا تنفس الانسان خرجت نفسه واذا ضرط خرجت روحه فانقلب المجلس ضحكا وهذه مسئلة عظيمة تتجاذب الادلة فيها وتتعارض وتصح البراهين فيها وتتعارض وما أقول فيها الا ما نطق به القرآن الكريم من قوله تعالى ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى فقد اختلف الناس فيه اختلافا كثيرا وتمسكوا فيه بأدلة تؤيد من كل مذهب ما ادعاه أربابه وجزم بأنه الحق قال الشيخ الامام العلامة كمال الدين محمد بن الزملكانى فى مصنف له قال القاضى عياض ما معناه اختلف الناس فى الروح اختلافا كثيرا لا يكاد ينحصر فقال كثير من أرباب المعانى وعلم الباطن والمتكلمين لا تعرف حقيقته ولا يصح وصفه وهو مما جهل العباد علمه اه قلت ولله در أبى الطيب اذ يقول

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم * الا على شجب والخلف فى الشجب
فقيل تخلص نفس المرء سالمة * وقيل تشرك جسم المرء فى العطب
ومن تفكر فى الدنيا وبهجتها * أقامه الفكر بين العجز والتعب

والقاضى الفاضل حيث يقول

والشعر ثوب طلت عنه وربما * تتعثر الشعراء فى أذياله
سهل على الاسماع لا الاطماع فى * تقريب مطمعه وبعد مناله
كالروح تدركه العقول بفعله * ويضل عنه الفكر فى تجواله

رجع الآمال جمع أمل وتقدم الكلام عليه أرقبها أرصدها الدهر تقدم الكلام عليه فسحة الأمل فسحة الشئ سعته ومكان فسيح ومجلس فسيح اذا كان واسعا (الاعراب أعلل) فعل مضارع مرفوع لتجرده عن الناصب والجازم وفاعله ضمير مستتر فيه تقديره أنا (النفس) منصوب لانه مفعول به (بالآمال) الباء هنا للتعدية وهى متعلقة بأعلل والجار والمجرور فى موضع نصب (أرقبها) فعل مضارع مرفوع لخلوه عن الناصب والجازم والضمير فى موضع نصب لانه مفعول به وهو يعود الى الآمال والجملة فى موضع نصب على الحال تقديره أعلل النفس بالآمال مرتقبا لها (ما) هنا هى التى للتعجب وقد تقدم الكلام على تقسيمها وهى هنا على مذهب سيبويه نكرة غير موصوفة فهى فى موضع رفع على الابتداء وساغ الابتداء بها

مرينا والعيون ترمقه
تجرح منه مواضع القبل
أفرغ فى قالب الجمال فما
يصلح الا لذلك العمل

وقوله أيضا وقد هجا بعضهم فسمع منه ما لا يرضيه فقال

ما أنت بالحر فيلهى ولا
بالعبد يرجى نفعه بالعصا
فرحمة الله على آدم
رحمة من عم ومن خصصا
لو كان يدرى انه خارج
مثلك من حليله لاختصى

وأما قوله فى أمر الزهد فأنشد يوما هذين البيتين يقول

ألا رب وجه فى التراب عتيق
ويا رب حسن فى التراب رقيق
اذا اختبر الدنيا لبيب تكشفت
له عن عدو فى ثياب صديق

وقوله من أبيات يرثى بها الامين وكأنها مطولة والله أعلم

طوى الدهر ما بينى وبين محمد
وليس لما تطوى المنية ناشر
وكنت عليه أحذر الموت وحده
فلم يبق لى شئ عليه أحاذر

(والمعنى يقول أبى تمام فلو صورت نفسك لم تزدها على ما فيك من شرف الطباع) هذا البيت لابى تمام من قصيدة مطولة ستأتى ان شاء الله تعالى فى آخر ترجمته وهو حبيب بن أوس بن الحرث

لانها فى تقدير التخصيص والمعنى شئ عظيم مثل شر أهر ذا ناب وجملة (أضيق) خبر المبتدأ واختلف فى أفعل التعجب فقال قوم انه فعل لانه تدخله نون الوقاية تقول ما أكرمنى وهى مما يدخل على الافعال وهذا مذهب البصريين وقال الكوفيون انه اسم لانه يصغر وأنشدوا على ذلك

يا ما أميلح غزلانا شدن لنا * من هؤلاء بين الضال والسمر

ومذهب البصريين أقوى لأدلة ذكرت فى مواطنها وللتعجب صيغتان وهما أفعل وأفعل به تقول ما أكرمه وأكرم به وهاتان الصيغتان ممنوعتان من الصرف والبناء على غيرهذه الصيغة التى جعلت لهما ولا يبنيان من فعل زائد على الثلاثة وأجاز سيبويه بناءه من أفعل كقولهم ما أعطاه للدرهم وما أولاه للمعروف ولا يبنيان من غير متصرف كنعم وبئس ولا من فعل لا يقبل التفاوت نحو مات وفنى لانه لا مزية فيه لفاعله بل فاعلوه متساوون فيه ولا من فعل ملازم للنفى نحو ما عاج زيد بهذا الدواء أى ما انتفع به لانه لم يستعمل الا فى النفى ولا من فعل اسم فاعله على أفعل وهذا يجئ فى الالوان والعاهات نحو سود فهو أسود وخضر الزرع فهو أخضر وعرج فهو أعرج وحول فهو أحول لان فعل هذين أكثر ما يجئ بزيادة اللام على وزن أفعل نحو أحمر وأخضر وأعور وأحول فان أردت التعجب منهما قلت ما أشد سواده وبياضه وما أشد عرجه وحوله ولا يبنيان من فعل مبنى للمفعول نحو ضرب لئلا يلتبس التعجب منه بالتعجب من فعل الفاعل قال الشيخ بدر الدين محمد بن مالك ولو كان الالتباس مأمونا مثل أن يكون العفل لازما للبناء نحو وقص الرجل وسقط فى يده لكان فعل التعجب منهما خليقا بالجواز اه وقد دارت هذه المسئلة أعنى ضرب زيد وبناء التعجب منه بين أبى جعفر النحاس وبين أبى العباس بن ولاد وجرى بينهما بحث طويل نقض كل منهما كلام الآخر وبعث كل منهما الى ابن بدر النحوى ببغداد فمال مع أبى العباس على أبى جعفر وكأنه ارتشى وقال أبو القاسم الشاطبى وقد وقفت على هذه المسائل فأبو جعفر يسلك فى كلامه طريق النحاة وأبو العباس له ذكاء ذكر ذلك علم الدين السخاوى فى سفر السعادة وفيما دار بينهما فوائد جمة (رجع الدهر) منصوب على التعجب وهو فاعل فى المعنى فعل الفعل المتعجب منه ولكن دخلت عليه همزة النقل فصار الفاعل مفعولا كأنك قلت شئ عظيم ضيق الدهر (لولا) حرف يمتنع به الشئ لامتناع غيره وهى هنا امتناعية وقد تكون تحضيضية كقوله تعالى لولا أخرتنى الى أجل قريب وحكى أبو جعفر النحاس أنها تكون نافية فى مثل قوله تعالى فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها أى فما كانت وهى عند الناس هنا للتحضيض وقيل انها مركبة من لو ولا (فسحة الامل) فسحة مبتدأ ومنهم من قال يرتفع ما بعد لولا بفعل مضمر تقديره لولا حضر أو وجد وليس بشئ ومنهم من قال ارتفع بلولا وليس بشئ ايضا لان لولا غير مختصة والخبر هنا محذوف لان المبتدأ اذا وقع بعد لولا حذف خبره وتقديره لولا فسحة الامل موجودة وانما يحذف الخبر بعد لولا للعلم به لانك تقول لولا زيد لزرتك اى لولا زيد مانع او موجود قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس رحمه الله فعلى ما قاله الجماعة يكون بيت المعرى لحنا وعلى ما قاله الرمانى وهو الصحيح لا لحن فيه اه قلت أما بيت المعرى فهو قوله

يذيب الرعب منه كل عضب * فلولا الغمد يمسكه لسالا

الطائى الشاعر الفاضل الكامل صاحب كتاب الحماسة أقول بأنه ولد فى سنة تسعين ومائة ومات فى سنة ست وعشرين ومائتين من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام بقرية يقال لها جاسم وهى من أعمال حوران من بلاد دمشق وكان أبوه نصرانيا وكان اذ ذاك أبو تمام بمصر القاهرة فى حداثته يستقى الماء بالمسجد الجامع ثم جالس الادباء وأخذ عنهم من النظم والنثر والأدب والفضل ما لا مزيد عليه وكان فطنا ذكيا محبا للشعراء وأصحاب الفضل فلم يزل يعانيه حتى ملكه وسار ذكره فى العصر وبلغ المعتصم اذ ذاك خبره فرحل اليه سرا برأى بعض أصدقائه ومحبيه فعرض عليه قصائده فقدمه على جميع شعراء وقته وزمنه حدث على ابن الجهم قال كان الشعراء يجتمعون فى كل جمعة فى القبة المعروفة بهم بجامع بغداد ينشدون الشعر ويعرض كل منهم على أصحابه ما يكون قد نظمه بعد مفارقتهم فى الجمعة التى قبلها فبينا أنا فى جمعة من تلك الجمع

٣ (قوله لامتناع غيره) صوابه لوجود غيره اه

قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس قالوا حذف خبر المبتدا بعد لولا واجب لان ما في لولا من معنى الوجود دل عليه وقال ان كان الخبر معلوما وجب حذفه كما قال النحاة وان كان مجهولا وجب ذكره فانا اذا قلنا لولا زيد لا كرمتك ان أردنا لولا زيد حاضر أو موجود أو غير ذلك مما يدل عليه قوة الكلام وجب الحذف كما ذكرتم للدلالة عليه وطول الكلام وان اردنا به لولا زيد يلبس كذا او يركب كذا او يفعل فعلا ليس في اللفظ دلالة عليه وجب ذكره حينئذ والا كان في حذفه تكليف السامع علم الغيب وانشد على ظهور الخبر قول الشاعر * فوالله لولا الله لا شئ غيره * وقوله ايضا * فوالله لولا الله تخشى عواقبه * وابياتا غير ذلك اه ما حكاه ابن النحاس وقال الشيخ جمال الدين محمد بن مالك في شرح التسهيل وجب حذف خبر لولا الامتناعية لانه معلوم بمقتضى لولا اذ هي دالة على امتناع الثبوت والمدلول على امتناعه هو الجواب والمدلول على ثبوته هو المبتدا ثم قال فيما بعد والمراد بالثبوت هنا الكون المطلق فلو اريد كون مقيد لا دليل عليه لم يجز الحذف نحو لولا زيد سالمنا ما سلم ولولا عمرو عندنا لهلك ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لولا قومك حديث عهد بكفر لاسست البيت على قواعد ابراهيم فلو اريد كون مقيد مدلول عليه جاز الاثبات والحذف نحو لولا انصار زيد حموه لم يجز فحموه خبر مفهوم المعنى فيجوز اثباته وحذفه ومن هذا القبيل قول المعري وانشد البيت ثم قال وهذا الذي ذهب اليه الرماني وابن الشجري والشلوبين وغفل عنه أكثر الناس ومن ذكر الخبر بعد لولا قول ابي عطاء السندي

لولا ابوك ولولا قبله عمر * القت اليك معد بالمقاليد

اه كلامه وفي حذف خبر لولا قال السراج الوراق ومن خطه نقلت

كم أناديك مفردا علما أر * فعه عالما بشرط المنادى

وجوابي يلغى يحاكي للولا * خبر الواو توابه ما أفادا

وذكرت ببيت أبي العلاء المعري قول بن المعتز

يكاد يجري من القميص من النعمة لولا القميص يمسكه

وقوله ايضا يصف فرسا

يكاد أن يخرج من اهابه * اذا تدلى السوط لولا اللبب

وقول أبي الشيص في مثل هذا

لولا التمنطق والسوار معا * والخجل والدملوج في العضد

لتزايلت من كل ناحية * لكن جعلن لها على عمد

وأخذ أبو الطيب هذا ديباجا منقوشا وأعاده ساجا مخدوشا فقال

ترفع ثوبها الارداف عنها * فيبقى من وشاحيها شسوعا

اذا ما ساست رأيت لها ارتجاجا * له لولا سواعدها نزوعا

وأخذه ايضا كمال الدين علي بن النبيه تبرا وأعاده دررا فقال

لها معصم لولا السوار يصده * اذا حسرت أكمامها لجرى نهرا

ومثله قول الآخر

لها من الليل البهيم طرة * على جبين واضح نهاره

ودعبل وابن أبي الشيص وابن أبي فنن والناس مجتمعون يسمعون انشاد بعضهم بعضا أبصرت شابا في أخريات الناس جالسا في زي الاعراب فلما فرغ كل منهم وقطع انشاده التفت الشاب الينا وقد قال سمعت انشادكم منذ اليوم فاسمعوا انشادي فقلنا هات فأنشد

* فوالله عين على * نجوالك ياندل *

ثم مر فيها منشدا حتى اتى الى قوله

تغاير الشعر فيه اذ سهرت له * حتى ظننت قوافيه ستقتتل

فعقد ابو الشيص عند هذا البيت خنصره ثم مر فيها الشاب الى ان اتى على آخرها ثم انشد قصيدة اخرى فقلنا له ايها الشاب لمن هذا الشعر فقال لمن انشدكموه قلنا له ناشدناك الله من تكون فضحك وقال انا ابو تمام الطائي فرفعنا مجلسه حينئذ وعظمناه تعظيما كبيرا واشتد اعجابنا به لدماثة اخلاقه وفصاحة منطقه وجودة شعره ثم انني ما عرفت عقد خنصر ابي الشيص هل كان اعجابا به مما سمع في البيت من البديع المرقص او اخذا عليه في اسكان الياء في قوله حتى ظننت قوافيه اعني من لفظة قوافيه وهي ضرورة

ومعصم يكاد يجرى رقة * وانما يعصمه سواره

وأنشدنى من لفظه الشيخ الامام الحافظ العلامة أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف قال أنشدنى شمس الدين محمد بن المحدث لوالده عز الدين بن عبد الرزاق

قالت وقد صرت كطيف الخيال * كيف ترى فعل الدمى بالرجال
وسددت سهما الى مقتلى * تقول هل فيك لدفع النصال
رقيقة الجسم فلولا الذى * يمسكه من قوسه القلب زال

(المعنى) أمنى النفس وأعللها برقبة الآمال وانتظار بلوغها وادراكها فيتسع لها ما ضاق عليها من الدهر أو من العيش ثم قال ما أضيق الدهر لولا ان فسحة الامل توسعه وفى الآمال راحة للنفوس قال صلى الله عليه وسلم الامل رحمة لامتى لولا الأمل ما أرضعت والدة ولدها ولا غرس غارس شجرا ومن هنا قال الحسن لو عقل الناس وتصوروا الموت بصورته خربت الدنيا وقال بن المعتز فيما أظن نعم الرفيق الأمل ان لم يبلغك فقد آنسك واستمتعت به والاصل فى هذا قول بن ميادة

أمانى من ليلى حسان كأنما * سقتنى بها ليلى على ظمأ بردا
منى ان تكن حقا تكن أحسن المنى * والا فقد عشنا بها زمنا رغدا

وما أحسن قول القاضى الفاضل وقد وجدت ريح كتبه وروح قربه فرجعنا الى العادة وعادت أيامنا وصرنا الى الحسنى ورق كلامنا وعاودتنا المنى وما كانت تخطر وان خطرت فانها كلا منى وكل امرئ أمانيه تليق بمعاليه قيل للامام أحمد بن حنبل ما تتمنى قال سندا عاليا وبيتا خاليا وقيل لبعض الوراقين ما تتمنى قال قلما مشاقا وحبرا براقا وجلودا وأوراقا وقيل لبعض الصوفية ما تتمنى قال ذقنا ودلقا ولا أريد رزقا وقال بعضهم

لو قال لى خالقى تمن * قلت له سائلا بصدق
أريد فى صبح كل يوم * فتوح خير يأتى برزق
كف حشيش ورطل لحم * ومن خبز ونيك علق

وقال آخر

لو قيل ما تتمنى قلت فى عجل * أخا صدق وأنيسا غير خوان
اذا فعلت جميلا ظل يشكرنى * وان أسأت تلقانى بغفران

وقيل لبعض العشاق ما تتمنى فقال اعين الرقبا والسنة الوشاة وأكباد الحساد واخذ هذا بعضهم ونظمه فقال

قال لى هودى غداة اتونى * ما الذى تشتهيه واجتهدوا بى
قلت مقلى فيه لسان وشاة * قطعوه فيه بصنع عجيب
واضيفت اليه كبد حسود * فغثت فوقها عيون رقيب

وقال آخر

عندى لكم يوم التواصل دعوة * يا معشر الجلساء والندماء
اشوى قلوب الحاسدين بها وأ * سنة الوشاة وأعين الرقباء

وقيل لبعض الاعراب ما أمتع لذات الدنيا فقال ممازحة الحبيب وغيبة الرقيب وقال

جائزة عند الشعراء ثم ترقت حال ابى تمام وتمول بالمال الجزيل حتى عاد الى بلده فضرب خياما واظهر نعمة واثاثا فخرجت اعراقه من بعض احياء العرب ومعها اختها يستقيان فتأملته زمانا ثم التفتت الى صاحبتها وقالت أتدرين الرجل قالت لا والله قالت بلى والله أنا أعرفه قالت ومن هو قالت انه والله أقيرع جاسم فلما سمع ما قالت النسوة رحل من وقته وساعته وعاد الى الموصل فما زال بها الى أن مات رحمة الله تعالى عليه * وحكى البحترى قال دخلت على سعيد بن اسلم الطائى فانشدته قصيدتى فى مدحه التى أولها أفاق صب من هوى فأفيقا والى جانبه شخص لا أعرفه فلما فرغت منها أقبل على ذلك الشخص وقال أما تستحى ان تنتحل شعرى وتنشده بحضورى ثم مر فى القصيدة فانشدها من حفظه فتغير وجه سعيد والتفت الى وقال يا ابن أخى قد كان فى الوسائل عندنا مندوحة عن سرقة الشعر فخرجت كاسف البال وسألت عن الرجل فقيل انه أبو تمام الطائى فلما بعدت لحقنى الحاجب وأمرنى بالعود واذا أبو تمام

الاصمعي سئل امرؤ القيس ما أطيب لذات الدنيا فقال بيضاء مرعبوبه بالشمم مكروبه بالمسك مشبوبه وسئل الاعشى عن ذلك فقال صهباء صافيه تمزجها ساقيه من صوب غاديه وسئل طرفة عن ذلك فقال مركب وطى وثوب بهى ومطعم شهى قال العكوك فحدثت أبا دلف بذلك فقال

أطيب الطيبات قتل الاعادى * واختيالى على متون الجياد
ورسول يأتى بوعد حبيب * وحبيب يأتى بلا ميعاد

وحدثت بذلك حميد الطوسي فقال

ولولا ثلاث هن من عيشة الفتى * وجدك لم أحفل متى قام عودى
فمنهن سبق العاذلات بشربة * كميت متى ما تعل بالماء تزبد
وكرى اذا نادى المضاف مجنبا * كسيد الغضا نبهته المتورد
وتقصير يوم الدجن والدجن معجب * ببهكنة تحت الخباء المعمد

وحدثت بذلك الزبير بن عبد الله فقال ما أدرى ما أقول ولكنى أقول هكذا

فاقبل من الدهر ما أتاك به * من قر عينا بعيشه نفعه

اه قلت أخبرنى من لفظه الشيخ الامام الحافظ العلامة أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بالديار المصرية سنة سبعمائة وثمانية وعشرين قال قرأت على أستاذنا العلامة أبى جعفر أحمد بن ابراهيم بن الزبير الحافظ المؤرخ حفظا عن ظهر قلب الاشعار الستة ومنها ديوان طرفة ابن العبد فمن ذلك قوله فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى الابيات الاربعة قال الشيخ أثير الدين قوله وجدك أى وسعدك والعواد الزائرون فى المرض والعاذلات اللائمات والشربة هنا الخمر وكميت فيها حمرة وبياض وتعل تمزج وتزبد تصير عليها رغوة وكرى عطفى والمضاف المستغيث ومجنبا فرسا قويا والسيد الذئب والغضا شجر والمتورد الذى صار لونه أحمر من دم الفرائس والدجن الغيم الذى فيه المطر والبهكنة الجارية الناعمة والمعمد الذى له العمد وأخبرنى أيضا من لفظه قال أنشدنا شيخنا الشيخ الناقل النسابة حافظ المشرق والمغرب شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف بن أبى الحسن الدمياطى يوم الاربعاء الخامس عشر من جمادى الآخرة سنة ستمائة وثمانين بالقاهرة بقراءتى عليه قال أنشدنا الشيخ الامام العالم الصاحب عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن حسين بن أبى الحديد المعتزلى ببغداد ومولده بالمدائن يوم السبت مستهل ذى الحجة سنة ست وثمانين وخمسمائة لنفسه

لولا ثلاث لم أخف صرعتى * ليست كما قال فتى العبد
أن أنصر التوحيد والعدل فى * كل مكان باذلا جهدى
وان أناجى الله مستمتعا * بخلوة أحلى من الشهد
وان آتيه الدهر كبرا على * كل لئيم أصعر الخد
لذاك أهوى لافتاة ولا * خمر ولاذى ميعة نهد

وأخبرنى من لفظه أيضا قال وجدت فى كتاب طرف المجالسه وملح المؤانسه تأليف الكاتب الرئيس أبى عمر وعثمان بن أبى بكر بن يحيى المرابط وقد رأيته بغرناطة مما أنشده

يضحك فاستدنانى وقال
ياسيدى الشعر لك وانما
هذه عادتى فى حفظ القصيدة
من مرة واحدة ولقد نعيت
الى نفسى فانه ما نبغ من
قبيلة مجيد أو شريف الا مات
من كان قبله مثله أو ما سمعت
قول الشاعر
اذا مقدم منا ذر احد نابه
تخطم منا ناب آخر مقدم
فقلت بل يجعلنى الله فداك
ثم لزمته وكان محسنا الى الى
ان مات وحكى أبو حيان قال
كان لابى تمام صديق يسكر
من قدحين فكتب اليه
يستدعيه الى الشرب ان
رأيت ان تنام عندنا الليلة
فافعل * ومن محاسن شعره
قوله
الى قطب الدنيا الذى لو بفضله
مدحت بنى الدنيا كفتهم
فضائله
تعود بسط الكف حتى لو انه
ثناها لقبض لم تطعه أنامله
ولو لم يكن فى كفه غير نفسه
لجاد بها فليتق الله سائله
وقوله ايضا
ومرحب بالزائرين وبشره
يغنيك عن أهل لديه ومرحب
يعطى عطاء المنعم المتفضل
الندى
عفوا ويعتذر اعتذار المذنب
وقوله ايضا
قوم اذا اوعدوا اووا عدوا
غمروا
صدقا ذوائب ما قالوا بما فعلوا

للامام المحدث ضياء الدين أبي جعفر أحمد بن صابر القيسي الظاهري وقد أخبرني عن ابن صابر الاستاذ أبو جعفر بن الزبير

لولا ثلاث هن والله من * أكبر آمالي في الدنيا
حج لبيت الله أرجو به * أن يقبل التوبة والسعيا
والعلم تحصيلا ونشرا اذا * رويت أوسعت الورى ريا
وأهل ود أسأل الله أن * يمتع بالبقيا الى اللقيا
ما كنت أخشى الموت اني اتى * بل لم أكن التذبالمحيا

وأنشدني الشيخ أثير الدين من لفظه لنفسه

* أما انه لولا ثلاث أحبها * تمنيت اني لا أعد من الأحيا
فمنها رجائي ان أفوز بتوبة * تكفر لي ذنبا ويفلح لي سعيا
ومنهن صون النفس عن كل جاهل * لئيم فلا أمشي الى بابه مشيا
ومنهن أخذي للحديث اذا الورى * نسوا سنة المختار واتبعوا الرأيا
أترك نصا للرسول ونقتدي * بشخص لقد بدلت بالرشد الغيا

وقلت أنا في هذه المادة على وزن أبيات ابن الحديد ورويه

لولا ثلاث هن أقصى المنى * لم أهب الموت الذي يردي
تكميل ذاتي بالعلوم التي * تنفعني ان صرت في لحدي
والسعي في رد الحقوق التي * لصاحب نلت به قصدي
وان أرى الاعداء في صرعة * لقيتها من جمعهم وحدي
فبعدها اليوم الذي حم لي * عندي استوى في القرب والبعد

وقد تمنى الناس كثيرا ولا مثل تمني كثير عزة في قوله

وددت وحق الله انك بكرة * وأني هجان مصعب ثم نهرب
كلانا به عرفن يرنا بقل * على حسنها جرباء تعدي وأجرب
نكون لذي مال كثير مغفل * فلا هو يرعانا ولا نحن نطلب
اذا ما وردنا منهلا صاح أهله * علينا فما تنفك نرمى ونضرب

روى أن عزة لما بلغها ذلك وحضر اليها استنشدته الابيات فلما أنشدها قالت له ويحك لقد أوردت الشقاء بي أما وجدت امنية أوطأ من هذه فخرج من عندها خجلا وأسوأ من هذه الامنية أمنية الفزاري حيث قال

من حبها أتمنى أن يلاقيني * من نحو بلدتها ناع فينعاها
كيما أقول فراق لا لقاء له * وتضمر النفس يأساً ثم تسلاها

واسكنه استدرك بعد ذلك فقال

ولو تموت لراعتني وقلت لها * يا بؤس للموت ليت الدهر أبقاها

وقال آخر

تمنيت من حبي بثينة اننا * وثدنا جميعا ثم تحيى ولا أحيا
فترجع دنياها عليها وانني * بساعة ضميها رضيت من الدنيا

وقلت

يستعذبون منايا هم كأنهم
لا ييأسون من الدنيا اذا قتلوا

وقوله ايضا

لا تنكري عطل الكريم من الغنى
فالسيل حرب للمكان العالي
وتنظري خبب الركاب بنصها
محيي القريض الى ميت المال

وقوله ايضا

واذا اراد الله نشر فضيلة
طويت اتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت
ما كان يعرف طيب عرف العود

وقوله ايضا

ليس الحجاب بمقص منك لي املا
ان السماء ترجى حين تحتجب

وقوله ايضا

توفيت الآمال بعد محمد
واصبح في شغل عن السفر السفر
فتى مات بين الضرب والطعن ميتة
تقوم مقام النصر ان فاته النصر
مضى طاهر الاثواب لم تبق روضة
غداة ثوى الا اشتهت انها قبر
كأن بني نبهان عند وفاته
نجوم سماء غاب من بينها البدر
لئن ابعد الدهر الحزون بفقده
لما مهدي به من يحب له الدهر

وقوله ايضا

اذا فقد المفقود من آل مالك
تقطع قلبي رحمة للكارم

وقلت

وقلت أنا

هل يكتسي المحبوب قبحا زائدا * بدلا من الحسن الذي غطاه
وأراه بالعين التي أبصرته * كي لا أرى غيري قتيل هواه

وقال أبو عثمان سعيد بن حميد

لامت قبلك بل أحيا وأنت معا * ولا أعيش الى يوم تموتينا
لكن نعيش كما نهوى ونأمله * ويرغم الله فينا أنف واشينا
حتى اذا قدر الرحمن موتتنا * وحان من أمرنا ما ليس يعدونا
متنا جميعا كغصني بانة ذبلا * من بعد ما نضرا واستقيا حينا
في مثل طرفة عين لا أذوق شجا * من الممات ولا أيضا تذوقينا
ثم السلام علينا في مضاجعنا * حتى نقوم الى ميزان منشينا
فان تنل عفوه فالخلد يجمعنا * ان شاء أو في لظى ان شاء يلقينا
اذا التظت بردتها بيننا قبل * وبردريق على اللوعات يشفينا
حتى يقول جميع الخالدين بها * يا ليت أنا معا كنا محبينا

والاصل في هذا قول بعضهم

وليت سلمى في المعاد ضجيعتي * هنا أو هنا في جنة أو جهنم

وأبان العباس بن الاحنف عن غلطة لم تعهد منه في عشقه حيث قال

ألا ليتنا نعمى اذا حيل بيننا * وتنشأ لنا أبصارنا حين نلتقي
أضن على الدنيا بطرفي وطرفها * فهل بعد هذا من فعال لمشفق

ولم يرح مع محبوبه رأسا برأس حتى يدعي ان هذا غاية ما يكون من الاشفاق ومن البز ما يكون عقوقا وأما الدعاء على المحبوب فهو كثير ومن أحسن ما في هذا الباب قول بعضهم

يا ذا الذي كل يوم * يزيد عقلي خبالا
ولهفتي فيه حتى * أعاد رشدي ضلالا
أدعو عليك وقلبي * يقول يا رب لا لا

وقول الآخر من موشحه

شكوت ما لي اليه * فلم يرق لذلي
فقلت لامت حتى * أراك في العشق مثلي
وقلت في السر منه * يا رب لا تستجب لي

وهو مأخوذ من قول الآخر

أيها المعرض صفحا * عن خطابي وجوابي
لا أزال الله عمري * أو يريني بك مابي
رب فاجعله دعاء * خائبا غير مجاب
رق قلبي ان يرى قل * بك في مثل عذابي

وقول الآخر

ولما بدا لي أنه غير زائري * وان هواه ليس عني بمنجلي

الم تر بالايام كيف فجعننا
به ثم قد شاركننا في المآتم
رواكد تقصى الكف من متناول
وفيها علال ترتقي بالسلالم
بني مالك قد نبهت خامل الثرى
قبور لكم مستشرفات المعالم

وقوله ايضا

ورأت شحوبا رابها في جسمه
ماذا يريبك من جواد مضمر
عفت به الايام حتى انها
لتكاد تفحوه بعالم يقدر

واكثر شعر ابي تمام مختار وهو في الشهرة كابي الطيب فيكفي من شعره هذا القدر وما أذكر في هذا الشرح من بعض هذه التراجم التي هي من باب لزوم ما لا يلزم الا ما يتضمن من فائدة تحسنه وترغب فيه وأما القصيدة التي منها البيت المذكور أبو تمام بسببه فهي هذه

خذي عبرات بينك عن سماعي
وصوني ما أقلت من القناع
آلفة الجبيب كم افتراق
أجد فكان داعية اجتماع
وليست فرحة الاوبات الا
لموقوف على شرح الوداع
ترجع ان رأت جسمي ضئيلا
كأن المجد يدرك بالصراع
فتى النكبات ان يأوى اذا ما
أطفن به الى خلق وساع
أبن مع السباع الماعجى
لمخالته السباع من السباع

تمنيت أن يهوى ويخفى اعله * يقاسى مرارات الهوى فيرق لى

وقال ديك الجن

كيف الدعاء على من جار أو ظلما * ومالكى ظالم فى كل ما حكما
لا آخذ الله من أهوى بجفوته * عنى ولا اقتص لى منه ولا انتقما

قلت ما احقه بقولهم صار فرعون مذكرا أليس هو الذى قتل جاريته وغلامه اللذين كان يهواهما وأحرق جسديهما وأخذ رمادهما وخلطه بدمهما وصنع منه بربتين للخمر فكان يضعهما فى مجلس شرابه يمينا وشمالا فاذا اشتاق اليهما قبل كل واحدة منهما قبلة وأنشد أبياته فى الجارية ومنها

ياطلعة طلع الحمام عليها * وجنى لها ثمر الردى بيديها
رويت من دمها الثرى ولطالما * روى الهوى شفتى من شفتيها

ثم يقبل الأخرى وينشد أبياته فى الغلام ومنها

فقتلته وبه على كرامة * فلى الحشا وله الفؤاد بأسره
عهدى به ميتا كأحسن نائم * والحسن يسفح دمعتى فى نحره

وقال ابو الفضل احمد بن الخازن

ياظالمى ان للظلم مقلة * ليس تغفى
حملتنى ثقل حب * اليك يشكوه ضعفى
رفقا فديتك رفقا * فبعض ذلك يكفى
واحذر اذا الليل أرخى * ذيوله رفع كفى

وقال ابن وكيع

ان كنت تعلم ما بى * وأنت بى لا تبالى
فصار قلبك قلبى * وصرت فى مثل حالى
بل عشت فى طيب عيش * تقيك نفسى ومالى
دعوت اذ ضاق صدرى * عليك ثم بدالى

وقال أيضا

فهم غالط منى فهما * جاءنى يسأل عما علما
مقسم ما بلغته علتى * كاذب والله فيما زعما
كيف لم يبلغه عنى سقمى * وهو المهدى الى السقما
رزق المظلوم منا رجة * ثم لا أدعو على من ظلما

ولم أدر من السابق الى هذا المعنى أهو أم الذى قال

حجبى عليك اذا خلوت كثيرة * فاذا حضرت فانتى مخصوم
لا أستطيع أقول أنت ظلمتنى * والله يعلم أننى مظلوم

وقال ابن منقذ

ياظالما يعرض عنى اذا * دعوت غضبانا على ظالم
أظنه أنت والا فلم * تخشى دعائى دون ذا العالم

فلب الحزم ان حاولت يوما بأن تستطيع غير المستطاع

قال المرزوقى فى شرح هذا البيت يقول ان أردت أن تقدم على ما لا يقدر عليه فأجب حزمك وعزمك واصطبر عليه ولا تخالفه فان ذلك يؤديك الى النجح وهذا على رأى من روى فلب الحزم من التلبية ونسب بعضهم هذا البيت الى المحال فقال الحزم فى ترك طلاب ما لا يطاق فكيف يعزم على ادراكه حتى يجيبه بالتلبية وقال المرزوقى وهذا من قائله بعيد اذ معنى البيت أجب الحزم وعليك به فيما تطلب من المهمات فان الحزم يعين على كل شئ حتى على ما لا يتأتى ولا يتسهل وهذا كما يقال كل ما لا يقدر عليه خلق فاستعن فيه بكذا وكذا يريد انه مبارك السعى ويراد بذلك المبالغة فى تأتيه وقال آخر أراد أن حاولت يوما لا يدخل تحت قدرتك فأجب الحزم فانه يدعوك الى ترك طلبه وروى أيضا قلبت الحزم ومن القصيدة أيضا فى المدح

أطال يدى على الايام حتى * وقيت صروفها صاعا بصاع
جعلت الجود لا لاء المساعى * وهل شمس تكون بلا شعاع
ورأيك مثل رأى السيف صحت * مشورة حده عند المصاع

يارب لاتسمع دعائى وان * كان دعاء المغرم الهائم

وقال ابن سناء الملك

أسر لطول أسرى فى يديه * فتغضب اذ أسر لطول أسرى
سالت الله أن يبلى بعشق * فأصبح عاشقا لكن لهجرى

وما أحسن دعاء نور الدين على بن سعيد المغربى

كم جفانى فرمت أدعو عليه * فتوقفت ثم ناديت ذا هل
لاشفى الله طرفه من سقام * وأرانى عذاره وهو سائل

وأنشدنى المولى القاضى شهاب الدين أحمد بن غانم لنفسه

والله ما أدعو على هاجرى * الا بأن يبعث بالعشق
حتى يرى مقدار ما قد جرى * منه وما قدتم فى حقى

وما أحلى قول القائل

قلت لمحبوبى وقد مر بى * محبوبه كالقمر السارى
هذا الذى يأخذ لى طرفه * من طرفك الوسنان بالثار

ومن الدعاء الحسن قول بعضهم

يارب ان قدرته لمقبل * غيرى فللمسواك أو للأكؤس
واذا قضيت لنا بحجة ثالث * يارب فليك شمعة فى المجلس
واذا حكمت لنا بعين مراقب * يارب فليك من عيون النرجس

وقول ابن أبى الحديد

لاعانقتك من البرية كلها * الا اليمنى وبند قباك
كلا ولا رشفت رضابك بعدما * قد ذقته شفة سوى المسواك

ونقلت من خط شمس الدين محمد بن التلمسانى

أعز الله انصار العيون * وخلد ملك هاتيك الجفون
وضاعف بالفتور لها اقتدارا * وان تك أضعفت عقلى ودينى
وصان حجاب هاتيك الثنايا * وان ثنت الفؤاد الى الشجون
وأسبغ ظل ذاك الشعر يوما * على قدبه هيف الغصون
وخلد دولة الاعطاف فينا * وان جارت على قلبى الطعين

وقال أيضا أدام الله أيام الوصال * وخلد عمر هاتيك الليالى
وأسبغ ظل أغصان التدانى * وزاد قدودها حسن اعتدال
ولازالت ثمار الانس فيها * تزيد لطافة فى كل حال
ولا برحت لنا فيها عيون * تغازل مقلتى خشف الغزال

(رجع) وقد أخذ العماد الكاتب قول الطغرائى فقال

وما هذه الايام الا صحائف * نؤرخ فيها ثم نمحى ونمحق
ولم أر شيأ مثل دائرة المنى * توسعها الآمال والعمر ضيق

وقال العفيف اسحق بن خليل كاتب الانشاء للناصر دواد

ولو صورت نفسك لم تزدها
على ما فيك من كرم الطباع

(والمراد بقول أبى الطيب
ذكر الانام لنا فكأن قصيدة
كنت البديع الفرد من
أبياتها)

هذا البيت لابى الطيب
المتنبى وقد تقدم ذكره وانما
أذكره ههنا لمحاسن القصيدة
التى منها هذا البيت وهى
قصيدة يمدح بها محمد بن
أحمد بن عمران التى يقول فى
أولها شرب محاسنه وهمت
ذواتها

ومطالب فيها الهلاك أتيتها
ثبت الجنان كأننى لم آتها
ومقانب غادرتها بمقانب
أقوات وحش كن من أقواتها

يعنى كم جيش لفقته بجيش
حتى اقتتلوا وصاروا قوتا
للوحش بعدما كان الوحش
قوتا لهم فى الصيد وفى هذا
المعنى خلل لان الوحش الذى
يقتات القتلى لاتقتاته
الفرسان فى الصيد

أقبلتها غرر الجياد كأنما
أيدى بنى عمران فى جبهاتها

يعنى وجهت الخيل قبل
وجوه هذه المقانب وهى
غرف كان بياض أيدى بنى
عمران الممدوحين فى جبهاتها
وان كان أراد ببياض أيديهم
اللون فليس فيه كبير معنى
وان كان أراد بالايدى النعم
فهو مدح وان كان من باب

لولا مواعيد آمال أعيش بها * لمت يا أهل هذا الحي من زمن
وانما طرف آمالي به مرح * يجري بوعد الأماني مطلق الرسن

وقال ابن خفاجة الأندلسي

وليل اذا ما قلت قد بان وانقضى * تكشف عن وعد من الظن كاذب
ولا أنس لا أن أضاحك ساعة * ثغور الأماني في وجوه المطالب
سحبت الدياجي فيه سود ذوائب * لأعتنق الآمال بيض الترائب

وقال آخر

فبت أراعي النجم حتى كأنما * بناصيتي حبل الى النجم موثق
وما طال ليلي غير أني بوعدها * أعلل نفسي بالاماني فتعلق

قلت الاول مأخوذ من قول أبي الطيب

بعيدة ما بين الجفون كأنما * عقدتم أعالي كل جفن بحاجب

وعكس ابن نباتة السعدي هذا المعنى فقال

فلا تجعلني كالذين رأيتهم * ومن يجعل الاقدام فوق الذوائب
اذا أبصروني نكسوا فكأنما * شواربهم معقودة بالحواجب

وقال الآخر في المعنى

في المنى راحة وان علتنا * من هواها بعض ما لا يكون

وقال أبو طالب المأموني

لي في ضمير الدهر سر كامن * لا بد أن تسئله الاقدار

وقال الحسين بن الضحاك

وصف البدر حسن وجهك حتى * خلت اني وما أراك أراك
واذا ما تنفس النرجس الغض توهمته نسيم شذاكا
خدع للمنى تعللني فيك باشراق ذا وبهجة ذاكا

ومن هنا أخذ الوليد بن زيدون قوله

أمامني قلبي فانت جميعه * ياليتني أصبحت بعض منا كا
يدني مزارك حين شط به النوى * وهم أكاد به أقبل فاكا

والحاجري أخذ من هنا قوله أيضا

يمثلك الشوق الشديد لناظري * فأطرق اجلالا كأنك حاضر

وما أحسن قول شهاب الدين أحمد بن الخيمي

لولا الرجا بمعاد اللقاء وفي * قضيت قبل انقضاء يوم النوى أسفا
فما لقيت سلوا بعد بعدهم * لولا مداواة قلبي بالمنى تلفا

وقال رزين من شعراء الذخيرة

لا سرحن لواحظي * في ذلك الروض النضير
ولأكتمنك بالمنى * ولأشربنك بالضمير

وقال آخر

تشبيه العرض بالجوهر العارفين بها كما عرفتهم والراكبين جدودهم أماتها كان ينبغي أن يقول والراكب جدودهم أماتها وانما حملته الضرورة على وجه ضعيف في قولهم أكلوني البراغيث قال الواحدي والذي ذكره الناس في معنى هذا البيت أن هذه الخيل تعرفهم ويعرفونها لانها من نتائجهم تناسلت عندهم فجدود الممدوحين كانت تركب أمهات هذه الخيل وسياق الابيات قبله يدل على أنه يصف خيل نفسه لا خيل الممدوحين وهو قوله أقبلتها غرر الجياد واذا كان كذلك لم يستقم المعنى الا أن يدعي مدع انه قاتل على خيل الممدوحين وانهم يعطون الخيل للشعراء والذي يزيل الاشكال ان يقال الجياد اسم جنس ففي قوله غرر الجياد أراد خيل نفسه وفيما بعده أراد خيل الممدوحين والجياد يعم الخيلين جميعا ثم قال فكأنها تجت قياما تحتهم وكأنهم ولدوا على صهواتها ان الكرام بالاكرام منهم مثل القلوب بالاسويدا واتها عجبا له حفظ العنان بانمل ما يحفظها الاشياء من عاداتها لو مر يركض في سطور وكتابة أحصى بجافر مهره ميماتها

عليني بموعد * وامطلي ماحييت به
ودعيني أفوز منك بنجوى تطلبه
فعسى يعثر الزما * ن بحظي فينتبه

وما أحلى قول علم الدين ابدر المحيوى

كم لديناهما ينا * قد حوت محكم العمل
فارغات من الدنا * نير ملاني من الأمل

اخذ المعنى من الاول وعكسه وهو

وأن رجاء كامنا في نواله * لكالمال في الاكياس تحت الخواتم

وقال أبو اسحق الغزي

ذراني وأوهام المطامع فالمنى * تقوم نساياها مقام نقودها
ولو حصل الاتجاز لم يبق مطمع * وجودا شتعال النار داعي خمودها

وقال صاحب كتاب الجليس والانيس كتب رجل الى الحسن بن وهب بشيء تمنحه وكان مضيقا عليه فكتب اليه الحسن

الجود طبعي ولكن ليس لي مال * فكيف يصنع من بالفرض يحتال
وشهوتي في العطايا وانبساط يدي * وليس ما اشتهي يأتي به الحال
فهاك خطي فذرني ليس لي نشب * وحيث يمكن احسان فافضال

ومن الناس من يروي للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب البيت الاول من هذه الابيات وبعده

فهاك خطي الى أيام ميسرتي * يشهد علي فلي في الغيب آمال

وما علم هؤلاء المكارم على هذه الصورة الاسعيد بن العاص فانه كان اذا سأله سائل ولم يكن له مال حاضر ولا عنده ما يعطيه قال اكتب علي سجلا الى أيام ميسرتي وقال مؤيد الدين الطغرائي

فصبرا معين الملك ان عن حادث * فعاقبة الصبر الجميل جميل
ولا تيأسن من صنع ربك انني * ضمين بان الله سوف يديل
ألم تر ان الليل بعد ظلامه * علينا الاسفار والصباح دليل
وان الهلال النضو يقمر بعدما * بداوهو شخت الجانبين ضئيل
ولا تحسبن الروح يقلع كلما * يمر به نفح الصبا فيميل
ولا تحسبن السيف يقصف كلما * تعاوده بعد المضاء فلول
فقد يعطف الدهر الابي عنانه * فيشفي عليل أو يبل غليل
ويرتاش مقصوص الجناحين بعدما * تساقط ريش واستطار فسيل
ويستانف الغصن السليب نضارة * فيورق مالم يعتوره ذبول
وللنجم من بعد الرجوع استقامة * وللعظم من بعد الذهاب قفول

وكتب أبو اسحق الصابي الى الشريف الرضي

أباحسن لي في الرجال فراسة * تعودت منها أن تقول فتصدقا

يعني أنه لفروسيته وحسن تصرفه في الخيل في الكر والفر لو ركض بفرسه في طرس مكتوب وأراد أن يحصي بحوافر مهره الممات لفعل وخص الممات لانها أشبه بالحوافر وأدق من العينات التي هي أيضا تشبه الحوافر وأكثر وجودا في الحروف وخص المهر لانه أشغب من غيره

لا خلق أسمج منك الا عارف
بك راء نفسك لم يقل لك هاتها
راء مقلوب رأى ومثله ناء ونأى
اعيا زوالك عن محل نلته
لا تخرج الاقمار عن هالاتها

ذكر الانام لنا فكان قصيدة
كنت البديع الفرد من أبياتها

(فكدمت في غير مكدم
واستسمنت ذا ورم ونفخت
في غير ضرم)

(الكدم) العض (والمكدوم) موضع العض يضرب مثلا لمن يطلب شيأ لا يتمكن منه وفي بعض النسخ كرمت بالراء وهو خطأ (والورم) الانتفاخ يقال ورم يرم (والسمن) ضد الهزال مأخوذ من قول المتنبي

أعيذها نظرات منك صادقة
أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

وكذلك قوله نفخت في غير

وقد خبرتني عنك انك ماجد * ستترقى من العلياء أبعد مرتقى
فوفيتك التعظيم قبل أوانه * وقلت أطال الله للسيد البقا
وأضمرت منه لفظة لم أبح بها * الى أن أرى اظهارها الى مطلقا
فان مت أو ان عشت فاذكر بشارتي * وأوجب بها حقا عليك محققا
وكن لي في الاولاد والأهل حافظا * اذا ما اطمأن الجنب في موضع اللقا

فأجابه الشريف بأبيات أولها

سنذت لهذا الرمح عضبا مذلقا * وأجريت في ذا الهند وانى رونقا
لئن برقت مني مخايل عارض * لعينك يقضي أن يجود ويغدقا
فليس بساق قبل ربعك ربعا * وليس براق قبل جودك مرتقى
فان راشني دهري اكن للك بازيا * يسرك محصورا ويرضيك مطلقا
اشاطرك العز الذي استفيده * بصفقة راض ان غنمت وأملقا
فتذهب بالشطر الذي كله غنى * وأذهب بالشطر الذي كله شقا
وتأخذ منه ما أنام وماحلا * وآخذ منه ما أمر وأرقا
فان تسلف التبجيل قبل أوانه * أعضك به وجها من الود مونقا
وان تعطني الاعظام قولا فانني * سأعطيك فعلا منه أذكى وأعبقا
لعل الليالي أن يبلغن منية * ويقرعن بي بابا من الحظ مغلقا
نظار ولا تستبط عزمي فلن ترى * علوقا اذا ما لم تجد متعلقا

قلت واستمر الود بينهما وهما طرفا نقيض أبو اسحق صابئ بعيد الكواكب والرضي شريف نقيب الاشراف وكانت هذه الوظيفة ببغداد اذ ذاك تناهز رتبة الخلافة الا أن أبا اسحق كاتب الانشاء عند الخليفة عز الدولة بختيار بن معز الدولة بن بويه ولما توفي الصابئ رثاه الشريف الرضي بتلك القصيدة الدالية المليحة التي أولها

أرأيت من حملوا على الاعواد * أرأيت كيف خبا ضياء النادي

واعتبه الناس على رثائه فقال انما رثيت فضله وله فيه غير هذه القصيدة ويقال انه لما رأى قبره ترحل له وأخذ بن شمس الخلافة قول الصابئ وأضمرت منه لفظة لم أبح بها البيت فقال في الصاحب صفي الدين بن شكر رحمهما الله تعالى

مدحتك ألسنة الانام مخافة * وتقارضوا لك بالثناء الأحسن
أترى الزمان مؤخرا في مدتي * حتى أعيش الى انطلاق الألسن

وقال أبو الحسين الجزار

ليت شعري ما العذر لولا قضاء الله في رزقه وفي حرماني
ولقد كدت أن أهيم بحمل الهم لولا تعللي بالأماني

وقال أيضا

حسب الفتى حسن الأماني انه * لا يعتريه مدى الزمان زوال

وقال أبو البركات محمد بن الحسن الحاتمي

لي حبيب لو قيل لي ما تمني * ما تعديته ولو بالمنون

ضرم هو مأخوذ من قول عمرو بن معدي كرب حيث قال

ولو نار نفخت بها أضاءت
ولكن أنت تنفخ في رماد

وسيأتي ذكر عمرو فيما بعد والمعنى ان هذه المرأة احتالت ولم تتم على شيء من حيلها

(ولم تجد لريح مهزا ولا لشفرة محزا)

(الهز) التحريك الشديد كأنه قال لم تجد لريح كلامها يعني المرأة المرسلة ما يهز ويستمال وكذلك لشفرة احتيالها ما يحز وما يقطع

(بل رضيت من الغنيمة بالاياب)

هذا مثل يضرب لمن قنع بسلامة نفسه في مطلبه وهو من بيت لامرئ القيس ابن حجر بن الحرث من بني آكل المرار وأمه فاطمة بنت ربيعة أخت مهلهل وكليب ابني وائل وكان أبوه حجر ملكا من ملوك العرب بتهامة واليمن وله أثاوة على بني أسد وغطفان وكان قد طرد ابنه لقول الشعر أنفة منه ثم قتل ونهض امرؤ القيس يطلب ثاره في خبر طويل وقال ضيعني صغيرا وحملني عناءه كبيرا ثم قتل جماعة من بني أسد وتفرق عنه قومه فلحق بقيصر فاستنجده

أشتهى أن أحل فى كل طرف * فأراه بلحظ كل العيون

وقال آخر

أعلل بالمنى قلبى لعلى * أفرج بالأمانى الهم عنى
وأعلم أن وصلك لا يرجى * ولكن لا أقل من التمنى

وهذا الشاعر اسرحشوا فى كلامه حتى جاء الآخر فحله وترجم وصرح بالمراد وما تكتم حيث قال

اذا ما عن ذكرك فى ضميرى * وقابلنى محياك الجميل
أصبر لفرط أشواقى اليورا * لعلمى أن نيلك مستحيل

وهذا يشبه ما أنشدنيه لنفسه اجازة المولى صفى الدين الحلى ومن خطه نقلت

اذا صد الحبيب بغير ذنب * وقاطعنى وأعرض عن وصالى
أمله وانكح عند صلهى * بايرا الفكر فى ثقب الخيال (ى)

وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين يوسف الصوفى وقد مات للشيخ شمس الدين الدهان مملوك كان يحبه

لئن مات يا دهان مملوكك الذى * بلغت به فى الفسق ما كنت ترتجى
فشله بالاصباغ شكلا وقامة * وخصرا وردفا ثم عاينه وأصلج

ومن أبيات منحولة لأبى نواس

منازلت أدخله فيه وأخرجه * منه وأدخله فيه وأخرجه
وما تذكرت ذاك النيك من شبق * الا وأمسكت ايرى ثم أصلجه

ومن ترقب الآمال ولمح وانتظر وعد الامانى فنجح ومال به ميزان الدهر فرجح وملك البلاد وفتح وأسقى الأرواح باشطان الرماح ومنح أبو مسلم الخراسانى يقال انه قتل ستمائة ألف نفس وأبو عبد الله الشيعى القائم بدعوة الفاطميين وابن تومرت يقال انه رأى فى حائط مسجد فى بلاد الصعيد سب الصحابة رضى الله عنهم وهو مكتوب فقال ما هذه بلاد اسلام ونظم فى الوقت فقال

ذرنى وأشياء فى نفسى مخبأة * لا ألبسن لها درعا وجلبابا
والله لو ظفرت نفسى ببغيتها * ما كنت عن ضرب أعناق الورى آبى
حتى أطهر هذا الدين من دنس * وأوجب الحق للسادات ايجابا
وأملأ الأرض عدلا بعد ما ملئت * جورا وأفتح للخيرات أبوابا

وان كانت الامانى جدت فقد ذممت وكرهت قال على بن أبى طالب رضى الله عنه تجنبوا المنى فانها تذهب بهجة ما خولتم وتصغر المواهب التى رزقتم وقال رجل لابن سيرين رأيت كانى أسبح فى غير ماء وأطير بغير جناح فقال له انت رجل تكثر الامانى ويقال ان الحجاج مرذات ليلة بدكان لبان وعنده بستوقة فيها لبن وهو يقول متمنيا أنا أبيع هذا اللبن بكذا وكذا وأشترى به كذا ثم أبيعه فأكسب فيه كذا فيكثر مالى ويحسن حالى وأخطب بنت الحجاج فأتزوجها فتلد لى ابنا وأدخل اليها يوما فتخاصمنى فاضربها برجلى هكذا ومد رجله فكسر البستوقة فقرع الحجاج الباب ففتحه وضربه خمسين سوطا وقال له أليس لو ضربت ابنتى هكذا لفعلتنى فيها وقد سد ابن المعتز باب المنى وأغلقه وأعدم المحاويج بهجته ورونقه وقطع

ومات مسموما فى طريقه فى قصة معروفة وسمى الملك الضليل لانه أضل ملك أبيه وذا القروح لان قيصر أرسل اليه حلة مسمومة تقرح منها بدنه ومات فأما شعره فهو الذى لا ينازع فى تقديمه وهو امام المقدمين حقيقة ومن محاسن شعره قصيدته المعلقة وقوله

سما لك شوق بعد ما كان أقصرا
وحلت سليمى بطن قو فعرعرا
أشيم مصاب الحزن أين مصابه
ولا شئ يشفى منك يا ابنة عفزرا
من القاصرات الطرف لو دب محول
من الذر فوق الاتب منها لاثرا

يعنى لو دب الصغير من الذر على ثوبها لاثر فى جسدها ولم يرد بالمحول ما بلغ الحول وانما أراد ما هو لصغره بمنزلة المحولى فى الابل

فدعها وسل الهم عنك بجسرة
ذمول اذا صام النهار وهجرا
كأن الحصى من خلفها
وأمامها
اذا انجلته رجلها حذف
أعسرا

خص الاعسر لاختلاف رمياته

نفس الضعيف عن لذتها وان كانت بجبال الشمس معلقة حيث قال

لاتأسفن من الدنيا على أمل * فليس باقيه الامثل ماضيه

وتابعه الخالدى فقال

ولاتكن عبد المنى فالمنى * رؤس أموال المفاليس

وقال آخر

من نال من دنياه أمنية * أسقطت الايام منها الالف

وقال محمد بن شرف القيروانى

غلف تمنوا فى البيوت أمانيا * وجميع أعمار اللئام أمانى

وقال آخر

الا يانفس ان ترضى بقوت * فانت عزيزة أبدا غنيه

دعى عنك المطامع والامانى * فكم أمنية جلبت منيه

وقال أبو الحسين الجزار

أنا فى راحة من الآمال * أين من همتى بلوغ المعالى

لى عجز أراح قلبى من الهم * ومن طول فكرتى فى المحال

ما لباس الحرير مما أرجيه فيرجى ولا ركوب البغال

راحة السر فى التخلف عن كل محل أضحى بعيد المنال

وأنشدنى لنفسه اجازة الشيخ الامام فتح الدين محمد بن سيد الناس اليعمرى ومن خطه نقلت

صرفت الناس عن بالى * فقبل ودادهم بالى

وحبل الله معتصمى * به علقت آمالى

ومن يسأل الورى طرا * فانى ذلك السالى

فلا وجهى لذى جاه * ولا ميلى لذى مال

وقال مسلم بن الوليد

وأكثر ما نلقى الامانى كواذبا * فان صدقت جازت بصاحبها القدرا

وقال آخر

ولى من تمنى النفس دنيا عريضة * ومنتصح يغدو على فيطرق

فقدت المنى لا بخن نلهوا عن المنى * لتجربة منا ولاهى تصدق

وقلت أنا

ألا فاطرح عنك التمنى ولا تبت * بكاساته نشوان غير مفيق

وان كان مما لا غنى عنه فليكن * وفاة عدو أو حياة صديق

وقلت أيضا

كم أمل لما اقتضاه الفتى * أزرى وما شد له أزرا

ما حملت نفس جنين المنى * فى الحال الا وضعت قدرا

*(لم ارتض العيش والايام مقبلة * فكيف أرضى وقد ولت على عجل)*

(اللغة) تقدم الكلام على الرضى فى قوله رضى الذليل وكذلك العيش والايام جمع

على لاحب لايهتدى بمناره اذا سافه العود النباطى جرجرا

بصف قفرا لا أعلام فيه وقوله لايهتدى بمناره يعنى ليس فيه منار يهتدى به لا أن فيه منارا الا انه لايهدى والعود الجمل البالغ تمام سنه وسافه اذا شمه وجرجر اذا حن وعادة الابل أن تشم الارض التى لا تعرفها فتحن لعلمها ببعد المسافة ومنها قوله

الا رب يوم صالح قد شهدته بتادف ذات القل من فوق طرطرا

ولا مثل يوم فى قدار ان ظلته كأنى وأصحابى على قرن اعفر

اختلف المفسرون فى هذا البيت فقال بعضهم وصف اليوم بالشدة ونفسه بالقلق والاضطراب فيه حتى كأنه وأصحابه من عدم الاستقرار مقيمون على قرن ظبى وقال بعضهم بل وصف أماكن كان فيها مسرورا منعما لانه قال قبل البيت الا رب يوم صالح والمعنى انه كان على مكان مشرف عال فشبهه لارتفاعه بقرن الظبى وانما خص قرن الظبى لانه أعلى ما فى جسده وقصيدته اللامية التى أولها

الا عم صباحا أيها الطلل البالى

وأما القصيدة التى منها

يوم أصله ايوام فادغم مقبلة الاقبال ضد الادبار وأقبل عليه بوجهه اذا التفت اليه وصرف نحوه بصره ولت أدبرت على عجل على سرعة قال تعالى أعجلتم أمر ربكم أى سبقتم وأما قوله تعالى خلق الانسان من عجل فقيل العجل الطين قال أبو عبيدة وهو بلغة حمير وأنشد

والنخل ينبت بين الماء والعجل وقال الاخفش من تعجيل ذى الامر وهو كقوله كن وعن الحسن من ضعف وقيل على القلب معناه خلق العجل من الانسان كقوله تعالى ويوم يعرض الذين كفروا على النار وقيل خلق الانسان عجولا وهو الصحيح لانه يدل على المبالغة كما يقال للذى هو حادنار تشتعل والعرب تقول ماهو الا اقبال وادبار وماهو الا أكل ونوم للذى يكثر اقباله وادباره وأكله ونومه ويؤيد هذا القول قوله تعالى وكان الانسان عجولا قال المبرد خلق الانسان من عجل أى من شأنه العجلة كقوله تعالى خلقكم من ضعف وذكرت هنا قول شرف الدين شيخ الشيوخ بحماه من أبيات

ان تدعنى خاليا من لوعتى فلقد * أجاب دمعى وما الداعى سوى طلل
عاتبت انسان عينى فى تسرعه * فقال لى خلق الانسان من عجل

(الاعراب لم) حرف يجزم الفعل المضارع وقد تقدم الكلام على ذلك (ارتض) فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف الياء وابقاء ما يدل عليها وهو كسرة الضاد فان قلت لاى شئ حذفوا حرف العلة مع الجازم قلت لانه لو ترك لاشتبه المرفوع بالمجزوم فى مثل قولك هو يعطى فلما حذف حرف العلة ظهر الفرق فان قلت فما الفائدة فى هذا الفرق قلت لانه يحتاج الى ذلك فى مثل جواب الشرط اذا قلت زرنى أعطك الدراهم أو زرنى أعطيك فالاول يعلم انه جزاء والثانى يعلم أنه استئناف فقد أفاد حذف حرف العلة الفرق بين الجزاء والاستئناف وفاعل ارتض ضمير مستتر فيه تقديره انا العيش منصوب على انه مفعول به لارتض (والايام) الواو واو الابتداء والايام مرفوع على الابتداء (مقبلة) مرفوع على انه خبر والجملة من المبتدا والخبر فى محل نصب على الحال كأنه قال لم أرتض العيش فى حالة اقبال الايام (فكيف) الفاء للتعقيب وكيف اسم مبنى على الفتح والدليل على انه اسم أنه يدخله حرف الجر قالوا على كيف تبيع الاجرين وانما بنى لانه شابه الحرف شبها معنويا لان معناه الاستفهام وأصل الاستفهام الهمزة وهى حرف وانما وضعت العرب هذه الاسماء مثل كيف وأين ومتى طلبا للاستغناء بكل منها عن تكرار الهمزة فانك لو أخذت تستفهم عن حال زيد بالهمزة لزمك أن تكررها وتقول أزيد ضعيف أزيد ناقه أزيد أرمد أزيد معاف أزيد كذا أزيد كذا والمخاطب يقول لك لا لا فلما رأوا هذا الامر يشق عليهم وضعوا كيف لهذا المعنى فان قلت كيف زيد لزم المخاطب أن يأتى بالجواب قولا واحدا فيقول طيب أو سقيم فلهذا بنيت هذه الاسماء التى تضمنت معنى الاستفهام وانما بنى كيف وأين على الفتح طلبا للخفة (أرضى) فعل مضارع مرفوع لخلوه عن ناصب وجازم وعلامة الرفع ضمة مقدرة على الالف فى آخره لانه معتل بالالف وانما كتب بالياء لانه من رضيت والفاعل ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره أنا والمفعول محذوف تقديره فكيف أرضاه والضمير يعود على العيش والمفعول كثيرا ما يحذف لانه فضلة ولانه معلوم من سياق الكلام (وقد) الواو للحال وقد تقدم الكلام عليها وقد للتحقيق وتقدم الكلام عليها أيضا (ولت) فعل ماض

نصف البيت المذكور من أجله فانه يقول فيها هذه الابيات

فبعض اللوم عاذلتى فانى
سيكفينى التجارب وانتسابى
الى عرق الثرى وشجت عروقى
وهذا الموت يسلبنى شبابى

يعنى أن مصيره الى التراب وقيل عرق الثرى آدم وسيموت كما مات آباؤه واجداده الى آدم ثم قال

اراانا موضعين لامر غيب
ونسخر بالطعام وبالشراب

أبعد الحرث الملك ابن عمرو
وبعد الخير هجر ذى القباب

وبعد ملوك كندة قد تولوا
باكرم شيمة وأقل عاب

أرجى من طوال الدهر لينا
ولم يغفل عن الصم الصلاب

ألم أنض المطى بكل خرق
أمق الغول لماع السراب

وقد طوفت فى الآفاق حتى
رضيت من الغنيمة بالاياب

فارجعها فقد نقبت وكلت
لفرط الاين تركع للضراب

وأعلم أننى عما قليل
سأنشب فى شباظفر وناب

(وتمنيت الرجوع بخفى حنين) اختلف فى حنين هذا فقال قوم كان رجلا ادعى انه من بنى أسد بن هاشم بن عبد مناف فأتى عبد المطلب وعليه خفان أحمران فقال يا أبا عمرو

أنا ابن أسد بن هاشم فقال عبد المطلب لاوثياب هاشم ما أعرف فيك شمائله فارجع فرجع فصار مثلا يضرب للراجع بالخيبة وقال قوم كان حنين اسكافا من أهل الحيرة ساومه أعرابي بخفين ولم يشترمنه شيأ فغاظه ذلك فخرج وعلق أحد الخفين على شجرة في طريقه وتقدم قليلا وطرح الآخر وكمن فجاء الاعرابي فرأى أحد الخفين فوق الشجرة فقال ما أشبه هذا بخف حنين لو كان معه آخر لتكلفت أخذه ثم تقدم قليلا فرأى الخف الآخر مطروحا فنزل وعقل بعيره وأخذه ورجع ليأخذ الاول فخرج حنين من المكمن وأخذ بعيره وذهب ورجع الاعرابي الى حيه بخفي حنين وقيل كان حنين يهود يا نخس بامرأة مسلمة حمارا فقمص فصرعها فتكشفت فكتب بخبره الى عمر فكتب ليس على هذا صالحناهم وقد خلع ربقة الذمة من رقبته فاصلبوه حيا فلما نصب على خشبته أتت امرأته وعليه خفان فقالت الان تموت فما تصنع بالخفين فأخذتهما من رجليه فقال الناس انقلبت بخفي حنين لاني قلت * لقد هان من بالت عليه الثعالب)

هذا نصف بيت لرجل

ودخلته التاء علامة لتأنيث الفاعل لانه ضمير يعود على الايام (على عجل) يحتمل أن تكون على بمعنى في ولكنها للاستعلاء بمعنى وعجل مجرور بها والجار والمجرور في موضع نصب على الحال تقديره ولت الايام مستعجلة والجملة من قوله وقد الى آخر البيت في موضع النصب على الحال تقديره فكيف أرضى العيش والحالة هذه (المعنى) ما رضيت بالعيش في صباي اذ كانت الايام مقبلة فكيف أرضى بالعيش وقد كبرت والايام قد ولت عني والامر كذلك لان العيش في زمن الشبيبة أيامه في اقبال فهو غض نضر يانع فينان برده قشيب وغصنه رطيب ووصله حبيب وسهمه مصيب وله في كل لذة قسم وفي كل نعيم نصيب وما أحسن قول المعري

وقد تعوضت عن كل بمشبهه * فما وجدت لايام الصبا عوضا

والعيش في زمن الشيخوخة أيامه في ادبار وتوال وزوال فهو جاف ذاوذابل مصوح هشيم ثوبه خلق وجوه غسق وأمنه فرق ويومه حرق ونومه أرق وغصنه عار من النضارة التي تكون قبل سقوط الزهر والثمر والورق ولله در منصور النميري اذ يقول

ما كنت أوفي شبابي كنه قيمته * حتى انقضى فاذا الدنيا له تبع

وبيت الطغرائي مأخوذ من قول أبي العلاء المعري

وما ازدهيت وأثواب الصبا جدد * فكيف أزهى بثوب من ضنى خلق

ومن قوله ايضا من رسالة له يخاطب الدنيا أسأتني غانيه فكيف بك عجوزا فانيه * أي ما انتفعت بك وأنا شاب فكيف أنتفع وأنا هرم والدنيا قد يقال لها شابة وعجوز بمعنى يتعلق بذاتها وبمعنى يتعلق بغيرها وهو حقيقة انها من أول وجود هذا النوع الانساني الى أيام ابراهيم الخليل صلوات الله عليه تقريبا تسمى الدنيا شابة وفيما بعد ذلك الى أوان بعثة النبي صلى الله عليه وسلم تسمى مكتهلة ومن بعد ذلك الى يوم القيامة تسمى عجوزا والمعنى الثاني وهو مجاز أنها بالنسبة الى أول كل ملة تسمى شابة والى آخرها تسمى عجوزا بل بالنسبة الى أول كل دولة وآخرها بل بالنسبة الى كل شخص وعلى هذا يحتمل قول المعري في مخاطبة الدنيا والا فالمعري لم يعمر من أول وجود الدنيا وهي شابة الى أن رآها وهي عجوز حتى يقول لها أسأت الي وأنت شابة فكيف تحسنين الي وأنت عجوز فانية وانما استعمل هذا المعنى مجازا وما أحسن قول أبي الطيب

أتى الزمان بنوه في شبيبته * فسرهم وأتيناه على الهرم

اراد أن يقول فساءنا ولكن الوزن ضايقه فترك ذلك اتكالا على فهم المعنى من سياق اللفظ وترتيب المعنى وقد ضمنت هذا البيت في معنى نظمته وذلك أننا كابدنا مشقة في ليلة سرنا فيها الى الاهرام من أمر التعدية صحبة المنصور السلطاني فقلت

أقول اذ نالني في مصر عسفهم * لما أتينا الى الاهرام في الظلم
أتى الزمان بنوه في شبيبته * فسرهم وأتيناه على الهرم

وقال أبو تمام

نظرت في السير اللاتي مضت فاذا * وجدتها أكلت با كورة الامم

وقال أبو العلاء المعري

تمتع أبكار الزمان بأسره * وجئنا بهن بعدما خرف الدهر
فليت الفتى كالبدر جدد عمره * يعوده لالا كما في الشهر

وقال أيضا

كأنما الخير ماء كان وازده * أهل العصور وما أبقوا سوى العكر

وقال ابن شماخ

صفا للأولى قبلي أتوا در دهرهم * ولم يصف لي مذ جئت بعدهم عبر
فجاؤا الى الدنيا وعصرهم ضحى * وجئت وعصري من تأخره عصر

وقال ابن قاسم المحدث

لقي الناس قبلنا غرة الدهر * ولم نلق منه الا الذنابى

وفي معنى قول الطغرائي قال ابن قلاقس

ما كنت أطمع في زمان أول * فيروقني هذا الزمان الآخر

وقال ابن الساعاتي

لم يبق في هذه الدنيا لنا أرب * فقل سلام عليها غير محتشم
فليت ان زمانا فات دام لنا * وليت ان زمانا دام لم يدم

وقال المعري

واذا البحر غاض عني ولم أر * وفلاري في ادخار الثماد

وقال آخر

اذا المرء أعيته السيادة ناشئا * فطلبها كهلا عليه شديد

وقال التهامي

اذا بلغ الفتى عشرين عاما * وأعجزه الفخار فلا اعتذار
اذا ما أول الخطى أخطا * فما يرجى لآخره انتصار

وما أحلى قول القائل

واذا الفتى من دهره كملت له * خمسون وهو الى التقى لم يجنح
طلعت عليه المخزيات وقلن قد * أرضيتنا فكذاك كن لا تبرح
واذا رأى ابليس صورته بدت * حيي وقال فديت من لم يفلح

وقال التهامي

ذريني أهب للجدث شخ شبيبتي * فان لم أبادرها استبد بها العمر

وقال ابن الخياط

والعجز أن أترك الاوطار مقبلة * حتى اذا أدبرت حاولتها طلبا

وعلى ذكر الشباب والمشيب فقد قيل لبعض الاعراب وقد أسن كيف أنت اليوم فقال ذهب مني الاطيبان الاكل والنكاح وبقي الارطبان السعال والضراط وقال المفضل حضرت الرشيد وقد دخل عليه منصور النمري فانشده

ما تنقضي حسرة مني ولا جزع * اذا ذكرت شبابا بالنسي يرتجع
بان الشباب وفاتني بلذته * صروف دهر وأيام لها خدع

من العرب يسمى غاوي بن ظالم السلمي وكان سبب قوله انه كان لبني سليم صنم يعبدونه في الجاهلية وكان غاوي سادنه فبينما هو ذات يوم جالس اذ أقبل ثعلبان يشتدان فشغر كل واحد منهما رجله وبال على الصنم فقال يا بني سليم والله ما يضر ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع ثم أنشد

أرب يبول الثعلبان برأسه
لقد هان من بالت عليه الثعالب

ثم كسر الصنم وفر فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم فقال له كيف اسمك فقال غاوي بن ظالم فقال بل أنت راشد ابن عبد ربه وروي في هذا البيت الثعلبان بكسر النون على التثنية وروي أيضا بضم النون والثاء على انه ثعلب واحد وضرب به المثل فيمن يدعي العز ويراد به الذل

(وانشدت على انها الايام قد صرن كلها عجائب حتى ليس فيها عجائب)

هذا البيت لابي تمام المتقدم ذكره في أبيات يرثي بها غالب بن الشعري وهي هذه هو الدهر لا يسوى وهن المصائب

ما كنت أوفى شبابى كنه قيمته * حتى انقضى فاذا الدنيا له تبع

قال فتحرك الرشيد وقال أحسنت والله لا يتهنأ أحد بعيش حتى يخطر فى رداء الشباب وقال القاضى شمس الدين أحمد بن خلكان رحمه الله أنشدنى لنفسه الاديب شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن سالم المعروف بابن التلعفرى فى رمضان سنة ثمان وثلاثين وستمائة بالقاهرة

ياشيب كيف وما انقضى زمن الصبا * عاجلت منى اللمة السوداء
لا تعجلن فوالذى جعل الدجى * من ليل طرفى البهيم ضياء
لو أنها يوم المعاد صحيفتى * ماسر قلبى كونها بيضاء

فقلت له قد أغرت على بيت نجم الدين يعقوب بن صابر المنجنيقى حتى انك أخذت معظم لفظه وجميع معناه فى الوزن والروى وهو قوله

لو أن لحيتى من شيب صحيفة * لمعادها ما اختارها بيضاء

اه وكتب الى المولى بهاء الدين أبو بكر بن غانم من طرابلس وأنا بدمشق بعد ما انقطعت عنه مكاتبتى

سبحان من غير أخلاق من * أحسن فى حسن الوفا مذهبا
كان خليلا فغدا بعدنا * لما انقضى ما بيننا طقصبا

وكان طقصب هذا صبيا حسن الوجه يحبه ويألفه وله عم يدعى خليلا ينغص الاوقات بحضوره ويقاسى منه شدة فذكرهما يعرض بهما وكتب هذين البيتين فى ذيل ثلاثة اوصال ورق ولم يكتب غيرهما وختم ذلك بعنوان وجهزه الى فكتبت اليه الجواب عن ذلك

ياباعث العتب الى عبده * وما كفاه العتب اذ ندبا
ومذكرى عيشا لبسنا به * ثوب سرور بالبها مذهبا
رفلم يحل لنا بعده * عيش ولم نلق الهوى طيبا
ما كل ذى ود خليل ولا * كل مليح فى الورى طقصبا

وينهى ورود المثال الكريم فقبل منه اليد البيضاء بل الديمة الوطفاء وتلقى منه طرة صبح ليس للدجى عليها أذيال وغرة نجم ما كدر صفاها خيبة الامآل فلو كان كل وارد مثله لفضل المشيب على الشباب ونزع المتعالى عن التستر بالخضاب ورفض السواد ولو كان خالا على الوجنه وعد المسك اذا ذر على الكافور هجنه وأين سواد الدجى اذا سجى من بياض النهار اذا انهار وأين وجنات الكواعب النقية من الاصداغ المسودة بدخان العذار وأين نور الحق من ظلمة الباطل وأين العقد الذى كله درر من العقد الذى فيه السيج فواصل فيا له من وارد تنزه عن وطء الاقدام المسوده وعلا قدره عن السطور التى لا تزال وجوهها بالمداد مربده حتى جاء يتلألأ بياضا ويتقد وأتى يتهادى فى النور الذى تعتقد فيه المجوس ما تعتقد ولكن توهم المملوك ان صحف الود أمست مثله عفاء وظن بابيات العهود السالفة ان تكون لهذه المراسلة أمست من رقوم الود اخلاء

لو انها يوم المعاد صحيفتى * ماسر قلبى كونها بيضاء

فلقد سودت حال المملوك ببياضها وعدم من عدم الفوائد البهائية ما كان يغازله من صحائح الجفون مراضها وما أحق تلك الاوصال الوافدة بالافادة الجائدة بزيارتها التى خلت من الجرد

وأكثر آمال الرجال كواذب
فيا غالبا الاغالبا لرزية
يل الموت لاشك الذى هو
غالب

وقلت أخى قالوا أخ ذو قرابة
فقلت لهم ان الشكول أقارب
عجبت لصبرى بعده وهو
ميت

وكنت امرأ أبكى دما وهو غائب
على انها الايام قد صرن كلها
عجائب حتى ليس فيها
عجائب

(ونخرت وبسرت وعبست فكفرت)

(النخير) صوت من الانف أكثر ما يكون عند الغضب وسمى خرق الانف الذى يخرج منه النخير منخرا وفى المثل ما فى الدار نخير ومنه نخرت الشجرة اى بليت فهب صوت الريح (والبسر) الاستعجال بالشئ قبل أوانه ويقال للعنب قبل النضج بسر ومنه قيل لما لم يدرك من التمر بسر وفى قوله تعالى عبس وبسر أى أظهر العبوس قبل أوانه (والتعبيس) قطوب الوجه من ضيق الصدر ومنه قيل يوم عبوس (والكفر) فى اللغة ستر الشئ ووصف الليل بالكافر لستره الاشخاص واستعمل فى جاحد النعمة لستره اياها ولما كان يقتضى جحود النعمة صار يستعمل فى الجحود مطلقا

بالسلام

بالسلام وان لم يخل رونقها من الاجاده أن ينشدها المملوك قول البحترى أبى عباده
أخجلتنى بندى يديك فسودت * ما بيننا تلك اليد البيضاء
وقطعتنى بالوصل حتى انى * متخوف أن لا يكون لقاء
وبقى زيادة وهذا القدر كاف

*(غالى بنفسى عرفانى بقيمتها * فصنتها عن رخيص القدر مبتذل)*

(اللغة) غلا السعر غلاء اذا زاد عن قيمته المعهودة وغالى فاعل من المغالاة أى طلبت الغلاء فى قيمتها النفس تقدم الكلام عليها فى قوله أعال النفس العرفان المعرفة وقولهم ما أعرف لأحد يصرعنى أى ما اعترف القيمة العوض وقيمة كل شئ ما يقابله من العوض الصون تقدم الكلام عليه فى اول القصيدة الرخيص ضد الغالى وقد رخص السعر وأرخصه الله فهو رخيص وارتخصت الشئ اشتريته رخيصا وارتخصه أى عده رخيصا القدر مبلغ الشئ مبتذل أى ممتهن والبذلة والمبذلة ما يمتهن من الثياب والتبذل ترك التصاون (الاعراب غالى) فاعل من المغالاة فهو فعل ماض والمعاملة لا تكون الا بين اثنين كقاتل وضارب وخاصم ولكن قد تقع هذه الصيغة لغير تكافؤ كقوله تعالى يخادعون الله والمخادعة ممنوعة فى جانب الله تعالى فهى فى جانب الخلق لا غير ويؤيد هذا من قرأ يخدعون الله بغير ألف وهو حمزة والكسائى وقيل فى القراءة الاولى ان ثم محذوفا تقديره يخادعون نبى الله فحذف المضاف وأبقى المضاف اليه مقامه وليس هذا بشئ لان الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم لا يخادعون الناس (بنفسى) الباء للتعدية وهى متعلقة بغالى ونفسى مجرور بالباء والياء فى موضع جر بالاضافة لانها ضمير المتكلم وفتحها وسكونها لغتان فصيحتان قيل لابى عمرو بن العلاء لاى شئ قرأت وتفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد بسكون الياء وقرأت ومالى لا أعبد الذى فطرنى فاخترت تحريك الياء هنا وما ثم ضرورة الى تحريكها فقال لان السكون ضرب من الوقف فلو سكنت الياء هنا كنت كالذى ابتدأ وقال لا أعبد الذى فطرنى فاخترت حركة الياء هربا من ضرب من الوقف وهنالك لا ضرورة تؤدى الى فساد المعنى فاخترت التسكين لانه أخف وهذا من أبى عمرو رحمه الله تعالى من دقة النظر فى المعانى اللطيفة وحكى صاحب الاغانى قال صلى الدلال يوما خلف الامام بمكة فقرأ الامام ومالى لا أعبد الذى فطرنى فقال الدلال ما أدرى والله فضحك الناس وقطعوا الصلاة فلما قضى الوالى صلاته دعاه وقال ويلك الا تدع الجنون والسفه فقال له كنت عندى على انك تعبد الله عز وجل فلما سمعتك تستفهم ظننت انك قد شككت فى ربك فنبهتك فقال له أنا أشك فى ربى وأنت تثبتنى اذهب لعنك الله (رجع عرفانى) فاعل غالى ولم يظهر الرفع لانه مضاف الى ياء المتكلم والياء فى موضع جر بالاضافة (بقيمتها) الباء عدت عرفانى الى القيمة لانه مصدر وقيمة مجرور بالباء والضمير فى موضع جر بالاضافة وهو عائد الى النفس ومفعول غالى أو فاعله الآخر محذوف وهو أبلغ من اثباته لانه لو ذكره لوقف ذهن السامع عنده مع الغاية التى ذكرها فلما حذفه تلعبت به الظنون ورمت به فى كل واد فتارة تقول غالى الدهر وتارة تقول الناس وتارة تقول المفاخر له وتارة تقول المجادل وغير ذلك (فصنتها) الفاء للتعقيب وصنت فعل ماض وفاعل وهو التاء المضمومة والضمير فيما بعد ذلك يعود على النفس وهو فى موضع نصب على انه مفعول به

فيقال الكافر لمن جحد الوحدانية وما أشبهه ولما جعل كل فعل محمود من الايمان جعل كل فعل مذموم من الكفر وقد يشتد غضب الانسان فيفعل ما يذم عليه فيسمى كفرا وقد يعبر أيضا بالكفر عن التبرى من الشئ كقوله تعالى ويوم القيامة يكفر بعضكم ببعض فيكون المعنى فى قول ابن زيدون انى غضبت الى أن فعلت ما فعلت وانى تبرأت منك (وأبدأت وأعدت وأبرقت وأرعدت)
يعنى كررت ما يسيئك ذكره وأصل البرق لمعان السحاب والرعد صوته ويكنى بهما عن التهديد يقال أرعد فلان وأبرق اذا هدد وكان الاصمعى ينكر قولهم فى ضرب المثل يعنى أبرق وأرعد قال مهلهل
أبرقوا ساعة الهياج وأوعد ناكما ترعد الفحول الفحولا
(وهممت ولم أفعل وكدت وليتنى)
يعنى هممت بقتل هذه المرأة وهذا من باب الحذف والايجاز لدلالة بعض الكلام على بقيته المحذوفة كقوله تعالى ولو ان قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى بل لله الامر جميعا تقديره لكان هذا

(عن رخيص القدر) عن حرف جر وهي للمجاوزة ورخيص مجرور بها والقدر مجرور بالاضافة اليه (مبتذل) مجرور على أنه صفة لرخيص فان قلت رخيص مضاف فهو معرفة ومبتذل نكرة فكيف يجوز وصف المعرفة بالنكرة قلت هذه الاضافة لفظية وهي في نية الانفصال كأنه قال رخيص قدره والاضافة اللفظية لا تخصص بل تترك المضاف على تنكيره وانما دخلت الاضافة طلبا للخفة في التركيب والحلاوة في الكلام (المعنى) ان عرفاني بنفسي يغالي الزمان أو الورى بقيمتها فهو يسوم العوض عنها وما يجد لها كفؤا في القيمة من الناس فلهذا أصونها ولا أبذلها لرخيص القدر مبتذل ومن كانت نفسه مهذبة بالمعارف مكملة بالفضائل متسمة بالاخلاق الجيدة متصفة بالسجايا الكريمة والطباع الخيرية فحقيق على أن لا يكون لها قيمة وما سواها فهو مهين مبتذل يقصر عن كفاية أقل جزء منها ويصغر عن أحقر شئ يتعلق بها ولعمري ان النفوس الخيرة الفاضلة الشريفة الابية الكاملة لو كانت تشترى بعوض ويكون في مقابلتها نقد لانت على ما في ايدي الناس من الجواهر والفضة والذهب ولكنها فيض ممن هو دائم الوجود لا ينقص الانفاق ما في خزائن ملكه لانه رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده اما ابو الطيب فانه قال

من كان فوق محل الشمس موضعه * فليس يرفعه شئ ولا يضع
ليت الملوك على الاقدار معطية * فلم يكن لدنى عندها طمع

وقال أيضا

اذا لم تسكن نفس النسيب كأصله * فما الذي يغني كرام المناصب
وما قربت أشباه قوم أباعد * ولا بعدت أشباه قوم أقارب

وقال أيضا

من خص بالذم العراق فانني * من لا يرى في الدهر شيأ يحمد

وقال ابن صرد

اذا صافحتني أكف اللئام * لطمت بهن خدود الرجا

وقال ابن سناء الملك من أبيات

توقد عزم بترك الهاجرة * وحلية حلم تترك السيف مبردا
وفرط احتقار للانام لانني * أرى كل عار من حلى سوددي سدى
وأظمأ أن ابدي لي الماء منة * ولو كان لي نهر المجرة موردا

وقال القاضي الفاضل

وهب ان هذا الباب للرزق قبلة * فها انا قد وليته دونكم ظهري
وهب انه البحر الذي يخرج الغنى * فكل خوان في الشط في لجية البحر

وقال القاضي مذهب الدين بن الزبير من ابيات

اني لاعتق العفاف لدى الدجى * واهب وهنا عن كريم المضجع
واذا بدا لي الهجر لم ار شخصه * واذا يقال لي الختالم أسمع
ولوانه ناجى ضميري في الكرى * طيف الخيال بريبة لم أهجع

وقال الشريف ابو الحسن علي العقيلي

القرآن وهو كثير في كلام العرب وقد استعملوه حتى في الحروف وقالوا درس المنا يلهجون به بمعنى المنازل وقالوا ورق الحمام بمعنى الحمام وهذا لفظ شعر لضابئ بن الحرث بن ارطاة البرجمي كان رجلا بذيا كثير الشرور وكان صاحب صيد أو طأ دابته صبيا فقتله فرفع الى عثمان رضي الله تعالى عنه أيام خلافته فاعتذر بضعف بصره فحبسه ثم خلص وكان قد استعار كلبا للصيد من بني نهشل فلم يرده فطلبوه منه وألحوا عليه فقال يهجوهم ويتهمهم بالكلب

وأمكم لا تتركوها وكلبكم
فان عقوق الامهات كبير

اذا اكتنفت من آخر الليل شخصه
يظل له فوق الفراش هرير

فاستعدوا عليه عثمان فقال ويلك ما سمعت أحدا يرمي امرأة بكلب غيرك والله اني أراك لو كنت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لانزل الله فيك قرآنا ثم حبسه وعرض يوما أهل السجن فوجده قد أعد حديدة ليقتل بها عثمان فأخذت منه وضرب وترك مهملا في السجن فقال

لا يعطين بعدي امرؤ ضيم حظه
فرارا يقيه الموت والموت نائله
هممت ولم أفعل وكدت وليتني

صنت نفسي عما يليق بمثلي * وتحصنت بالجفاء الشديد
ما يساوي قضاء حق الموالي * ما نقاسي من سوء خلق العبيد

وما احسن ما كتب ابو الحسين الجزار على باب فخر الدين بن الشيخ

أمولاي ما من طبعي الخروج * ولكن تعلمته من خجلي
وصرت اليك اروم الغنى * فيخرجني الضرب عند الدخول

وقال الضياء موسى الكاتب المصري وقد منعه بواب اسمه بصاقة من الدخول على بعض الرؤسا

يا من سما في المكرما * ت وفاق ارباب الممالك
اعجب لامر بصاقة * منع الدخول لباب خالك
وهو المعين على الدخو * ل اذا تعسرت المسالك

وممن ضرب المثل بكبره وتيهه عمارة بن حمزة فيقال أتيه من عمارة دخل يوما على المنصور فقعد في مجلسه وقام رجل فقال مظلوم يا أمير المؤمنين فقال من ظلمك قال عمارة غصبني ضيعة فقال المنصور قم يا عمارة مع خصمك فقال يا أمير المؤمنين ما هو لي بخصم ان كانت الضيعة له فلست انازعه فيها وان كانت لي فهي له ولا اقوم من مجلس شرفني به امير المؤمنين وحكي عن ابي ثوابة انه دعا يوما اكارا وكلمه ولما فرغ دعا بماء وتمضمض استقذارا لمخاطبته وكان بعض القضاة لا يصلي الجمعة ويقول لا أرى مخالطة هؤلاء العوام وحكي عن الشافعي انه قال لو أن العوام لي غلمان ما ارتضيت بهم وخطب عبد الملك بن مروان الى عقيل ابن علقمة ابنته على احد بنيه فقال اما ان كنت فاعلا فخذني هيناك وحدث الجاحظ قال أتيت الربيع الغنوي فقلت له أيسرك أن تكون ابنة يزيد بن المهلب تحتك قال لا والله قلت ولك الف دينار قال لا والله قلت ولك ألفا دينار قال لا والله قلت ولك ألف دينار وأنت أمير المؤمنين قال لا والله قلت ولك الجنة قال على أن لا تلدمني ويقال ان بعض الاعراب لقيه الامير قتيبة بن مسلم الباهلي فقال له يا أخا العرب أيسرك أن يكون لك ألف دينار وأنت من باهلة قال لا والله قال ألفا دينار قال لا والله قال وأنت أمير خراسان قال لا والله قال وأنت أمير المؤمنين قال لا والله قال ولك الجنة قال بشرط أن لا يعلم احد انني من باهلة وقال الاصمعي رأيت رجلا يختال في أزير في يوم قر فقلت له ممن أنت قال أنا ابن الوحيد أمشي الخيزلى ويدفئني حسي وكان جذيمة بن الابرش لا ينادم أحدا تعاظما ويقول انما ينادمني الفرقدان ولهذا قال الشاعر * وكنا كندماني جذيمة حقبة * أراد الفرقدين وليس كما يقولون ان المراد بهما مالك وعقيل لانه كان يجوز عليهما التفرق وحكي صاحب الاغاني في أخبار العرجي عن الاصمعي قال مررت بكناس بالبصرة يكنس كنيفا وهو يغني

اضاعوني وأي فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

فقلت له أما سداد الكنيف فانت مليء به واما الثغر فلا علم لنا بك كيف أنت فيه وكنت حديث السن وأردت العبث به فأعرض عني مليا ثم اقبل علي وأنشد

وأكرم نفسي انني ان أهنتها * وجدك لم تكرم على أحد بعدي

فقلت له والله ما يكون من الهوان أكثر مما أهنتها به فبأي شيء أكرمتها قال بلى والله ان من

تركت على عثمان تبكي حلائله
وقائلة لا يبعد الله ضاربا
اذا القرن لم يوجد له من ينازله
ثم لم يزل في السجن حتى مات فلما قتل عثمان وثب عمير على ضلع من أضلاعه فكسرها فقتله الحجاج بالكوفة

(ولولا ان للجوار ذمة وللضيافة حرمة لكان الجواب في قذال الدمستق)

يعني لولا انه صار لهذه المرأة حرمة بدخول المنزل والمؤاكلة لفعلت بها فعل سيف الدولة بالدمستق وهذا احد بيت المتنبي في المعنى وذلك أن ملك الروم أرسل جيشا الى بلاد سيف الدولة وقدم عليه بطريقا يقال له الدمستق وقيل الدمستق لقب عندهم لكل مقدم على جيش فهزمه سيف الدولة وخرج موليا وعاد الى ملك الروم مهزوما مرعوبا ثم ان ملك الروم ارسل رسلا وكتابا الى سيف الدولة يطلب الصلح والهدنة فنظم المتنبي في هذه الواقعة قصيدة يشير فيها الى هزيمة الدمستق فيقول

وكنت اذا كاتبته قبل هذه
كتبت اليه في قذال الدمستق

وهذه قصيدة تطوى على أبيات حسنة ويتعلق بها خبر ظريف قيل دخل السري الرفاء الشاعر على سيف الدولة يوما فقال يا مولانا كم

تفضل علينا هذا الكندى
يعنى المتنبي ولو أمرتنى ان
أنظم على وزن أى قصيدة
شئت من قصائده لنظمت
ماهو أجود منها فقال سيف
الدولة انظم على وزن قصيدته
التى أولها

بعينيك ما يلقى الفؤاد وما لقى
فخرج السرى من عنده على
ذلك وفكر فى القصيدة فلم
يجدها من طبقات المتنبي فعلم
ان سيف الدولة أراد أمر اله
بتخصيصه هذه القصيدة فى
الاقتراح فنظر فى أبياتها
فاذا هو يقول فيها مادحا سيف
الدولة ومفتخرا بنفسه

اذا شاء ان يلهو بلحية أحمق
أراه غباري ثم قال له الحق

فعلم أن سيف الدولة أراده
بهذا المعنى فكف عن النظم
وفى هذه القصيدة يقول المتنبي

وما كنت ممن يدخل العشق
قلبه
ولكن من يبصر جفونك يعشق

سقى الله أيام الصبا ما يسرها
ويفعل فعل البالى المعتق
اذا ما لبست الدهر مستمتعا به
تخرقت والملبوس لم يتخرق

هذا المعنى جيد ولكن
استعمال التخريق للاجساد
بشع ومن جملة هذه القصيدة
أيضا

نودعهم والبين فينا كأنه
دنا ابن أبي الهيجاء فى قلب فيلق

الهوان لشراعما أنا فيه فقلت وماهو قال الحاجة اليك والى أمثالك فانصرفت عنه أخزى الله الناس وذكرت بالكنيف هنا حديث ولادة بنت المستكفي بالله محمد بن المستظهر لما اجتازت بالوزير أبى عامر بن عبدوس وهو جالس على باب داره وأمامه بركة تتولد من مراحيض واقذار وحوله جماعة من أصحابه فوقفت عليه وقالت يا أبا عامر

أنت الخصيب وهذه مصر * فتدفقا فكلاكما بحر

فلم يحر جوابا والبيت لابى نواس وهذه ولادة كان الوزير أبو عامر من جملة من يهواها ويكلف بعشرتها وكانت كثيرة العبث به وهى ذات أدب ولطف ونادرة وعشرة وبذل حجاب لمن يتعشقها تجالس الاكابر وتحاضر الشعراء على ماهى فيه من الجمال البارع وكان ابن زيدون قد شغفه حبها وله فيها القصائد اللطيفة وفى الوزير ابن عبدوس هذا أنشأ ابن زيدون الرسالة التى جعلها على لسان ولادة اليه لما بلغه أنه يهواها وأولها أما بعد أيها المصاب بعقله الموزع بجهله أتى فيها بكل مثل وكل غريبة وكتبت ولادة يوما لابن زيدون وهى غضبى عليه تعرض بغلام له اسمه على كان يدعى أنه معه على حالة هذين البيتين

ان ابن زيدون على فضله * يغتابنى ظلما ولا ذنب لى
يلحظنى شزرا اذا حثته * كأنما حثت لاخصى على

وهذا التعريض يشبه تعريض عنان بأبى نواس فى قولها

عجبا من حلتى * يدعى أصل اللواط
والذى يحضر يدرى * من يلى وجه البساط

وحكى أن بعضهم دخل بأمرد الى بيته وكان بينهما ما كان فلما خرج الامرد ادعى انه هو الفاعل فقيل له فى ذلك فقال فسدت الامانات وحرم اللواط الا أن يكون بشاهدى عدل وقال بعض الشعراء

ان المذهب فى اللوا * طة ليس بعدله شريك
واذا خلا بغلامه * فالله يدرى من ينيك

وقال آخر

مر على بغلة فأعظمه الناس وقالوا فتى وأى فتى
فقلت من ذا فقيل لى رجل * يلوط لكن يبوس ملتفتا

(وعادة الفضل أن يزهى بجوهره * وليس يعمل الا فى يدى بطل)

(اللغة العادة) معروفة والجمع عاد وعادات تقول منه عاده وأعاده وتعوده أى صار له عادة والعادة اليوم فى عرف الكتاب والناس اذا قالوا ألف درهم عادة أو مائة فانها تكون ناقصة عن التسمية كل مائة تنقص درهمين فالالف تنقص عشرين وتكون تسعمائة وثمانين قال النصير الحامى للسراج الوراق قد امتدحت الصاحب بهاء الدين بقصيدة وهى الليلة تقرأ بين يديه وأشتهى منك أن تزهر لها فلما انشدت بين يدى الصاحب بهاء الدين قال السراج بعد الفراغ منها

شاقنى للنصير شعر بديع * ولمثلى فى الشعر نقد بصير
ثم لما سمعت باسمك فيه * قلت نعم المولى ونعم النصير

فأمر الصاحب للنصير بشئ وللسراج بمائتى درهم وقال تكون صنجة فقبل الارض وقال

يامولانا الصاحب أشتهي أن تكون عادة فاعجبه ذلك وقال تكون له أبدا عادة اذا مدحنا بشئ من الشعر وقول السراج الوراق يشبه قول ابن قلاقس

أنا ان نظمت الشعر فيه ساحر * حقا ولكن في سواه ساحر
فاذا وصفت علاه قال لي الورى * لله ممدوح ذكرت وشاعر

ولكن قول السراج فيه رونق التورية وقال السراج الوراق وقد عزاه الصاحب بهاء الدين في زوجته وجهز له دراهم صنجة

أتتني صنجة وأتت معاده * على عاداتها والخير عاده
وأنستني مصيبة من تولت * فلا ولت عن المولى السعادة

(رجع) النصل السيف يزهى زهى الرجل أي تكبر فهو زهو وقد نطقت العرب بأحرف لا يتكلم بها الا على سبيل المفعول وان كانت بمعنى الفاعل وذلك كقولهم زهى الرجل وعنى بالامر ونتجت الشاة ودهش الرجل وسقط في يده فاذا أمرت قلت انزه علينا يا رجل ولا يتعجب من هذه الافعال والزهو المنظر الحسن بجوهره الجوهر معروف وأما جوهر السيف فهو ما يرى فيه من الطرق المختلفة وهو وشيه الذي يشبه بديباج النمل وسيأتي الكلام عليه يعمل أراد به هنا يفري ويقطع البطل الشجاع والمرأة بطلة وقد بطل الرجل بالضم يبطل بطولة وبطالة أي صار شجاعا وجمعه أبطال (الاعراب وعادة) الواو واو الابتداء عادة مرفوع على أنه مبتدأ (النصل) مجرور بالاضافة المعنوية بمعنى اللام (أن يزهى) أن حرف ينصب الفعل المضارع وتكون زائدة ومفسرة ومصدرية فالزائدة هي التي دخولها في الكلام وخروجها سواء كما في قوله تعالى فلما أن جاء البشير وقد ادعى ابن الاثير في المثل السائر أن أن اذا دخلت في الكلام دل على ان الكلام لم يكن على الفور ودل على أنه ثم تراخ ومهلة وذكر الآية الكريمة وقال اذا نظر في قصة يوسف مع اخوته منذ ألقوه في الجب والى ان جاء البشير الى أبيه عليه السلام وجد أنه كان ثم تراخ وابطاء بعيد ولم يكن ثم أمد بعيد لما جيء بأن بعد لما وقبل الفعل بل كانت الآية تكون فلما جاء البشير ألقاه على وجهه وهذه دقائق ورموز لا توجد عند النحاة لانها ليست من شأنهم قلت هذا من جناية اعجاب المرء بعقله الا تراه كيف تصور الخطأ صوابا ثم أخذ يتجح بانه ظفر بما لم يكن عند النحاة ولو انه نظر الى هذه الفاء عقيب ماذا وردت هل هي عقيب قوله تعالى فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب والآيات المتعلقة بواقعة القائه في الجب أو وردت عقيب قوله تعالى اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وأتوني باهلكم أجمعين ولما فصلت العير قال أبوهم اني لاجد ريح يوسف لولا أن تفندون قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا العلم ابن الاثير انه لا تراخي بين هذين البعدين ولا مدة مديدة لان المدة انما كانت بقدر المسافة التي توجه فيها البشير من مصر الى أن وصل الى أرض كنعان وهي مقام يعقوب عليه السلام وقدر مسافة ما بين ذلك اثنا عشر يوما وما حولها ولهذا قال النحاة انها هنا زائدة ولابن الاثير من هذه الشناعات على النحاة وغيرهم أشياء أجبت عنها في كتاب نصرة الثائر على المثل السائر والمفسرة هي الداخلة على الجملة المبينة لحكاية ما قبلها من لفظ دال على معنى القول بغير حروفه كالتي في قوله تعالى فأوحينا اليه أن اصنع الفلك باعيننا ووحينا أي أوحينا اليه

هو ادلا ملاك الجيوش كأنها
تخير أرواح الكماة وتنتقي
يغير بها بين اللقان وواسط
ويركزها بين الفرات وجلق
ويرجعها حمرا كان صحيحها
يكي دما من رحمة المتدفق
فلا تبلغاه ما أقول فانه
شجاع متى يذكر له الحرب يشتق

قوله فلا تبلغاه هذه من السماجات المعدودة لانه ينشده القصيدة هو سماعا عفا الله تعالى عنه

كسائله من يسأل الغيث قطرة
وعاذله من قال للفلك أرفق
لقد جدت حتى جدت في كل ملة
وحتى أتاك الحمد في كل منطق
رأى ملك الروم ارتياحك للندى
فقام مقام المجتدي المتملق

وكنت اذا كاتبته قبل هذه كتبت اليه في قذال الدمستق وما كمد الحساد شيأ قصدته
ولكنه من يزحم البحر يغرق

*(والنعل حاضرة ان عادت العقرب * والعقوبة ممكنة ان أصر المذنب)*

السجعة الاولى حل بيت للفضل اللهبي من جملة أبيات وهو مثل يهدد به من عوقب وهذا الفضل هو ابن العباس بن عتبة بن أبي لهب كان من شعراء الهاشميين وفصحائهم توفي في خلافة الوليد بن عبد الملك وكان طويلا آدم اللون حكي ان الفرزدق مر به يوما وهو

هذا القول والمصدرية هي التي مع الفعل في تأويل المصدر كما في هذا البيت تقديره وعادة النصل زهوه بجوهره وتنقسم أن الى مخففة من ان وناصبة للمضارع فان كان العامل فيها من أفعال العلم وجب ان تكون مخففة وتعين في المضارع بعدها الرفع الا ان يكون العلم في معنى غيره ولذلك أجاز سيبويه ما علمت الا ان تقوم بالنصب قال لانه كلام خرج مخرج الاشارة فجرى مجرى قولك أشير عليك أن تفعل وان كان العامل في أن من غير أفعال العلم والظن وجب ان تكون غير المخففة وتعين في المضارع بعدها النصب كقولك أريد ان تقوم وان كان العامل فيها من أفعال الظن جاز فيها الاوجهان وصح في المضارع بعدها الرفع والنصب الا ان النصب هو الاكثر ولذلك اتفقوا عليه في قوله تعالى أحسب الناس ان يتركوا واختلفوا في قوله تعالى وحسبوا أن لا تكون فتنة فقرأ أبو عمرو والكسائي وحمزة برفع تكون وقرأ الباقون بنصبه ومن العرب من يجيز اهمال غير المخففة حملا على ما المصدرية فرفع المضارع بعدها كقول الشاعر

أن تقرآن على أسماء ويحكما * مني السلام وأن لا تشعرا أحدا

فان الاولى والثانية مصدريتان غير مخففتين وقد أعمل احداهما وأهمل الاخرى ومن اهمالها قراءة بعضهم لمن اراد ان يتم الرضاعة وقول الشاعر

اذا مت فادفني الى جنب كرمة * تروى عظامي في الممات عروقها
ولا تدفنني بالفلاة فانني * أخاف اذا ما مت لا أذوقها

(رجع يزهى) فعل مضارع منصوب بأن وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الالف لانه معتل الطرف وانما يكتب بالياء لان أصله زهيت والفعل وأن هنا في تأويل المصدر والجملة في موضع رفع على انها خبر المبتدا الذي تقدم وهو (عادة بجوهره) الباء للصاحبة وهي التي عدت يزهى الى جوهر و جوهر مجرور بالباء والهاء في موضع جر بالاضافة وهي تعود على النصل (وليس) الواو عاطفة عطفت الفعل على الفعل وليس من اخوات كان ترفع الاسم وتنصب الخبر وهي مختصة بمنع تقدم خبرها عليها خلافا لسيبويه ولابي علي وابن برهان فانهم قالوا بجوازه بدليل تقدم معمول خبرها عليها في قوله تعالى ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم واسمها ضمير مستتر فيها تقديره هو عائد على النصل، (يعمل) فعل مضارع مرفوع لخلوه عن الناصب والجازم وفاعله ضمير يعود الى النصل وجملة الفعل المضارع في موضع نصب خبر ليس تقديره وليس النصل عاملا (الا) حرف استثناء (في يدي) في حرف جر ومعناه الظرفية و يدي مجرور بفي وعلامة جره الياء لانه مثنى والمثنى له اعراب يخصه فيعرب بالالف في حالة الرفع وفتح ما قبل الالف وبالياء في حالتي النصب والجر وفتح ما قبلها والنون مكسورة في الاحوال الثلاثة وقد تفتح النون في لغة كما قال الشاعر

على أحوذيين استقلت عشية * فما هي الا لمحة وتغيب

وانما أعرب المثنى بالحروف لان التثنية فرع عن الافراد فأخذ الاصل الاصل والفرع الفرع وقدم في ذكر اعراب جمع المذكر السالم التعليل في كون اعراب المثنى بالالف والياء والنون من يدين حذفت للاضافة لان الحروف في المثنى وجمع المذكر السالم عوض عن الحركات في اعراب المفرد والنون عوض عن التنوين فلهذا تسقط في حال الاضافة كما يسقط التنوين

وقد

ينشد مفتخرا

وأنا الاخضر من يعرفني
أخضر الجلدة من بين العرب
من يساجلني يساجل ماجدا
يملأ الدلو الى عقد الكرب

يعني بالخضرة آدم اللون والعرب تفتخر بأنها سمر وسود وقيل عنى بالاخضر البحر وانه في نفسه وكرمه كالبحر وعنى بالمساجلة المفاخرة وأصل المساجلة أن يملأ الشخصان بدلوين من بئر فأيهما ملأ أكثر كان الغالب واستعمل في المفاخرة وأصل المساجلة كما ذكر فلما سمع الفرزدق قوله تشمر وقال أنا أساجلك فقال

برسول الله وابن عمه
و بعباس بن عبد المطلب
فرجع الفرزدق وقال
ما يساجلك الا من عض
بظر أمه * وحكى أبو عبيدة أن عمر بن أبي ربيعة قال بينما أنا جالس في المسجد الحرام في جماعة من قريش اذ دخل علينا الفضل بن العباس اللهبي فوافقني وأنا أنشد

وأصبح بطن مكة مقشعرا
كأن الارض ليس بها هشام

فقال يا أخا بني مخزوم ان بلدة تجمع بها عبد المطلب وبعث منها رسول الله صلى الله عليه وسلم واستقر بها بيت الله عز وجل لحقيقة أن لا تقشعر

وقد فرق النحاة بين التثنية والمثنى فقالوا التثنية ضم واحد الى مثله بشرط اتفاق اللفظين والمعنيين أو المعنى الموجب للتثنية فعلى هذا تبين لحن الحريرى فى قوله

حاديا العين حين أعمى هواه * عينه فاثنني بلا عينين

لان المعنيين فى العين ما اتفقا فى الذات ولذلك جوزوا القمرين تثنية الشمس والقمر لانهما وان اختلفا فى اللفظ فقد اتفقا فى الذات لانهما كوكبان وكذلك العمرين تثنية أبى بكر وعمر رضى الله عنهما لانهما اتفقا من وجوه كثيرة فى الذات اذ كل منهما انسان وصحابى وخليفة فان قلت لاى شئ قالوا القمران ولم يقولوا الشمسان ولا شئ قالوا العمران ولم يثنوا ابا بكر قلت لان التذكير يغلب على التأنيث والشمس مؤنثة والقمر مذكر قال أبو الطيب

وما التأنيث لاسم الشمس عيب * ولا التذكير فخر للهلال

ولان العمرين أخف على اللسان واهذب فى السمع من الابى بكرين لانه مركب وعمر مفرد ولان أبا بكر كنية وعمر علم واذا تقرر هذا فقد غلط جماعة من الشعراء ولاسيما المتأخرون فى تثنية ما لم يتفقا فى المثنى الموجب للتثنية كقول الحريرى المقدم وقد قال الشيخ بدر الدين محمد بن مالك المثنى ما دل على اثنين بزيادة فى آخره صالح للتجريد وعطف مثله عليه اه قلت فاذا قلت الزيدان فقد دل على اثنين بزيادة فى آخره وهى الالف والنون ويصلح ان يجرد من هذه الزيادة فيعود زيدا وعلى ان أحدهما عطف على مثله لان الاصل فيه زيد وزيد بدليل ان الشاعر لما اضطره الوزن فك التثنية فقال

كان بين فكها والفك * فارة مسك ذبحت فى شك

وفائدة هذا الحد أن تعلم ان العرب الحقت بباب المثنى أشياء ليست بمثنيات حقيقة كما فعلوا بباب جمع المذكر السالم وجمع المؤنث السالم وهى كلا وكلتا بشرط الاضافة الى مضمر تقول جاءنى كلاهما ورأيت كليهما ومررت بكليهما فلو اضيفتا الى مظهر لم يكن اعرابهما اعراب المثنى فتقول جاءنى كلا الرجلين ورأيت كلا الرجلين ومررت بكلا الرجلين وكذلك اثنان واثنتان فان هذه الالفاظ اعربت اعراب المثنى وليست من بابه على الحقيقة لان حد المثنى لا يتناولها اذ ليس كل منهما فى آخره زيادة صالحة لتجريد ولا عطف أحدهما على مثله لانه لا مفرد لكلا ولا كلتا ولا اثنين ولا اثنتين فاعرف ذلك وذكرت هنا قول حسان بن ثابت رضى الله عنه

ان التى ناولتنى فرددتها * قتلت قتلت فهاتها لم تقتل

كلتاهما حلب العصير فعاطنى * بزجاجة ارخاهما للمفصل

قال الحريرى وغيره أخبر عن التى بالمفرد فوحد ثم قال كلتاهما فثنى وما معنى كلتاهما حلب العصير ولم يذكر الا خمرة واحدة وأخبر عن كلتاهما بارخاهما والصحيح الاخبار عنهما بمفرد لانهم لحنوا من قال كلا الرجلين قاما وكانت المرأتين حضرتا على اللغة الفصيحة ويدل على ذلك قوله تعالى كلتا الجنتين آتت أكلها وأيضا فالرواية صحت فى المفصل انه بكسر الميم وفتح الصاد وانما يقال مفصل بفتح الميم وكسر الصاد وأجاب الحريرى بان قال أما قوله ان التى ناولتنى فرددتها قتلت فانه خاطب به الساقى الذى كان ناوله كأسا ممزوجة لانه يقال قتلت الخمرة اذا مزجتها فكأنه أراد ان يعلمه انه فطن لما فعله ثم انه دعا عليه بقوله قتلت وقوله ارخاهما للمفصل يعنى به اللسان وسمى مفصلا لانه يفصل بين الحق والباطل وقال أبو بكر محمد بن القاسم

لهشام وان أشعر من هذا البيت قول الآخر

انما عبد مناف جوهر * زين الجوهر عبد المطلب

وأقبل على وقال يا أخا بنى مخزوم ان أشعر من صاحبك الذى يقول هذين البيتين هاشم بحرا اذا سما وطما * أحمد حر الحريق واصطلما

فاعلم وخير المقال أصدقه * بأن من رام هاشما هشما

فاسودت الدنيا فى عينى ولم أحر جوابا وقد أطال أبو عبيدة الحكاية الى أن ظهر عليها التوليد * ومن جيد شعر الفضل بن العباس قوله

يا مى ان تفقدى قوما وزينتهم * وتخلسيهم فان الدهر خلاس

عمرو وعبد مناف والذى عهدت * بطاح مكة أبى الضيم عباس

ليث هزبر مدل عند خيسته * بالرقتين له أجوا اعراس

يستشهد النحاة بقوله أجو على جمع جرو والاصل أجرو فحذفت الواو لوقوعها طرفا مضموما ما قبلها

وحكى عنه الجاحظ حكاية ظريفة قال شرب ليلة مع بعض ولد جعفر على سطح فلما سكر الجعفرى رمى بنفسه الى أسفل وقال أنا ابن الطيار فى الجنة فتكسر وتهشم فتشبث الفضل بالحائط

الانارى اجتمع قوم على شراب فغنا هم المغنى البيتين المتقدمين فقال بعضهم امرأتى طالق ان لم أسأل الليلة القاضى عبيد الله ابن الحسن عن علة هذا الشعر لم قال ان التى فوحدثم قال كلتاهما فثنى فأشفقوا على صاحبهم وتركوا ما كانوا عليه ومضوا يتخطون القبائل حتى انتهوا الى بنى شقرة وعبيد الله يصلى فلما أتم صلاته شرحوا له القصة وسألوه الجواب عن ذلك فقال لهم ان التى عنى بها الخمرة الممزوجة بالماء ثم قال كلتاهما حلب العصير يريد الخمر المتحلبة من العنب والماء المتحلب من السحاب المكنى عنه بالمعصرات قال الله تعالى وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا انتهى وقال النقيب الشجرى هذا التأويل يمنع منه ثلاثة أشياء أحدها أنه قال كلتاهما حلب العصير وكلتا موضوعة لمؤنثين والماء مذكر والتذكير أبدا يغلب على التانيث كتغليب القمر على الشمس قال الفرزدق لناقراها والنجوم الطوالع وليس للماء اسم آخر مؤنث فيقال يحمل على المعنى كما قالوا أتته كتابى فاحتقرها لان الكتاب فى معنى الصحيفة وكما قال الشاعر

فامت تبكيه على قبره * من لى من بعدك يا عامر
تركتنى فى الدار ذا غربة * قد ذل من ليس له ناصر

وكان الوجه أن يقول ذات غربة وانما ذكر لان المرأة انسان والثانى أنه قال ارخاهما للمفصل وأفعل هذا موضوع للمشتركين فى معنى واحد وأحدهما يزيد على الآخر فى الوصف كقولك زيد أفضل الرجلين فزيد والرجل المضاف اليه مشتركان فى الفضل الا أن الفضل لزيد يزيد على الرجل والماء لا يشارك الخمر فى ارخاء المفصل والثالث ان الخمر عصير العنب وقوله حلب العصير يمنع من هذا لانه اذا كان العصير الخمر والحلب هو الخمر فقد أضيفت الخمر الى نفسها والشئ لا يضاف الى نفسه والصواب انه أراد كلتا الخمرتين الصرف والممزوجة اه

وذكرت هنا قول مجير الدين محمد بن تميم ومن خطه نقلت

ومدامة كاسانها * تعطى الامان من الزمان
قد أحكمت علم النحو * م وبعده علم البيان
فاذا احتساها الشار * بو ن واوقعهم فى الامانى
بدأت باخراج الضمير * وبعده عقد اللسان

وقال ناصر الدين حسن بن النقيب

أيها الساقى بجفن * وبجام خسروانى
لاتلمنى ان تلعثمت ولم تفهم بيانى
سحر عينيك وسكرى * أحكما عقد لسانى

(المعنى) ان السيف عادته أن يكون زهوه بجوهره ولكن ما المراد منه الا القطع والمضاء فى الضربية ولا يكون ذلك منه الا اذا كان فى يدى بطل يضرب به ويصيب الكلى والمفاصل يعنى انى فى ذاتى كالسيف الجوهر لما حزته من العلوم وملكته من ممارسة الامور وسياستها ولكن لا نفع لها لانها كامنة فلو باشرت أمرا وتوليت ولاية ظهرت محاسنى فى الخارج وبرزت فى الظاهر نفع ما عندى وهذا تشبيه حسن وتمثيل جيد ومن كلام البديع الهمذانى من رسالة وقد حكمت علماء الامة واتفق قول الائمة على أن سيوف الحق أربعة

وسائرها

وقال أنا ابن المقصوص فى النار * وأما البيت الذى ذكر بسببه فحكى انه كان بالمدينة تاجر من تجارها يسمى العقرب وكان أمطل الناس فعامله الفضل وكان أشد الناس تقاضيا فلما حل المال قعد الفضل على باب العقرب يقرأ وعقرب على سجيته فى المطل فلما أعياه ذلك قال يهجوه

قد تجرت عقرب فى سوقنا
لا مرحبا بالعقرب التاجره
كل عدو كيده فى استه
فغير مخشى ولا ضائره

ان عادت العقرب عدنا لها وكانت النعل لها حاضره فصار هذا اللفظ مثلا وقول ابن زيدون ان أصر المذنب الاصرار العقد فى الذنب وأصله من صر الشئ

(وهبها لم تلاحظك بعين كليلة عن عيوبك ملؤها حبيبها حسن فيها من تود) يعنى هب أن هذه الواصفة لم تنظرك بعين المحبة الساترة للعيوب فيما وصفتك به من الفضائل أليس منظرك كما نرى من القبح والسماجة كما سيأتى ذكره وفى هذا اللفظ حل ثلاثة أبيات لثلاثة من الشعراء ولكل منهما أخبار وأشعار تشتمل على محاسن * فالاول قول الهاشمى

وسائرها للناس سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم في المشركين وسيف أبي بكر رضي الله عنه في المرتدين وسيف علي رضي الله عنه في الباغين وسيف القصاص بين المسلمين قلت وقولهم سيف الله هو خالد بن الوليد رضي الله عنه سماه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسن آثاره في الاسلام وشجاعته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نظر اليه والى عكرمة بن أبي جهل قرأ يخرج الحي من الميت لانهما كانا من خيار المسلمين وأبواهما اعدى عدو لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولما اتهم خالد ابن الوليد بقتل مالك بن نويرة على اسلامه دعاه أبو بكر رضي الله عنه فقال له أقتلت مالكا لتنزو على حليلته وذلك لكونه تزوج امرأته بعده فقال له ياخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أتشهد لي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سماني بسيف الله فقال اللهم بلى فقال أيقتل سيف الله المسلم فقال لا وصرفه الى حيث جاء وأنشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة مما نظمه في أولاد ممدوحه وقد رأى له ولدا يسمى خالدا وهو

أولاد مولانا بهم * تزهى المحافل والمشاهد
مثل السيوف مهابة * لكن سيف الله خالد

وقولهم سيف الفرزدق يضربون به المثل للسيف الكليل في يد الجبان وأصله ان جريرا والفرزدق وفدا على سليمان بن عبد الملك فجاء رجل من عبس الى الفرزدق وكان ممن يتعصب عليه لجرير فقال له ان الخليفة غدا سيأمرك بضرب عنق أسير من الروم وقد علمت انك وان كنت تصف السيوف فتحسن انك لم تماصع بها وهذا سيفي يكفيك منه ضربة واحدة وأتاه بسيف كهام فقال له الفرزدق ومن أنت قال من أخوالك بني ضبة فاخذ السيف ووثق به فلما كان من الغد حضر الفرزدق والوفود مجلس سليمان وجيء بالاسرى فأمر سليمان واحدا منهم فاثل المنظر أن يروع الفرزدق ويلتفت اليه ويفزعه ووعده أن يطلقه ثم قال للفرزدق قم فاضرب عنقه فسل ذلك السيف فضربه فلم يؤثر فيه السيف شيأ وكلح الرومي في وجهه فارتاع الفرزدق وضحك سليمان والقوم فقال جرير

بسيف ابي دعوان سيف مجاشع * ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم
ضربت به عند الامام فارعشت * يداك وقال مجذب غير صارم

فاجابه الفرزدق

ولا نقتل الاسرى ولكن نفكهم * اذا أثقل الاعناق حمل المغارم
فهل ضربة الرومي جاءت لكم * أبا كليب أو أخا مثل دارم

وقال أيضا

فان يك سيف خان أو قد رأيتني * لمقدار يوم حتفه غير شاهد
كسيف بني عبس وقد ضربوا به * نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد
كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها * وتقطع أحيانا مناط القلائد

ولما صار سيف عمرو بن معدي كرب الذي يسمى الصمصامة الى موسى الهادي دعا بالشعراء وبين يديه مكتل فيه بدرة فقال قولوا في هذا السيف فبدر ابن يامين البصري فقال أبياتا منها

ما يبالي من انتضاه لضرب * أشمال سطت به أم يمين

وعين الرضا عن كل عيب كليلة
ولكن عين السخط تبدي المساويا

وهو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب كان من فتيان بني هاشم وأجوادهم وفصحائهم على انه كان يتهم بالزندقة في دينه لصحبة قوم عرفوا بذلك وأشهرهم رجل يقال له البقلي وانما سمي بذلك لانه كان يقول الانسان كالبقلة اذا مات لم يرجع وكان عبد الله ممن ترقى للخلافة واشتهر ذكره في آخر أيام بني أمية حكى المدائني ان عبد الله بن معاوية قدم زائرا العبد الله بن عمر بن عبد العزيز مستمنحا له فتزوج بالكوفة بنت الشرقي بن شيث بن ربعي فلما وقعت العصبية اخرجه أهل الكوفة على بني أمية وقيل انما خرج في أيام يزيد بن الوليد ودعا الناس الى بيعة الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل انما دعا الى نفسه ولبس الصوف وأظهر سيما الخير فاجتمع عليه ناس من الكوفة فبايعوه ما لم يجتمع عليه جميع أهل المصر وقالوا له ما بقي فينا بقية فقد قتل جمهورنا مع أهل هذا البيت وأشاروا عليه بالخروج الى فارس ونواحي الشرق ففعل

يستطير الابصار كالقبس المشتعل ما تستقر فيه العيون
وكأن الفرند والجوهر الجما * رى فى صفحتيه ماء معين

فقال موسى أصاب ما فى نفسى واستخفه الطرب فامر له بالسيف والمكتل فلما خرج قال للشعراء انما حرمتم من أجلى فدفع اليهم البدرة وأخذ السيف فاشترى منه عمال عظيم وحكى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه سأل عمرو بن معدى كرب ان يريه سيفه المشهور فاحضره عمرو له فانتضاه عمر رضى الله عنه وضرب به فما أحالك أو حالك بغير ألف فطرحه من يده وقال ما هذا بشئ فقال له عمرو يا أمير المؤمنين أنت طلبت منى السيف ولم تطلب منى الساعد الذى يضرب به فعاتبه وقيل انه ضربه وقرأت على الشيخ الامام الحافظ شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى فى مغازى تاريخه الكبير تاريخ الاسلام قال الاصمعى حدثنا عبد الرحمن ابن أبى الزناد قال ضرب الزبير بن العوام يوم الخندق عثمان بن عبد الله بن المغيرة بالسيف على مغفره فقده الى القربوس فقيل ما أجود سيفك فغضب يريد ان العمل ليده لا للسيف وذكر المؤرخون ان عليا رضى الله عنه قتل من الخوارج يوم النهروان الفى نفس وكان يدخل فيضرب بسيفه حتى ينثنى ويخرج ويقول لا تلوموني ولوموا هذا ويقومه بعد ذلك وقال بعض شعراء الاندلس

فعاقر سيفك حتى انثنى * وعربد رمحك حتى انكسر
وكم نبت فى حربهم عن على * وناب عن النهروان النهر

ومن ضربات على المشهور ضربته رضى الله عنه مرحبا فانه ضربه على البيضة ضربة فقدها وقده نصفين وما أحلى قول أبى الحسين الجزار يمدح على بن سيف الدين قليج

أقول لفقرى مرحبا التيقنى * بأن عليا بالمكارم قاتله

وضربته عمرو بن عبدود العامرى وكان جبارا عنيدا غليظا عتلا من الرجال فقطع فخذه من أصلها ونزل عمرو فاخذ فخذ نفسه فضرب بها عليا فتوارى عنها فوقعت فى قوائم بعير فكسرتها وقال شرف الدين بن الفارض

ذو الفقار اللحظ منها أبدا * والحشا منى عمرو وحيى

وذكر أسعد بن مماتى فى كتاب روائع الوقائع قال حدثنى بعض البغداديين انه كان ببغداد سياف يقال له أبو بكر السجان فامر بقتل قوم من القطاع فربط أربعة ظهر واحد الى آخر ثم ضرب بسيفه الرقاب الاربع فقطعها ويقال أكذب بيت قالته العرب قول الشاعر

تظل تحفر عنه ان ضربت به * بعد الذراعين والساقين والهادى

وقول الطغرائى يشبه قول بن خفاجة

وما السيف لولا الحرب الا حديدة * وما الرمح الا خوطة تتأود

وقوله ايضا

والحر مفتقر الى عز الغنى * فقر الحسام الى يمين الفارس

وقوله ايضا

فما احتمى جانب لم يحمه ملك * ولا مضى صارم لم يمضه بطل

وقال أبو الطيب

ذلك وجمع جموعا من النواحى فخرج فغلب على مياه البصرة والكوفة وهمدان والرى وقم وأصفهان وأقام بأصفهان وكان الذى أخذ له البيعة محارب بن موسى الكردى فدخل دار الامارة بنعل ورداء وجعل الناس يجتمعون عليه فاخذهم بالبيعة فقالوا على ماذا فقال على ما أحببتم وكرهتم وكتب الى الامصار يدعو الى نفسه واستعمل اخوته على كرمان وشيراز وغيرهما وقصدته بنو هاشم السفاح والمنصور وعيسى ابن على ووجوه قريش من أمية وغيرهم فمن أراد عملا ولاه ومن أراد صلة وصله وأحسن اليه وكان سمح الكف كريم الاخلاق حكى ابن هرم قال قصدته فوجدت الناس بعضهم على بعض ببابه فرآنى بعض خدمه فعرفنى أن عامتهم غرماء له أرباب ديون فقلت هذا شر لى ثم دخلت عليه فقلت لم أعلم والله بهذه الغرماء فقال لا عليك أنشدنى فاستحييت فلى الا أن أنشده فأنشدته أبياتا حسنة منها

ترى الخير يجرى فى أسرة وجهه
كما لألأت فى السيف بهجة رونق

فتى يملأ الافعال رأيا وحكمة * وباردة أحيان يرضى ويغضب
اذا ضربت فى الحرب بالسيف كفه * تبينت ان السيف بالكف يضرب

وأخذه بن سناء الملك غصبا وجرد عليه فى الاغارة عضبا فقال

فلا تحسبوا بالكف جرد نصله * ولكنه قد جرد الكف بالنصل

وقد جرت عادة الشعراء بان يشبهوا جوهر السيف بمدب النمل قال امرؤ القيس

متوسدا عضبا مضاربه * فى متنه كمدبة النمل

وقال البحترى

وكأنما سود النمال وجمرها * دبت بايد فى قراه وارجل

وقال أبو العلاء المعرى فى السيف

سليل النار دق ورق حتى * كأن اباه أورثه السلالا
محلى البرد تحسبه تردى * نجوم الليل وانتعل الهلالا
مقيم النصل فى طرفى نقيض * يكون تباين منه اشتكالا
تبين فوقه ضحضاح ماء * وتبصر فيه للنار اشتعالا
اذا بصر الامير وقد نضاه * بأعلى الجوّ ظن عليه آلا
ودبت فوقه جمر المنايا * ولكن بعد ما مسخت نمالا

وقال ايضا

وكل أبيض هندى به شطب * مثل التكسر فى جار بنحدر
تغايرت فيه أرواح تموت به * من الضراغم والغرسان والجزر
روض المنايا على ان الدماء به * وان تخالف ألوانا من الزهر
ما كنت أحسب جفنا قبل مسكنه * فى الجفن يطوى على نار ولا نهر
ولا ظننت صغار النمل يمكنها * مشيا على اللج أو سعيا على السعر

وقد ضمنت آخر القطعة الاولى من شعر المعرى فى وصف عذار أشقر وآخر القطعة الثانية ايضا فى وصف العذار وأوردتهما من جملة ما أوردته لى من النظم فى التضمين عند قوله فيم الاقامة بالزوراء البيت وقال كشاجم

كأن نملا دارجا * صعد فيه وهبط
ماض ترى فى متنه * ماء بنار مختلط
يقدان أعمله * طولا وان عارض قط

يقال القده والقطع طولا والقطه والقطع عرضا وقال الوزير أبو محمد بن عبد الغفور

تريه المنايا الحمر فيه وجوهنا * مماثلة الارواح فى صورة الذر

وهو مأخوذ من قول المعرى فيما تقدم وأخذه الآخر فقال واجاد

جداول ماء ما تسوغ لوارد * ترى النمل غرقى فيه غير الاكارع

وقال الطغرائى من أبيات

وابيض طاغى الحد بر عدمتنه * مخافة عزم منك أمضى من النصل
عليم باسرار المنون كأنما * على مضربيه أنزلت سورة القتل

فامر لى بما كان عنده من المال لبعض الغرماء والله لا يملك غيره ثم لم يزل عبد الله مقيما بنواحى فارس التى غلب عليها حتى ولى مروان ابن محمد الجعدى فوجه اليه عامر بن ضباعة فى جيش كثيف فسار اليه حتى اذا قرب من أصبهان ندب عبد الله أصحابه للخروج فتثاقلوا عليه ولم يفعلوا فخرج على دهش هو واخوته قاصدين خراسان وقد ظهر أبو مسلم بها وطمع فى نصرته فأخذه أبو مسلم فحبسه عنده وجعل عليه عينا فرفع عنه انه يقول ليس فى الارض أحمق منكم يا أهل خراسان فى طاعتكم لهذا الرجل قبل أن تراجعوه فى شئ وتسألوه عنه والله ما رضيت الملائكة بهذا عن الله عز وجل حتى راجعته فى أمر آدم عليه السلام فقالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء حتى قال تعالى انى أعلم ما لا تعلمون فشدد عليه أبو مسلم ثم كتب اليه عبد الله رسالته التى يقول فيها الى أبى مسلم من الاسير فى يديه بغير خلاف عليه أما بعد فانك مستودع ودائع ومولى صنائع وان الودائع مرعية والصنائع عارية

تفيض نفوس الصيد دون غراره * وتطفح عن متنيه في مدرج النمل

وقال البحتري

حملت حمائله القديمة بقلة * من عهد عاد غضة لم تذبل

ومن هنا استمد ابن هانئ وما استبد فقال

وجنيتم ثمر الوقائع يانعا * بالنصر من ورق الحديد الاخضر

وابن سناء الملك أيضا من هنا أخذ واقتطعه وفلذه فقال

ظباه كمثل البقل لو ناوانها * لترعى العدا رعى الظباء من البقل

وقال ابن خفاجة

ومرقرق الافرند يمضي في العدا * أبدا فيفتك ما يشاء وينسك

وكأنه والماء يجري فوقه * جذلان يبكي للسرور ويضحك

وقال أيضا

وابيض عضب حالف النصر صاحبا * فكاد ولم يستل يمضي فيفتك

يبشره بالنصر ارهاف نصله * فيهتز في كف الكمي ويضحك

وما أحسن قول القائل

تدب المنايا الحمر في جنباته * على جامد في الكف في العين ذائب

وقال مهيار على طريق اللغز

وابن سرت به اذ قيل لي ذكر * فضته ويصان الدر في السدف

أخشى الرياح عليه ان تهب فما * تراه في غير حجري أو على كتفي

أغار عجبا عليه ان أقبله * يوما وتقبيله أدنى الى شرفي

يتيه من فوق كرسي وهبت له * من اللجين بقدقام كالالف

وانشدني من لفظه لنفسه المولى الحكيم شهاب الدين أحمد بن يوسف الصفدي بالقاهرة المحروسة سنة سبع وعشرين وسبعمائة ما يكتب على سيف

أنا أبيض كم جئت يوما أسودا * فاعدته بالنصر يوما أبيضا

ذكرا اذا ما استل يوم كريهة * جعل الذكور من الاعادي حيضا

اخيال ما بين المنايا والمنى * وأجول في وسط القضايا والقضا

(ما كنت أوثر أن يمتد بي زمني * حتى أرى دولة الاوغاد والسفل)

(اللغة) أوثر أثرت فلانا على نفسي اخترته ورجل أثر على فعل بضم العين اذا كان يختار على أصحابه أفعالا ويستأثر بها من الاخلاق الحسنة وغيرها قيل ان شيخ الشيوخ صدر الدين قدم من بغداد رسولا الى السلطان صلاح الدين فحضر يوما عنده فلما قام قدم صلاح الدين مداسه فاراد الشيخ لبسها فقال القاضي الفاضل هذه النعل تشرفت وما بقيت تصلح الا للرؤس فقال الشيخ صدر الدين باسم الله أنا فقير ومذهبي الايثار فلم يحر القاضي الفاضل جوابا وحكي ان أبا نواس كان في يوم شديد البرد وعليه فروة فمر به بعض السؤال فطلب منه ما يلبسه فقال ما أملك غير هذه الفروة فقال السائل ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة فقال أبو نواس هذه الآية أنزلها الله تعالى في الحجاز في شهر تموز فيما يوكل ولم ينزلها في شهر كانون في الرهى

فاطلب الخلاص والا اذكر القصاص فانك لاق ما أسلفت وغير لاق ما خلفت وفقك الله لما يجبيك والهمك شكر ما خولك فلما قرأ كتابه رمى به ثم قال أفسد علينا أصحابنا وهو محبوس في أيدينا فلو خرج ومالك أمرنا لاهلكنا ثم أمضى تدبيره في قتله فدس اليه سما فمات ووجه برأسه الى ابن مبارك فحمله الى مروان ومن شعره ويتعلق به حكاية حكاها ابراهيم الموصلي قال بينما أنا عند الرشيد وعنده ابن جامع وعمرو الغزال وغيرنا من الندماء والمغنين اذ قال صاحب الستارة لابن جامع تغن من شعر عبد الله بن معاوية ولم يكن بن جامع يغني في شيء من شعره ولا يعرفه وكنت قد تقدمت فيه فارتج على ابن جامع فلما رأيت ما حل به اندفعت فغنيت لعبد الله

يا يمم يحمل وما أن يرى
له من سبيل الى حمله
كأن لم يكن عاشق قبله
وقد عشق الناس من قبله
ففهم من الحب أودى به
ومنهم من أشفى على قتله

فاذا بدرفعت الستارة ونظر الي وقال أحسنت والله أعده فأعدته فجاء فراش ببدرة فوضعها تحت فخذي ثم قال

فيما يلبس وسأل بعض السؤال من آخر فقال يفتح الله فالح في السؤال ولم يحصل منه شئ فقال أين الذين يؤثرون على أنفسهم فقال ذهبوا مع الذين لا يسألون الناس الحافا (رجع) يمتد مددت الشئ فامتد أي اتصل والمادة لغة الزيادة متصلة ومد الله في عمره ومده في غيه أي أمهله وطول له زمني الزمان والزمن اسم لقليل الوقت وكثيره ويجمع على أزمنة وأزمان وأزمن دولة الدولة في الحرب أن تدال احدى الفئتين على الاخرى يقال كانت لنا عليهم الدولة والجمع الدول والدولة بالضم في المال يقال صار المال دولة بينهم يتداولونه يكون مرة لهذا ومرة لهذا والجمع دولات ودول الاوغاد جمع وغد وهو الدنئ الذي يخدم بطعام بطنه والسفل جمع سفلة والسفلة سقاط الناس ولا تقل هو سفلة لانه جمع (الاعراب ما) حرف نفي وقد تقدم الكلام عليها (كنت) كان ترفع الاسم وتنصب الخبر وهي فعل وهو مذهب الاكثرين وقال بعضهم بل هي حرف لانها لا مصدر لها ولو كانت فعلا لدلت على المصدر ولما احتيج ان يعقد لها باب يخصها وليس ذلك بشئ قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس في كان وأخواتها لم يختلف أحد في فعلية شئ منها الا ليس فان أبا علي ذكر في المسائل الحلبيات ان ليس حرف وطول في الاستدلال على ذلك وكذلك استدل أيضا على حرفيتها في أول الايضاح الشعري له وكذلك نقل عن ابن السراج أنه قال بفعلية ليس تقليدا وفي كلام سيبويه اشارة الى حرفيتها محتملة للتاويل وهو قوله في باب حروف أجريت مجرى حروف الاستفهام هذا بعض كلام الشيخ بهاء الدين وهي ناقصة اذا استوفت اسمها وخبرها كقوله تعالى وكان الله عليما حكيما وتامة اذا استوفت مرفوعها واستغنت به كقوله تعالى وان كان ذو عسرة فنظرة وهي بمعنى وجد وزائدة في مثل قول الشاعر

سراة بني أبي بكر تسامى * على كان المطهمة الجياد

وقول الآخر

فكيف اذا مررت بدار قوم * وجيران لنا كانوا كرام

قلت قد مثل بهذا البيت جماعة من أهل العربية شاهدا على زيادتها وهو مشكل لانهم لم يقولوا بزيادتها وزيادة اسمها فانها هنا مع اسمها أما في البيت الاول فسلم انها زائدة لانها لم يعجبها اسمها وأما في البيت الذي أوردوه فيحتمل ان تكون على بابها مع التقديم والتاخير والتقدير وجيران كرام كانوا لنا وهذا متجه ولم أر أحدا ذكره وتكون بمعنى صار كقول الشاعر

بتيهاء قفر والمطي كأنها * قطا الحزن قد كانت فراخا بيوضها

وقد تحمل ضمير الشأن والقصة فتكون الجملة خبرها كقول الشاعر

اذا مت كان الناس نصفان شامت * وآخر مثن بالذي كنت أصنع

أي كان الشأن أو الحديث أو القصة الناس نصفان وهذا البيت أخذ معناه مالك بن طوق فقال في الابيات التي أنشدها الرشيد لما كان بين يديه في نطع الدم على ما ذكره المسعودي في شرح المقامات أو تميم بن جميل في واقعته مع المعتصم على ما ذكره ابن عبد ربه في العقد والواقعة مشهورة وهو

وكم قائل لا أبعد الله داره * وآخر جذلان يسر ويشمت

وقد ضمنته أنا فقلت أبياتا أرثي بها نفسي وهي

اجعلها لك ثم انقضى المجلس فلما كان المجلس الثاني قال صاحب الستارة يا ابن جامع تغن من شعر ابن جعفر يعني عبد الله بن معاوية فوقع في مثل الذي وقع فيه بالامس فغنيت من شعر عبد الله

سلا ربة الخدر ما شأنها
ومن أي شأن أتتنا يجب
فلست بأول من فاته
على أربه بعض ما يطلب
وأصبح صدع الذي بيننا
كصدع الزجاجة لا يشعب

فاومى صاحب الستارة ان امسك وأشار بيده الى انه يبكي فامسكت ثم قال تغن لابن جعفر وكان ابن جامع شديد الحقد فقال لو كان في ابن جعفر خير لطاوع أبيه ولم يقبل على قول الشعر فسمعنا ضحك الرشيد ثم أرسل الى بدرة والى ابن جامع مثلها * واما الشعر الذي ذكر بسببه فانه كان صديقا للحسين ابن عبد الله ابن العباس ثم وقع بينهما أمر فتهاجرا فقال عبد الله

ان حسينا كان شيأ ملفقا
فمحضه التكشيف حتى بدا لنا
وأنت أخي ما لم تكن لي حاجة
فان عرضت أيقنت ان لا اخا ليا
وعين الرضا عن كل عيب كليلة
ولكن عين السخط تبدي المساويا

وأما البيت الثاني فهو قول المجنون

كأني بهذا الجسم أصبح عاطلا * وشمل قواه بالممات مشتت
وقد عافه من كان يهوى لقاءه * وأنكره من طالما كان يثبت
وغاية من يأوى لمصرعه فتى * يفكر فيما قد عراه ويبهت
وان عطفته رحمة في انصرافه * غدا نحوه من حسرة يتلفت
وان كان يبكيه خليل يوده * ويفجأه الرزء الجليل ويبغت
فماذا الذي يجدي على ساكن الثرى * اذا كان يبدي الحزن أو يتثبت
قضى ومضى هيهات لو ينفع البكا * كأن لم يكن من قد غدا وهو ميت
وكم قائل لا أبعد الله داره * وآخر جذلان يسر ويشمت

(رجع) ومن أمثلة كان التامة التي بمعنى وجد وحدث قول الشاعر

اذا كان الشتاء فادفئوني * فان الشيخ يهرمه الشتاء

وما أحلى قول السراج الوراق ومن خطه نقلت

يا ربيع الصفاة لا تقاضا * ك ولكن أقول جاء الشتاء
وأنا الشيخ والربيع الفزاري * قد عنانى وفى الكريم ذكاء

مسئلة قوله تعالى كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال ابن الانباري في اسرار العربية كان هنا تامة وصبيا منصوب على الحال ولا يجوز أن تكون كان ناقصة لانه لا اختصاص لعيسى عليه السلام في ذلك لان كلا كان في المهد صبيا ولا عجب في تكليم من كان فيما مضى في حال الصبا اه وقال أبو البقاء في اعرابه كان زائدة أي من هو في المهد صبيا حال من الضمير في الجار والمجرور والضمير المنفصل المقدر كان متصلا بكان وقيل كان الزائدة لا يستتر فيها ضمير فعلى هذا لا يحتاج الى تقدير هو بل يكون الظرف صلة من وقيل ليست زائدة بل هي كقوله تعالى وكان الله غفورا رحيما وقيل بمعنى صار وقيل تامة اه قلت تقدير كان في الآية الكريمة تامة بمعنى وجد أو حدث بعيد لان عيسى عليه السلام لم يخلق ابتداء في المهد وتقديرها زائدة أجود (رجع) كنت كان واسمها وهو تاء المتكلم فالضمير في موضع رفع على انه اسم كان (أوتر) فعل مضارع مرفوع لخلوه عن ناصب وجازم وهو في موضع نصب على انه خبر كان تقديره ما كنت موترا (أن يمتد) ان حرف ينصب الفعل المضارع وقد تقدم الكلام عليه ويمتد فعل مضارع منصوب بأن وان هنا مصدرية فهي وما دخلت عليه في تأويل مصدر وتقديره ما كنت أوتر امتداد زمانى (بى) الباء هنا للتعدية والياء مجرورة بالباء وهو متعلق بيمتد (زمنى) فاعل يمتد وعلامة رفعه ضمة مقدرة على النون وانما لم تظهر الضمة لاضافته الى ياء المتكلم وعلى كل حال فان زمنى فاعل ان قلت ان أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر أو تركت الفعل على ظاهره فان المصدر يضاف الى الفاعل وتقديره ما كنت أوتر امتداد زمنى (حتى) تقدم الكلام على حتى في قوله طال اغترابى البيت وهي هنا لانتهاء الغاية ومعنى الكلام الى أن (أرى) فعل مضارع منصوب باضمار أن ولم يظهر النصب لانه معتل الطرف بالالف فالنصب بفتحة مقدرة على الالف وانما كتب بالياء لانك تقول رأيت (دولة الاوغاد) دولة منصوب على أنه مفعول به والاوغاد مجرور بالاضافة المعنوية بمعنى اللام (والسفل) مجرور بالعطف على الاوغاد

اهابك اجلالا وما بك قدرة
على ولكن مل ء عين حبيبها
وهو قيس بن الملوح بن مزاحم من بنى عامر بن صعصعة شاعر غزل سكن البادية عمره وتوفى في آخر دولة بنى أمية وهو المعروف بمجنون ليلى ويقال انه لم يكن مجنونا وانما الرواة وضعت ذلك عليه وحكى ابن داب قال قلت لرجل من بنى عامر أترون من شعر المجنون شيأ فقال أوفرغنا من العقلاء حتى نروى للمجانين انهم لكثير فقلت انما أعنى مجنون بنى عامر الشاعر الذى قتله العشق فقال هيهات بنو عامر أغلظ اكبادا من ذلك انما يكون هذا في اليمانية الضعاف حلومها النغلة رؤسها فأما نزار فلا وقال الاصمعى الصحيح ان الاشعار والوجد لقيس ولكنه لم يكن مجنونا انما كانت فيه لوثة احدثها العشق وكان قد عشق جارية من قومه تسمى ليلى بنت سعد وعلق كل منهما بصاحبه وهما حينئذ صبيان يرعيان مواشى اهليهما فلم يزالا كذلك حتى كبرا وحجبت عنه وفى ذلك يقول

تعشقت ليلى وهى ذات ذؤابة
ولم يبد للأتراب من ثديها حجم

(المعنى) ما كنت أظن الزمان يمتد بى فى عمرى حتى تنقضى دولة الكرام وأرى فيما بعد دولة الاوغاد والسفل وهو يشبه قول أبى الطيب

ما كنت أحسبنى أبقى الى زمن * يسيء بى فيه كلب وهو محمود

وهذا قاله أبو الطيب فى بعض أهاجى كافور الاخشيدى وقد أجازه قبل قدومه عليه ويقال انه فى أول الامر أمره بمنية ابن خصيب اقطاعا فلم يرض ذلك وما كان يقصد الا الولايات على الاعمال والامرة ونظم فيه هذه القصيدة وهى من أخبث أهاجيه فيه فمنها

من علم الاسود المخصى مكرمة * أقومه البيض أم آباؤه الصيد

ومنها قوله

وذاك ان الفحول البيض عاجزة * عن الجميل فكيف الخصية السود

ومن غرر مدائحه فيه قوله بعد وصف الخيل

قواصد كافور توارك غيره * ومن قصد البحر استقل السواقيا

فجاءت بنا انسان عين زمانه * وخلت بياضا خلفها وما آقيا

وما مدح أسود بابلغ من هذا ولا أحسن وعلى ذكر كافور أنشدنى من لفظه لنفسه المولى صفى الدين عبد العزيز بن سرايا الحلى من قصيدة يصف فى آخرها

فاستجل بكرا قصيدا لاصداق لها * سوى القبول ودر غير مكفور

على أبى الطيب الكوفى مفخرها * اذلم أضع مسكها فى مثل كافور

وهذا فى غاية الحسن ونقلت من خط القاضى محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر من نسخة جواب أجاب به تجربة للخاطر عن السلطان صلاح الدين يوسف لما ورد عليه الكتاب الصادر من الامام الناصر يتضمن الانكار عليه فى فصول متعددة فقال وترى من هم القائلون أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه أمثل الماضين اليه أولا ولا مثل لهم فمن جاء أخيرا وقد علم كل منهم ما عاملوا به الخلافة تضييقا وتقتيرا وكونهم عوضوا عن الالوف برسم النفقات من فضة قدروها تقديرا ولا خفاء بما قضة أحمد بن طولون لما كان بمصر أميرا والاخشيدية حين طافت على الدولة تسلطا بكأس كان مزاجها كافورا اه وأنشدنى من من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة فى خادم اسمه كافور

يا لائمى فى خادم لى سيد * قسما لقد زدت السلو نفورا

ولقد أدرت على المسامع شربة * فى الحب كان مزاجها كافورا

(رجع) ومما يدخل فى بيت الطغرائى أقول أبى اسحق ابراهيم الغزى

لئن حلمنا صروف الدهر أشطرها * فكلنا بصروف الدهر جهال

فلا تغرنك الدنيا بمن رفعت * فلا حقيقة فيما يرفع الآل

الحمد لله أفضينا الى دول * تعلو وليس لتافيهن آمالى

وقال آخر

قد دفعنا الى زمان لئيم * لم ننل منه غير غل الصدور

ويلينا من الورى يا ناس * تركتهم اعجازهم فى الصدور

ومثل هذا قول الآخر

صغيرين نرعى البهم يا ليت اننا
الى الآن لم نكبر ولم يكبر البهم

حكى ابن عمارة المرى قال حضرت الى أرض بنى عامر لالقى المجنون فدللت على مجلسه فلقيت اباه شيخا كبيرا وحوله اخوة المجنون فسالته فقال انه كان والله عندى أبر من هؤلاء جميعا وانه عشق امرأة من قومه ما كان يطمع مثلها فى مثله فلما فشا امرهما كره ابوها ان يزوجه اياها بعد ما ظهر من امرهما فزوجها من غيره وأول ما ظهر من حبه لها انه طرقنا أضياف ذات ليلة ولم يكن عندنا أدم فبعثته الى ابى ليلى فوقف على خبائه وصاح به فقال ما تشاء فقال طرقنا أضياف ولا أدم لنا فارسلنى أبى اليك فقال يا ليلى اخرجى ذلك النحى فاملئى له اناءه من السمن فاخرجته ومعه قعب فجعلت تصب السمن فى الاناء وهما يتحدثان فألهاهما الحديث وهى تصب السمن وقد امتلأ العقب وقد سال واستنقعت أرجلهما من السمن ولا يشعران به فرآهما أبوها على تلك الحال فاكره بالانصراف وحجبها عنه فلما زوجها زاد هيامه وكانا فى بعض الاوقات يتحدثان فقطن بها زوجها

قال الانام وقد رأو * مع الحداثة قد تصدر
من ذا المجاور قدره * قلت المقدم بالمؤخر

ومن هذه المادة قول الآخر

ما ركب المهرة مسروجة * لولا ركوب المهر عريانا

وكان عميد الدولة بن فخر الدولة بن جهير قد عزل من الوزارة ثم أعيد اليها بسبب مصاهرته لنظام الملك الوزير حين زوجه نظام الملك ابنته فقال الشريف بن المهارية في ذلك

قل للوزير ولا تفزعك هيبته * وان تكبر واستعلى بمنصبه
لولا ابنة الشيخ ما استوزرت ثانية * فاشكر حراصرت مولانا الوزير به

وقد صنف بعض المتأخرين مجلدا سماه الانس في ذكر من رأس بالكس ورجع وقال شريف ابن المهارية أيضا

خذ جملة البلوى ودع تفصيلها * ما في البرية كلها انسان
واذا البيادق في الدسوت تفرزنت * فالرأي أن يتبيدق الفرزان

وقال محمد بن شرف القيرواني

قالوا تصاهلت الحمير فقلت من عدم السوابق
خلت الدسوت من الرخا * خ ففرزنت فيها البيادق

وقال آخر

تبا لدهر قد أتى بعجاب * ومحا فنون العلم والآداب
وأتى بكتاب لو انبسطت يدى * فيهم رددتهم الى الكتاب

وقالوا آخر

قالوا فلان قد وزر * فقلت كلا لا وزر
الدهر كالدولاب ليس يدور الا بالبقر

وقال آخر

لو ان أشياخنا كانت لهم همم * تبغي رياستنا لم تر أس البقر
لكنهم وقضا الله محتمل * ليسوا من الناس الا انهم بشر

وقال آخر

هون عليك فقد مضى من يعقل * والبس من الاخلاق ما هو أفضل
فلقلما تأتي اليك مسرة * الا تتابع بعدها ما يثكل
واذا خبرت الناس لم تلق امرأ * ذا حالة ترضيك لا تتحول
لكنهم نكبت بهم أحوالهم * كل يعيب ولا يرى ما يفعل
فساتر ضعفت قوى آرائه * ومجاهر يرمى ولا يتأمل
ومقلد متعقل متأدب * فاذا اختبرت فباقل وهو أعقل

وقال بن الساعاتي

والخل من ناش في المخطوب بضبعه * يك ومن سدر تقه خلك
ما أنزل العلياء الكرام وما * أكثر بادهر بيننا سفلك

وما

فقد له وجن جنونه وهام مع الوحش يأكل معها من البقل ويرد المياه ولا يجده من يطلبه الا قليلا فعجبت من أمره ويئست من لقائه وانصرفت * وحكى بعض بني عامر قال مررت بالمجنون وهو على تل رمل قد خط باصابعه خطوطا فدنوت منه فنفر كما ينفر الوحش فجلست معرضا عنه فلما طال جلوسي سكن وأقبل يخط باصابعه فقلت احسن والله القائل

واني لمن دمع عيني بالبكا
حذار الذي قد كان او هو كائن

فلما سمعني بكى حتى ابتل الرمل الذي بين يديه ثم قال انا والله اشعر منه حيث اقول وادنيتني حتى اذا ما ملكتني بقول يحل العصم سهل الاباطح
تجافيت عني حيث لا لي حيلة
وخلقت ما خلقت بين الجوانح

ثم سكت له ظباء فقام يعدو معها وعدت اطلبه اياما الى ان وجدته في واد كثير الحجارة خشن وهو بين تلك الحجارة ميت فاتيت اهله فاعلمتهم فاحتملوه ودفنوه ولم يبق فتاة من بناة الحي من بني جعدة وبني الحريش الا خرجت حاسرة ولم يرها كيا احد مثل

وما أحلى قول شرف الدين المنادى

ولا خير فى عيش الفتى بين معشر * تعالوا على اخوانهم فتسافلوا

ومن هذه المادة ما نقلته من خط السراج الوراق له

ظننت بكم خيرا ولم أر ياءه * ووجه رجائى فيكم قد تصفرا
ومالكم ذنب ولكن لغالط * تفرس خيرا فيكم فتحمرا
وأنتم سمتم ولم تتجملوا * فلم نرمنا أدميا ولا يرى

ونقلت منه له أيضا

اذا لم نرتفع عن سفل قوم * علوا وعلت مراتبهم علينا
صبرنا والزمان يرى علينا * تعاظمهم فينزلهم الينا

ونقلت منه له أيضا

وكم سيد يستوجب الرفع قدره * غداشاكيا من لحن أيامه خفضا
ومستفل يدعى رئيسا لقومه * كذاك الخصى يدعى رئيسا من الاعضا

ونقلت من خط القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر له

وكم قيل قوم فى المجالس خوطبوا * وذاك دواجهالهم فى التنافس
فقلت لهم ماذاك بدع * وانه لعند الدوا يدعى الخرا بالمجالس

قلت كذا نقلته من خطه ولو قال ليدعى الخرا عند الدوا بالمجالس لكان أتم معنى واحسن

ونقلت منه له يعرض بذكر الملك الصالح علاء الدين على ابن الملك المنصور قلاوون

كنا وكانوا ان اتت سفرة * وسافونا جملة سامحوا
واليوم صاروا يستعيدونها * فقلت مر السلف الصالح

وأنشدنى لنفسه الشيخ الامام الحافظ العلامة أثير الدين أبو حيان فيما أظن قال أنشدنى ناصر الدين حسن بن النقيب اجازة لنفسه

ابى قلدوه أمر الرعايا * وهو من حلية الوزارة عطل
فهو بالبوق فى الوزارة طبل * وهو فى الدست حين يجلس سمل

ولابن النقيب ايضا

اذا صر صر البازى فلا ديك صارخ * ولا فاخت فى أيكة يترنم
وما الموت الا طيب طعمه اذا * تدانيك فروج وزيب حصرم

وقال ابن سناء الملك

الموت اولى بالفتى * من عيشة فى الذل غبرا
واذا تملكت اللئا * م فان موت الحر احرى

ومن مادة قول محيى الدين بن عبد الظاهر المتقدم قول الآخر

مرض الزمان وقد تمسك طبعه * من شر قولنج به يتغمس
حقنته آراء الملوك فجاءه * اهل المناصب كل شخص مجلس

(تقدمتنى اناس كان شوطهم * وراء خطوى لو امشى على مهل)

(اللغة) تقدمتنى صارت امامى اناس هو الاصل فى الناس فخفف ولم يجعلوا الالف واللام

ذلك اليوم * ومن محاسن ماروى من شعره

ابى القلب الا حبها عامرية
لها كنية عمرو وليس لها عمر
تكاد يدى تندى اذا ما لمستها
وينبت من أطرافها الورق الخضر

(وقوله)

فوالله ما أدرى علام صرمتنى
ولا اى امرى فيك بالليل اركب
أأقطع حبل الوصل فالموت دونه
أم أشرب ريقا منكم ليس يشرب
ولو تلتقى اصداؤنا بعد موتنا
ومن فوق رمسينا صفيح منصب
لظل صدى رمسى وان كنت رمة
لصوت صدى ليلى يهش ويطرب

(وقوله)

أقول لاصحابى هى الشمس ضوءها
قريب ولكن فى تناولها بعد
وقد يبتلى قوم ولا كبلبتى
ولا مثل جدى فى الشقاء لكم جد
وما فى الا العظم والجلد عاريا
ولا عظم لى ان دام هذا ولا جلد

(وقوله)

فيه عوضا عن الهمزة المحذوفة لانه لو كان كذلك لما اجتمع مع المعوض منه فى قول الشاعر

ان الما يا يطلعن على الاناس الآمنينا

وقد يكون الناس من الانس ومن الجن واختلفوا فى اشتقاقه فقيل مأخوذ من ناس ينوس اذا تحرك وسمى الحسن بن هانئ ابا نواس لانه كانت له ذؤابتان تنوسان فى احد القولين قلت وهذا باطل لانه يصدق الانسان بهذا على الملك والانسان والشيطان بل على الحيوان والملك لان الجميع متحرك وقيل بل من الانس وهو السكون والالف وقيل من النسيان قال الله تعالى ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى وقال ابو تمام الطائى

لا تنسين تلك العهود فانما * سميت انسانا لانك ناسى

وقال ابو الفتح البستى

يا اكثر الناس احسانا الى الناس * واكرم الناس اعضاء عن الناسى

نسيت وعدك والنسيان مغتفر * فاغفر فأول ناس أو الناس

وقال بن سناء الملك من مرثية

فان سلوتك ناسيا لا عامدا * فالذنب للنسيان لا السلوان

وعوائد النسيان فيناخلة * مورونة من ذلك الانسان

ونقلت من خط علاء الدين على بن مظفر الكندى الوداعى ما صورته وحدثنى بعض المشايخ عن الشيخ يوسف الفقاعى انه كان يقول مسكين الانسان ماذكره الله تعالى فى القرآن الا فى مكان ذم أو شر مثل قوله قتل الانسان ما أكفره وكان الانسان عجولا ويا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم أعجبنى هذا المعنى فنظمته بقولى

يا أيها الانسان لا * تفخر بغير تقى وعلم

وانظر فأكثر ما أتى القرآن باسمك عند ذم

(رجع) شوطهم الشوط الطلق وطاف بالبيت سبعة أشواط من الحجر الى الحجر شوط واحد وراءه بمعنى خلف وقد يكون بمعنى أمام قال الله تعالى وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا أى أمامهم وقال تعالى وانى خفت الموالى من ورائى أى من بين يدى وقال الشاعر

ذاك خليلى وذو يواصلنى * يرمى ورائى بامسهم وأمسلمه

ويمكن التأويل فى ذلك كله وبرد الى الاصل خطوى الخطوة بالضم ما بين القدمين وجمع القلة خطوات وخطوات بضم الطاء وفتحها وسكونها وجمع الكثرة خطا والخطوة بالفتح المرة الواحدة والجمع خطوات بالتحريك وخطاء مثل ركوة وركاء مهل المهل بالتحريك التؤدة والتأنى (الاعراب تقدمتنى) فعل ماض والتاء علامة لتأنيث الفاعل الآتى والنون نون الوقاية والياء ضمير المفعول فهى فى موضع نصب (أناس) مرفوع على انه فاعل تقدم الكلام عليها (شوطهم) مرفوع على انه اسم كان والهاء والميم فى موضع جر بالاضافة (وراء) ظرف والعامل فيه النصب خبر كان المحذوف تقديره كان شوطهم مستقرا وراء (خطوى) مخفوض بالظرف والياء فى موضع جر بالاضافة (لو) تقدم الكلام عليها (أمشى) فعل مضارع مرفوع لخلوه عن الناصب والجازم والضم فيه مقدر على الياء لانه معتل الطرف بالياء (على مهل) على حرف جر ومعناه الاستعلاء والجار والمجرور فى موضع نصب على الحال تقديره أمشى متمهلا

وموضع

أردد عنك النفس والنفس صبة
بذكراك والمشى اليك قريب
مخافة أن تسعى الوشاة بظنة
وأكرمكم أن يستريب مريب
ولو أن ما بى بالحصا فلق الحصا
وبالريح لم يسمع لهن هبوب
ولو انى أستغفر الله كلما
ذكرتك لم تكتب على ذنوب

(وقوله)

وماذا عسى الواشون أن يتحدثوا
سوى أن يقولوا انى لك عاشق
نعم صدق الواشون أنت حبيبة
الى وان لم تصف منك الخلائق
كان على أنيابها الخمر شجها
بماء سحاب آخر الليل غابق
وماذقته الا بعينى تفرسا
كما شيم فى اعلى السحابة بارق

واما الابيات التى ذكر من أجلها فهى قوله عفا الله تعالى عنه وسامحه

دعا المحرمون الله يستغفرونه
بمكة يوما أن تمحى ذنوبها
وناديت يا رباه أول سؤاتى
لنفسى ليلى ثم أنت حسيبها
فان أعص ليلى فى حياتى لم يتب
الى الله عبد توبة لا أتوبها
أهابك اجلالا ومابك قدرة
على ولكن مل عين حبيبها

وموضع كان وما دخلت عليه الرفع على انه صفة لاناس تقديره أناس كائن شوطهم وبعضهم رواه وراء خطوى اذا مشى على مهل وفى هذه الرواية فائدة ليست فى الاولى لان اذ ظرف لما مضى من الزمان وهذا يدل على انه كان قد تقدم له رفعة وعلو وأولئك كانوا متأخرين عنه وعلى الرواية الاولى يفهم من لو الشرطية فيكون معناه لو حصل لى مشى على مهل فى الرفعة لكان شوطهم وراء خطوى والاولى اشعر فى حق الطغرائى (المعنى) صار أمامى وعلانى وتقدمنى قوم كان جريهم خلف خطوى اذا مشيت متمهلا وهذا مبالغة فى سوء الحال واخناء الزمان عليه بان تعوقه الايام والليالى عن السعى حتى يتقدمه الذين كانت نهايات أشواطهم اذا بلغوها وراء خطوه المتمهل نعم

ان المقادير اذا ما مضت * ألحقت العاجز بالحازم

ولكن من رمى بهذا السهم الصائب من المصائب ومنى من الزمن الخائن بهذه النوائب حقيق بان يتظلم ويتشكى ويتألم ويتكلف لأن يقول له حيث لم يتكلم

اذا لم يكن للفضل ثم مزية * على النقص فالويل الطويل من الغبن

وقوله كان شوطهم وراء خطوى البيت يشبه قول هشام الرقاشى

تقدمتنى اناس ما يكون لهم * فى الحق أن يلجوا الابواب من دونى

وقول موسى بن الطائف من قصيدة

يا مبصر اعميت نواظر فهمه * عن كنه عرضى فى البديع وطولى
لو كنت تعقل ما جهلت مقاومى * من ضاق فرسخه بخطوة ميل

الفرسخ ثلاثة أميال والميل ألف باع والباع أربعة أذرع والذراع أربعة وعشرون أصبعا والاصبع ست شعيرات بوضع بطن هذه لظهر هذه والشعيرة ست شعرات من ذنب بغل والبريد أربعة فراسخ وقال تجير الدين محمد بن تميم

يا قوم قد بلغ قول الخنا * عنى الى الحب بلا علم
من خنجرى أطول من سيفه * ورمحه أقصر من سهمى

والطغرائى زاد على هشام الرقاشى بمبالغتين وهما ان شوط أولئك وراء خطوه وان خطوه كان مع ذلك متمهلا وعلى موسى بن الطائف بمبالغة واحدة وهى المهل والدعوى فى المبالغة منحصرة فى ثلاثة أقسام الغلو والتبليغ والاغراق ودليل الحصر أن الدعوى اما أن تكون ممكنة أولا فان لم تكن ممكنة كانت غلوا وان كانت ممكنة فاما أن يصح وقوع ذلك عادة أولا فان صح كان تبليغا وان لم يصح كان اغراقا فالغلو كقول مهلهل

فلولا الريح أسمع من بحجر * صليل البيض تقرع بالذكور

وما أظرف قول القائل

وسائلة عن الحسن بن وهب * وعما فيه من كرم وخير
فقلت هو المهذب غير انى * أراه كثير ارخاء الستور
وأكثر ما يغنيه فتاه * حسين حين يخلو بالسرور
فلولا الريح أسمع من بحجر * صليل البيض تقرع بالذكور

ويقال انه كان بين جرو وموضع الوقعة عشرة أيام ولهذا قيل فيه انه أكذب بيت قالته العرب ومن هذا الباب أبيات أبى الطيب

وما هجرتك النفس يا ليل انها
قليل ولكن قل منك نصيبها

وأما البيت الثالث فهو قول ابن أبى ربيعة

فقضاحكن وقد قلن لها
حسن فى كل عين من تود

وهو عمر بن عبد الله ابن أبى ربيعة المخزومى القرشى ويكنى ابا الخطاب شاعر مجيد صاحب ثروة ومجون وجميع شعره فى الغزل ولا يمتدح أحدا ولذلك قال له سليمان ابن عبد الملك لم لا تمدحنا فقال انما أمدح النساء لا الرجال وكان يقال ان العرب كانت تقر لقريش بالتقدم عليها الا فى الشعر حتى كان ابن أبى ربيعة فأقرت لها فى الشعر أيضا ولم تنازعها شيأ * ولد ليلة قتل عمر بن الخطاب فكان يقال اى حق رفع وأى باطل وضع يعنون كثرة معاشرته للنساء وتغزله بهن ومات بعد أن تاب وقد ناهز الثمانين وقيل انه قتل أربعين ونسك أربعين ودخل عليه أخوه عند موته وقد جزع عليه فقال له عمر أحسبك تجزع لما تظنه بى والله ما أعلم أنى ارتكبت فاحشة قط فقال ما كنت أشفق عليك الا من ذلك وحكى الجرمى أن عمر بن أبى ربيعة كان مشتهرا بحب

لو كان ذو القرنين أعمل رأيه * الابيات وهو كثير فى كلامه والتبليغ كقول امرئ القيس

عدا بى عداء بين ثور ونعجة * دراكا ولم ينضح بماء فيغسل

لان هذا ممكن فى حق الفرس أن يدرك الثور والنعجة ولم يعرق كى لا يحتاج الى أن يغسل وما أظرف قول شرف الدين بن عنين

ولما رأينا المغربى بخدمة الـ * ـشمؤيد مثل الراهب المتبتل
سألناه هل فى ظله لك مربع * وهل عندهم دارس من معول
فقال أنا المسدى اليه تفضلى * وكم من يد لى عنده وتطول
أسد اذا استدبرته منه فرجة * بمجرد قيد الأوابد هيكل
وأشعث غيلا منه عز شفاؤه * بضاف فويق الارض ليس باعزل
ولكننى ان رمت اتيان مرسه * تمتعت من لهو بها غير محمل
وكم ليلة قد بت جذلان بينه * وبين هضيم الكشح ريا المخلخل
مكر مفر مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من عل
عدا بى عداء بين ثور ونعجة * دراكا ولم ينضح بماء فيغسل

والاغراق كقول امرئ القيس أيضا

تنورتها من اذرعات وأهلها * بيثرب أدنى دارها نظر عالى

فان هذا غير ممكن عادة من أن يكون انسان باذرعات ويشاهد نار يثرب وقد بالغ الناس فى ضرب المثل بزرقاء اليمامة فقالوا انها كانت تنظر الفارس من مسيرة ثلاثة أيام وحكاياتها مشهورة والنفوس تنفر من تصديق هذه الدعوى فى حقها فكيف تقبل دعوى من رأى من بلاد حوران بالشام نار يثرب فى الحجاز وبينهما على القليل مسيرة شهر وحكى الامام فخر الدين الرازى فى أول السر المكتوم أنه قال قال ثابت بن قرة ذكر بعض الحكماء كحلا يقوى البصر الى حيث يرى ما بعد عنه كأنه بين يديه وقال فعله بعض أهل بابل فحكى انه رأى جميع الكواكب السيارة والثابتة فى مواضعها وكان ينفذ نور بصره فى الاجسام الكثيفة فكان يرى ما وراءها فامتحنته أنا وقسطا بن لوقا ودخلنا بيتا وكتبنا كتابا فكان يقرأه علينا ويعرفنا أول سطر من الكتاب وآخره كأنه معنا وكنا نأخذ القرطاس ونكتب وبيننا وبينه جدار وثيق فأخذه وقرطاسا ونسخ ما كنا نكتبه كأنه ينظر فيما نكتب وسأله قسطا بن لوقا عن أخ له ببعلبك فنظر ثم أخبر انه عليل وأنه ولد له مولود وطالعه ثلاثة أجزاء من الثور ففحصنا عنه فكان كما قال اه والله أعلم وقيل ان الشيخ موفق الدين بن يعيش النحوى حضر ذات يوم عند القاضى بهاء الدين بن شداد قاضى حلب فجرى ذكر زرقاء اليمامة فجعل الحاضرون يقولون ما علموه من أمرها فقال الشيخ موفق الدين ان كانت الزرقاء ترى الشئ من مسيرة ثلاثة أيام فانا أرى الشئ من مسيرة شهرين قال فتعجب الكل وما أمكنهم يقولون للشيخ شيأ فقال له القاضى كيف هذا يا موفق الدين قال لانى أرى الهلال فقال له كنت تقول من مسيرة كذا وكذا سنة فقال لو قلت كذلك لعرف الحاضرون غرضى فقصدت الابهام عليهم قلت لو قال الشيخ موفق الدين لانى أنظر الشئ من مسيرة شهرين وأكثر لكان أحسن ابهاما ويقال ان هذه الزرقاء نظرت الى حمام يطير فى

الثريا بنت عبد الله بن امية الاصغر وكانت حرية بذلك جمالا وتماما وكانت تصيف بالطائف وكان عمر يغدو كل غداة من مكة يسأل الركبان الذين يحملون الفاكهة من الطائف عن الاخبار قبلهم فلقى يوما بعضهم فسأله عن أخبارهم فقال ما استطرقنا خبرا الا انى سمعت عند رحيلنا صوتا وصياحا عاليا على امرأة من قريش اسمها نجم فى السماء فذهب عنى اسمه فقال عمر الثريا قال نعم وقد كان بلغ عمر قيل ذلك انها عليلة فوجه فرسه الى نحو الطائف يركضه مليا فروجه ويسلك طريقا كل أوهى وأخشن الطرق وأقربها حتى انتهى الى الثريا وقد توقعته وهى تتشوف له وتتشوق فوجدها سليمة ومعها أختها فأخبرها الخبر فضحكت وقالت أنا والله أمرتهم لاخبرنك ما عندك فلذلك يقول قصدته

يشكى الكميت الجرى اذ أجهدته

ويبين لو يستطيع أن يتكلما

وحكى انها واعدته يوما فجاءت فى الوقت الذى ذكرته فصادفت أخاها الحرث قد نام مكان عمر فلم يشعر الحرث الا والثريا قد ألقت نفسها عليه فانتبه وجعل يقول

الجوّ فقالت

ياليت ذا القطا لنا * ومثل نصفه ليه
الى قطاة أهلنا * اذن لنا قطاميه

وذكر أبو حاتم أنها قالت

ليت الحمام ليه * ونصفه قديه
الى حمامتيه * تم الحمام ميه

فالحمام اذا ستة وستون ونصفه ثلاثة وثلاثون فالجملة تسعة وتسعون يضاف الى هذه الجملة حمامتها فتكمل المائة ويقال انها وقعت فى شبكة صياد فعرف عددها وأرى من المستحيل أن يتفق هذا لاحد مع التساهل فى تجويز الرؤية وسرعتها على أن احصاء هذا العدد والحمام فى طيرانه كيف يتهيأ وبعضه يتقدم وبعضه يتأخر وبعضه يتسفل وبعضه يستعلى وأغرب من هذا ما قاله النابغة فى قصيدته وهو

واحكم كحكم فتاة الحى اذ نظرت * الى حمام شراع وارد الثمد
يحفه جانبا نيق ويتبعه * مثل الزجاجة لم تكحل من الرمد
قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا * الى حمائمنا أو نصفه فقد
فحسبوه فألفوه كما حسبت * ستا وستين لم ينقص ولم يزد
فكملت مائة فيها حمامتها * وأسرعت حسبة فى ذلك العدد

يريد بجانبى النيق حافتى الجبل واذا كان الحمام بين جبلين ضاق المكان عليه وركب بعضه بعضا متراكما فيكون أبعد لاحصاء عدده بخلاف ما اذا كان منبسطا فى الجو وذكرت هنا ما يمتحن به الاذهان فى الحساب قالوا صفان من الحمام قال الاعلى للاسفل كم عددكم فقالوا اذا طلع منا اليكم واحد كنتم مثلينا واذا نزل منكم الينا واحد تساوينا فكم عدة كل صف الجواب الصف الاعلى سبعة والصف الاسفل خمسة مسئلة أخرى مسلمون ونصارى ويهود عدتهم عشرون دخلوا حماما وزنوا عشرين درهما المسلم وزن نصفا والنصرانى درهمين واليهودى ثلاثة كم كان عدد كل واحد منهم الجواب المسلمون أربعة عشر والنصارى خمسة واليهود واحد مسئلة أخرى رفيقان فى طريق مع أحدهما خمسة أرغفة ومع الاخر ثلاثة أرغفة فقعدا يأكلان فمر بهما آخر فأكل معهما وأكل كل منهم من الخبز على التساوى فلما فرغوا دفع اليهم ثمانية دراهم كيف يقسم ذلك بينهم الذى يبدو الى بادئ الرأى ان صاحب الخمسة له خمسة وصاحب الثلاثة له ثلاثة وليس كذلك والجواب ان صاحب الخمسة يستحق سبعة وصاحب الثلاثة يستحق واحدا والعلة فى ذلك ان كلا منهم أكل رغيفين وثلثى رغيف يخص كل ثلث درهم مسئلة أخرى رفيقان فى طريق مشتركان فى ثمانية أرطال زيتا أراد اقسمته بينهما ولم يكن معهما الا وعاء يسع خمسة ووعاء يسع ثلاثة فكيف الحيلة فى قسمته الجواب أن يفرغ فى وعاء الثلاثة ملئه ثم يقلب ذلك فى وعاء الخمسة ويملأ وعاء الثلاثة مرة ثانية ويفرغ منه فى وعاء الخمسة تكملة وسعه وهو رطلان ويبقى فى وعاء الثلاثة رطل واحد فيفرغ ما فى وعاء الخمسة فى وعاء الاصل ويقلب الرطل الذى بقى فى وعاء الخمسة ثم يملأ وعاء الثلاثة مرة ثالثة من الاصل ويضاف للرطل الذى فى وعاء الخمسة فيجتمع فيه أربعة أرطال مسئلة أخرى بركة تمتلئ من نهرين

أعزبى فلست بالفاسق
أخزاك الله فلما
علمت بالقضية انصرفت
ورجع عمر فأخبره الحرث
فاغتم لما فاته وقال له اما
والله لاتمسك النار ابدا وقد
القت نفسها عليك فقال
الحرث عليك وعليها العنة
الله * وقال عمر ما اخجلنى
الا ليلى بنت عمرو لقيتها وهى
تسير على بغلة لها وكنت
اشبب بها فقلت لها جعلت
فداك قفى واسمعى بعض
ما قلت فيك فقالت او فعلت
فقلت نعم فوقفت فأنشدتها
الا يا ليل ان شفاء نفسى
نوالك لو عامت فنولينا
وقد زاف الرحيل وحان منا
فراقك فانظرى ما تأمرينا
فقالت آمرك بتقوى الله
وايثار طاعته وترك ما انت
عليه ثم انصرفت * وحكى
انه كان يوما يسايره عروة بن
الزبير فقال عمر واين زين
المواكب يعنى محمد بن عروة
وكان يسمى بذلك لجماله فقال
عروة هو امامك فركض
يطلبه فقال له عروة يا ابا
الخطاب اولسنا الكفاء
لمحاد ثتك ومؤانستك فقال
بلى ولكنى مغرى بهذا الجمال
أتبعه حيث كان ثم انشد يقول
انى امرؤ مغرم بالحسن أتبعه
لاحظ لى فيه الا لذة النظر
ثم مضى حتى لحقه وجعل

يومين ومن نهر فى ثلاثة أيام ومن نهر فى أربعة أيام فقعت الانهار الثلاثة دفعة واحدة فى كم تمثلى الجواب فى اثنى عشر جزأ من ثلاثة عشر جزأ من يوم لانك تاخذ مخرج النصف والثلث والربع وهو اثنا عشر وتقسمه على مجموع الاجزاء وهى ثلاثة عشر جزأ الخارج اثنا عشر جزأ من ثلاثة عشر جزأ من يوم لانه ينصب اليها من النهر الاعظم ستة أجزاء من ثلاثة عشر ومن الاوسط أربعة اجزاء ومن الاصغر ثلاثة اجزاء وذلك مجموعها (رجع) وقول الطغرائى داخل فى الغلو باعتبار وفى الاعراق باعتبار حكى صاحب الاغانى عن الهيثم بن عدى قال دخل أشعب مسجد النبى صلى الله عليه وسلم فجعل يطوف الحاق فقيل له ماتريد قال استفتى فى مسئلة فبينما هو كذلك اذ مر برجل من ولد الزبير وهو مستند الى سارية وبين يديه رجل علوى فخرج أشعب بعد وقال له الذى سأله عن طوافه وجدت من أفتاك فى مسئلتك قال لا ولكن علمت ماهو خير لى قال وماذاك قال وجدت المدينة كما قال الحرث بن خالد

قد بدلت أعلى منازلها * سفلا واصبح سفلها يعلو

ورأيت رجلا من آل الزبير جالسا فى الصدر ورجلا من ولد على رضى الله عنه جالسا بين يديه فكفانى هذا عجبا فانصرفت به وحكى صاحب زهر الآداب وغيره ان مزيد المدنى دخل على مولى لبعض أهل المدينة وهو جالس على سرير مهد ورجل من ولد أبى بكر الصديق رضى الله عنه وآخر من ولد عمر رضى الله عنه جالسان بين يديه على الارض فلما رأى المولى مزيدا اتجهمه وقال يا مزيد ما أكثر سؤالك أجئت تسألنى شيأ قال لا ولكن أردت ان اسألك عن معنى قول الحرث بن خالد

انى وما نحروا غداة منى * عند الجمار تؤدها العقل

قد بدلت البيت فلما رأيتك ورأيت هذين بين يديك عرفت معنى الذى قال فقال اعزب فى غير حفظ الله وضحك جميع أهل المجلس وما أحسن ما قال أبو الطيب يخاطب سيف الدولة ويصف خيمة ضربت له

ولو بتما عند قدريكما * لبت وأعلاكما الاسفل

وقد ضمنت هذا البيت فقلت فيمن أحب أسود والمحب حسن الوجه

أيا من تكلف حب العبيد * وذلك فى العقل لا يجمل
فلو بتما عند قدريكما * لبت وأعلاكما الاسفل

ومما ينخرط فى سلك قول الطغرائى ما قاله الارجانى

ومن العجائب ان لى * صبرا على هذى العجائب
ومن النوائب اننى * فى مثل هذا الشغل نائب

وقال التهامى

لله در النائبات فانها * صدأ اللئام وصيقل الاحرار
زمن كأم الكلب ترأم جروها * وتصد عن شبل الهزبر الضارى

وهذا المعنى الذى تخيله التهامى معنى حسن ولكنه لم تساعده الالفاظ عليه فجاء ناقصا لانه يريد أن الزمن يشتمل على الكلاب ويصد عن الاسود وهذا ملبح ولكن مايفهم من البيت هكذا لمن تامله لان الكلبة اذا أرضعت جروها واعرضت عن شبل الاسد لا يستغرب منها هذا

عروة يضحك منه * وروى انه شبب بزينب بنت موسى الجمحى وكان ابن ابى عتيق ذكرها له فاطنب فى وصفها فصنع فيها قصيدته التى يقول فيها

يا خليلى من ملام دعانى
والملام العداة بالاظعان

وبلغ ذلك ابن ابى عتيق فلامه فى ذكرها فقال

لا تلمنى عتيق حسبى الذى بى
ان عندى عتيق ما قد كفانى
لا تلمنى فأنت زينتها لى

فبدره ابن ابى عتيق فقال

انت مثل الشيطان للانسان

فقال عمر هكذا والله فلتة فقال ابن ابى عتيق اما علمت ان شيطانك ربما ألمى فيجد عندى من عصيانه كما يجد عندك من طاعته * ومثل هذا ما حكى انه انشد عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما قصيدته الدالية فلما قال

تشط غدا دار جيراننا فبدره ابن عباس فقال وللدار بعد غد ابعد قال هكذا والله قلت فقال ابن عباس انه لا يكون الا هكذا * وروى ان عبد الملك بن مروان جمع بينه وبين جميل وكثير عزة وقال لينشد كل واحد منكم بيتا فى الغزل فأيكم كان اغزل فله هذه الناقة وما عليها وكان قد احضر ناقة موقورة دراهم

الفعل وكان ينبغي ان يزيده بيانا بان يقول الزمان كلب فلا غرو اذا حنا على أولاد الكلاب وقسا على الاشبال وقال أيضا

يخفي الزمان فضائلي فكأنني * وكأنها في قلبه اضمار
لم اخف الا اللـــــو وانما * تخطى السها لعلوه الابصار

وهو ماخوذ من قول أبي العلاء المعري

وانجم تستصغر الابصار رؤيته * والذنب للطرف لا للنجم في الصغر

وقال الغزي

اني لاهضم نفسي بعد معرفتي * ان الجهالة لا تصفو مع الزبد
وربما عفت حمل السيف معتصما * بحمله لاشتراك الناس في العدد

وقال ايضا

غيري له المجد والايام تقسم بي * وهي الجديرة بالضنين من القسم
اظنها أقسمت باسمي لتخفضني * ولم يكن غير فضلي احرف القسم

وقال ايضا

قالوا نزلت فقلت الدهر اقسم بي * لا وجه للرفع في المجرور بالقسم

وقال ابن نباتة السعدي

أبى الله ان أهوى من الناس واحدا * وكلهم عندي اقل من القل
أبيت اعزي النفس باليأس منهم * ولو شئت كانت في خدودهم نعلي

والابيات التي طمت وعمت هي قول المعري

ولما رايت الجهل في الناس فاشيا * تجاهلت حتى قيل اني جاهل
فوا عجبا كم يدعي الفضل جاهل * ووا أسفا كم يظهر النقص فاضل
اذا وصف الطائي بالبخل مادر * وعير قسا بالفهاهة باقل
وقال السها للشمس أنت خفية * وقال الدجى للصبح لونك حائل
وطاولت الارض السماء سفاهة * وفاخرت الشهب الحصى والجنادل
فيا موت زر ان الحياة ذميمة * ويا نفس جدي ان دهرك هازل

وما أحسن ما انشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة يضمن اعجاز هذه الابيات

تطاولت الاغصان تحكي قوامه * وعند التناهي يقصر المتطاول
وفضلت الجوزاء على البدر وجهه * وقال السهى يا شمس لونك حائل
واعيا فصيح اللفظ نبت عذاره * وعير قسا بالفهاهة باقل
ولما مشى فوق البسيطة زانها * وفاخرت الشهب الحصى والجنادل
واعرض عني حين لا لي ناصر * وهل ناصر في الحب والظبي خاذل
فيا موت زر ان الحياة كريهة * ويا نفس جدي ان دهرك هازل

وقوله واعيا فصيح اللفظ البيت سبقه الى هذا المعنى شمس الدين محمد بن العفيف التلمساني ومن خطه نقلت

ولو ان قسا واصف منك وجنة * لاعجزه نبت بها وهو باقل

فابتدر جميل في الاول وقال

ولو ان راقي الموت يرقى جنازتي
بمنطقها في الناطقين حبيت

وقال كثير

وسعى الى بعيب عزة نسوة
جعل الاله خدودهن نعالها

وقال عمر بن ابي ربيعة

فليت الثريا في المنام ضجيعتي
لدى الجنة الخضراء او في جهنم

فقال عبد الملك خذها يا صاحب جهنم * ومن محاسن شعر عمر قوله في قصيدته الرائية

تهيم الى نعم فلا الشمل جامع
ولا الحبل موصول ولا انت مقصر
اشارت بعذراها وقالت لتربها
اهذا المغيري الذي كان يذكر
لئن كان اياه لقد حال بعدنا
عن العهد والانسان قد يتغير
رأت رجلا أما اذا الشمس عارضت
فيضحى واما بالعشي فيخصر
اخا سفر جواب ارض تقاذفت
به فلوات فهو اشعث اغبر
وليلة ذي دوران جشمني الكرا
وقد يجشم الهول المغرر ويبتر
قليبا للفراق على شفا
ولي مجلس لولا اللبانة اوعر
فلما فقدت الصوت منهم واطفئت
مصابيح شبت للعشاء ونور

ونفضت عنى النوم اقبلت مشبه الـ
سحاب وركنى خيفة القوم ازور
فحييت اذ فاجأتها فتوالت
وكادت بمهجور التحية تجهر
وقالت وعضت بالبنان فضحتنى
وانت امرؤ ميسور امرك اعسر
اريتك ان هنا عليك الم تخف
رقيبا وحولى من عدوك حضر
فلما تقضى الليل الا اقله
وكادت توالى نجمه تتغور
اشارت لاختيها اعينا على فتى
اتى زائرا والامر للامر يقدر
فأقبلتا فارتاعتا ثم قالتا
اقلى عليك اللوم فالخطب ايسر
يقوم فيمشى دونه متنكرا
فلا سرنا يفشو ولا هو يظهر
فكان مجنى دون من كنت اتقى
ثلاث شخوص كاعبان ومعصر
هنيئا لبعل العامرية نشرها الـ
ـلذيذ وريا ها الذى اتذكر
اطلت لى ذكر هذه القصيدة لما رايت فيها من اللفظ المطبوع والانسجام الذى لا يتهيأ لغيره من الشعراء ومن محاسن شعره قوله

*(هذا جزاء امرئ اقرانه درجوا * من قبله فتمنى فسحة الاجل)*

(اللغة) الجزاء تقول جزيته بما صنع جزاء وجازيته بمعنى ويقال جاريته فجزيته أى غلبته مثل باكيته وبكيته اى كنت ابكى منه وهو أحد الاقوال فى قول الشاعر

الشمس طالعة ليست بكاسفة * تبكى عليك نجوم الليل والقمرا

اى تبكى عليك نجوم الليل والقمر فتبكيهم ومعناه على كل حال مشكل لان الشمس اذا كانت طالعة غير كاسفة فكيف تكون باكية فكان ينبغى انها غربت وكسفت وبكت هذا الذى يليق بالرثاء والتأبين وقال اهل العلم بالادب فيه اقوال منها ان فيه تقديما وتاخيرا وان نجوم الليل والقمر منصوبان بكاسفة لا بقوله تبكى وتقديره ليست بكاسفة نجوم الليل ولا القمر تبكى عليك واذا كانت غير كاسفة لغيرها من الكواكب كانت غير مضيئة فهى سوداء مظلمة والزمان كله ليل وهذا فى غاية ما يكون من المبالغات فى المراثى وهذا أجود ما قيل فيه وأظن هذا البيت مما رثى به عمر بن عبد العزيز أو عمر بن الخطاب وقبله فيما أظن

حملت أمرا عظيما فاضطلعت به * وقمت فينا بامر الله يا عمرا

ونصب عمر مشكل لانه علم مفرد فكان ينبغى أن يبنى على الضم وما أحسن قول السراج الوراق فى شخص ينعت بالعلم

كم أناديك مفردا علما أر * فعه عالما بشرط المنادى

وكتب الى القاضى شمس الدين أحمد بن خلكان ملغزا فى المأذنة فقال

يا أماما له ضياء ذكاء * يتلاشى له ضباب ذكاء
ما مسمى بالرفع يعرب والنصـ * ـب وان كان مستقر البناء
علم مفرد فان رفعوه * رفعوه قصد الاجل النداء
انثوه ومنه قد عرف التذ * كير فانظر تناقض الاشياء
وهو ظرف فاين من فيه ظرف * ليجلى عن هذه العمياء

وكنت قد وقفت على لغز أنشأه المولى الفاضل شرف الدين حسين بن ريان فى المأذنة وهو نثرانى فيه باشياء مليحة وكلفت الجواب عنه فاجبت عن ذلك ومن جملة الجواب

شهادته مارعها غير كافر * ويقضى بها من كان بالحق قاضيا
يقول معانى الطب يا عجبا له * يصح وقد ضمت حشاه المراقيا

وهذا اللغز والجواب أثبتهما فى الجزء الرابع عشر من التذكرة التى جمعتها (رجع) الى اعراب قوله يا عمر اقالوا فيه وجوه منها أنه أراد يا عمر بن الخطاب والمنادى المضاف يكون منصوبا ثم قطع الاضافة لانتهاء الوزن ومنها أنه أراد واعمراه على الندبة وحذف الهاء كما فى قوله تعالى يا أسفا على يوسف وقيل غير ذلك (رجع) امرئ تقدم الكلام عليه فى قوله حب السلام البيت أقرانه القران جمع قرين وهو المصاحب من قبله قبل نقيض بعد فتمنى تمنيت تفعلت من المنية فسحة تقدم الكلام عليها فى قوله أعال النفس الاجل مدة الشئ وغاية العمر وقوله تعالى هو الذى خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده قال حكماء الاسلام ان للانسان أجلين اختراعى وهو الذى يحصل بالاسباب الخارجية كالغرق والحريق وسبع الحشرات والتردى من الاماكن العالية والقتل وما أشبه ذلك وطبيعى وهو الذى يحصل بفناء الرطوبة

وعدم الحمار الغربزى وذلك غاية الهرم ونهايته مائة وعشرون سنة لان التجربة دلت على
ان غاية سن النمو ثلاثون سنة وغاية سن الوقوف عشر فهذه أربعون ويجب ان يكون غاية
سن النقصان ضعف الاربعين المتقدمة وذلك ثمانون سنة وانما صار زمان الفساد ضعف
زمان النمو اما من السبب المادى لان فى زمان نقصان البدن تغلب اليبوسة على البدن
فتتمسك بالقوة واما من السبب الفاعلى لان الطبيعة تتأدى الى الافضل وتتحامى عن الانقص
وتمسكوا فى القول بالاجلين بهذه الآية الكريمة والآية الاخرى تكذبهم وهى قوله تعالى
ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر وأما الآية المتقدمة فقال المفسرون فيها أقوال منها ان الاجل
الاول آجال الماضين والاجل الثانى آجال الباقين لان الاول علمت والثوانى لم تعلم ومنها أن
الاجل الاول الموت والثانى أجل القيامة والبعث والنشور ومنها أن الاجل الاول ما بين أن
يخلق الى أن يموت والثانى هو النوم قال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها ومنها ان الاجل
الاول هو ما انقضى من عمر كل واحد والثانى مقدار ما بقى من عمره وانما قال تعالى فى الاجل
الثانى أنه مسمى عنده لانه اما يوم القيامة واما ما بقى من عمر الباقين وكل ذلك غيب لا يعلمه
الا الله تعالى وقوله تعالى عنده هذا كما تقول عندى فى هذه المسئلة كذا وكذا يعنى اعتقادى
وقولى والذى أراه او قضى به أن ذلك مذكور فى اللوح المحفوظ فان قيل النكرة لا يجوز
الابتداء بها خصوصا اذا كان الخبر ظرفا فانه يجب تقديمه فالجواب أنها لما تخصصت بالصفة
المعروفة ساغ الابتداء بها كقوله تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك ونقلت من خط السراج
الوراق له

أرانى بطيئا اذا ما كتبت * وقد خلقت طينتى من عجل
كأنى خالفت نص الكتاب * فعندى لكل كتاب أجل

(الاعراب هذا) اسم أشارة فى موضع رفع بالابتداء والاشارة الى الحالة التى ذكرها فى الابيات
المتقدمة من تقدم من دونه عليه ومن فقره وضره وغربته وانفراده (جزاء) مرفوع على انه خبر
المبتدا (امرئ) مجرور بالاضافة (أقرانه) مرفوع على الابتداء والهاء فى موضع جر بالاضافة
(درجوا) فعل ماض والواو ضمير الفاعلين يعود على الاقران وموضعه الرفع (من قبله) من
حرف جر وهى ظرفية أو زائدة وقيل ظرف زمان ومتى قطع عن الاضافة بنى على الضم لوقوعه
موقع الغايات كقوله تعالى لله الامر من قبل ومن بعد واذا أضيف تمكن من الاسمية فيعرب
والهاء فى موضع جر بالاضافة وهو عائد الى امرئ (فتنى) الفاء للتعقيب تنى فعل ماض وكتب
بالياء لانه من تنيت وفاعله ضمير مستتر فيه يعود الى امرئ (نسخة) منصوب على انه مفعول به
لتنى (الاجل) مجرور بالاضافة المعنوية المقدرة بمعنى اللام وقوله أقرانه درجوا الخ فى موضع
جر صفة لامرئ (المعنى) هذا الذى أنا فيه من الغربة والفقر والعطلة والانفراد وتقدم الاراذل
على ولاية الاوغاد والسفل جزاء انسان درجت أقرانه واخوانه فتنى الحياة بعدهم وبعض
هذا ينظر الى قول لبيد

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم * وبقيت فى خلف كجلد الاجرب

قال صاحب الاغانى حدثنى محمد بن جرير الطبرى أنبانا أبو السائب حدثنا وكيع عن هشام بن
عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها انها كانت تنشد بيت لبيد ذهب الذين البيت فتقول

الحق ان دار الرباب تباعدت
او انبت حبل الوصل قلبك
طائر
أفق قد أفاق الواجدون
وفارقوا
هو واستمرت بالرجال المرائر
أمت حبها واجعل رجاءك دونها
وعشرتها كبعض من لا تعاشر
وهبها كشئ لم يكن أو كنازح
به الدار أو من غيبته المقابر
هذا البيت من أحسن ما ذكره
أرباب البديع وفيه نوع من
أنواع التقسيم وقوله أيضا
بينما يعتنى أبصرتنى
مثل قيد الميل يعدو بى الاغر
فالت الكبرى ترى من ذا الفتى
قالت الوسطى لها هذا عمر
قالت الصغرى وقد تيمتها
قد عرفناه وهل يخفى القمر
يقال انه رتب كلامه من على
قدر عقول من فالكبرى
تجاهلت عن معرفته والوسطى
أظهرت معرفته والصغرى
أظهرت معرفته ووصفه
وقوله معارضا القصيدة جيل
جرى ناصح بالود بينى وبينها
فقربنى يوم الخضاب الى قتلى
فلما توافقنا عرفت الذى بها
كما عرفت بى حذوك النعل
بالنعل
وسلمت فاستأنست خيفة أن
يرى
عدوى مكانى أو يرى كاشح فعلى
فقالت وأرخت جانب الستر
انما
معى فتحدث غير ذى رقبة أهلى

رحم الله لبيدا فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم فقال عروة رحم الله عائشة فكيف لو أدركت من نحن بين ظهرانيهم فقال هشام رحم الله عروة فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم فقال وكيع رحم الله هشاما فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم فقال أبو السائب رحم الله وكيعا فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم فقال أبو جعفر رحم الله أبا السائب فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم ونحن نقول والله المستعان فالقصة أعظم من ان توصف بحال اه ولله در القائل

زماننا هذا خرا * وأهله كما ترى
ومشيهم جميعهم * الى ورا الى ورا

وقلت أنا زيادة عليه

الى ورا بحيث لم * تلق لخير خبرا

وحكى الاصمعي عن عيسى بن عمر قال وفد أبو الجهم بن حذيفة على معاوية فقال له معاوية والله ان لك لشرفا وحقا وقرابة يا أبا الجهم وانه لزمتنا مؤن عظيمة وهذه مائة ألف فخذها واعذرنا قال أبو الجهم فقبضتها على مضض وقلت في نفسي ما عسى ان أقول له وهو رجل ناء عن بلاد قومه وقد تخلق بأخلاق أهل الشام الجفاة الاغفال فقبلتها على أنه قد قصر بي فلما توفي معاوية واستخلف يزيد سرت اليه وافدا وأقمت أياما فقال لي يا أبا الجهم اني بحقك وقرابتك وشرفك لعارف وان مع حقك لحقوقا ومؤنا ولا نستطيع دفعها وأنت أولى من عذرنا بن أخيك وهذه خمسون الفا فاقبضها اليك واعذرنا فقلت في نفسي غلام حدث نشأ مع غير قومه وسكن غير بلده وهو مع هذا ابن كلبية فأي خير يرجى منه ثم اني أخذتها منه على أنه قصر بي وانصرفت فلما استخلف عبد الله بن الزبير قلت في نفسي هذا بقية قريش البطاح فأتيته وافدا وأقمت عنده أياما ثم قال لي يا أبا الجهم مهما جهلت فلن أجهل شرفك وقرابتك وحقك غير أن علي مؤنا وغرما وحالات وأمورا يطول شرحها ولكن مع ذلك فاني غير مخيب لسفرك هذه ألف درهم خذها واستعن بها على أمورك فقبضتها فرحا ثم مثلت بين يديه فقلت يا أمير المؤمنين مد الله لقريش في بقائك ودافع ولا امتحنها بفقدك فوالله لا زالت بخير ما بقيت لها فقال ابن الزبير جزاك الله عن الرحم خيرا فوالله ما قلت هذا لمعاوية وقد أعطاك مائة ألف ولا قلته ليزيد وقد أعطاك خمسين ألفا وقلته لنا وانما أعطيناك ألف درهم فقلت نعم يا أمير المؤمنين من أجل ذلك قلت لأني خفت ان أنت هلكت لا يلي أمر الناس الا الخنازير وما أحلى قول بدر الدين يوسف مهندار العرب

كنا اذا جئنا لمن قبلكم * أنصف في الترحيب بعد القيام
والآن صرنا حين نأتيكم * نقنع منكم بلطيف الكلام
لا غير الله بكم خشية * من أن يجي من لا يرد السلام

وقال المتوكل يوما لجلسائه اتعلمون أول ما عتب المسلمون على عثمان رضي الله عنه فقال أحدهم نعم يا أمير المؤمنين انه لما قبض النبي صلى الله عليه وسلم قام أبو بكر رضي الله عنه على المنبر دون مقام النبي صلى الله عليه وسلم بمرقاة ثم قام عمر رضي الله عنه دون مقام أبي بكر رضي الله عنه بمرقاة فلما ولي عثمان رضي الله عنه صعد ذروة المنبر فأنكر المسلمون ذلك عليه

فقلت لها ما بي لهم من ترقب
ولكن سري ليس يحمله مثلي
يقال ان هذا البيت أحسن ما قيل في وصف السر وقوله أيضا

أيها البارح المجد ابتكارا
قد قضى من تهامة الاوطارا
من يكن قلبه الغداة سليما
ففؤادي بالخيف أضحى معارا
ليت ذا الدهر كان حتما علينا
كل يوم من حجة واعتمارا

يروى أن سعيد بن المسيب رضي الله تعالى عنه لما سمع هذا البيت قال لقد كلف المسلمين شططا عظيما وان الله لارحم بهم من أن يبلغه أمنيته وأما الشعر الذي ذكر من أجله فقوله في هند بنت الحرث بن عوف المرية

ليت هندا أنجزتنا ما تعد
وشفت أنفسنا مما تجد
واستبدت مرة واحدة
انما العاجز من لا يستبد

واقد قالت لاتراب لها

ذات يوم وتعرت تبترد
أكما ينعتني تبصرني
عمر كن الله أم لا يقتصد
فتضاحكن وقد قلن لها
حسن في كل عين من تود
حسدا حلته من أجلها
وقديما كان في الناس الحسد

(وكانت انما حلتك بحلاك ووسمتك بسماك)

ولم تعرك شهادة ولا تكلفت لك زيادة)

وأرادوا أن ينزل دون مقام عمر بمرقاة فقال عبادة يا أمير المؤمنين ما أحد أعظم منة عليك من عثمان قال وكيف ذلك ويلك قال لانه صعد ذروة المنبر فلو أنه كلما قام خليفة نزل عن مقام من تقدمه مرقاة كنت أنت تخطب علينا في ثمر وقال يوسف بن يعقوب اشترى بعض التجار دارا في الانصار فبا كروه بحب مكسور وقالوا هذا حب سعيد بن جبير فاقرضناه مائة درهم فرد الحب وأعطاهم الدراهم وانتقل فقالوا له لم انتقلت قال أخاف أن تباكروني بقصعة عبادة ابن الصامت وحكي ان بعض الارقاء كان عند مالك يأكل الخاص ويطعمه الخشكار فانف الرقيق من ذلك فطلب البيع فباعه واشتراه من لا يأكل شيأ وحلق رأسه وكان في الليل يجلسه ويضع السراج على رأسه بدلا من المنارة فاقام عنده ولم يطلب البيع فقال له النخاس لاى شئ رضيت بهذه الحالة عند هذا المالك فقال أخاف ان يشتريني في هذه المرة من يضع الفتيلة في عيني عوضا من السراج ويقال ان محمد بن علي بن عبد الله بن عباس كان جميلا وكان أمد الناس قامة وكان رأسه الى منكب أبيه علي وكان رأس علي الى منكب عبد الله بن عباس وكان رأس عبد الله الى منكب العباس وعلى ذكر الجرب في قول لبيد نقلت من خط السراج الوراق له

زعم البيد اقال في عصره * وبقيت في خلف كجلد الاجرب
وأراه اعدى خلفه من خلفه * جربا واعيا الداء كل مجرب
وتضاعف الجرب الذي عداه لا * تنفك عن ماض ولا متعقب
وتفاقم الداء العضال فخلقنا * بلغ الجذام وعصرنا عصروبي

ومن كلام القاضي الفاضل وأشكو بعد قلبي جسمي فقد ضعفت قوته وقوى ضعفه ونسجت عليه هموم ثوبا دون الثياب وشعارا دون الشعار من الجرب الذي عادى بيني وبيني وانتقم بيدي من جسمي واستخدمها الحرث أرضه وان لم يكن لارضه عجاج فلي عجيج وان لم يكن لي بذر فلي من الحب ثمار وان لم يكن لي سنبلة فلي أثلة وان لم يكن لي في كل سنبلة مائة حبة آكلها فلي في كل أثلة مائة حبة تأكلني وقد كنت مسالما لاعضائي الاسنا أقرعها فلم يخل زمن من مندماتي أو أصبعا أعضها فما أكثر ما تأتي به الايام من غائظاتي والآن فقد زدت على الظالم الذي يعض على يديه فانا أقرع جميع أعضائي وكلها ثنيات وأعض على جوارحي وكلها أنامل وان يمسك الله بضر فلا كاشف له الا هو والجرب هم الاجسام والهم جرب القلوب والفكر للقلب حك والحك للجسم فكر وبالله ندفع ما لا تطيق يا واهب العمر خلصه من السكدر ويقال ان الذي يعدى ثلاث جمعات الجذام والجرب والجدري وثلاث سينات السعال والسل والسبل وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كان الشؤم في شئ رواه مسلم عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الشؤم في الدار والمرأة والفرس وفي لفظ ان يكن من الشؤم شئ حق ففي الدار والمرأة والفرس وفي لفظ ان كان الشؤم في شئ وفي حديث جابر ان كان الشؤم في شئ ففي الربع والخادم والفرس قال ابن الجوزي ولقائل أن يقول كيف يجمع بين هذا وبين قوله لا عدوى والجواب ان عائشة رضي الله عنها قد غلطت من روى هذا الحديث وقالت انما كان أهل الجاهلية يقولون ذلك وهذا رد منها لخبر رواته ثقاة والصحيح ان معناه ان خيف من شئ أو يكون شئ يخاف شره ويتشاءم به فهذه الاشياء لا على سبيل القطع التي يظنها

قوله (وكانت) عطف على وهبها (والحلى) الاوصاف التي يوصف بها الشخص كأنها مأخوذة من الحلى وهو الزينة (والسيما) العلامة ومنه قوله تعالى من الملائكة مسومين (والشهادة) العلم بالشئ والاقرار به
(بل صدقت سن بكرها فيما ذكرته عنك)
هذا مثل يضرب في الصدق وأصله ان رجلا ساوم رجلا في بعير فقال ما سنه فاخبره بانه بكر فقال عنه أي رأى سنه واحد الاسنان فقال صدقني سن بكر يروى سن بكره بفتح النون على انه مفعول وسن بضمها على انه فاعل وكلاهما صحيح المعنى
(ووضعت المناسم مواضع النقب بما نسبته اليك)
(ولم تكن كاذبة فيما أثنت به عليك)
هذا مثل يضرب لمن يضع الامور في محلها وأصله ان الهانئ وهو واضع القطران على البعير الاجرب يتتبع النقب التي في جسد البعير وهي مبادي الجرب وهذا المثل نصف بيت من الشعر لدريد يقوله في الخنساء وهو دريد بن الصمة بن الحرث الجشمي من هوازن فارس معروف من فرسان الجاهلية وشعرائها مشهور بالرأي

والظفر وأمه ريحانة بنت معدى كرب أخت عمرو وقتل فى غزاة هوازن مشركا حين غزاهم رسول الله صلى الله عليه وكان قد أسن وعجز عن الحرب وانما حمل مع القوم لرأيه وتدبيره وهى الواقعة التى أشار فيها برأى ولم يسمع منه فقال ياليتنى فيها جذع * أخب فيها وأضع * وهزمت هوازن وقتل أكثرهم وقتله ربيعة بن رفيع السلمى فى خيبر يطول وقال لما ضربته بسيفه وقع مستكشفا فاذا عجانه وفخذاه مثل القراطيس من ركوب الخيل حكى الاصمعى أن أمه ريحانة قالت له بعد مقتل أخيه عبد الله بن الصمة يابنى ان كنت عجزت عن ثار أخيك فاستعن بخالك وعشيرته من زبيد فأرق لذلك وحلف لا يأكل لحما ولا يشرب خمرا حتى يدرك ثاره ثم وجد غرة من غطفان فغزاهم وقتل منهم قوما ثم أسر دواب بن أسماء وأتى به الى فناء أمه فقتله فاخذت السيف وجعلت تلحس الدم بلسانها الى أن انقطع منه شئ وهى لا تعلم من الفرح ثم قال فى ذلك

جزينا بنى عبس جزاء موفرا
بمقتل عبد الله يوم الذنائب

الجاهلية من العدوى ولما ذكر القاضى أبو بكر ابن العربى ما روى عن عائشة رضى الله عنها قال هذا ساقط لان النبى صلى الله عليه وسلم لم يبعث ليخبر عن الناس ما كانوا يعتقدونه وانما بعث ليعلم الناس ما يلزمهم ان يعلموه قال وفائدة هذا اللفظ حصر الشؤم فى الثلاثة المذكورة عادة لا خلقة قلت وقال بعض الافاضل انه لا تنافى بين قوله لا عدوى ولا طيرة وبين حديث ابن عمر فى الشؤم لان الراوى روى طرف الحديث لكونه لم يسمع أوله لاحتمال ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ما بال أقوام يقولون ان يكن من الشؤم الحديث لان الاعرابى لما سمعه عليه الصلاة والسلام يقول لا عدوى ولا طيرة قال فما بال ابلنا تكون كالظباء العفر فاذا دخلها البعير الاجرب أعداها فقال صلى الله عليه وسلم ويحك فمن أعدى الاول وقولهم أشأم من طويس هو طويس المغنى ولد يوم توفى النبى صلى الله عليه وسلم وفطم يوم توفى أبو بكر رضى الله عنه وبلغ الحلم يوم قتل عمر رضى الله عنه وتزوج يوم قتل عثمان رضى الله عنه وجاءه ولد يوم قتل على رضى الله عنه ونقلت من خط ناصر الدين حسن بن النقيب

تطيرت الوزارة من قريب * بصاحبها الجديد ومن بعيد
وقالت كعبه كعب مشوم * ولا سيما على الملك السعيد

وما احلى قول النصير الحمامى فيما اظن

أقول للكاس اذ تبدى * بكف أحوى أغن أحور
خربت بيتى وبيت غيرى * وأصل ذا كعبك المدور

وقول شمس الدين محمد بن دانيال ملغزا فى السرموزة

وجارية هيفاء ممشوقة القد * لها وجنة أبهى احمرارا من الورد
من اليعملات التى حروجها * يفوق صقالا صفحة الصارم الهندى
وثيقة حبل الوصل منذ وطئتها * فلست أراها قط منتقض العهد
ولم أر زوجا غيرها كل ساعة * على الترب ألقيها معفرة الخد
ومن عجب انى اذا ما وطئتها * تئن أنينا دونه انة الوجد
مباركة عندى فلا برحت اذن * مدورة الكعبين شؤما على ضدى

وعلى ذكر شؤم الدار قال عبد الملك بن عمر الكوفى كنت عند عبد الملك ابن مروان بقصر الكوفة المعروف بدار الامارة حين جىء برأس مصعب بن الزبير فوضع بين يديه فرآنى قد ارتعت فقال مالك فقلت أعذك بالله يا أمير المؤمنين كنت بهذا القصر بهذا الموضع مع عبيد الله بن زياد فرأيت رأس الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما بين يديه بهذا المكان ثم كنت فيه مع المختار أبى عبيد الله الثقفى فرأيت رأس عبيد الله بن زياد بين يديه ثم كنت فيه مع مصعب بن الزبير هذا فرأيت رأس المختار بين يديه ثم هذا رأس مصعب بين يديك قال فقام عبد الملك من موضعه وأمر بهدم الطاق الذى كنا فيه وقال القاضى شمس الدين أحمد بن خلكان رحمه الله حكى لى أبو المجد قاضى السويداء قال كان بالشام شاعران ابن منير الطرابلسى وابن القيصرانى وكان ابن منير كثيرا ما يبكت ابن القيسرانى بأنه ما صحب أحدا الا نكب فاتفق ان أتابك عماد الدين زنكى صاحب الشام غناه مغن على قلعة جعبر وهو يحاصرها قول الشاعر

ويلى من المعرض الغضبان اذ نقل الـ ـواشى اليه حديثا كله زور
سلمت فأزور يثنى قوس حاجبه * كأننى كاس خمر وهو مخمور

فاستحسنها زنكى وقال لان هما فقيل لابن منير وهو بحلب فكتب الى والى حلب يسيره اليه سريعا فليلة وصل ابن منير الى حلب قتل أتابك زنكى ولما رجع ابن منير الى حلب قال له ابن القيسرانى هذه بكل ما كنت تبكتنى به اه ويقال ان قصيدة ابن زيدون التى منها

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا * شوقا اليكم ولا جفت أماقينا

ما حفظها أحد الا مات غريبا ويقال فى كتاب العقد لابن عبد ربه ما كمل فى بيت الا خرب ويقال فى البيت الاخضر الذى فى بلد فرعون وهى مصر القديمة بالبدرشين انه ما دخله أحد الا ودخل الحبس (رجع) الى ذكر الحرب قال ابن سناء الملك يصف حربا أصابه

لقد لقيت وصبا * وقد شقيت نصبا
من حرب صرت به * مبغضا محببا *
الماء منه قد جرى * والجمر قد تلهبا
والنار تذكى اذ أرى * بها عظامى حطبا
أنا ملى السلى وان * أبصرت منها رطبا
يقول من أبصرنى * ذا الافق قد تسكوكبا
من الهوان عاد كفى * ملكا محببا
ألبس ثوبا ساذجا * ثم يعود مذهبا
أصبحت ذا القروح لا * شعر ولكن كربا
ياحربا ان لم أقل * من حربى ياحربا

وقال ابن سناء الملك أيضا

اللؤلؤ الرطب حب * فى راحتى نفائس
فاؤلؤ الحب رطب * ولؤلؤ البحر يابس

وقال البدر يوسف بن لؤلؤ الذهبى

تعشقته لدن القوام مهفهفا * شهى اللمى أحوى المراشف أشنبا
وقالوا بداحب الشباب بوجهه * فياحسنه وجها الى محببا

وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى بدر الدين حسن بن على الغزى فى المعنى

يافم المحبوب سبحا * ن الذى زادك زينا
قد تحليت بدر * فتحببت الينا

وأنشدنى أيضا من لفظه لنفسه

توهم اذ رأى حبابها كى * على شفتيه درا فى عقيقى
فقلت له وحقك ليس هذا * سوى حبب على كاس الرحيق

وقال بهاء الدين بن الصولى فى الحرب

حربى وحربى أذابا * جسدى اذ جفانى الاحباب
تركانى كالماء والخمر لطفا * فلهذا طفا على الحباب

قتلنا بعبد الله خير لداته
دواب بن أسماء بن زيد بن
قارب

قال الاصمعى كان عبد الملك ابن مروان يقول لولا القافية لنسبه الى آدم وهذا النوع يسميه أرباب البديع الاطراد لتوالى الاسماء منظومة * وحكى أبو عبيدة قال هجا دريد بن الصمة عبد الله بن جدعان فلقيه عبد الله بعكاظ وحياه وقال هل تعرفنى يا دريد قال لا قال فلم هجوتنى قال ومن أنت ولم يكن رآه قال أنا ابن جدعان قال هجوتك لانك كنت امرأ كريما فاحببت أن أضع شعرى موضعه فقال له عبد الله ان كنت هجوت لقد مدحت وكساه وحمله على ناقة فقال يمدحه

اليك ابن جدعان أعملتها
مسومة للسرى والنصب
فلا خفض حتى تلاقى امرأ
جواد الرضا وحليم الغضب
سبرت الانام فما ان أرى
شبيه ابن جدعان وسط العرب

ومن شعر دريد يرثى أخاه تنادوا فقالوا اردت الخيل فارسا
فقلت أعبد الله ذلكم الردى
فان يك عبد الله خلى مكانه
فما كان وقافا ولا طائش اليد

صبور على وقع النوائب
حافظ
من اليوم أعقاب الاحاديث
في غد
أعاذلي كل امرئ وابن أمه
متاع كزاد الراكب المتزود
(وقوله)
أيا دفاقة من للخيل ان طردت
وأطرها الطعن في وعب
والجاف
يافارسا ما أبوا أوفى اذا
اشتغلت
كلتا اليدين كرورا غير وقاف
قوله اشتغلت كلتا اليدين
يعني يمسك العنان بيد
ويضرب بالاخرى ثم قال
عبر الفوارس معروف
بشكته
كاف اذا لم يكن من كربة
كاف
يعني ان الفوارس ترى منه
ما يكي أعينهم ويستعبرها
وقوله في يزيد بن المدان
حين ساله رد مال جاره
أم تكمو تردوا مال جاري
وأسري في كبولهم الثقال
فانتم أهل عائدة وفضل
وأيد في مواهبكم طوال
مني ما تمنعوا شيأ فليست
حبائل أخذه غير السؤال
وقوله ايضا
أبى القتل الا آل صمة انهم
أبو غيره والقدر يجري الى
القدر

قلت تخيله الجدري كالحباب تخيل حسن ولكن هذا المقام مقام تشك وما يليق به ان يقول صرت كالماء والخمر لطفا نعم يليق بالحبيب المجدور أن يوصف باللطافة ولكن قد أخذت أنا هذا المعنى فنظمته بالقاهرة أول دخولي اليها وقد حصل لي ولمن أحبه جرب فقلت

ولما صفونا وامتزجنا محبة * علانا حباب الحب في ساعة المزج
وما ضر من قد خاض بحر غرامه * وأصبح في كفيه من لؤلؤ اللجج

ثم اني وقفت بعد ذلك على هذا المعنى الثاني لمجير الدين محمد بن تميم وهو

لا تنكروا جربا قد لاح فوق يدي * من الحبيب ومهما شئتم قولوا
ما ذاك الا اذا ما غصت بحر هوى * خرجت منه وكفي ملؤها اللولو

وقال الباخرزي

لنا جرب بين البنان نحكه * رضينا به والكاشحون غضاب
وكنا معا كالماء والخمر رقة * علانا لطول الامتزاج حباب

وقال التهامي

جسمي نحيل بالحب والحب * ذا من ربيبي وذاك من ربي
نار ان نار بالطب ان ظهرت * تخفى ونار تخفى عن الطب
كأن كفي في اشتباكهما * جيشان حفا بالطعن والضرب
وليس غير الاظفار بينهما * من أسمر ذابل ومن عضب

وقال ابن هندو

يهيج مسرتي جرب بكفي * اذا ما عد في الكرب العظام
تجنبني اللئام لذاك حتى * كفيت به مصافحة اللئام

وقال الواواء الدمشقي

علة خصت وعمت * في حبيب ومحب
دب في كفيه مامن * حبه دب بقلبي
فهو يشكو وهو جرب * واشتكاي جرب

(رجع) الى معنى قول الطغرائي في التأسف على الماضين وما أحسن قول البحتري يذكر المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان

مضى جعفر والفتح بين موسد * وبين قتيل بالدماء مضرج
أأطلب أنصارا على الدهر بعدما * ثوى منهما في الترب أوسى وخزرجي

وكان البحتري حاضر الوقعة ليلة قتل المتوكل بتدبير ابنه المنتصر وهو يشرب بالجعفري ووزيره الفتح وجماعة من الندماء والمغنين وغيرهم وذلك ان المنتصر بن المتوكل قال لزراقة التركي ألا تشيعني ساعة أشكو اليك ما يمر بي قال بلى وجعل يطاوله فغلق بغا الشرابي الابواب كلها الا باب الماء ومنه دخل الذين قتلوه فأول من ضربه باغر التركي ضربة قطع منها حبل عاتقه وأكب الفتح وزيره وقال لا والله يا أمير المؤمنين لا عشت بعدك فقتلا جميعا وأما عبادة المخنث فلما رأى قتله الخليفة والوزير قال الا أنا يا أمير المؤمنين ان لي بعدك مجالس أحضرها وكاسات أشربها وساعات لهو أقضيها فلم يلتفت اليه ونجا سالما وبويع لولده المنتصر في تلك

الساعة

الساعة وتقل الرواة ان بغا الصغير لما عزم على قتل المتوكل بتدبير ابنه المنتصر دعا بباغر التركي بعد ما ملأ عينيه بالصلاة وقال له أنت تعلم تقديمي لك ومكانك عندي واريد أن أسر اليك شيأ قال قل ماشئت قال ان ابني قد فسد علي وصح عندي انه يريد سفك دمي وأريد اذا دخل علي غدا وأنت حاضر اذا وضعت قلنسوتي عن رأسي الى الارض أن تقتله قال نعم فلما دخل من الغد عليه لم ينزع القلنسوة فظن باغر أنه نسي فغمزه بحاجبه فلم ير العلامة وانصرف اينه فقال بغا يا باغر اني فكرت في انه حدث وولد وأريد أن أستصلحه ثم أمسك عنه مديده وقال له ان أخي نسد علي وهم على أن يقتلني وينفرد بمكاني وأحب أن تبادر غدا اذا دخل علي وتقتله وجعل له علامة فلما دخل عليه لم ير العلامة ووقف حتى خرج أخوه فقال له يا باغر هو أخي وعسى ان استصلحه وههنا أمر هو أكبر وأعظم من هذا كله فقال له باغر وما هو قال المنتصر قد صح عندي أنه عزم على الايقاع بي وأريد قتله فكيف ترى نفسك ففكر ساعة ونكس رأسه طويلا ثم قال هذا لا يجئ منه شئ قال ولم قال تقتل الابن والاب باق اذن لا يستوي لكم شئ ويقتلكم كلكم أبوه قال فما الرأي قال نبدأ بالاب ويكون الصبي أيسر قال أو تفعل هذا ويحك قال نعم وأدخل أنا الى قتله وأنت خلني فان لم أقتله والا اقتلني أنت وقل أراد أن يقتل مولاه فعلم بغا الصغير انه قاتله فتمكن له التدبير على المتوكل وحدث البحتري الشاعر قال كنا عند المتوكل مع الندماء فتذاكروا أمر السيوف فقال بعض من حضر يا أمير المؤمنين وقع عندي رجل من أهل البصرة سيف من الهندليس له نظير فأمر المتوكل بالكتاب الى عامل البصرة يطلبه فاتفق أن اشتري بعشرة آلاف درهم فسر المتوكل بوجوده وانتضى فاستحسنه وقال للفتح اطلب لي غدا من تثق بنجدته وشجاعته وادفع هذا السيف اليه ليكون واقفا على رأسي كل يوم وما كنت جالسا قال فلم يستتم المتوكل الكلام حتى دخل باغر التركي المذكور فدعا به المتوكل ودفع اليه والسيف وأمره بما أراد وأمر أن يزد في مرتبه قال البحتري فوالله ما انتضى ذلك السيف ولا أخرج من غمده منذ الوقت الذي دفعه اليه المتوكل الا في الليلة التي ضربه فيها باغر بذلك السيف وحكي ان سيفويه قال وهو على المنبر يقص في سلسلة ذرعها تسعون ذراعا فقال له الناس ما قال الله تعالى الا سبعون ذراعا فقال هذه أعدت لوصيف وباغر وبغا وأمثالهم وأما أنتم فالسبعون لكم وكان البحتري كثيرا ما يذكر الفتح بن خاقان والمتوكل في شعره ويرتاح لذكرهما أبدا قال من قصيدة

تداركني الاحسان منك وبالني * على فاقة ذاك الندى والتطول

ودافعت عني حين لا الفتح يرتجى * لدفع الاذى عني ولا المتوكل

وعبادة المخنث في هذه الواقعة يخالف أباذكار الاعمى فان مسرورا الخادم حكى قال لما أمرني الرشيد بضرب عنق جعفر دخلت عليه وأبو ذكار عنده يغنيه

فلا تبعدن فكل فتى سيأتي * عليه الموت يطرق أو يغادي

فقلت والله في هذا أتيتك وأخذت بيده وضربت عنقه فقال أبو ذكار ناشدتك الله الا ما ألحقتني به فقلت وما رغبتك قال انه أغناني عمن سواه باحسانه فما أحب ان أبقى بعده فقلت له حتى أستأمر امير المؤمنين فلما أتيت الرشيد برأس جعفر أخبرته بقصة ابي ذكار فقال هذا رجل فيه مصطنع فانظر ما كان يجريه عليه فأتمه عليه قال حماد ابن اسحق غنى علوية يوما

يغار علينا وأترين فيشتفي
بنا ان أصبنا أو نغير على وتر
قسمنا بذاك الدهر شطرين بيننا
فما ينقضي الا ونحن على شطر

وأما الشعر الذي ذكر بسببه فانه مر بالخنساء بنت عمرو ابن الشريد وسيأتي ذكرها وهي تهنأ بعيرا لها وقد تبذلت حتى فرغت منه ثم نضت عنها ثيابها واغتسلت وتريد براها وهي لا تشعر به فاعجبته وانصرف الى رحله فقال

حيوا تماضر وارب عوا صحبي
وقفوا فان وقوفكم حسبي
ما ان رأيت ولا سمعت به
كاليوم هانئ أين تذهب

متبذلا تبدو محاسنه
يضع الهناء موضع النقب

وتماضر اسم الخنساء ثم خطبها فردته لكبر سنه فهجاها فقيل لها الا تجيبينه فقال ما كنت لاجمع عليه أن أرده وأهجوه

(فالمعيدي تسمع به خير من أن تراه)

هذا مثل يضرب لمن يكون خبره خيرا من منظره وأول من قاله النعمان لشقة بن ضمرة في خبر طويل معناه انه كان يغير على مال النعمان ويطلب فلا يقدر عليه الى أن أمنه النعمان وكان يعجبه ما يسمع عنه فلما رآه استزرى

بحضرة ابى فلا تبعد فكل فتى سيأتى البيت فقال ابى مه هذا البيت لمعرق فى العمى الشعر لبشار بن برد والغناء لابى ذكار واول الشعر لقد عميت امرى يقال ان العمى شائع فى بنى عوف اذا أسن الرجل منهم عمى وقل من يفلت من ذلك ولذلك قال ارطاة بن سهية يهجو شبيب بن البرصاء من جملة ابيات

فلو كنت عوفيا عميت واسهلت * كذاك ولكن المريب مريب

فقيل ان ارطاة لما قال هذا الهجو كان كل شيخ من بنى عوف يتمنى ان يعمى ثم ان ارطاة عمر ولم يعم فكان شبيب يعيره بذلك ثم مات شبيب وعمى ارطاة فكان يقول ليت شبيبا كان عاش ورآنى أعمى وستأتى جملة تتعلق بذكر العمى فى الكلام على قوله اعدى عدوك البيت

(رجع) الى ذكر المتوكل قال ابراهيم بن احمد الاسدى يرثى المتوكل

هكذا فلتكن منايا الكرام * بين نأى وعز روم وشام
بين كاسين اورثاه جميعا * كأس لذاته وكاس الحمام
لم يذل نفسه رسول المنايا * بصنوف الاوجاع والاسقام
هاب معلنا فدب اليه * فى كسور الدجى بحد الحسام

ويحكى عن الناصر صاحب حلب انه كان اذا خلا بمجلس انسه تناول الكاس وقال

قتل مثلى ياصاح شرب المدام * ليس قتلى بلهذم اوحسام

ولكن ماتم له المراد فان هولاكو لما دخل البلاد أمسكه وجعله هدفا للسهام وقيل بل جمع له نخلتين وربطه بينهما ثم أطلقهما فراحت كل نخلة بشطر منه وقيل بل أودع عدلا ورفسه المغل بالموزات الى ان مات وأخذ قول ابراهيم بن أحمد الاسدى فى رثاء المتوكل عبد الكريم التميمى فقال يرثى صاحب خراج المغرب وقد كان تناول دواء فمات

ولما رأت شور المهابة دونها * عليك ولم تجد فيك مطمعا
ترقبت باسباب لطاف ولم تكد * تواجه موفور الجلالة أروعا
فجاءتك فى شر الدواء خفية * على حين لم تحذر لداء توقعا

وأخذه عبد المجيد بن عبدون فقال يرثى

ثارت اليه المنايا من مكامنها * سرا على غفلة الحراس والسمر
أولى لمن وأولى لو هممن به * والمنع ذو راحة والدفع ذو حذر

وسمع اعرابى وهو متعلق باستار الكعبة يقول اللهم ميتة كما مات أبو خارجة فقيل له كيف مات فقال أكل بذجا وشرب مشعلا ونام شامسا فأتته منيته شبعان ريان دفيان

(رجع) الى التأسف على الماضين قال القاضى الفاضل من جملة رسالة ولا حول ولا قوة الا بالله قول من قعد وراء الاحباب يودع كل يوم حبيبا ويعيش بعدهم فى الدنيا غريبا كأنه النجم طلع عليه الصباح فغاب وابقى منتظر المغيب وصحة ما ادعاه من طلوع الصبح ما قد علاه من المشيب وقال ابن أسد الفارقى

قديما كان فى الدنيا اناس * بهم تحيا العلا والمكرمات
فلما غال فعل الخير دهر * به عاش الخنا والمنكر ماتو

وقال الارجانى

منظره فقال لأن تسمع بالمعيدى خير من أن تراه فقال أبيت اللعن ان الرجال ليسوا بجزر وانما يعيش المرء بأصغريه قلبه ولسانه * ومعيد اسم قبيلة وفيها يقول الشاعر

ستعلم ما تغنى معيد ومعرض * والنعمان هذا هو ابن المنذر ابن النعمان ابن عمرو آخر ملوك العرب بالحيرة من قبل كسرى وله أخبار وأقوال ومن أغرب ماذكر منها كلامه عند كسرى فى فضل العرب وذلك انه وفد على كسرى وعنده وفود الروم والهند وغيرهم فذكروا ملوكهم وفضلهم وافاض النعمان فى ذكر العرب وفضلهم على الامم لا يستثنى فارس ولا غيرها فتمعر وجه كسرى وذكر كلا ما ينتقص به العرب ويفضل عليهم الامم فقال النعمان أصلح الله الملك أما أمتك فليست تنازع فى الفضل لموضعها الذى هى به من عقلها وحلمها وبسط حكمها وما أكرمها الله تعالى به من ولاية آبائك وولايتك وأما الامم التى ذكرت فأى أمة تقرنها بالعرب الا فضلتها العرب فقال كسرى بماذا قال بعزتها ومنعتها وبأسها ونخائها وحسن وجوهها

ذهب الذين صحبتهم فوجدتهم * سحب المؤمل أنجم المتأمل
وبليت بعدهم بكل مذمم * لامجمل طبعا ولامتجمل

وقال ابن الخياط الدمشقي

نزلت على حكم الردى فى معاشر * ومن ذا على حكم الردى ليس ينزل
تبدلت بالماضين منهم نعلة * وأين من الماضين من أتبدل

وقال ابن الساعاتى

وتر بقا الجود من ناس منيت بهم * فان ذلك عندى غاية القسم
مالمت دهرى على شئ غضبت له * من الحوادث حتى جار فى القسم

وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى السيد النسيب الحسيب شهاب الدين الحسين بن قاضى العسكر أحد كتاب الانشاء السلطانى من قصيدة كتب بها الى الشيخ الامام الكاتب شهاب الدين أبى الثناء محمود وقد مات خاله القاضى علاء الدين بن عبد الظاهر

فلم تنقطع كتبى لنقص مودة * ولكن دهانى صرف دهرى فاذهلا
رمانى عن قوس القساوة عامدا * باسهم أوصاب فصادف مقتلا
وضيع حقى ثم أهمل جانبى * وماحق مثلى أن يضاع ويهملا
ففارقت مخدومى بالقسر لا الرضى * فهذا قضى نحباوهذا ترحلا

وأنشدنى لنفسه من لفظه المولى جمال الدين محمد بن نباتة من مرثية جارية له

شكرت زمانا جار بعد أحبتى * وبالغ فى العدوى وبث الضغائن
فلو طاب طابت لى حياتى بعدهم * وكنت ألاقيهم بطلعة خائن

وما أرق قول القائل

باى وجه ألقاهم * اذا رأونى بعدهم حيا
واخجلى منهم ومن قولهم * ماضرك البعد لناشيا

ومن التأسف على الماضين وان كان فيه مجون قول القائل

ولقد قال لى صديقى لما * أن رآنى أضربى الافلاس
قم تسكع بذا القميص فهذا * الايرجى بمثله ويراس
قلت قد كان ذا ولكن دهرى * أهله كلهم لئام خساس
أين من كان عندهم يرفع الايسر على الراحتين ثم يباس
أين من كان عالما بعقاد يسر الايور الكبار مات الناس

وحكى القاضى شمس الدين أحمد بن خلكان ان الامير فخر الدين بن الشيخ رأى هذه الابيات مكتوبة على ظهر كتاب بخط شرف الدين بن قديم فكتب تحتها من خلف مثلك مامات قلت هذا يشبه قول أبى الحسين الجزار وقد رآه بعضهم ماشيا عقيب موت حماره

كم من جهول رآنى * أمشى لاطلب رزقا
فقال لى صرت تمشى * وكل ماش ملقى
فقلت مات حمارى * تعيش أنت وتبقى

وقال بعض أهل عصره

وحكم ألسنتها ووفائها واحسابها وأنسابها * فأما عزتها ومنعتها فانها لم تزل مجاورة للملوك الذين دوّخوا البلاد وقادوا الجنود ولم يطمع فيهم طامع حصونهم ظهور خيلهم ومهادهم الارض وجنتهم السيوف وعدتهم الصبر اذ غيرهم من الامم انما عزها الحجارة والطين وجزائر البحار * وأما سخاؤها فان أدنى رجل منهم يكون عنده البكرة أو الناب عليها بلاغه من حولته وشبعه وريه فيطرقه الطارق الذى يكتفى بالقذة ويجترى بالشربة فيعقرها له ويرضى أن يخرج له عن دفياه كلها فيما يكسبه حسن الاحدوثة وطيب الذكر * وأما حسن وجوهها وألوانها فقد يعرف فضلهم فى ذلك على غيرهم من الهند المحرقة والروم المقشرة والترك المشوهة * وأما ألسنتها فان الله أعطاهم فى أشعارهم ورونق كلامهم وحسنه ووزنه وضربهم الامثال ومعرفتهم بالاشارة وابلاغهم فى الصفات ماليس فى ألسنة الاجناس * وأما وفاؤها فان أحدهم ليبلغه أن أحد الرجال استجار به وعسى أن يكون ناثيا عن داره فيصاب فلا يرضى حتى يفنى تلك القبيلة التى اصابته

مات حمار الاديب قلت لهم * مضى وقد فات فيه ما فاتا
من مات فى عزه استراح ومن * خلف مثل الاديب ما ماتا

وقال شرف الدين الابوصيرى

فلا تأس يا أيها الاديب * عليه فللموت ما يولد
اذا أنت عشت لنا بعده * كفانا وجودك ما نفقد

ولابى الحسين الجزار قصيدة فى حماره رثاه بها أولها

ما كل حين تنجح الاسفار * تفق الحمار وبارت الاشعار
خرجى على كتفى وها أنا دائر * بين البيوت كأننى عطار

ومنها

لم أدر عيبا فيه الا انه * مع ذا الذكاء يقال عنه حمار
ويلين فى وقت المضيق ويلتوى * فكأنما بيديك منه سوار
ولقد تحامته الكلاب وأحجمت * عنه وفيه كل ما تختار
فرعت لصاحبه عهودا قد مضت * لما علمن بأنه جزار

وحكى لى بعض الافاضل انه جمع فى مراثى حمار ابى الحسين الجزار مجلدة جيدة ولم أرها أنا وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة يرثى بغلته

سافرت للساحل مستبضعا * قصدا وجدا حسن الجملة
فيا له من متجر وافر * ما نفقت فيه سوى بغلتى

(رجع) الى التأسف على الماضين ذكر الاصمعى فى كتاب الحلى قال تزوجت أعرابية غلاما من الحى فمكثت معه أياما ووقع بينهما فخرج فى نادى الحى وهو يقول يا واسعة يعيرها بذلك فقالت بديهة فى الغلام

انى تنقلت من بعد الخليل فتى * مرز أماله عقل ولاباه
ما غر فى فيه الاحسن تقبته * ومنطق لنساء الحى تياه
فقال لما خلا لى أنت واسعة * وذاك من خجل منى تغشاه
فقلت لما أعاد القول ثانية * أنت الفداء لمن قد كان يملاه

وحكى ابن عبد ربه فى الاجوبة المسكتة قال قال عبد الرحمن بن حسان لعطاء بن صيفى لو أصبت ركوة مملوءة تمرا بالبقيع ما كنت صانعا بها قال كنت أعرفها فى دور بنى النجار فان لم تكن لهم والا فهى لك ولكن أخبرنى الفريعة أكبر أم ثابت قال لا أدرى قال عطاء فلم تساب الناس وأنت لا تدرى الفريعة أكبر أم ثابت وقد تزوجها قبله أربعة كلهم يتلقاها بمثل ذراع البكر ثم يطلقها على قلى فقيل لها يا فريعة لم تطلقين وأنت جميلة حلوة فقالت يريدون الضيق ضيق الله عليهم وقيل ان بعضهم اشترى جارية فسئل عنها بعد أيام فقال فيها خصلتان من الجنة وهما البرد والسعة ويقال ان كردية أخت بهرام سوين كانت تحت أخيها فلما قتل عنها تزوجها ابرويز وحظيت عنده وكانت فى غاية الجمال فقال لها ما يشينك شئ غير سعة حرك فقالت له انه ثقب بابور الرجال وقيل ان رجلا كان يدل بعظم آلته فقال يوما لامرأته واقعها وأعجبه ما معه هل خرج من حلقك فقالت أو قد أدخلته الى الآن وقال ابن رشيق كنت اوصى غلاما وضيئا كان يختلف الى واحذره من كثرة التخليط فخرج يوما فى جماعة من أصحابه

اويصاب قبله لما أحقر من جواره وان أحدهم ليرفع عودا من الارض فيكون رهنا لا يغلق ولا تخفر ذمته وكذلك تمسكها بشريعتها وهو ان لهم أشهرا حراما وبيتا محجوجا ينسكون منه مناسكهم فيلقى الرجل قاتل أبيه وأخيه وهو قادر على أخذ ثاره فيمنعه دينه ويحجزه كرمه * وأما أنسابها وأحسابها فليست أمة من الامم الا وقد جهلت أصولها وكثيرا من أولها وآخرها حتى ان أحدهم يسأل عما وراء أبيه فلا ينسبه ولا يعرفه وليس أحد من العرب الا يسمى آباءه آبا فآبا أحاطوا بذلك أحسابهم فلا يدخل رجل فى غير قومه ولا يدعى لغير أبيه * وأما قول الملك انهم يئدون أبناءهم فانما يفعله منهم من يفعله بالاناث أنفة من العار وغيرة من الازواج * وأما قوله ان أفضل طعامهم لحوم الابل فاتركوا ما دونها الا احتقارا فعمدوا الى أجلها قدرا وأغلاها ثمنا فكانت مراكبهم وطعامهم مع انها أكثر البهائم لحوما وشحوما * وأما تحاربهم وترك انقيادهم لرجل يسوسهم فانما يفعل ذلك من يفعله من الامم اذا انست من نفسها ضعفا

فاوقع به فاخبرت بذلك فقلت

يا سوء ما جاءت به الحال * ان كان ما قالوا كما قالوا
يا أحذق الناس بصوغ الخنا * صيغ من الخاتم خلخال

قلت هذا بعينه هو قول القائل في السقام

قد كان لي فيما مضى حاتم * واليوم لو شئت تمنطقت به

وقال بن صارة الشنتريني

من كان من نيك حتى صار من سعة * كما تحل يد من عقد تسعينا

قال بن سناء الملك

ناكوه أو خرقوه * وجاء مثل طنين
وراح وهو كيم * وجاء وهو كعين

وقال بن الرومي من أبيات

أوسع من وقت العشاء الآخره * أوجع فيه كالقناة الفاثره
كأن ايري نقطة في الدائره

قلت بن الرومي أساء الادب وأخطأ المعنى وقال بن سناء الملك

ان قلت ما أحسنه شادنا * فانما قصدي ما أخشنه
يظل ايري ضائعا في استه * كانه المغزل في الروزنه

وبالغ من قال

أخشن من قنفذ ومن حسك * ومن عظام تكون في السمك
ويدعي ضيقه وأسفله * يصلح طوق الدارة الفلك

وقال آخر وهو أشبه بقول بن الرومي

لما انثنى وهو البسيط تبينت * لي منه دائرة كحلقة خاتم
ورأيت في الشكل المدور نقطة * فعلمت مركزها بخط قائم

وقلت أنا

قالت لايري وهو فيها ضائع * كالحبل وسط البئر اذ تلقيه
قد عشت في كس كبير قلت ما * كذبت لان الكاف للتشبيه

وقلت أيضا

من منصفي من زمن جائر * أصبحت فيه غير مرزوق
أضاعني فضلي في أهله * ضياع ايري في است معشوق

وحكي ان أبا الحسين الجزار جاء الى باب الصاحب زين الدين بن الزبير فاذن للناس كلهم ولم يؤذن له فكتب في ورقة يقول

الناس قد دخلوا كالاير أجمعهم * والعبد مثل الخصى ملقى على الباب

وأرسلها مع بعض الخدم فلما قرأها ابن الزبير قال لحاجبه اخرج الى الباب وناد يا خصي ادخل فقال أبو الحسين هذا دليل على السعة ولمح أبو الحسين هذا المعنى من قول عمارة اليمني

وتخوفت نهوض عدوها
وانه انما يكون في بيت الملك واحد يعرفون فضله فيلقون أمورهم اليه فأما العرب فان ذلك كثير منهم حتى لقد حاولوا أن يكونوا ملوكا أجمعين مع أنفتهم من أداء الخراج والعشر وما أشبه ذلك فعجب كسرى من منطقه وكساه من كسوته ورده الى الحيرة * ومن ظريف أخبار النعمان انه كان قد جمى ظهر الكوفة وشقائقها ومن هنالك يقال شقائق النعمان فانفرد يوما عن عسكره فاذا هو بشيخ يخصف نعلا فقال ما أنزلك ههنا قال طرد النعمان الزعاء فأخذوا يمينا وشمالا فانتهيت الى هذه الوهدة فنتجت الابل وولدت الغنم والنعمان معتم لا يعرف فقال أو ما تخاف من النعمان قال وما أخاف منه ولربما سرت يدي هذه بين عانة أمه وسرتها فلما سمع النعمان قوله سفر عن وجهه فاذا خوزات الملك تلمع فلما رآه الشيخ قال أبيت اللعن لا ترى انك ظفرت بشئ فقد علمت العرب انه ليس بينها شيخ أكذب مني فضحك النعمان وحلم عنه مع تجبره وعظمته * ومات النعمان بساباط المدائن طرحه كسرى تحت

فيما أظن

مصاحبتى ايا كما لاعدمتما * مصاحبة الخصمين للايرفاعلما
هما يحملان الاير حتى اذا بدت * له فرصة خلاهما وتقدما

وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

على الباب المعظم عبدرق * لعادات اللقا الماضى يعوز
يجوز الآن من اذن شريف * والا فهو شئ لايجوز

وقال شمس الدين بن الحكيم بن دانيال

لمست ايرى لما أراد الزنا منى وقد لاطا بالبدور الطوالع
قال دعنى من الملام فانى * لست ماعشت للملام بسامع
كيف أرضى دين اليهود لواطا * حيث لى بالنساء دين واسع

ولمع قول الجزار من قال

ولم أنس علقا نكته وهو واسع * طويل عريض المنكبين نتيف
يقول الخصى للزب تقعد ههنا * فقال ادخلا ضيف الكرام يضيف

وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

قل فى استه من هجاء ما اشتهيت وزد * فقد وجدت مكان القول ذا سعة

ونقلت من خط ناصر الدين بن النقيب له

قالوا رأينا العلق يسرف منفقا * والعلق لاشئ لديه ولا معه
فأجبتهم انفاقه من سرمة * قالوا صدقت لذا ئ ينفق من سعه

وقال النور الاسعردى

قال وقد قصرت فى نيكه * سد فضا مبعرى الواسع
فقلت يامولاى عذرا فقد * اتسع الخرق على الراقع

وأنشدنى لنفسه اجازة المولى صفى الدين عبد العزيز بن سرايا الحلى ومن خطه نقلت

ولقد تعاطيت اللواط فلم أجد * علقا لاقسام الصناعة يكمل
بل ضاع بينهما الصواب فواسع * يخرى على وضيق لايدخل

وحكى ان بعض البغايا حصلت مع رجل فى بيته فلما خلا بها لم ينعظ فلما أطال عليها أخذت تعنفه فلما زادت عليه فى اللوم قال لها ويلك أنت تفتحين بيتا وأنا أنشر ميتا وان بينهما لفوتا

وما أحلى قول بن الحجاج

قالت وقد قلت اعبثى لى به * يوما وقد قامت وقدنا ما
لو أن اسرافيل فى راحتى * ينفخ فى ايرك ماقاما

وقوله وهو من المعانى الغريبة

تقول لى وهى غضبى من تدللها * وقد دعتنى الى شئ فكانا
ان لم تنكنى نيك المرء زوجته * فلا تلمنى اذا أصبحت قرنانا
كأن ايرك من شمع رخاوته * فكلما عركته راحتى لانا

ونقلت من خط السراج الوراق له

أرجل الفيلة فخبطته حتى مات وذلك بتحيل عدى بن زيد كاتبه وذلك أن كسرى أرسل يخطب ابنة النعمان لنفسه فقال النعمان للرسول أما ما كان فى عين السواد ما يكفى الملك فلما سمع كسرى هذا الكلام لم يفهمه فسأل عنه عديا فقال انه أنف من مصاهرة الملك وقال يكفيه بقر العراق فغضب واستدعى النعمان وقتله

(هجين القذال
أرعن السبال)
(طويل العنق والعلاوة
مفرط الحمق والغباوة)

الهجين من الناس من فى نسبه هجنة أى قبح وكذلك المقرف وهو أن يكون أحد أبويه قد دخل فى العبودية ويقال ان المقرف من قبل الاب والهجين من قبل الام وتقول العرب فلان هجين القذال أى يتبين لؤم نسبه فى قذاله والقذال جماع مؤخر الرأس وخص القذال لان الذى يعرف لؤم نسبه اذا ولى طأطأ رأسه حياء وذلا فكان اللؤم يتبين من قذاله وقيل لكثرة انهزامه فى الحروب (والارعن) والراعن الاحمق مأخوذا مامن الرعن وهو الاسترخاء واما من الرعن بالتسكين وهو انف الجبل أى المائل فكان الاحمق مائل

طوت الزيارة اذرأت * عصر المشيب طوى الزياره
ثم انثنت لما انثنى * بعد الصلابة كالجاره
وبقيت أهرب وهى تسـ * ـأل جارة من بعد جاره
وتقول ياستى استرحمنا لاسراج ولامناره

ونقلت منه أيضا

تقول اذ أخرجته سعلتها * وهو ذليل القفا مطرود
ياعامل السعل اف من عمل * مخرج كله ومردود

ونقلت منه له أيضا

اذا يئس المرء من ايره * رأت عرسه اليأس من خيره
ومن كان فى سنه طاعنا * فقد عدم الطعن فى غيره

ونقلت منه له أيضا

ياقوم عالجت ايرى * بالحش ولما تكعنك
ولم يصح ودادى * من عادة مذ توعنك

ونقلت منه له أيضا

رب بكر أصبتها أول العمـ * ـر وقد حى من الشباب المعلى
طلبت ذلك النشاط فاجا * شت لها القول حين قصرت فعلا
كنت ترسا وكان رمحا فلما * صرت بترا ياستنا صار حبلا

ونقلت منه له أيضا

قالت وقد هاجرتها * فى الصوم أف عليك بعلا
كانت عليك وظيفة * صيرتها فى اليوم نفلا
فاجبتها ذاك المذا * كل صار منكوسا مدلى

ونقلت منه له أيضا

قام فلما دنوت منها * نام وما مثل تلك خجله
وكل كفى لفرط جذبى * له وما للجبان حمله
وأصبحى لاتزال جنبا * له ولا همة لسفله
فزرجنت وانثنت وقالت * قوموا انظروا عاشقا بوصله
فقلت هذا الفرط حبى * قالت دع الترهات بالله
قلت أقيم الدليل قالت * لو قام ما احتجت للادله

نقلت منه له أيضا

أصبحت أعجن اذ أقوم وشرما * وقعت عليه العين شيخ عاجن
واذا أردت أدق شيئا لم أجد * عندى يدا والبيت فيه الهاون

نقلت منه له أيضا

لابارك الله فى ايرى وبارك لى * فيه فدحى وذمى فيه سيان
له قيام معى فى واحد أبدا * وينثنى حين ما أدعوه للثانى

عن الصواب وذكر بعض المفسرين أن المراد بقوله تعالى ياأيها الذين آمنوا لاتقولوا راعنا هذا المعنى فانهم كانوا يقولونه للنبى صلى الله عليه وسلم على سبيل التهكم يقصدون به رميه بالرعونة ويوهمون انهم يقولون راعنا من المراعاة أى احفظنا (والسبال) جمع سبلة وهى شعر الشفة العليا شبهت بسبل المطر لما فيها من التحدر وخصت الرعونة بالسبال لانها علامة الرجل والمعنى ان هذه المرأة تسمعنا عنك الاوصاف الجميلة فاذا نظرت واختبرت فأنت على هذه الاوصاف الذميمة (والعلاوة) الرأس ما دام على العنق يقال ضربت علاوته ويقال فى الفراسة ان طول العنق والرأس من دلائل الحمق

(جافى الطبع سيئ الجابة والسمع بغيض الهيئة سخيف الذهاب والجيئة) (ظاهر الوسواس منتن الانفاس كثير المعايب مشهور المثالب)

(الجفا) النبو والتباعد والاصل من جفا السرج عن الفرس اذا نبا (والطبع السجية وهو نقش النفس بصورة ما وذلك اما من جهة الخلقة أو من حيث العادة مأخوذ من طبع الدرهم أى تصوره بصورة ما

يصير طاقين فى كفى وحسرته * وحسرتى فى السراويلات طاقان
والشئ فى نظرى شيئان أنظره * كذلك ايرى تثنى فهو ايران

وقال شهاب الدين أبو جلنك

وعلق من بنى الاترالى * له عينان وكلتاهما تبكى
ظفرت به على غير الليالى * فلم يدخل وأكثر فى التشكى
يقول عميرة ادفعنى عليه * ولا تجزع وهان عليه صكى
فلم أدفع عليه فظل لى ايرى * يقبل باب مفساه ويبكى

وقال آخر

ورب علق قال لى مرة * يريد توبيخى على ظلمه
ايرك هذا مات قلت انحنى * كرامة الميت فى دفنه

وعكس ذلك فى لغز فيه

وصاحب مازلت دهرى له * كل مليح أتمناه
يعجبنى الشئ فاختاره * له بجهدى علم الله
ان مات لا يمكننى دفنه * وان يعش يوما دفناه

وقال آخر

ولى ايرسوء كثير الخنا * يعامل باللؤم من يكرمه
اذا نمت قام وان قمت نام * فلا رحم الله من يرحمه

وقلت أنا مضمنا

لى ايرينام لؤما وشؤما * ان أنا نلت من حبيب وصالا
واذا ما غدوت فى البيت فردا * طلب الطعن وحده والنزالا

وقلت مضمنا أيضا

عهدى بايرى وهو فيه تيقظ * كم قام منتصبا وما حركته
والآن كالطفل الصغير بمهده * يزداد نوما كلما نبهته

وأنشدنى من لفظه المولى شمس الدين محمد بن على بن أيبك السروجى قال أنشدنى من لفظه لنفسه المولى القاضى زين الدين عمر بن الوردى

وكنت اذا رأيت ولو عجوزا * يبادر بالقيام على الحراره
فأصبح لا يقوم لبدرتم * كأن النحس قد ولى الوزاره

وقال أيضا

تعقف فوق الخصيتين كأنه * رشاء على رأس الركية ملتف
كفرخ ابن ذى يومين يرفع رأسه * الى أبويه ثم يسقطه الضعف

وقال ابن حجاج

أسفى عليه ممددا فوق الحصى * شبه العليل فديته من ناثم
طمع الغوانى فى انتظار قيامه * طمع الروافض فى انتظار القائم

وقوله فى المجون

(وسيئ الجابة) يعنى يسمع الشئ على غير حقيقته ويجيب كذلك امامن البله أو الطرش وهو مثل للعرب يقولون ساء سمعا أو أساء سمعا فاساء اجابة قاله سهيل بن عمرو وكان قد تزوج صفية بنت أبى جهل فولدت له أنس بن سهيل فخرج ذات يوم وهو معه فوجده الاخنس بن شريف فقال من هذا فقال ابنى فقال الاخنس حياك الله يافتى فقال لا والله ما أمى فى البيت فقال أبوه أساء سمعا فاساء اجابة ولسهيل هذا حكاية فى الكرم عجيبة وذلك انه كان أسلم بعد فتح مكة وسكن البادية الى ان حضر السير موك واستشهد فقيل انه لما صرع مر به رجل وهو بآخر رمق فقال اسقنى فاتاه بشربة من ماء فنظر الى الحرث بن هشام وهو صريع ينظر اليه فقال اذهب اليه بالشربة فلما تناولها رأى عكرمة فى حاله فقال اذهب اليه بالشربة فذهب بالشربة الى عكرمة فوجده قد مات فرجع بها الى الحرث فوجده ميتا فرجع بها الى سهيل فوجده ميتا ومات الثلاثة قبل أن يذوقوها (والهيئة) الحالة التى يكون عليها الشئ محسوسة كانت أو معقولة وهى فى المحسوسة أكثر (والسخف)

لما رأته قائما صفقت * كذلك الناس مع القائم

وهو فى غاية الحكمة

(وان علانى من دونى فلا عجب * لى اسوة بانحطاط الشمس عن زحل)

(الاسة) علا يعلو علوا فى المكان وهو المراد هنا وعلى فى الشرف بالكسر علاء ويقال أيضا على يعلى قال الشاعر * لما علا كعبك لى علیت * فجمع بين اللغتين وعلوت الرجل غلبته ودون نقيض فوق والدون الحقير الخسيس قال الشاعر

اذا ما علا المرء رام العلى * ويقنع بالدون من كان دونا

ولا يشتق منه فعل وبعضهم يقول منه دان يدون دونا والعجب ما يتعجب الانسان منه وهو استغراب النفس الشئ الذى لم تألف وقوعه ولا علمت سببه والعجيب والعجاب بالضم والتخفيف والعجاب بالتشديد أكثر منه وقولهم عجيب عاجب كقولهم ليل لائل توكيد اسوة بالضم واسوة بالكسر لغتان وهو ما يتأسى به المحزون ومنه قوله تعالى لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة انحطاط مصدر انحط السعر وغيره اذا نقص ونزل عن الغاية التى كان فيها أول وقوله تعالى وقولوا احطة معناه حط عنا أوزارنا الشمس هى الكوكب النهارى وقد نطقت لها العرب باسماء منها ذكاء غير منصرف ولا يدخله أداة التعريف والجارية والجونة والغزالة وما أحسن قول القائل

غدوت مفكرا فى سر أفق * أرانا العلم من بعد الجهالة

فما طويت له شبك الدراری * الى أن أطفرته بالغزالة

وأنشدنى لنفسه الشيخ الامام العلامة شهاب الدين أبو الثناء محمود قراءة منى عليه فى وصف العقاب حيث قال

ترى الوحش والطير فى كفها * ومنقارها ذا عظام مزالة

فلو أمكن الشمس من خوفها * اذا ما لمعت ما تسمت غزالة

وقد غلط الحريرى فى قوله فلماذا قرن الغزالة طمرطمورا الغزالة وقالوا لم تقل العرب الغزالة الا للشمس فاذا أرادوا تأنيث الغزال قالوا الظبية (رجع) والاهة وهى مثل ذكاء لا يدخلها الالف واللام فى فصيح الكلام وربما أدخلوها قال الشاعر

* وأعجلنا الالاهة ان تؤوبا * كأنهم لما عظموها وعبدت سموها الاهة والله أعلم

والضحى والضح ويوح بالياء آخر الحروف وبعضهم يقول بوح بالباء الموحدة وليس بشئ وانما البوح من أسماء الذكر وسماها الله تعالى فى القرآن سراجا وزحل نجم من النجوم الخنس فى السماء السابعة ونوره يثقب ما دونه من الافلاك ويظهر لنا فى السماء الدنيا وبه فسر قوله تعالى النجم الثاقب لانه فى السماء الدنيا وهو قول الفراء قلت لو قال قائل لاى شئ ذهب صاحب هذا الرأى الى انه زحل ولو قال بأنه الشعرى العبور أو الغميصاء أو احد النسرين أو أحد السماكين لما له شهرة وهو فى فلك البروج وهذا الفلك أعلى من الفلك السابع لكان أبلغ فى نفوذ الضوء الى سماء الدنيا فالجواب انه لما قال النجم الثاقب وأفرده وتلك شعرتان وسماكان ونسران فكونه مفردا حسن القول به وقد ذهب جماعة الى أنه الثريا وهو عندى أرجح من ذلك لان العرب اذا أطلقت النجم فانما يريدون به الثريا دون سائر

رقة العقل وقد تخفف سخافة فهو سخيف (والوسواس) الخطرات الرديئة من حديث النفس مأخوذ من وسواس الحلى وهو صوته الخفى ودخل الحسن بن سهل على المأمون وابراهيم ابن المهدى عنده فاقترح الحسن على ابراهيم أن يغنيه فغنى تسمع للحلى وسواسا اذا انصرفت يعرض بوسواس كان فى الحسن

(والمثالب) النقائص مأخوذ من ثلب الرمح اذا ثلم

(كلامك تمتمة وحديثك غمغمة وبيانك فهفهة وضحكك قهقهة)

(التمتمة والغمغمة) من معايب النطق المعدودة قال الجاحظ التمتمة التردد فى التاء والفأفأة التردد فى الفاء والعقلة التواء اللسان عند ادارة الكلام والحبسة تعذر الكلام عند ارادته واللفف ادخال حرف فى حرف والرتة تمنع الكلام فاذا جاء منه بشئ اتصل وقيل العجمة فيه واللثغة أن يعدل من حرف الى حرف والغنة أن يشرب الحرف صوت الخنشوم والخنة أشدمنها واللكنة أن يعترض الكلام حرف أعجمى والطمطمة أن يكون الكلام شبيها

الكواكب قال ابن دريد في وصف الفرس

كأنما الجوزاء في ارساغه * والنجم في غرته اذ ابدا

لان الثريا تشبه الغرة السائلة وقال بعض المفسرين انه أراد جماعة النجوم لانها كلها طارقة بالليل كما قال تعالى ان الانسان لفي خسر والمراد جميع الاناسي (رجيع) واشتقاق زحل من التزحل وهو التنحي والتباعد لما كان فوق الكواكب الستة المتحيرة وقيل من زحل فلان اذا أبطأ فكأنه لما كان فلكه بطيء السير على ما يظهر فيما بعد سمي زحل وقيل الزحل والزحيل الحقد وذلك في طبعه على ما يزعمه المنجمون من نسبته الى أنه نحس أكبر كما قالوا في تسمية المشتري انه سمي بذلك لحسنه كأنه اشترى الحسن لنفسه وقيل في المريخ لما كان في لونه حمرة اشتقوا له ذلك من المرخ وهو الشجر الذي تحك غصونه فتورى النار وقيل المريخ سهم لا ريش له اذا رمى به لا يستوي في ذهابه والمريخ فيه التواء في سيره لان له فلك تدوير وقيل في الشمس لما كانت واسطة الافلاك والواسطة في الخنقة تسمى شمسة وفي هذا نظر وقيل في الزهرة انها مشتقة من الزاهر وهو الابيض النير من كل شيء وقيل في عطارد انه النافذ في الامور وقيل انه لا يستمر على حال فكأنه أعطى ورد وقيل في القمر انه مأخوذ من القمرة وهي البياض ومن أسماء زحل كيون كما أن من أسماء المشتري اليرجيس وتير ومن أسماء المريخ بهرام وما أحسن قول ابن النبيه

بدر وكاس الراح شمس الضحى * يا قوم ما أسعد هذا القران

توقدت جمرة لألائها * كأنها بهرام أو بهرمان

ومن أسماء الشمس مهر ومن أسماء الزهرة أناهيد وبيداخت ومن أسماء عطارد هرمس ومن أسماء القمر الزبرقان والزمهرير وبه فسر قوله تعالى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا والفاسق والوباص والمتسق والباهر والسنمار والطوس والحكم وأهل المغرب يسمون زحل المقاتل والمريخ الاحمر وعطارد الكاتب وقد جمع بعض الشعراء أسماء الكواكب الاعجمية فقال

لا زلت ترقى وتبقى في العلى أبدا * ما دام للسبعة الافلاك أحكام

مهر وماه وكيوان وتير معا * وهرمس وأناهيد وبهرام

وسيأتي الكلام على منع زحل من الصرف في الاعراب (الاعراب وان) حرف شرط وتقدم الكلام عليه في قوله فان جئت اليه البيت (علاني) علا فعل ماض تقول علا يعلو علوا والنون نون الوقاية والياء ضمير المفعول وهذا الفعل هو الشرط (من) اسم ناقص بمعنى الذي وهو مبني لاحتياجه الى صلة وعائد فأشبه الحرف من حيث الاستعمال وهو ان يعقل تحقيقا أو تشبيها كقوله * لعلي الى من قد هويت أطير * أو تغليبا كقوله تعالى ومنهم من يمشي على بطنه ٣ و(دوني) اسم مرفوع على انه خبر مبتدا محذوف تقديره هو دوني وحذف صدر الصلة اذا لم تطل ضعيف ومنه قراءة بعضهم تماما على الذي أحسن برفع النون أي هو أحسن وقول الشاعر

من يعن بالحمد لم ينطق بما سفه * ولم يحل عن سبيل المجد والكرم

وانما جوزوا حذف صدر الصلة اذا طالت كقوله تعالى وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله وقولهم ما أنا بالذي قائل لك سوأ لان الصلة هنا طالت فجاز حذف صدرها وأما الصلة في

بالجمى (والغمغمة) أن يسمع الصوت ولا يبين تقطيع الحروف قال أبو عبيدة كان رجل من المشركين يجد حربته عند فتح مكة فقالت له امرأته ما تصنع قال أحد الحربة لقتل محمد وأصحابه فلما هزمت المشركون قال منشدا هذه الابيات

انك لو شهدت يوم الخندمه * اذ فر صفوان وفر عكرمه

واستقبلتنا بالسيوف المسلمه * يقطعن كل ساعد وجمجمه

ضربا فلا نسمع الا غمغمه

وقال معاوية يوما من أفصح الناس فقال رجل من السماط قوم تباعدوا عن كشكشة تميم وتنافروا عن كسكسة بكر ليس فيهم غمغمة قضاعة ولا طمطمة حمير فقال معاوية من أولئك قال قومي قال من أنت قال أنا رجل من جرم قوله كشكشة تميم فان بني عمرو بن تميم اذا ذكرت كاف المؤنث فوقفت عليها أبدلت منها شينا قال بعضهم هل لك أن تنفعيني وأ تفعمش وتدخلين اللذمعش يعني وأنفعك واللذمعك وكسكسة بكر انهم

قوله ودوني اسم مرفوع الخ الظاهر ان دوني ظرف متعلق بمحذوف هو صلة من اه

قوله من دوني فانها لم تطل والمبتدا المقدر حذفه والخبر هنا صلة من لانها ناقصة تحتاج الى صلة وعائد وقد تقدم الكلام على الموصول في قوله وضج من لغب نضوى البيت (فلا) الفاء جواب الشرط الذى تقدم ذكره ولا النافية للجنس تقدم الكلام عليها في قوله فلا صديق اليه البيت (عجب) اسم لا وقد تقدم الكلام على مثل هذا عند ذكر لا (لى) جار ومجرور وفى موضع رفع لانه خبر مقدم (اسوة) مبتدا مؤخر(٢) وانما تأخر لانه نكرة وقد تقدم الكلام على الاسباب الموجبة لتأخر المبتدا (بانحطاط) الباء للتعدية وانحطاط مجرور بالباء (الشمس) الالف واللام لتعريف الحقيقة وقد تقدم الكلام على ذلك فى قوله ويخبرون كرام الخيل والاضافة هنا معنوية بمعنى اللام فالشمس مجرورة بالاضافة (عن) تقدم الكلام عليها فى أول القصيدة وهى هنا للمجاوزة و (زحل) اسم ممنوع من الصرف لان فيه العلمية والعدل التقديرى أما العلمية فلانه علم على الكوكب السابع وأما العدل فلانه معدول عن زاحل مثل عمر معدول عن عامر وقثم معدول عن قاثم هذا ان قلنا انه عربى مشتق من التزحل وهو التنحى والبعد وان قلنا انه أعجمى فيكون فيه العلمية والعجمة فهو على كل حال ممنوع من الصرف وذكرت بالعدل والمعرفة هنا ما حكاه أبو الفتح بن جنى فى بعض مجاميعه ان الشريف الرضى أحضر الى السيرافى النحوى وهو طفل لم يبلغ عشر سنين فلقنه النحو وذا كره يوما فى الحلقة على عادة التعليم فقال له اذا قلت رأيت عمر فما علامة النصب فى عمر فقال الرضى بغض على فعجب الشيخ والحاضرون من حدة خاطره قلت ومن هنا أخذ الخطيرى الوارق قوله يهجو

يافتح يا أشهر كل الورى * باللؤم والخسة والكذب
كم تدعى شيعة آل الغنى * اسمك ينبيني عن النصب

وهذا فيه تسامح لكنه يغتفر لحلاوة النظم اذ التحقيق ان الفتح من ألقاب البناء والنصب من ألقاب الاعراب وحركة الاعراب غير حركة البناء لان حركة البناء لا تتغير ولا تتأثر بالعوامل وحركة الاعراب معرضة للتغيير والتأثر بالعوامل وقد مر مما يتعلق بباب ما لا ينصرف من الملح عند قوله وقد جماه رماة من بنى نعل سافيه مقنع فليؤخذ من هناك (المعنى) أخذ يسلى نفسه ويتأسى بما ضربه من المثل فى انحطاط الشمس عن زحل فقال وان علانى هؤلاء الذين ذمت دولتهم وأيامهم وهم دونى فى كل شئ فان لى اسوة بكون الشمس منحطة عن زحل وهو مثل حسن وفيه من البديع ارسال المثل والايضاح وقد تقدم الكلام على ذلك وهذا البيت قد أخذ بمجامع الحسن وفاق على المقاول اللسن لانه واسطة هذا العقد الفريد وليس بيتا كما يقال وانما هو قصر مشيد سكنه الحسن البديع وما ظعن عنه ولا ارتحل وفاق آفاق البلاغة لان تلك ان كان فيها نجوم فهذا مما فيه الشمس وزحل ودار به على قطب الفصاحة فلكه الدائر وسار فى الاقطار مثله السائر وأضاءت به الشموس فى أيام الطروس واسفرت به البدور فى ليالى السطور وسعى قائله فأدرك المجد المؤثل وتمثل به من ظلمه الدهر وما أكثر من يتمثل والقصيدة ذات بدائع لمن يعددها وفرائد لمن ينضدها ومحاسن تتبرج للتأمل خردها وزواهر يشرق فى سماء البلاغة توقدها وهذا البيت

شمس ضحاها هلال ليلتها * درتقاصيرها از بر جدها

ولما تمثله بالشمس وزحل فهو مثل مطابق لمن يكون بحالته التى ذكرها وشرحها من ارتفاع

(١) قوله الفاء جواب الشرط الصواب ان جواب الشرط هو ما بعد الفاء وقوله لا النفى الجنس الظاهر انها ملغاة أو عاملة عمل ليس ولم تتكرر للضرورة كقوله حياتك لا نفع وموتك فاجع اه

(٢) قوله وانما تأخر لانه نكرة الظاهر ان المسوغ هنا عمل اسوة فيما بعدها فهو كقوله ورغبة فى الخير خير اه

يثبتون حركة كاف المؤنث ويزيدون عليها سينا يقولون تنعكس واعطيتكس (والغمغمة) لقضاعة وقد ذكرت (والفهفهة) عى فى المنطق (والقهقهة) صفة الضحك الشديد كأن الضاحك يقول قه قه وهى خصلة مذمومة فى الانسان دالة على قلة العقل

(ومشيك هرولة وغناك مسئلة ودينك زندقة وعلمك مخرقة)

(الهرولة) ضرب من العدو وهو بين المشى والعدو وعدها هنا من المعايب لاقترانها بذكر المسئلة يعنى انه سائل نهم سريع المشى للطلب والكدية * والزندقة فى فى الاصل الثنوية وذلك أن زردشت المجوسى لما ظهر

السفل وانحطاط الكرام لان الشمس فى الفلك الرابع وزحل فى السابع وانما حكموا بأن زحل فى السابع والشمس فى الرابع لان ذلك أمر يشاهده الحس ويحكم به العقل وهو أنهم وجدوا زحل يدور فلكه فى كل ثلاثين سنة دورة كاملة بالتقريب والمشترى يدور فلكه فى كل اثنتى عشرة سنة بالتقريب دورة واحدة والمريخ يدور فلكه فى كل سنتين الا شهرا واحدا بالتقريب دورة واحدة والشمس يدور فلكها فى كل سنة واحدة مرة واحدة والزهرة مثل الشمس ولكن مرة تسرع السير فتكون أمامها ومرة ترجع فتكون وراءها وذكر بعضهم ان الناس كانوا فى شك من فلك الزهرة هل هو فوق فلك الشمس أو تحته حتى أتى الرئيس أبو على بن سينا ورصدها حتى كسفت الشمس وغدت كالخال على الوجنة فعلم ان الزهرة تحت الشمس وعطارد زعموا ان سيره ودوره انه مثل الزهرة وبعضهم يقول انه يقطع فلكه فى كل مائة وستة وعشرين يوما مرة واحدة فى فلك تدويره وعطارد والزهرة والشمس تتساوى مدد دورانها فى فلك البروج والقمر يقطع فلكه فى السنة اثنتى عشرة مرة فعلم ان الاقل حركة فلكه أوسع وهو هو ولما حركته أسرع وهذا رأى الطبيعيين الذين يعتمدون على برهان لم واما الرياضيون الذين يعتمدون على برهان ان وهو الاوفق والاليق بصناعتهم فبرهنوا على ذلك يكسوف الكواكب بعضها بعضا لان الادنى يكسف الاعلى ضرورة لانهم لما وجدوا القمر يكسف جميع الكواكب ولا يكسفه الا ظل الارض حكموا بان فلكه اقرب الافلاك الينا ولما وجدوا عطارد يكسف الزهرة حكموا بان فلكه دونها والزهرة تكسف المريخ ففلكها دونه وكذلك المريخ يكسف المشترى ففلكه دونه والمشترى يكسف زحل وزحل يكسف ما يسامته من الثوابت فحصل بهذا الاعتبار حكم جازم بهذا الترتيب وبقى الشك فى الشمس بالنسبة الى الكواكب الخمسة والثوابت دون القمر لانه تبين انه تحتها واما الخمسة الاخرفان ما قرب منها يختفى من نورها فلا يظهر بينهما كسوف ووضع بطلميوس فلكها رابعا تحت المريخ وفوق الزهرة تقليدا للقدماء ولما رأى من لوازم يشترك فيها زحل والمشترى والمريخ فقط جعلها فوق وسماها علوية ولوازم تشترك فيها الزهرة وعطارد جعلها تحتها وسماها سفلية واما المتأخرون فانهم لم يقفوا فى امر الشمس عند هذا الاقناع بل اعتبروا لوازم القرب والبعد من اختلاف المنظر فظهر لهم انها فوق القمر خاصة كما بينه جابر بن افلح فى كتابه فى الهيئة وغيره من المتأخرين ورام النصير الطوسى الانتصار لبطلميوس فذكر اشياء من جهة لوازم الاجرام والابعاد تعضد رأى بطلميوس لكنها عند التحقيق لا تثبت على محك النظر والله أعلم والرصد والتسيير يشهدان بهذا كله فهو أمر مبرهن يشهد به الحس ويحكم به العقل وهذه صورة الافلاك والعناصر

بلاد المشرق ودعا الى عبادة النيران لما رأى فى تلك الاماكن من البرد والثلج ورغبة أهلها فى النار اتبعوه وكان صاحب حيل وسحر ويقال انه كان صحب شعيبا عليه السلام وكان يخبره بوقائع تقع ثم كفر ووضع كتابا يزعم أنه أنزل عليه مكتوبا بماء الذهب فصعبت عليهم قراءته فوضع له شرحا سماه الزند ثم لما ظهر مزدك زاد فى شرحه فى اسم الكتاب فقال زندين فلما جاءت العرب قالت زنديق ويسمى من مال الى هذا المذهب أو ما قاربه من الخروج عن الشريعة زنديقا وأكثرهم فى الاسلام نوع من الجهمية أصل اعتقادهم انه ليس ينبغى لاحد أن يثبت لنفسه ربا لانه لا يمكنه الاثبات الا بالعين أو الادراك بالحواس وقالوا ما لا يدرك ليس بالله لانه مجهول وما لا يدرك فلا ينبغى أن يثبت وسلكوا على هذه الطرايقة واباحوا اتيان المحرمات وترك العبادات لانكارهم البعث وجحودهم الشريعة وسبيلهم مذهب مزدك فى اباحة النساء وان الناس كلهم سواء فيهن ولذلك قيل للنهمك فى لذاته واللعب والبطالة يا زنديق أو قيل له أظرف من زنديق

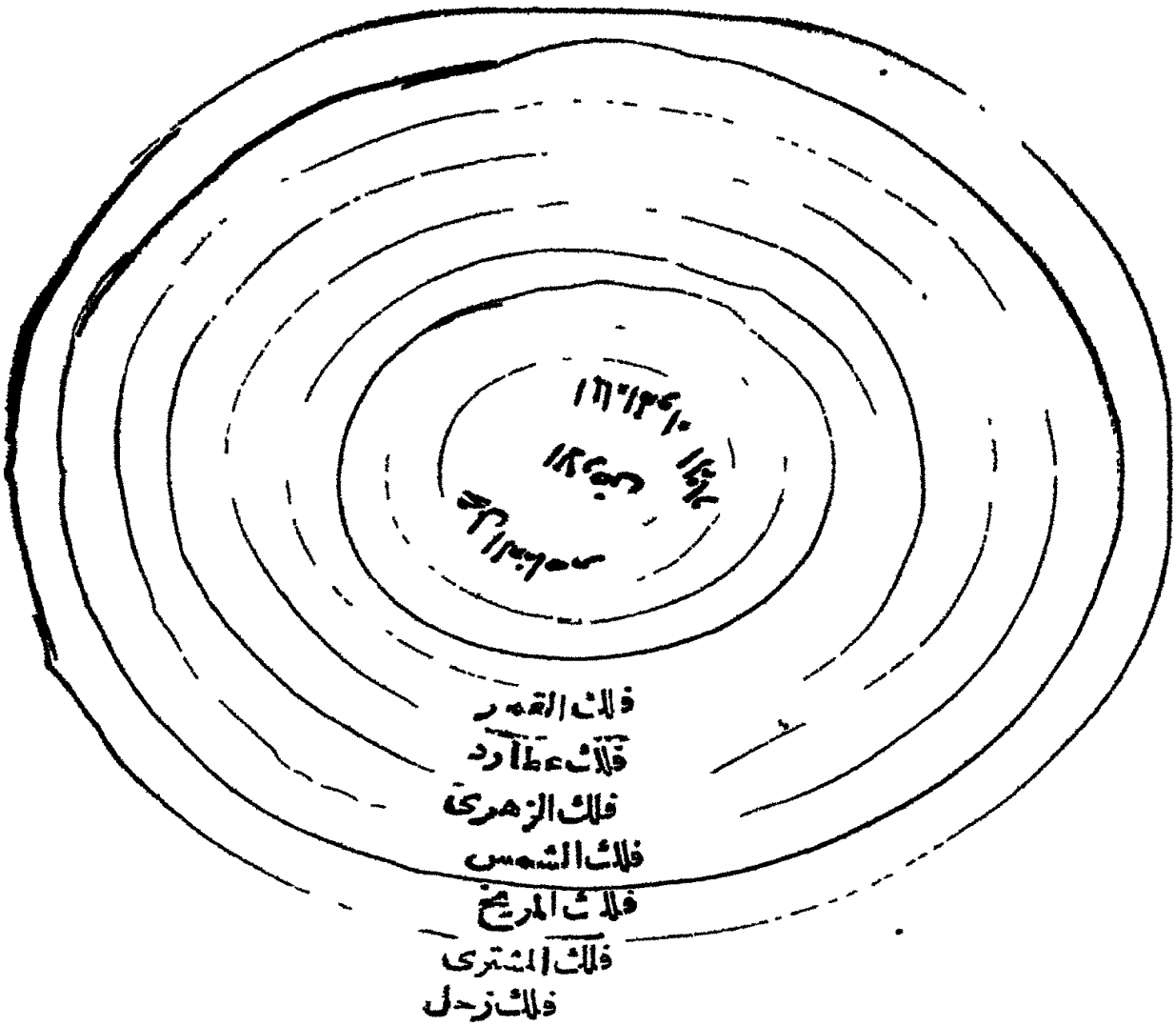

وفلك البروج محيط بفلك زحل والفلك الاطلس محيط بفلك البروج والاطلس يدور بمافيه فى اليوم والليلة من المشرق الى المغرب مرة واحدة دورة كاملة فتبارك الله أحسن الخالقين وقال الارجانى مشيرا الى علو زحل وانحطاط الشمس عنه

ودع التناهى فى طلابك للعلى * واقنع فلم ار مثل عز القانع
فبسابع الافلاك لم يحلل سوى * زحل ومجرى الشمس وسط الرابع

وهذا المعنى أخذه من الطغرائى لان الارجانى توفى سنة أربع واربعين وخمسمائة والطغرائى سنة خمس عشرة وخمسمائة ولكن بيت الطغرائى أبدع وأعذب وأطرب وأهز للاعطاف واخلب للقلوب وان كان بيت الارجانى فيه زيادة ان الشمس فى الرابع وزحل فى السابع ففيه زيادة بيان

وسئل بعضهم عن الاضحى فقال وباء يقع فى البقورة والاغنام وقتل منهم المهدى خلقا كثيرا وذلك أنه رأى فى المنام كأن الكعبة قد مالت فدعمها هو وشخص حتى قامت فلما انتبه سأل عن صفة ذلك الشخص الذى رآه فى المنام فأتى بزنديق يقال له حمدون على الصفة فاستتابه فتاب فأمره بتتبع الزنادقة فانه كان يعرف عامتهم فدله على خلق كثير فقتلهم وكان جيد الفراسة فيهم حتى أنه مر بمؤذن مظهر للصلاح فسمعه يقول فى أذانه أشهد أن محمدا رسول الله بفتح اللام فوقع فى ظنه أنه زنديق لانه لم يضم اللام فقبض عليه وقرره فوجده زنديقا وكان يمتحنهم بمسائل مختلفة ويبرز لاكثرهم خرقة مصورا فيها صورة مانى وهى صورة سمجة غليظة المشافر فيأمره أن يبصق عليها فيأبى ويختار القتل دون ذلك فيقتل وكان أكثرهم نفوية (والخرقة) نوع من التوصل الى حيل باظهار الخرق الذى هو ضد الرفق والتدبر ومنه يتأتى المخراق وهو شئ يلعب به كانه يخرج لاظهار الشئ بخلافه

فى الصورة الواقعة وبعد التفاوت بينهما فى المحل وبيت الطغرائى انما يفهم منه علو وحل لا غير فقد يظن أنه فى الخامس وقال بن الساعاتى يشير الى أن الشمس فى الرابع ويريد به الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه

أنظر ياخير الانام نقيصة * والنقص للاطراف لا الاشراف
أوما ترى ان الكواكب سبعة * والشمس رابعة بغير خلاف

والشمس هى الكوكب النير الذى يمد سائر الكواكب بالنور على بعض الآراء والى ذلك أشار التهامى فى قوله يمدح الشريف الزيدى الحابس بالقاهرة فى خزانة البنود

بث الفضائل خلفه وامامه * ففناء مهجته كمثل خلودها
كالشمس تودع فى الكواكب نورها * فتنوب للسارين عن مقصودها

وبالاجماع من أرباب الهيئة ان القمر يستمد النور من الشمس وزيادة النور فيه ونقصانه بحسب البعد والقرب منها لان جرم القمر كثيف حديدى مستخصف قابل لانطباع النور فيه كالمرآة ولهذا قال الخطيرى

أعطيتنى نصف الذى أملته * من كاغد ووعدتنى بسواه
ورجعت تأخذه اليك تقاضيا * منى وسالك لو عدلت أراه
كالشمس تعطى البدر نور تمامه * وتعود تأخذ منه ما يعطاه

وقال بن نباتة السعدى

ان جمعناهما اضرنا الجمع وضاعت فيه ضياع المحال
فهو كالشمس بعدها يملأ البد * ر وفى قربها محاق الهلال

قال بن الساعاتى

تعجبت من نحولى وهى واصلة * توهما أننى بالوصل انتفع
ومادرت ان خديها ومصطبرى * كجذوة النار منها قرب الشمع
والبدر يكمل حيث الشمس نائية * عنه ويمحق اذ بالشمس يجتمع

وقال بن قلاقس يشير الى أن نور البدر عرضى

ما أنت والقمر المنير وان غدا * ملء العيون وراقهن سواء
للبدر بالعرض الضياء وأنت قد * جمعت بجوهر ذاتك الاضواء

والشمس تمد القمر بالنور وهو يكسفها ولهذا قال الشعراء فى هذا المعنى فمنهم أبو الفتح البستى

لئن كسفونا بالعداة * وفازت قداحهم بالظفر
فقد يكسف المرء من دونه * كما يكسف الشمس ضوء القمر

وقال بن رشيق يعرض بكاتب رد أمر محمد بن هرون

أرى بعض من أنت حيرته * من الناس يعروك تعييره
تنافس أفعالك أفعاله * وينقص جاهك تأثيره
كما كسف الشمس بدر الدجى * وان كان من نورها نوره

وقال أبو اسحق الغزى

كفاك الله أصغر من تناوى * فان الشمس تكسف بالهلال

وقال

وقال أيضا

لست أنسى قول سلمى ذات يوم * مالهذا المنحنى الظهر ومالى
أنا شمس فى الضحى وهو هلال * وكسوف الشمس من قرن الهلال

وقال ابن التلميذ

أشكو الى الله صاحبا شكسا * تسعفه النفس وهو يعسقها
فنحن كالشمس والهلال معا * تكسبه النور وهو يكسفها

والسبب فى ذلك توسط القمر بينها وبين أبصارنا لان جرم القمر كما تقدم كدر مظلم فيحجب ما وراءه عن الابصار لان فلكه دون فلك الشمس فاذا اجتمع معها فى درجة واحدة وكان على مسامتة احدى نقطتى الرأس أو الذنب أو قريبا منهما فانه يجوز تحت الشمس فيحول بينها وبين أبصارنا ولا يتصور لكسوف الشمس مكث أكثر من ساعتين مستويتين لان حركة القمر متصلة سريعة تضيق فلكه فاذا كان الكاسف ليس عارضا فى نفس الشمس بل هو سبب التوسط بينها وبين الابصار فيجوز أن يختلف وضع المتوسط وهذا هو سبب اختلافه فى الزمان والقدر فى بعض البلاد وانجلائها من طرفها الغربى اذ القمر متصل بها من ناحية المغرب وهذا الشكل يوضح لك ما ذكرته فتأمله وتدبر وضعه يظهر لك صورة كسوف الشمس

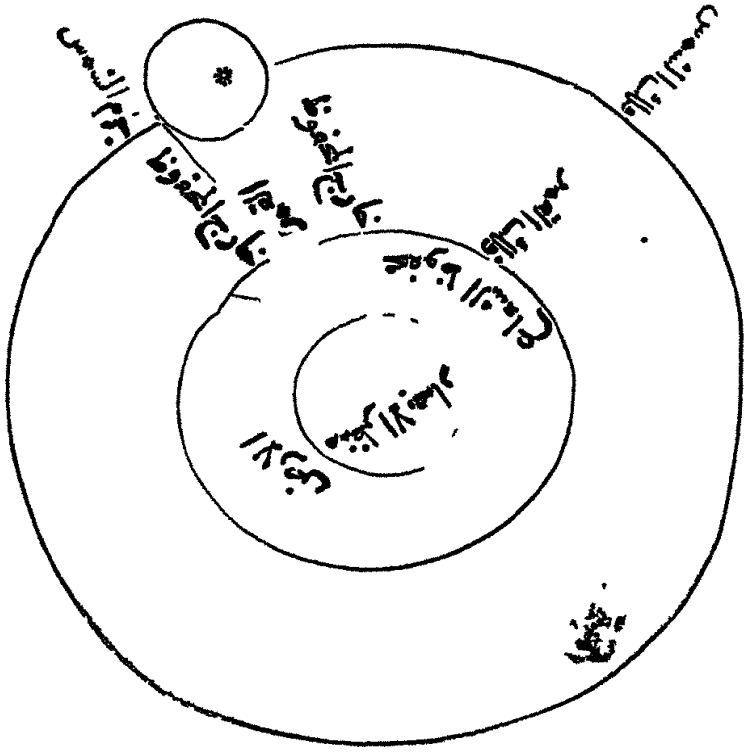

(مساولو قسمن على الغوانى لما أمهرن الا بالطلاق)

هذا البيت لابى تمام الطائى من أبيات يهجو بها الاعمش وهى هذه

دع ابن الاعمش المسكين يبكى لداء ظل منه فى وثاق
لبئس الداء والداء استكفا عليه من السماجة والحلاق
كحلت بقبح صورته فأضحى لها انسان عينى فى السياق
مساولو قسمن على الغوانى لما أمهرن الا بالطلاق

يعنى ان صفاته لو تقسمت على الغوانى وهن النساء اللواتى غنين بأزواجهن لم يعطهن الازواج مهرا غير الطلاق بغضا فيهن وراحة منهن لما اكتسبن من المساوى والقبائح

(حتى ان باقلا موصوف بالبلاغة اذا قرن بك)

يعنى باقل بن عمرو بن ثعلبة الايادى الذى يضرب به المثل فى العى فيقال ادعى من باقل قال أبو عبيدة بلغ من عيه انه اشترى ظبيا باحد عشر درهما فلقيه شخص وهو معه فقال بكم اشتريته ففتح كفه وفرق أصابعه وأخرج لسانه يشير بذلك الى أحد عشر فهرب الظبى من كفه وضربوا به المثل فى العى قال

جيد الارقط يهجو ضيفا له

أتانا وما داناه سحبان وائل

وسبب خسوف القمر توسط الارض بينه وبين نور الشمس فاذا كان القمر على مسامتة احد نقطتى الرأس والذنب أو قريبا منهما توسطت الارض بينه وبين ضياء الشمس فيقع فى ظل الارض ويبقى على ظلامه الاصلى فيرى منخسفا وظل الارض أبدا يكون فى الجهة التى تقابل جرم الشمس وخسوفه لايختلف باختلاف البلاد لان الكاسف عارض فى جرمه وهو وقوعه فى ظل الارض ولكن تختلف أوقات الخسوف باختلافها بان يكون فى بعض البلاد على مضى ساعة وفى بعضها على مضى نصف ساعة أو أقل أو أكثر وقد يطلع فى بعضها منخسفا ولا يرى فى بعضها لكونه تحت الارض اذ طلوعه فى البلاد الشرقية قبل طلوعه فى البلاد الغربية ويبدو خسوف القمر من طرفه الشرقى اذ هو الذاهب الى الاستقبال ثم ينحرف نحو الشمال والجنوب وانجلاؤه يكون أيضا من الطرف الشرقى وأطول ما يكون زمانه بالتقريب أربع ساعات ومن هذا الشكل يظهر لك ما ذكرته فتامله

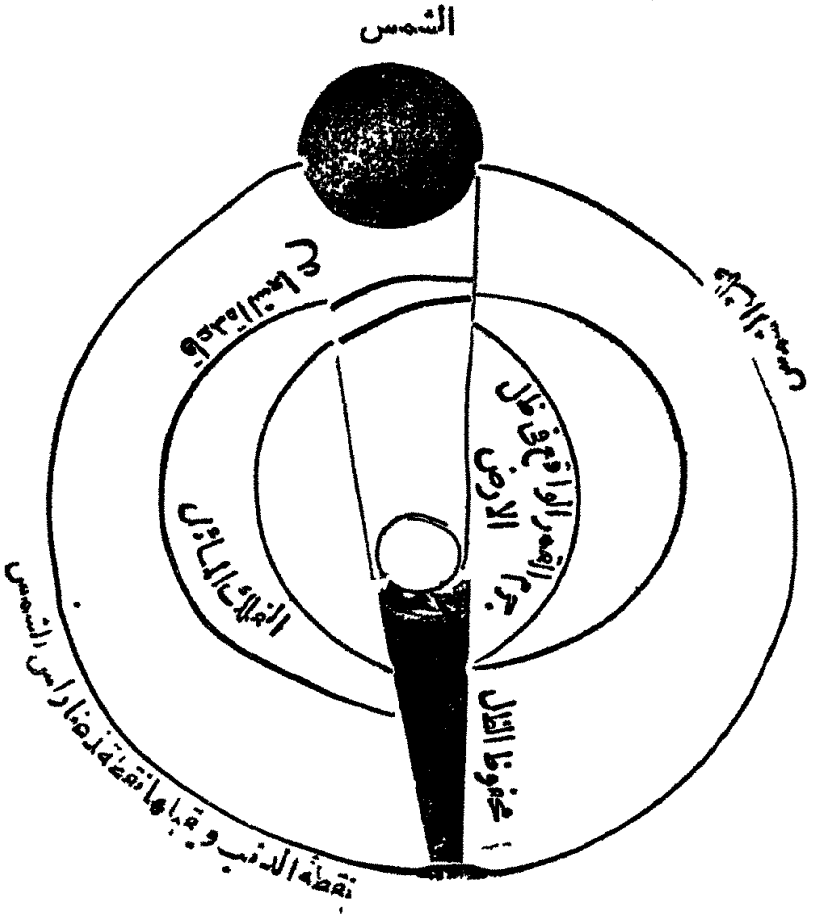

فقد ظهر لك بهذا الشكل خسوف القمر وبالذى قبله خسوف الشمس و بعضهم يخص لفظة الكسوف بالشمس والخسوف بالقمر وقال الامام فخر الدين طعنت الملاحدة فى قوله تعالى فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر قالوا خسوف القمر لايحصل حال اجتماع

بيانا وعلما بالذى هو قائل
فازال عنه اللقم حتى كأنه
من العى لما ان تكلم باقل

سحبان رجل من بنى وائل يضرب به المثل فى البلاغة واللقم بالفتح ثم السكون سد اللقم باللقم وقال أبو العلاء المعرى فى لاميته

اذا وصف الطائى بالبخل مادر
وعير قسا بالفهاهة باقل

وقال السها للشمس أنت خفية
وقال الدجى للصبح لونك حائل

وحاولت الارض السماء سفاهة
وفاخرت الشهب الحصا والجنادل

فيا موت زر ان الحياة ذميمة
ويا نفس جدى ان دهرك هازل

الطائى هو حاتم المشهور بالكرم ومادر اسم رجل من بنى هلال بن عامر بن صعصعة يضرب به المثل فى البخل لانه سقى ابله من حوض فبقى فى أسفله قليل ماء فسلح فيه ومدره أى لطخه فى جوانب الحوض بخلا أن يسقى غيره فصار مثلا يضرب قال الشاعر

لقد جللت خزيا هلال بن عامر
بنى عامر طرا بسلحة مادر

وقس بن ساعدة الايادى أسقف نجران وكان أحد حكماء العرب وخطبائهم يضرب به المثل فى الفصاحة والفهاهة الى يقال رجل فه

الشمس والقمر والجواب ان الله تعالى قادر على ان يجعل القمر منخسفا سواء كانت الارض متوسطة بينه وبين الشمس أولم تكن والدليل عليه ان الاجسام متماثلة فيصح على كل واحد منها ما يصح على الآخر والله تعالى قادر على الممكنات فوجب ان يقدر على ازالة الضوء عن القمر في جميع الاحوال اه قلت وقال بعضهم هو كناية عن ذهاب الروح الى عالم الآخرة كأن الآخرة كالشمس فانها تظهر فيها المغيبات وتبدو المبهمات وتتضح والروح كالقمر فكما ان القمر يقبل النور من الشمس كذلك الروح تقبل نور المعارف من عالم الآخرة وبهذا التأويل يسقط طعن من ألحد في هذه الآية الكريمة والله أعلم وقال الفراء وانما قال وجمع الشمس ولم يقل وجمعت لان المراد انه جمع بينهما في زوال النور وذهاب الضوء وقال الكسائي المعنى جمع النوران وقال القمر شارك الشمس في الجمع وهو مذكر فلاجرم غلب جانب التذكير في اللفظ (رجع القول الى فضيلة الشمس) والشمس هي التي يكون بواسطتها تكون المعادن ونمو الحيوان والنبات باذن الله تعالى الذي خلق كل شئ ويسره فقد جعلها الله علة التركيبات الطبيعية واعتد الها سبب النشئ الحيواني والنباتي اذ لا بقاء لهذا النشئ الا في هذه المواضع التي لا تبعد عن مدار الشمس ولا تقرب منه جدا لانها ان بعدت عن ناحية الشمال اشتد البرد وعصفت الرياح وتكاثفت الظلم فلا يمكن ان ينشأ حيوان ولا نبات وان قربت الى ناحية الجنوب اشتد الحر وسخن الهواء وجفت الرطوبات فلا يمكن أن ينشأ حيوان ولا نبات فهي اذا اعتدلت في البعد والقرب أو قاربت أمكن نشئ النبات والحيوان واعتدلت الامزجة والطبائع والاخلاق وقال ارسطو لو توارت الشمس عن الارض لمات حيها وأنتن طينها وجمد ماؤها لانها في الارض كالدم في الجسد واعلم ان الشمس وسائر الافلاك والكواكب لا يقال في شئ منها انه حار ولا بارد ولا رطب ولا يابس لانتفاء لوازم هذه الكيفيات بل هي طبائع خارجة عن هذه الطبائع الاربع وكل واحد منها نوع منحصر في شخصه وربما قيل فيها طبيعة خامسة تجوزا والا فهي متغايرة الطبائع في جواهرها وانما تأثير الشمس في عالم الكون والفساد التسخين العام بالاضاءة والاشراق واشتداده انما هو بانعكاس الشعاع على زوايا حادة جدا ونا كصة على أعقابها فتتراكم الاشعة فيحصل منها افراط التسخين كما يحصل الاحراق عن المرآة المحرقة بواسطة انعكاس الشعاع والله أعلم بالصواب وذكر أرباب الهيئة ان مساحة جرمها على ما تبرهن في المجسطي كما ذهب اليه أبو الريحان قدر الارض مائة وسبعة وستين مرة وثلث مرة وعلى ما صححه كوشيار مائة وستة وستين مرة وربع مرة وثمن مرة وزعموا أن مساحة كرة الشمس مما يلي كرة الزهرة اثنان وعشرون ألف ألف وخمسمائة ألف وتسعة وستون ألفا ومائة وأربعة وثمانون ميلا ومساحة كرة الشمس مما يلي كرة المريخ أربعة وعشرون ألف ألف وخمسمائة ألف وخمسة وتسعون ألفا ومائتان وتسعة عشر ميلا وأما دور قرص الشمس فزعموا انه مائة ألف وثمانمائة وثمانون ميلا وقول كوشيار هو الصحيح وعليه العمل لان بطليموس بين اولا ان جرم الشمس أعظم من كرة الارض ثم حرر هذه النسبة وبين ان قطر الارض كجزءين من أحد عشر جزأ من قطر الشمس وبين اقليدس ان نسبة الكرة الى الكرة كنسبة القطر الى القطر مثلثة بالتكرير فاذا جعلنا قطر الارض الذي هو أصغر المقدارين واحدا وضربناه في نفسه كان الحاصل عنه واحدا ثم ضربناه مرة أخرى في نفسه لم يحصل غير

وامرأة فهة قال بعضهم
ولم تلفني فهاولم تلف حجتي

ملجاجة أبني لها من يقيمها
والسها كوكب خفي في بنات نعش الكبرى والناس يمتحنون به أبصارهم وفي المثل أريها السها وتريني القمر وقد ضمن هذا المثل الشيخ شمس الدين النواجي صاحب حلبة الكميت حيث قال

مرضت فعادت وأبدت سنى
محيا يروق لعيني النظر
وبت ولي جسد ناحل
أريها السها وتريني القمر

وضمنت أنا عجز بيت المعرى فقلت

وأعيا فصيح الوقت نبت عذاره
وعير قسا بالفهاهة باقل

(والبلاغة) بلوغ الدرجة العالية في النطق والمعنى في قوله أن باقلا بالنسبة اليك يكون بليغا

(وهبنقة مستوجب لاسم العقل اذا أضيف اليك)

يعني يزيد بن ثروان أحد بني قيس بن ثعلبة الملقب هبنقة والمكنى بابي الودعات لانه نظم ودعا لنفسه في سلك وجعله في عنقه علامة لنفسه لئلا يضيع قيل ان أخاه راقبه الى أن نام فاخذ العقد من عنقه وجعله في عنق نفسه فلما انتبه هبنقة ورأى أخاه

واحد وهذا هو الحاصل من تكعيب قطر الارض وهو جرمها ثم نضرب قطر الشمس الذى هو خمسة أمثال هذا ونصف مثل فى نفسه فيبلغ ذلك ثلاثين جزأ وربع جزء فاذا ضربناه فى الاصل وهو خمسة ونصف بلغ مائة وستة وستين جزأ وربعا وثمنا وهو تكعيب قطر الشمس أعنى جرمها وقد بين الخواجة نصير الدين الطوسى فى كتابه التذكرة فى الهيئة فى الباب الرابع منه معرفة الاجرام والابعاد أن بعد الشمس عن مركز الارض فى بعدها الاوسط الف ومائتان وعشرة أمثال نصف قطر الارض ونصف قطر الارض ثلاثة آلاف وستمائة وتسعة عشر ميلا فيكون البعد عن الشمس الى الارض بالاميال اربعة آلاف مرة واحدة ومائتين وثلاثة وعشرين ألف ميل او تسعمائة وتسعين ميلا ويكون بعد زحل الاوسط عن مركز الارض سبعة وسبعين ألف ألف مرتين ومائة ألف وستة واربعين ألفا وستمائة وسبعة وتسعين ميلا والبعد الابعد لزحل عن مركز الارض تسعة عشر الفا وتسعمائة وثلاثة وستين مثلا بالثاء المثلثة لنصف قطر الارض وجرم زحل مثل جرم الارض سبعة وسبعين مرة وزعم المنجمون ان الذهب معدن الشمس وان الاصفر من الالوان يخص الشمس وانها فى الفلك بمنزلة السلطان وقال بعضهم الحكمة فى كون الشمس فى الرابع لانها اذا كانت فيه كانت فى اوسط الافلاك فاضاءتها ما فوقها وما تحتها وبعثت النور فى مجموع العالم وتكون بمنزلة الواسطة فى العقد وقال صاحب رسائل اخوان الصفا الشمس بين الكواكب كالملك وسائرها كالاعوان والجنود والقمر كالوزير وولى العهد وعطارد كالكاتب والمريخ كصاحب الجيش والمشترى كالقاضى وزحل صاحب الخزائن والزهرة كالخدم والجوارى اه وعلى الجملة فمحاسن الشمس كثيرة وفضائلها عديدة وقد اقتضى الوضع الالهى ان تكون رابعة لما تقدم من انها كالواسطة بخلاف ما اذا كانت فى الاعلى او فى الاسفل وهذا دليل على الحكمة الربانية وما احسن قول التهامى

محاسن الاشياء فى تركيبها * طوق الحمامة حلية فى جيدها

وقد وصف الشعراء الشمس واطنبوا فيها فمن ذلك قول الوزير ابى محمد المهلبى

الشمس من مشرقها قد بدت * منيرة ليس لها حاجب
كأنها بوتقة أحميت * يجول فيها ذهب ذائب

وظرف ظافر الحداد الاسكندرى فى قوله

انظر لقرن الشمس بازغة * فى الشرق تبدو ثم ترتفع
كسبكة الزجاج ذائبة * حمراء تنفخها فتتسع

وأخذه الآخر فقال وأحسن

ياحسنها وقد دنا طلوعها * فاضحكت بشرا بها سماءها
كأنها عين بها جاريه * وقد أفاضت فى السما ماءها

وقال ابن المعتز فى الشمس والغيم وهو بديع

تظل الشمس ترمقنا بلحظ * مريض مدنف من خلف ستر
تحاول فتق غيم وهو يأبى * كمعنى يريد نكاح بكر

وقال المهلبى

قال له أنت أنا فأنا ترى من هو أنا ولهذا يضرب به المثل فى الحمق وهو جاهلى ومن اخباره انه كان اذا رعى غنما أو ابلا جعل مختار المراعى للسمان ونحى المهازيل وقال لا أصلح ما أفسد الله * ومنها انه اختصم اليه بنو راسب وبنو طفاوة فى شخص يدعونه فقال هو بنو قة أرموه فى البحر فان رسب فهو من بنى راسب وان طفا فهو من بنى طفاوة * ومنها انه رأى مع الناس جرادا قد أقبل فقال لا يهولنكم ماترون فان أكثرها موتى * واشترى أخوه بقرة باربعة أعنز فركبها فأعجبه عدوها فالتفت الى أخيه وقال زدهم عنزا أخوى فضرب به المثل للعطى بعض امضاء البيع ثم ساربها فرأى أرنبا تحت شجرة فخرج منها وركض البقرة وقال

الله نجانى ونجى البقرة
من جاحظ العينين تحت الشجرة

وروى أن مالك بن مسمع قال للاحنف بن قيس مازحا وهو يفتخر بالربيعة على المضرية لاحق بكر بن وائل أشهر من سيد بنى تميم يعنى بالاحق هبنقة القيسى فقال الاحنف لتيس بنى تميم أشهر من سيد بكر بن وائل يعنى تيس بنى حمان الذى يقال

والشمس حيرى خلف غيم عارض * فكأننا فى ضوء ليل مقمر

وقال فى طلوعها مبادرة القمر

أما ترى الشمس وهى طالعة * تمنع منا ادامة النظر
حمراء صفراء فى تلونها * كأنها تشتكى من السهر
مثل عروس غداة ليلتها * تمسك مرآتها من القمر

وما أحسن قول ابن طباطبا

متى أبصرت شمسا تحت غيم * ترى المرآة فى كف الحسود
يقابلها فيلبسها غشاء * بانفاس تزايد فى الصعود

وهذا يشبه قول أبى بكر محمد بن هاشم فى السماء

وتنقبت بخفيف غيم أبيض * هى فيه بين تخفر وتبرج
كتنفس الحسناء فى المرآة اذ * كملت محاسنها ولم تتزوج

وقال أبو حفص بن برد

والبدر كالمرآة غير صقالها * عبث الغوانى فيه بالانفاس

وما أعدل قول المعوج

كأن شعاع الشمس فى كل غدوة * على ورق الاشجار أول طالع
دنانير فى كف الاشل يضمها * لقبض فتهوى من فروج الاصابع

وهو مأخوذ من قول أبى الطيب المتنبى

وألقى الشرق منها فى ثيابى * دنانيرا تفر من البنان

ولكن زاده فى المعنى كف الاشل لكثرة اضطرابها فى حركتها وهو حسن ولكن هذه الزيادة أخذها أيضا من قول ابن المعتز * والشمس كالمرآة فى كف الاشل *

ومن هنا أخذ ابن قلاقس رحمه الله قوله

والرمل فى حبك النسيم كأنما * أبدى غضون سوالف المذعور
والبحر يرعد متنه فكأنه * درع يشن بمعطنى مقرور

بل أخذه من قول الآخر فى الخمر

كانت سراج أناس يهتدون بها * فى سالف الدهر قبل النار والنور
تهتز فى الكاس من ضعف ومن كبر * كأنها قبس فى كف مقرور

وأخذه القاضى الفاضل أيضا فقال

والشمس من بين الارائك قد حكت * سيفا صقيلا فى يد رعشاء

وقال ابن الرومى

كأن جنوح الشمس عند غروبها * وقد جعلت فى مجنح الليل تمرض
تخاوص عين مس اجفانها الكرى * ترنق فيها النوم وهى تغمض

وقال ابن قلاقس

والشمس فى وقت الاصيل بهارة لفت بورد

وقال ابن خفاجة

فيه أعلم من تيس بنى حسان يزعمون انه نزا على عنز بعد أن قربت أوداجه

(وطويس ما أثر عنه يمن الطائر اذا قيس عليك)

هو عيسى بن عبد الله مولى بنى مخزوم وكنيته أبو عبد النعيم كان مخنثا ماجنا ظريفا يسكن المدينة وهو أول من غنى بها على الدف بالعربية ويضرب به المثل فى الشؤم وذلك انه ولد يوم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وفطم يوم مات أبو بكر وختن يوم قتل عمر وتزوج يوم قتل عثمان وكانت أمه تمشى بالنميمة بين نساء الانصار * وله أخبار تدل على مكره وفطنته قال كان عبد الله بن جعفر ومعه أخدان له فى عشية من عشايا الربيع فراحت عليهم السماء بمطر جود أسال كل شئ فقال عبد الله هل لكم فى العقيق وهو منتزه أهل المدينة فى الربيع والمطر فركبوا ثم أتوا العقيق فوقفوا على شاطئه وهو يرمى بالزبد فانهم لينظرون اذ جادت السماء فقال عبد الله لاصحابه ليس معنا جنة نستجن بها وهذه سماء خليقة أن تبل ثيابنا فهل لكم فى منزل طويس فانه قريب منا فنسكن فيه

ونحدثنا ويضحكنا قال
وطويس في النظارة يسمع
كلام عبدالله بن جعفر مع
أصحابه ولم يروه فقال عبدالرحمن
ابن حسان جعلت فداك وما
تريد من منزل طويس عليه
غضب الله مخنث شائن لمن
عرفه فقال عبدالله لا تقل
ذاك فانه خفيف لنا فيه
انس فلما استوفى طويس
الكلام تحول الى منزله
فقال لامرأته ويحك قد
جاءك سيد الناس عبدالله
ابن جعفر فما عندك قالت
نذبح هذه العناق وكانت
قد ربتها للبن واختبزت رقاقا
فبادرت بذبحها وسخنت هي
وخرج وتلقاه مقبلا اليه فقال
له طويس بأبي أنت وأمي
هذا المطر هنيئا لك في المنزل
فتسكن به الى أن تكف
السماء قال اياك أريد قال
فامض ياسيدي على بركة الله
وجاء مشى بين يديه حتى نزلوا
فتحدثوا الى أن أدرك الطعام
فاستأذنه عليه وأتى بعناق
سمينة ورقاق فأكل وأكل
القوم وأعجبه طعامه ثم قال
بأبي أنت وأمي أما أغنيك
قال بلى فاخذ الدف وغنى
يا خليلي نابني سهدي
لم تنم عيني ولم تكد
كيف تلهوني على رجل
أنس تلتذه كبدي
فطرب القوم وقالوا والله

والنقع يكسر من سنا شمس الضحى * فكأنه صد أعلى دينار

قلت قوله صد أعلى دينار فيه نظر لان الذهب من جملة خواصه أنه لا يعلوه صد أو لا يركبه ولا يبليه التراب نعم قالوا اذا علق في مكان تتصاعد اليه الرطوبات كما اذا علق في فضاء بئر أو ما أشبهه ربما تأكل وبلى وابن النبيه استعمل الصد أفاحسن في قوله

والظل يسبح في الغدير كأنه * صد أيلوح على حسام مرهف

وهو تشبيه وقع موقعه بخلاف قول ابن خفاجة وقد احسن ابن سناء الملك أيضا في قوله

كأن أصل الجو في نهرها * سحالة العسجد في المبرد

وانشدني من لفظه لنفسه الشيخ الامام العلامة شهاب الدين أبو الثناء محمود رحمه الله تعالى فقال والشمس في طفل الاصيل تنظر من * طرف غداوهو من خوف الفراق خفي

كعاشق سار عن أحبابه وهفا * به النوى فترآهم على شرف

ولابن الرومي من قصيدة في غروب الشمس

ولاحظت النوار وهي مريضة * وقد وضعت خدا على الارض أذرعا
وودعت الدنيا لتقضي نحبها * وشول باقي عمرها فتضعضعا
كما لاحظت عوادها عين مدنف * توجع من أوصابه ما توجعا

وما أحسن قول بعض الاعراب يصف أحوالها

مخبأة أما اذا الليل جنها * فتخفى وأما بالنهار فتظهر
اذا انشق عنها ساطع الفجر واتجلى * دجى الليل وانجاب الحجاب المستر
والبس عرض الارض لونا كأنه * على الافق الغربي ثوب معصفر
تحلب سريعا حين يبدو شعاعها * ولم يبد للعين البصيرة منظر
عليها كدرع الزعفران يشوبه * شعاع تلالا فهو أبيض أصفر
فلما انجلت وابيض منها اصفرارها * وجالت كما جال الوشاح المشهر
وجللت الآفاق نورا فأصعدت * بحمرته صدر الثنجي يتسعر
ترى الظل يطوى حين تبدو وتارة * تراه اذا زالت على الارض ينشر
كما بدأت اذ أشرقت بطلوعها * تعود كما عاد الكبير المعمر
وتدنف حتى ما يكاد شعاعها * يبين اذا ولت لمن يتبصر
فافنت قرونا وهي اذ ذاك لم تزل * تموت وتحيا كل يوم وتنشر

وقال محمد بن شرف القيرواني ملغزا فيها

وبلقيسية في الملك ليست * كمن أوهى سليمان قواها
يراها كل ذي بصر فيعشو * لبهجتها الى أن لا يراها
اذا العليا يبالغ ناسبوها * عزوها في السموالى علاها
وملك الارض من بر وبحر * فليس يرومه ملك سواها
تموت كلهن غدت تموتا * لعباد سوى نعت عداها
وذلك انها مهما أقامت * بارض أيبست منها ثراها
وعباد اذا ما حل أرضا * تفجر يبس تربتها مياها

وقال

وقال الشرف التيفاشي في ذمها

في خلقة الشمس وأخلاقها * شتى عيوب ستة تذكر
من صبحها النور لامسائها * مغاير الأشكال لايفتر
رمداء عمشاء اذا أصبحت * عمياء عند الليل لاتبصر
و يغتدي البدر لها كاسفا * وجرمه من جرمها أصغر
حرورها في القيظ لاتتقى * ونورها في القر متحقر
وخلقها خلق الملوك التي * تنكث في العهد ولاتصبر
ليست بحسناء وماحسن من * يقصر عنه اللفظ اذ يخبر

وأحسن من هذا قول ابن سناء الملك

لاكانت الشمس فكم أصدأت * صفحة خد كالحسام الصقيل
وكم وكم صدت بوادي الكرى * طيف خيال جاءني من خليل
وأعدمتني من نجوم الدجى * ومنه روضا بين ظل ظليل
تكذب في الوعد وبرهانه * ان سراب القفر منها سليل
وتحسب النهر حساما فتر * تاع وتحكي فيه قلب الذليل
ان صد أطرف فاصقله * الا التحلي بجميا جميل
وهي اذا أبصرها مبصر * حديد طرف عاد عنها كليل
ياغلة المهموم ياجلدة المحموم يازفرة الصب النحيل
يافرحة المشرق وقت الضحى * وسلحة المغرب عند الاصيل
أنت عجوز لم تبرجت لي * وقد بدا منك لعاب يسيل
وأنت بالشيطان قرنانة * فكيف تهدينا سواء السبيل

انظر الى هذا المعنى الذي تكلفه لاظهار معايب الشمس ليعلم تفاوت الناس في البلاغة وأحسن ما في هذه القطعة قوله ياغلة المهموم البيت والذي بعده أحسن وكذلك الثالث أيضا وهو مأخوذ من قول أبي العلاء المعري

وفضل الشمس في الايام باق * وان مدت من الكبر اللعابا

وعلى قوله سلحة المغرب ذكرت ما أنشدني من لفظه الشيخ الامام الحافظ فتح الدين محمد بن محمد ابن سيد الناس اليعمري قال أنشدني شهاب الدين أحمد بن زكريا بن أبي العشائر الماردني قال أنشدني الزين الجوباني لنفسه

انظر الى الشمس وقد عممت * رؤس الهضاب الصلع بالاصفر
كأنها في الجو قلاعة * وجاء فلاح عليها بجرى

وقال عبد الملك بن عمر في الشمس لما سئل عنها مظهرة للداء مثقلة للريح مبلاة للثوب وقال فيها آخر تشحب اللون وتغير العرق وترخي البدن وتثير المرة ان احتجمت فيها أمرضتك وان أطلت النوم فيها أفلجتك وان قربت منها صرت زنجيا وان بعدت عنها صرت صقليا وقد تكلف ابن الرومي وعدد للقمر معايب وأبياته في ذلك مشهورة وهي

لو أراد الاديب أن يهجو البد * ر رماه بالخطة الشنعاء

أحسنت فقال ياسيدي أتدري لمن هذا الشعر قال لا قال هذا الفارعة بنت حسان وهي تعشق عبد الرحمن بن الحرث المخزومي وتقول فيه فسكت القوم وضرب عبد الرحمن برأسه فلو ثقبت له الارض لذهب فيها وعلم عبد الله انه اقتص من عبد الرحمن

*ولطويس شعر ركيك لافائدة في ذكره (واليمن) البركة وأيامن الطير ما كانت العرب تتفاءل به للمسافر اذا أولاه الطير يمينه وهو خلاف الاشائم وفي الحديث اللهم لاطير الا طيرك

(فوجودك عدم
والاغتباط بك ندم)
(والخيبة منك ظفر
والجنة معك سقر)

قوله (وجودك عدم) هو مأخوذ من قول المتنبي

يامن يعز علينا أن نفارقهم * وجداننا كل شئ بعدكم عدم

والغبطة) حسن الحال وفي الحديث اللهم غبطا لاهبطا أي نسألك الغبطة ونعوذ بك أن نهبط عن حالتنا (والاغتباط) تمني حال المغبوط من غير أن يريد زوالها (والخيبة) فوت المطلوب (والظفر) الفوز به مأخوذ من ظفر أي نشب ظفره فيه (والجنة) كل بستان ستر الارض بشجره مأخوذ من

جن الشئ اذا ستره قال الراغب وسميت الجنة جنة اما تشبيها بما يرى في الارض وان كان بينهما بون واما لستر النعم المشاهد اليها بقوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين (وسقر) اسم علم للجحيم وهو من سقرته الشمس وصقرته اذا لوحته ولما كان السقر يقتضي التلويح قال الله تعالى وما أدراك ما سقر أي ان ذلك السقر مخالف لما تعرفونه من سقر الشمس المعلوم بينكم

(كيف رأيت ألومك للكرمي كفاء
وضعتك للشر في وفاء)

(اللوم) الدناءة في الاصل والاخلاق (والكرم) ضده (والاكفاء) الانظار ويستعمل في المناكحة والمحاربة (والضعة) مقابلة الرفعة مأخوذ من وضعت الشئ اذا حططته (والشرف) علو المقدار وهو مأخوذ من شرف المكان وهو أعلاه والمعنى كيف تكون كفؤا لي على شر في وضعتك

(وانى جهلت ان الاشياء انما
تجذب الى أشكالها)
(والطير انما تقع على آلافها)

يعني كيف جهلت أني انما أميل الى شكلي والفي ولست من أشكالي وآلافي والكلمة الاولى منظومة

قال يابدر أنت تغدر بالسا * ري وتغري بزورة الحسناء
كلف في بياض وجهك يحكي * غمشا فوق وجنة برصاء
يعتريك المحاق في كل شهر * فترى كالقلامة الجحناء

وقد عدوا في القمر معايب كما عدوا في الشمس قالوا انه يهدم العمر ويحل الدين ويوجب أجرة المنزل ويسخن الماء ويفسد اللحم ويشحب الالوان ويبلي الكتان وقال الشاعر في ذلك وهو أبو المطاع في مليح عليه أخلاق

ترى الثياب من الكتان يلمسها * نور من البدر أحيانا فيبليها
فكيف تنكر أن تبلى غلائله * والبدر في كل وقت طالع فيها

وهو مأخوذ من قول ابن طباطبا العلوي

لا تعجبوا من بلى غلالته * قد زر أزراره على القمر

والقمر يغرا السارى لانه يخفي الكواكب فيضله ويفضح العاشق وقال فيه الشاعر

يا سارق الانوار من شمس الضحى * يا مشكلي ثوب الكرى ومنغصي
لم يظفر التشبيه منك بطائل * مستلحفا بهقا كجلد الابرص

ويعجبني قول ابن سناء الملك

ليل الحمى بات بدري فيك معتنقي * وبات بدرك رميا على الطرق
شتان ما بين بدر صيغ من ذهب * وذاك بدري وبدر صيغ من بهق

وقد حكي ان بعض العرب شردت راحلته في الليل فاتبعها حتى أعيا فلما طلع القمر وجدها معلقة بخطامها ترعى من الشجر فرفع رأسه الى القمر وقال

ماذا أقول وقولي فيك ذو قصر * وقد كفيتني التفصيل والجملا
ان قلت لازلت مرفوعا فأنت كذا * أو قلت زانك ربي فهو قد فعلا

وهذا البدوي كان أرق طباعا من هؤلاء الذين عابوا القمر وعلى ذكر شرود الراحلة حكي ان امرأة شردت لها ناقة فأضلتها فقيل لها لو وجهت لها من يطلبها فقالت قد أخذت عليها بجوامع الطرق فقيل لها وما جوامع الطرق قالت الدعاء فيقال ان الناقة أصبحت مربوطة ببعض أطناب بيتها وقال بعض الاعراب يصف دعوة المظلوم

وساثرة لم تسر في الارض تبتغي * محلا ولم يقطع بها البيد قاطع
سرت حيث لم تحدو الركاب ولم تنخ * لورد ولم يقصرها القيد مانع
تمر وراء الليل والليل ضارب * بجثمانه فيه سبيروها جع
اذا وفدت لم يرددالله وفدها * على أهلها والله راء وسامع
تفتح أبواب السموات دونها * اذا قرع الابواب منهن قارع
واني لارجو الله حتى كأنما * أرى بجميل الظن ما الله صانع

نقلت من خط ابن القيسراني له يمدح نور الدين الشهيد

كلفت همتك السمو فحلقت * فكأنما هي دعوة في ظالم
وطمحت بأوطان النجوم فكم لها * من مارد قذفت اليه براجم

ونقلت من خط السراج الوراق له

توق ممن سؤته دعسوة * تطلع حيث السهم لم يطلع
ما كبد القوس اذا أرسلت * فيها الذى فى كبد الموجع

وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن محمد بن نباتة بدمشق سنة اربع وثلاثين وسبعمائة

الارب ذى ظلم كنت لحربه * فاوقعه المقدور أى وقوع
وما كان لى الا سلاح تركع * وأدعية لا تتقى بدروع
وهيهات ان ينجو الظلوم وخلفه * سهام دعاء من قسى ركوع
مريشة بالمذنب من جفن ساهر * منصلة أطرافها بنجيع

وقد كان ابن الرومى ممن يخالف الناس ويعكس القياس فيذم الحسن ويمدح القبيح وهو القائل

فى زخرف القول ترجيح لقائله * والحق قد يعتريه بعض تغيير
تقول هذا مجاج النحل تمدحه * وان تعب قلت ذا قىء الزنابير
مدحا وذما وما جاوزت وصفهما * سحر البيان يرى الظلماء كالنور

والحر برى انما فاق على من سواه بما أتى به فى مقاماته من مدح الشئ وذمه كما فعل فى المقامة الدينارية والتى فاضل فيها بين كتاب الانشاء والحساب والتى ذكر فيها البكر والثيب والزواج والعزبة وغير ذلك وهذا هو البلاغة والقدرة على التلعب بالكلام وصحة التخيل والذوق وقال ابن الرومى يهجو الورد

وقائل لم هجرت الورد قلت له * من شؤمه عند لقياه ومن سخطه
كانه سرم بغل حين سكرجه * عند البراز وباقى الروث فى وسطه

وأين هذا التشبيه القبيح من قول الآخر فى الورد

كانه وجنة الحبيب وقد * نقطها عاشق بدينار

فانظر الى هذا وجنة حبيب ودينار والى ذاك سرم بغل وروث وشتان ما بين ذاك وهذا وقال ابن الرومى يفضل النرجس على الورد من أبيات

هذى النجوم هى التى ربيتها * بحيا السحاب كما يربى الوالد
فانظر الى الولدين من أدناهما * شبها بوالده فذاك الماجد
أين العيون من الخدود نفاسة * ورياسة لولا القياس الفاسد
فصل القضية ان هذا طارد * زهر الرياض وان هذا قائد

فناقضه جماعة من البغداديين وغيرهم فى ذلك فنهم أحمد بن يونس الكاتب فقال

ان القياس لمن يصح قياسه * بين العيون وبينه متباعد
ان قلت ان كواكبا ربيتها * بحيا السحاب كما يربى الوالد
قلنا أحقهما بطبع أبيه فى * العدوى هو الزاكى النجيب الراشد
زهر النجوم تروقنا بضيائها * ولها منافع جمة وفوائد
وكذلك الورد الانيق يروقنا * وله فضائل جمة وعوائد
ان كنت تنكر ما ذكرنا بعدما * وضحت عليه دلائل وشواهد
فانظر الى المصفر لونا منهما * وافطن لما يصفر الا الحاسد

وقال سعيد بن هاشم الخالدى

فى قول المتنبى والكلمة الثانية منظومة فى قول بعض العرب وعلى آلافها الطير تقع قال الاصمعى كنت أسمع بهذا المثل فلم أفهمه حتى رأيت غرابا تقع البقع منها مع البقع والسود مع السود الى ان رأيت غرابا أعرج قد سقط لحاه آخر مهيض الجناح فسقط عنده فعلمت أن المثل ماضاع

(وهلا علمت ان الشرق والغرب لا يجتمعان)

وشعرت ان المؤمن والكافر لا يتقاربان)

وقلت الخبيث والطيب لا يستويان)

(شعرت) أى علمت علما دقيقا مأخوذ من دقة الشعر ويلمح من السجعة الاولى قول على كرم الله وجهه الدنيا والآخرة كالمشرق والمغرب كلما ازددت من احداهما قربا ازددت من الاخرى بعدا ومن السجعة الثانية قول النبى صلى الله عليه وسلم المؤمن أطيب من عمله والكافر أخبث من عمله ويدل على ذلك لفظ القرآن العظيم فى السجعة الثالثة فتأمله

(وتمثلت * أيها المنكح الثريا سهيلا
عمرك الله كيف يلتقيان)

هذا البيت لعمر بن أبى ربيعة المخزومى يقوله فى

أبحت النرجس لرقى ودى * ومالى باجتناب الورد طاقه
كلا الاخوين معشوقى وانى * أرى التفضيل بينهما حماقه
هما فى عسكر الانوار هذا * مقدمة تسير وذاك ساقه

وقال مسلم بن الوليد فى تفضيل الورد

كم من يد للورد مشهورة * عندى وليست كيد النرجس
الورد يأتى ووجوه الربى * تضحك عن ذى برد أملس
وقد تحلت بعقود الندى * نابتة فى الارض لم تغرس
ولن ترى النرجس حتى ترى * روض الخزامى رثة الملبس
وتخلق النكباء ما جددت * ايدى الغوادى فى سنا السندس
هنالك يأتيك غريبا على * شوق من الاعين والانفس

وقال ابو بكر الصنوبرى

زعم الورد انه هو ازهى * من جميع الازهار والريحان
فاجابته اعين النرجس الغض بذل من قولها وهوان
ايما أحسن التورد ام مقـ * ـلة ريم مريضة الاجفان
أم هذا يرجو بحمرته الور * د اذا لم تكن له عينان
فسزها الورد ثم قال مجيبا * بقياس مستحسن وبيان
ان ورد الخدود أحسن من عيـ * ـن بهاء صفرة من السيران

ونقلت من خط مجير الدين محمد بن تميم

من فضل النرجس وهو الذى * يرضى بحكم الورد اديرأس
أما ترى الورد غدا جالسا * اذ قام فى خدمته النرجس

يقال انهما أنشدا فى حضرة الشيخ محيى الدين عبد الوهاب بن سكنون فاجاب من غير رويه

ليس جلوس الورد فى مجلس * فام به نرجسه يوكس
وانما الورد غدا باسطا * خد المشى فوقه النرجس

وقد وضع بعضهم كتابا فى المفاضلة بين الورد والنرجس لان الشعراء أولعوا بذلك فاطالوا وأطابوا والمفاضلة بينهما ممكنة كما صنف الفضلاء مفاخرة السيف والقلم ومفاخرة الدرهم والدينار ومفاخرة البخل والكرم ومفاخرة مصر والشام ومفاخرة الشرق والغرب ومفاخرة العرب والعجم ومفاخرة النظم والنثر ومفاخرة الجوارى والمردان اذ كل ذلك يمكن فيه الاتيان بالحجة للجانبين وأما مفاخرة المسك والرماد فما للعقل فى ذلك مجال وما عسى البليغ أن يقول فى الرماد اذا فاخر المسك وللجاحظ فى ذلك رسالة بديعة ونقلت من خط مجير الدين محمد بن تميم

مذ لاحظ المنثور طرف النرجس الـ * ـنمزور قال وقوله لا يدفع

فتح عيونك فى سواى فانه * عندى قبالة كل عين أصبع

وقال شهاب الدين بن جلك

أرى النرجس الغض الشهى مشمرا * على سوقه فى خدمة الورد قائم
وقد ذل حتى لف فوق رؤسه * عمائم فيها للهيود علائم

الثريا بنت عبد الله وقد تقدم ذكرهما وسبب قوله أن سهيل بن عبد العزيز بن طلحة قدم من الشام الى الطائف فتزوجها ورحل بها الى الشام فقال عمر أيها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان هى شامية اذا ما استقلت وسهيل اذا استقل يمان

واتفقت له تورية حسنة باسم النجمين والمقصدين وقوله عمرك الله يعنى سألت الله عمرك أى يعمرك والعمر والعمر واحد وانما خص العمر بالقسم وأصل العمر من العمارة وهو عمارة البدن بالحياة

(وذكرت انى علق لا يباع ممن زاد
وطائر لا يصيده من زاد)
وغرض لا يصيبه الا من أجاد

(ذكرت) عطف على قوله وهلا علمت (والعلق) الشئ النفيس الذى يتعلق به صاحبه ولا يبرح عنه واللفظ مأخوذ من شعر حريث بن فعطان التميمى كانت له فرس يسميها سكاب فاراد بعض ملوك اليمن أخذها منه فهرب بها وقال

أبيت اللعن ان سكاب علق
نفيس لا يعار ولا يباع
مغذاة مكرمة علينا
تجاع لها العيال ولا تجاع

وقال آخر

أياجاعلا النرجس الغض ميزة * على الورد قد اخطأت عن سنن القصد
بعيني رأيت النرجس الغض قائما * على ساقه بالامس في خدمة الورد

وما أحسن قول أمين الدين جوبان القواس

نفش غصن البان أذنابه * وماس عند الصبح زهوا وفاح
وقال هل في الروض مثلي وقد * تعزى الى قدى قدود الملاح
فدق النرجس يهزوبه * وقال حقا قلت ذا أم مزاح
بل أنت بالطول تحاماقت يا * مقصوف عجبا بالدعاوى القباح
فقال غصن البان من تيهه * ماهذه الاعيون وقاح

وقال ابن الرومي في هجو والده

لو كان مثلك في زمان محمد * ماجاء في القرآن بر الوالد

وابن هذا من ابن سناء الملك وهو يمدح والده الرشيد بقصيدة بعد قصيدة من ذلك قوله

انى لارثي لدمعي في نزاحه * كما رثيت لشملي في تشتته
انا الغوي بهمي والرشيد أبي * هو الرئيس على الدنيا بهمته
أحيي وأنشر ميت المجد مجتهدا * في لم لمته أو رم رمته
أصبحت اختال في حالي ونضرتها * به وأرفع في عيشي وخضرته
وأسعد الناس من لاقى بلا تعب * مبدا السعادة في مبدا شبيبته

وقوله فيه أيضا

يكفيك أني بك ياسيدي * قد طاب أصلي وزكا محتدي
جاوزت حد البر بي صاعدا * فقف فما أبقيت من مصعد

وقوله فيه أيضا من قصيدة

وبات نديمي ولا ليله * يطول ولا سربه يقصر
فلا يحجب الصبح من نوره * فوجه الرشيد أبي أنور

وقوله فيه من قصيدة أخرى

أبى لي النقص ان مجد أبي * سام كما ان قدره سابق
هو الرشيد الذي رياسته * سارت فلا زاجر ولا سائق
يكني أبا الفضل وهو يعشق نفس الفضل والمرء لابنه عاشق

وقوله من قصيدة أخرى

ابي وحسبي نسبة عقدها * دروذاك الدر در ثمين
كأنه اذ زاد في بره * يعلم الآباء بر البنين

ولما مات أبوه رثاه بقصيدة رائية في غاية الحسن وقال أبو العينا أنا أول من أظهر العقوق لوالده بالبصرة قال لي أبي ان الله تعالى قرن طاعته بطاعتي فقال اشكر لي ولوالديك وقلت يا أبت ان الله تعالى أمنني عليك ولم يأمنك علي قال تعالى ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقكم واياهم ومن هجا والده علي بن بسام حتى قال فيه ابن المعتز

سليلة سابقين تناحلاها * اذا انتسبا يضمهما الكراع
فلا تطمع أبيت اللعن فيها * فدون منالها أمد شناع

(والغرض) الهدف المقصود بالرمي ثم صار اسما لكل غاية يتحرى الانسان ادراكها

(ما أحسبك الا كنت قد تهيأت للتهنية وترشحت للترفية)

يعني طمعت بحصول القصد فانتظرت الهناء به (والترشيح) الاستعداد للشئ مأخوذ من ترشح الفصيل اذا قوي على المشي (والترفية) والرفاهية التنعيم والتوسع في العيش

(لولا ان جرح العجماء جبار للقيت من الكواعب ما لاقى يسار) (جرح العجماء جبار) لفظ الحديث والعجماء البهيمة سميت بذلك لانها لا تعرب عن نفسها بالعبارة والجبار الدم الهدر والمعنى عدم القصاص في جرح البهيمة وضرب به المثل لمن يستهان به (والكواعب) جمع كاعب وهي الجارية التي تكعب ثدياها تشبيها بالكعب (ويسار) اسم عبد وهذا مثل معروف وسببه ان يسارا هذا كان عبدا أسود مما يقال له يسار الكواعب لان النساء اذا رأينه ضحكن منه لقبحه فكان يظن انهن ضحكن من عجبهن به حتى نظرت اليه

من شاء يهجو عليا * فشعره قد كفاه
لو أنه لا يبـــه * ما كان يهجو أباه

وقال المرزباني في حق ابن بسام استفرغ شعره في هجاء والده وقال شرف الدين بن عنين

وجنبني ان أفعـل الخير والد * قليـل اذا ما عد أهل المناسب
بعيد عن الحسنى قريب من الخنا * وضيع مساعي الخير جم المعايب
اذا رمت أن اسمو صعودا الى العلى * غداعرقه نحو الدنية جاذبي

وهذا الثالث يشبه ما قيل في خالد بن عبد الله القسري

اذا نبهته نخوة عربية * الى المجد قالت أرمنيته نم

وما أكرم شاعرا قال

بنفسي أنت لا بأبي فاني * رأيت الجود بالاباء لؤما

وذكرت هنا ما حكاه لي المولى القاضي عماد الدين بن القيسراني قال كنا في الديوان بقلعة الجبل انا وأخي صحبة والدي وكان قد غاب في ذلك الوقت ولما عاد وجد قد جاءت اليه ورقة من بعض أصحابه وقد كتب أخي الجواب عنها وقال فيه ان مملوكه الوالد كان غائبا فأخذ الورقة وكشطها وكتب والد المملوك وقال المولى يقطع في كيسه ولا يقطع في كيسي وبالغ ابن الرومي في وصف جارية أبي الفضل عبد الملك ابن صالح حيث وصفها وهي سوداء بتلك القصيدة الطنانة وهي طويلة بديعة في بابها وقد اشتهرت بين الادباء ومنها

أكسبها الحب انها صبغت * صبغة حب القلوب والحدق

وهي مشهورة بين الادباء فلا فائدة في ذكرها وعلى ذكر السودان فما أحسن قول القائل

يا أسودا يسبح في بركة * فقت الورى حسنا واحسانا
كنت لخد الحسن خالا وقد * صرت لعين العين انسانا

ومثله قول ابن خفاجه

وأسود يسبح في لجة * لا تكتم الحصباء غدرانها
كأنها في شكلها مقلة * زرقاء والاسود انسانها

وذكرت هنا قول عبد الجليل بن وهبون للمعتمد بن عباد وقد جاوز البحر وهو في غاية الحسن من التشبيه

فسرت فوق دفاع البحر تبصره * براحة الدين والتقوى فينبصر
كأنما كان عينا أنت ناظرها * وكل شط باشخاص الورى شفر

وقال نجم الدين يعقوب بن صابر المنجنيقي

وجارية من بنات الحبو * ش ذات جفون صحاح مراض
تعشقتها للتصابي فشبت * غراما ولم ألك بالشيب راض
وكنت أعيرها بالسواد * فصارت تعيرني بالبياض

وقال ابن دفتر خوان فاغرب

ان لمعت ليلا نجوم السما * بيضا على أدهم مرخى الازار
وأوجب العكس مثالها * في الارض فالسود نجوم النهار

امرأته مولاه فضحكت فظن انها خضعت له فقال لصاحب له أسود كان يكون معه في الابل قد والله عشقتني مولاتي فلا أزورنها الليلة ولم يكن يفارق الابل فقال له صاحبه يا يسار اشرب لبن العشار وكل لحم الحوار واياك وبنات الاحرار فقال له يا صاحب أنا يسار الكواعب والله ما رأتني حرة الا عشقتني فلما أمسى قال لصاحبه احفظ على الابل حتى أتصرف وأعود اليك فنهاه فلم ينته حتى دخل على امرأة مولاه يراودها عن نفسها فقالت له مكانك فان للحرائر طيبا أشمك اياه فقال هاتيه فأتته بطيب وموسى حذمة أي قاطعة فأشمته الطيب ثم أنحت بالموسى على أنفه فقطعته وقيل وضعت تحته بخورا وقطعت منذا كيره فصاح فقالت صبرا على مجامر الكرام ثم خرجت هاربا حتى أتى صاحبه ودمه يسيل فضرب به المثل وأيضا مما قيل ان اسم المرأة منشم وانها التي ضرب بها المثل بقولهم عطر منشم وهذا على أحد الاقوال في ذلك مما رويناه

(فاهم الا يعض ما به هممت
ولا تعرض الا لايسر ماله
تعرضت)

يعني ما طلب يسار من مولاته

وقال ابن رباح الملقب بالحجام

يا كعبة بذوى الالباب لاعبة * فى أصل حسنك معنى غير متفق
خلقت بيضاء كالكفور ناصعة * فصرت سوداء من مثواك فى الحدق

وقال أحمد بن بكر الكاتب

يامن فؤادى فيها * متيما لا يزال
ان كان لليل بدر * فأنت للصبح خال

وأحسن منه وأكمل قول جمال الدين ابراهيم الحنفى المعروف بابن امام الحرمين ولكن ليس فى أسود

وعاكس الليل وبدر الدجى * بخده والخال أهواه
فالبدر خال فى محيا الدجى * والليل خال فى محياه

وقال أبو اسحق الصابى

قد قال رشد وهو أسود للذى * بياضه يعلو علو الخائن
ما فخر خدك بالبياض وهل ترى * أن قد أفدت به مزيد محاسن
لون منى فيه خالا زانه * ولون منه فى خالا شانى

وقال آخر تضمينا

وسواده الاديم اذا تبدت * ترى ماء النعيم جرى عليه
رآها ناظرى فصبا اليها * وشبه الشئ منجذب اليه

وقال شرف الدين بن عنين

وماذا عليهم ان كلفت باسود * محلته فى العين والقلب منهم
وقد عابنى قوم بتقبيل خده * وماذاك عيب أسود الركن يلثم
وما شانه لون السواد لانه * لغير الثنايا والخلائق معلم
لئن ضم جنح الليل اثناء برده * لقد شق عن مثل الصباح التبسم

وقال الوزير المغربى

يارب سوداء تعتنى * يحسن فى مثلها الغرام
كالليل تستسهل المعاصى * فيه ويستعذب الحرام

وقريب من هذا قول أبى الجهم

غصن من الآبنوس أبدى * من مسك دارين لى ثمارا
ليل نعيم أظل فيه * للطيب لا أشتهى النهارا

وكلاهما مولد من قول الآخر * وانما الليل نهار الاديب * وقال أبو الحسن على بن رشيق

دعابك الحسن فاستجبى * يامسك فى صبغة وطيب
تيهى على البيض واستطيلى * تيه شباب على مشيب
ولا يروعك أسود لون * كقلة الشادن الربيب
فانما النور عن سواد * فى أعين الناس والقلوب

وأخذه ابن قلاقس فقال

وتعرض له الادون ما تعرضت اليه منى لانى أشرف من تلك وأنت أقل من ذاك (وهممت) بالشئ اذا جعلت طلبهم نفسك (وتعرضت) للشئ اذا وقفت عرضا فى طريقه

أين ادعاؤك رواية الاشعار وتعاطيك حفظ السير والاخبار

أما ثاب اليك قول الشاعر

بنو دارم أكفاؤهم آل مسمع
وتنكح فى اكفائها الحبطات

(ثاب اليك) أى رجع الى ذهنك وهذا البيت للفرزدق يقوله لرجل من بنى الحرث بن عمرو خطب الى بنى دارم (ودارم) هو مالك بن حنظلة التميمى وهو أبو مجاشع وبيته أكبر بيوت بنى تميم (وآل مسمع) بيت بكر بن وائل فى الاسلام وهو من بنى قيس بن ثعلبة (والحبطات) بنو الحرث ابن عمرو بن تميم يجمعهم البيت مع بنى دارم وانما نقص قدر الحبطات عنهم لقول الشاعر فيهم

وجدنا النيب من شر المطايا
كما الحبطات شر بنى تميم

فلزمهم هذا القول وقيل انما سمى الحرث حبطا لانه كان فى سفر فأكل أكلا فانتفخ بطنه فمات فسمى حبطا وعيروا بذلك والحبط أن

رب سوداء وهي بيضاء معنى * نافس المسك في اسمها الكافور
مثل حب العيون يحسبه النا * س سوادا وانما هو نور

والاصل في هذا المعنى قول الوزير المهلبي

قسموه مع القريض غريبا * كنور العين سموه سوادا

ومن هذه المادة وان لم يكن في المعنى قول ابن التعاويذي في مليحة اسمها هاجر

فديت من ترحم عشاقها * وراحم العاشق مأجور
ليست على دين الغواني ترى * ان وصال الصب محظور
لا عجب ان سميت هاجرا * قد سمي الاسود كافور

وما أحسن قول ابن صريمة في سوداء

عقلتها حماء مصقولة * سواد عيني صفة فيها
ما انكسف البدر على تمه * ونوره الا ليحكيها
لاجلها الازمان أوقاتها * مؤرخات بلياليها

قلت انما كان التاريخ بالليالي دون الايام لان الهلال انما يبدو ليلا وهو أصل التاريخ

وقال آخر

يارب سوداء تجلى * بنورها الظلمات
كليلة الهجر تنسى * بوصلها السيئات
ماذا يعيبون منها * وكلها حسنات

وقال ابن بليطة في أسود أحدب يسقي

وكاس انس قد جلتها المنى * فباتت النفس بها معرسه
طاف بها أسود محدودب * أطرب من لهو بها مجلسه
فخاتمه من سبج ربوة * قد أنبتت من ذهب نرجسه

وذكرت بالاسود الساقي ما جرى لبعض الافاضل وقد حضر مجلسا والمغني يقول بيت ابن النبيه

ساق تكون من صبح ومن غسق * فابيض خداه واسودت غدائره

ولكن لا يغني بيت ابن النبيه الا ويقول فاسود خداه وابيضت غدائره والفاضل يقول فابيض خداه واسودت غدائره وجعل يرده عليه مرارا وهو لا يقوله الا معكوسا وكان لبعضهم غلام شيخ أسود واقف يخدمهم فقال يا مولانا تعرف فيمن يغني من أمس الى الساعة قال لا قال في هذا العبد النحس أفي هذا تغزل ابن النبيه فرجع وغناه مستقيما ومن معاني ابن الرومي التي ابتدعها قوله

ترددت حتى لم أدع متردد * أفنيت أقلامي عتابا مرددا
كأني أستدني بك ابن حنيفة * اذا انتزع أدناه من الصدر أبعدا

وكرره أيضا فقال

رأيتك بيننا أنت جار وصاحب * اذا بك قد وليتنا ثانيا عطفا
وانك اذ تحنو حنوك معقبا * بعادا لمن بادلته الود والعطفا

لكالقوس أحنى ما تكون اذا حنت * على السهم أدنى ما تكون له قذفا

وولد ابن بابك من هذا معنى آخر فقال

أصبحت في صولجانه كرة * يعدها قربها من الضارب

تأكل الماشية فتسكر حتى تنتفخ بطونها ولا يخرج عنها ما فيها وذلك معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ان مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلم ومعنى قول الفرزدق أن بني دارم لا ينبغي أن يخطب اليهم الا بنو مسمع لانهم أكفاؤهم في الشرف فأما الحبطات فلا وذكر المبرد أن الرجل الخاطب أجاب الفرزدق فقال

أما كان عتاب كفيتا الدارم
بلى ولابيات بها الحجرات

عتاب أحد آباء بني الحرث وقوله أبيات بها الحجرات يعني بني هاشم لقوله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات * والفرزدق هذا هو همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي الشاعر المشهور صاحب جرير ولقب الفرزدق لجهامة وجهه لان الفرزدقة القطعة الضخمة من العجين وكنيته أبو فراس وذكره الشريف المرتضى فقال كان الفرزدق مع تقدمه في الشعر وبلوغه فيه الى الذروة العليا شريف الآباء كريم البيت وكان شيعيا مائلا لبني هاشم ونزع في آخر عمره عما كان عليه من الفسق والقذف وراجع طريقة الدين على أنه لم يكن في خلال ذلك منسلخا

ومما أحسن قول ابن المفلس ملغزا في الكرة

أرادوني لما حتى اذا ما * دنت منه بكدأي كد
قلاها ثم أتبعها بضرب * وبدل قربها منه ببعد

وأخذ المعنى الاول من ابن الرومي ناصح الدين الارجاني فقال

فلا تنكروا حق المشوق فاننا * لنا وعليكم أنجم الليل تشهد
أرانا سهاما في الهوى ونراكم * حنايا فما تدنون الا لتبعدوا

وكرره فقال

قد قوس القد تودد يعاو قربني * سهما فابعدني من حيث أدناني

وقال أيضا

والالف قد عانقني للنوى * فالتف خداي وخداه
كأنه رام الى غاية * تناول السهم بيمناه
حتى اذا أدناه من صدره * أبعده من حيث أدناه

وأخذه كشاجم من قبله فقال

أرى وصالك لا يصفو لامله * والهجر تتبعه ركضا على الاثر
كالقوس أقرب سهميها اذا عطفت * عليه أبعدها من منزع الوتر

وأخذه أيضا ابن قيم الجوزي بعد الارجاني فقال

فهو كالسهم كلما زادته منك دنوا بالنزع زادك بعدا

ومن معاني ابن الرومي الغريبة قوله في خباز رقاق

لا أنس لا أنس خبازا مررت به * يدحو الرقاقة وشك اللمح بالبصر
ما بين رؤيتها في كفه كرة * وبين رؤيتها قوراء كالقمر
الا بمقدار ما تنداح دائرة * في صفحة الماء يلقى فيه بالحجر

وهذا من التشبيهات العقم وحكي ان الاديب أبا عمرو النميري أنشدت هذه الابيات في حلقته فقال بعض تلامذته ما أظن انه يقدر على الزيادة فيها فقال

فكدت أضرط اعجابا برؤيتها * ومن رأى مثل ما أبصرت منه خرى

فضحك من حضر وقال البيت لائق بالقطعة لولا ما فيه من ذكر الرجيع فقال

ان كان بيتي هذا ليس يعجبكم * فحلوا محوه أو فالعقوه طري

وحكي ان الملك المعظم عيسى حضر الشعراء عنده وفيهم شرف الدين بن عنين فقال لهم لابد أن تهجوني في وجهي فقبلوا الارض واستعفوا من ذلك فقال لابد من ذلك وألح عليهم فقال ابن عنين

نحن قوم ما ذكرنا لامرئ قط * الا واشتهى أن لا يرانا

فقال السلطان صدقت فقال * شعرنا مثل الخرا فقال السلطان صدقت فقال ذقت الخرا * فقال السلطان لا والله قبحك الله فقال صفع الله به أصل لحانا * ومن معاني ابن الرومي الغريبة قوله يهجو

لحا لدشاعرنا زوجة * لها جر يبلغ مثليها
قوامة بالليل لكنها * تستغفر الله برجليها

حدث ابن عمران قال جاء الفرزدق فقذا كرنا رحمة الله تعالى وسعتها فكان أوثقنا بالله تعالى فقال له رجل ألا ترى هذا الرجاء وهذا المذهب وأنت تفعل ما تفعل فقال أترون لو أذنبت الى والدي أكانا يقذفاني في تنور وتطيب أنفسهما بذلك قلنا لا بل كان يرجا نك فقال أنا والله برحمة الله أوثق مني برحمتهما وقيل انه كان يخرج من منزله فيرى بني تميم وفي حجورهم المصاحف فيفرح بذلك ويقول ابيه فداكم أبي وأمي هكذا والله كان أباؤكم واستدل الشريف على تشيعه بحكايته مع هشام بن عبد الملك وذلك أن هشاما حج في خلافة أبيه فأراد أن يستلم الحجر فلم يتمكن لازدحام الناس فجلس ينتظر خلوة فأقبل علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهما وعليه ازار ورداء وهو من أحسن الناس وجها وبين عينيه سجادة فجعل يطوف بالبيت فاذا بلغ الحجر تنحى الناس له هيبة واجلالا لافغاظ ذلك هشاما فقال رجل من أهل الشام من هذا الذي قد هابه الناس فقال هشام لا أعرفه لئلا يرغب فيه أهل الشام فقال الفرزدق وكان حاضرا لكني أنا أعرفه فقيل له من هو

وقوله أيضا

مرفوعة تحت الدجى رجلاها * كأنما تستغران الله

وقال أبو محمد المصرى من شعراء الذخيرة من أبيات

ولا تتزوجن لهم ببنت * فالسودان عندهم مراح
بارجلهن يستغفرن دأبا * فارجلهن فى الدعوات راح

وما أحسن ما استعمل الآخر الاستغفار حيث قال

صل الراح بالرحات واغنم مسرة * باقداحها واعكف على لذة الشرب
ولا تخش أوزارا فاوراق كرمها * أكف غدت تستغفر الله للذنب

وقلت أنا تضمينا فى ورق الكرم من قصيدة

وطل على ورد حكى خد غادة * به عرق من خجلة يتصبب
وأوراق كرم قد حكت كف سائل * لما بات فى نعمائه يتقلب

وقد سبقت عليه بنت المهدى ابن الرومى الى هذا المعنى فقالت فى طغيان لما وشت بها الى رشا وكانت طغيان جارية أم جعفر زبيدة

لطغيان خف مذ لاثير حجة * جديد فما يبلى ولا يتخرق
وكيف بلى خف هو الدهر كله * على قدميها فى الهواء يعلق
فما خرقت خفا ولم تبل جوربا * وأما سراويلاتها فتمزق

وأنشد بعض الشعراء زبيدة شعرا قال فيه

از بيدة ابنة جعفر * طولى لزائرك المثاب
تعطين من رجليك ما * تعطى الاكف من الرقاب

فجعل عبيدها يقرعون رأسه فقالت دعوه انه أراد خيرا فاخطأ وهو أحب الينا ممن أراد شرا فاصاب سمع قولهم شماليك اندى من يمين فلان فظن انه من هذا الباب ويقال ان حجى دخل يوما الى دارهم فوجد أباه على أمه فراته فلما خرج وعاد بعد فراغهما أراد ان تذهب خجلتها فدفعت اليه درهمين وقالت اشترى لى بهما يا حجى سرموزة فمضى وعاد بسرموزة كاغدة فقالت له كيف تحمل هذه الوطا فقال لها ان مشيت بها كما كنت تمشين تحت أبى تلك الساعة فانها لا تثقب وعلى الجملة فابن الرومى كان من غرائب الوجود فى تقبيح الحسن وتحسين القبيح والقدرة على الاتيان بالمعانى الغريبة وقال الخالديان فى اختيار شعر مسلم بن الوليد ومارأينا أمرا أعجب من أمر ابن الرومى فانه يخترع المعنى فيجيده ولا يترك فيه زيادة لغيره فاذا تناول معنى من غيره قصر فيه ولم يأت به كالذى أخذه منه قلت والعلة فى هذا انه شاعر جيد دقيق النظر صحيح الذوق حسن التخيل فاذا طرق المعنى بكرا أتى به فى غاية الحسن فالذى يأتى بعده لم يجد فيه فضلة وأما هو فلا يرى ان يأخذ الا المعانى الجيدة من الفحول وأولئك قد سبقوه اليها فلا يكون له فيها فضلة والله أعلم وقد كان فى ابن الرومى عجائب منها انه كان شديد التطير فيلازم بيته ولا يخرج منه الا بعد استقراء القرائن الحسنة والالفاظ الخيرة فيما يسمعه و يتفاءل به من الكلمات الحسنة والوجوه المليحة فيقال ان بعض أصحابه أرادوا الخلوة به فى يوم أنس واختاروا له غلاما حسنا وقالوا له اذا طرقت الباب عليه وقال من فقل له أنا اقبال فلما فعل ذلك قال اقبال مقلوبه

فأنشد يقول

هذا ابن خير عباد الله كلهم * هذا التقى النقى الطاهر العلم
هذا الذى تعرف البطحاء وطأته * والبيت يعرفه والحل والحرم
يكاد يمسكه عرفان راحته * ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم
فغضب هشام وأمر بحبس الفرزدق بعسفان وفى ذلك يقول

أيحبسنى بين المدينة والتى * اليها قلوب الناس يهوى منيبها
يقلب رأسا لم يكن رأس سيد * وعينا له حولاء بادعيوبها

وبعض الرواة يروى الابيات الميمية لابى الطمحان القينى والذى نرويها للفرزدق يستدل لها بحبسه وقوله هذه الابيات ومات الفرزدق بالبادية سنة ١١٠ ومن أخباره المستظرفة دخل يوما على بلال بن أبى بردة وهو أمير على البصرة وعنده أصحابه فنقصوا بنى تميم ورفعوا اليمن فقال الفرزدق لولم يكن لليمن الا أبو موسى ومانولاه من خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لكفاهم فقال بلال ان فضائله كثيرة فما أردت منها فقال مجامعته اياه فقال صدقت قد فعل ذلك وما فعله بأحد قبله وما بعده فقال الفرزدق

لا بقاء وهذا شئ أتطير منه فلا أخرج اليوم وجهزوا اليه في بعض الايام غلاما وضيء الوجه حسن الاسم طيب الريح فلما طرق الباب عليه خرج اليه فشم طيبه وسمع اسمه ورأى وجهه المليح فقال حسن في حسن فلما خرج رأى دكان خياط وقد صلب درابتي الباب وهو يأكل تمرا وقال ان الدرابتين مثل لا والتمر تمر فالفال قال لا تمر فدخل وأغلق الباب وقال والله لا مررت معك وكان منهوما في الاكل وكان به صلع لا يكاد يرفع عمامته عن رأسه أبدا وشعره جيد ومعانيه غريبة وكتب القاضي الفاضل الى الرشيد ابي ابن سناء الملك رحمهما الله تعالى كان القاضي السعيد لما وصل الى دمشق عائدا جعلت قراءة شعر ابن الرومي واختياره فاختار حرف الالف وتوجه قبل تمام الاختيار ووعد بانه يكمله فلم لا انجز ميعاده ولم لا جعل مرادي مراده وكان يبرز من الشعر محاسنه المغموره ويلفظ ابياته الخراب ويبقي ابياته المعموره وكان ابن الرومي يشكره في لحده ويستعير السنة الاحياء في جده فاجاب القاضي السعيد بن سناء الملك أما ما أمر المولى به في شعر ابن الرومي فالمملوك من أهل اختياره ولا من الغواصين الذين يستخرجون الدر من بحاره لان بحاره زخاره واسوده زاره ومعدن تبره مردوم بالجاره وعلى كل عقيلة منه ألف نقاب بل الف ستاره يطمع ويؤيس وينفر ويؤنس وينير ويظلم ويصبح ويعتم شذرة وبعره ودرة وآجره وقبله بجانبها السبه وحرة تجاورها قعبه وورده حف بها الشوك وبراعة غطى عليها النوك لا يصل الاختيار الى الرطبة حتى يتجرج بالسلى ولا يقول عاشقها هذا المليح قد أقبل حتى يقول قد ولى فالمملوك من جهابذته فكيف وقد تفلس فيه الوزير ولا من صيارفته ونقاده ولو اختاره جرير لاعياه تمييز الوشي من الحشي والوبر من الحرير والمملوك يكمل بمشيئة الله تعالى بقية قراءة حروفه ولكن بين يدي من قرئ بين يديه حرف الالف ليشاهد من مولاه معجز اختياره الذي يجعل المختلف فيه من الشعر المؤتلف اه قلت وقد اختاره الخالديان واختاره المولى جمال الدين محمد بن نباتة (رجع القول الى ذكر الشمس وزحل) قد ذكرت مقدار الشمس وزحل وما في الشمس من المحاسن والفوائد وبقي ذكر ما في زحل والمنجمون يزعمون انه نحس أكبر وان له من المعادن الرصاص ومن الالوان الزرقة وهو في الفلك بمنزلة الفلاح والاكار الذي يثير الارض بالمساحي ويسقي بالدلو ولهم في ذلك كلام طويل من هذه الاشياء التي تناقض محاسن الشمس وبعد هذا كله فاضره من ذلك شئ وحل مع ذلك في السابع والشمس لها تلك المحاسن وفيها تلك الفوائد وهي في الرابع دونه بفلكين وذلك صنع فعال لما يريد قادر على ما يشاء ويختار لا تعلل أفعاله لا اله غيره ولا فاعل في الوجود سواه ولله در المتنبي حيث يقول

خذها تراه ودع شيأ سمعت به * في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

وابن شرف القيرواني حيث يقول

بحيث يهون المرء يكرم ضده * وحيث هبوط الشمس يشرف كيوان

ولابن شرف القيرواني أيضا في زحل وهو لغز

وشيخ له غرفة فخمة * علت وهو فيها جميع الغرف
يمر ويرجع طول الزمان * فكم مر من مرة وانصرف
ويقعد كل مكان حواه * على انه غاية في الشرف

الشيخ كان أتقى لله من أن يقدم على نبيه بغير حذق فيجرب عليه فأمسك بلال وعجب الناس من حذقه في هذا التعريض ونظر يوما الى ابن هبيرة وعليه ثياب تتقعقع فقال ان ثيابه لتسبح أراد بذلك قول الشاعر

اذا لبست قيسا ثيابا لزينة
تسبح من لؤم الجلود ثيابها

وكان قد هجاه الازدفلما قدم يزيد المهلب البصرة قال لابي الجهدو كان صديقا للفرزدق فقال له يوما ماذا يعوقك عن يزيد أعظم الناس عفوا وأسخاهم كفا فقال صدقت ولكني أخشى أن آتيه فأجد العمانية ببابه فيقوم الى رجل منهم فيقول هذا الذي هجانا فيضرب عنقي فيبعث اليه يزيد فيضرب عنقه ويبعث الى أهل بيتي بديتي فاذا يزيد قد صار أوفى العرب واذا الفرزدق قد ذهب فيما بين ذلك لا والله لا أفعل فقال يزيد أما اذا فطن لها فدعه الى لعنة الله وقيل ان هذا كان مراده وسمع الفرزدق رجلا يقرأ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله غفور رحيم فقال الفرزدق فاقطعوا أيديهما والله غفور رحيم لا ينبغي أن يكون هكذا

وأما بيت الطغرائي فأقول انه يصدع الفؤاد ويمرض الاكباد لان الدهر مولع برفع الناقص وخفض الكامل وسعد الجاهل وشقاء الفاضل وبؤس الكريم ونعيم اللئيم وعز الشرير وذل الخير الخبير وراحة المتهور وتعب المتحذر

شيم مرت الليالي عليها * والليالي قليلة الانصاف

ومن الكلام النوابغ لاغرو أن يرتفع الجاهل وينحط العالم فقد يتدلى سهيل وتستعلي النعائم والطغرائي اختلس معنى بيته من قول أبي الطيب

ولولم يعل الاذو محل * تعالى الجيش وانحط القتام

لابل أخذه صريحا من أبي الفتح البستي حيث قال

لاتعجبن لدهر ظل في صبب * أشرافه وعلا في أوجه السفل

وانقد لاحكامه أني تقادبه * فالمشتري السعد يعلو فوقه زحل

وما أحسن قول ابن عمار الكوفي

لئن بسط الزمان يدى لئيم * فصبرا للذي فعل الزمان

فقد تعلو على الرأس الذنابى * كما يعلو على النار الدخان

وقال الارجاني

هذا الزمان على مافيه من كدر * حكى انقلاب ليالية بأهليه

غدير ماء تراءى في أسافله * خيال قوم تمشوا في نواحيه

فالرجل تنظر مرفوعا أسافلها * والرأس ينظر منكوسا أعاليه

والارجاني أخذ هذا المعنى من البحتري وحوله ثم تخوله لان البحتري قال

قل للرئيس أبي محمد الرضى * قول امرئ أبلاه حسن بلاء

من حول بركتك البهية سادة الـ * ـعلماء والفضلاء والامراء

لو أنصفوك وهم قيام أشبهت * أشخاصهم أمثالهم في الماء

يعني كانوا يقفون على رؤسهم وهو معنى حسن مسئلة ان قال قائل لم كانت الاشياء القائمة على الانهار يرى أعلاها أسفلها وأسفلها أعلاها وترى السماء تحتها مع انها فوق فالجواب أن الشعاع الخارج من العين اذا اتصل بجسم صقيل وهو الماء أو غيره لم يثبت عليه لصقالته وزلق عنه الى الجهة المقابلة للرائي ان لم يكن الصقيل امامه بحيث تكون زاوية الالتقاء على الصقيل مثل زاوية الانعكاس في المساحة من غير زيادة ولا نقص مثاله هكذا

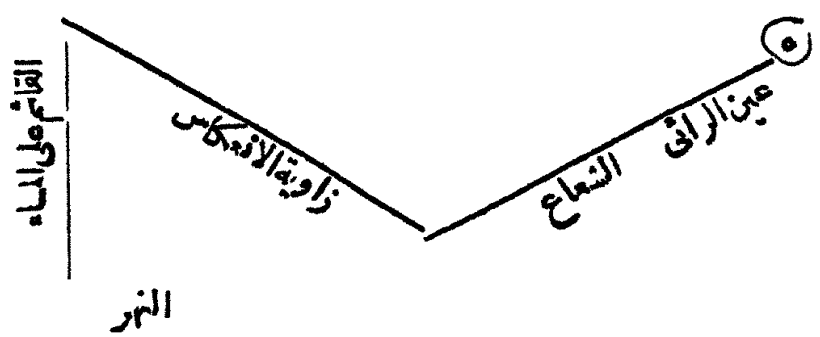

فهاتان

قيل انما قال والله عزيز حكيم فقال هكذا ينبغي أن يكون ثم اخذ نفسه بحفظ القرآن بعد ذلك وسمع رجلا ينشد قول لبيد هذا البيت وجلا السيول عن الطلول كأنها

زبر يجد متونها أقلامها

فسجد فقيل له ما هذا فقال موضع سجدة في الشعر اعرفه كما تعرفون مواضع السجود في القرآن وسمع راوية جرير ينشد قصيدته التائية فلما قال

بها برص بأسفل اسكتيها

وضع يده على عنفقته وأنشد كعنفقة الفرزدق حين شابا * فقال علمت انه يقول هكذا فان شيطانا في الشعر واحد ومر يوما يقوم فدعوه للنزول فقال لماذا قالوا لنبيذ وجدي حنذ وغناء لنبيذ فقال وهل يأبى هذا الا ابن المراغة يعني جريرا ثم نزل واستسقى الحكم بن المنذر ذات يوم لبنا فاحر غلامه ان يجعل في القعب خمرا ويحلب عليه لبنا ويسقيه فلما كرع جعل الخمر ينبع من تحت اللبن فشرب وقال بأبي أنت انك ممن تخفى الصدقات وتؤتيها الفقراء وقال ما أخفى أحد الا نبطي من أهل تيري قال لي أنت الفرزدق الشاعر قلت نعم

فهاتان الزاويتان فى السعة واحدة فيتصل طرف الشعاع بالقائم ثم يجرى فيه خياله الى الماء فينطبع فيه فكان القائم وقع على سطح الماء والقائم اذا وقع يصير أعلاه أسفله وأسفله أعلاه فلذلك رأينا السماء تحته وكل ماهو أعلى من صاحبه يراه أسفله فلو أقيم الماء واقفا كالمرآة رؤى على هيئته فالقائم فى القائم قائم والقائم فى المنبسط منعكس لان موضوع الانطباع أسفل والقائم أتى اليه فكأنه انطبع فيه وهو قائم فاخذه فى نفسه وانبطح والانطباع فى الحقيقة انما هو فى وجه الماء لا فى عمقه وانما الحس لا يمكنه ضبط ذلك فيغلط فيه الوهم فيراه فى جوفه فكأنه غرق فى الماء بعد الانبطاح على وجه الماء ولو غرقت الشجرة لكان رأسها أسفل ضرورة أن كل ماهو أعلى من السماء وغيرها يرى أسفل فاعرف ذلك (رجع) قال أبو تمام الطائى

ان الرياح اذا ما أعصفت قصفت * عيدان مجد ولم يعبأن بالرتم

وأخذه البحترى فقال

ولست ترى شوك القتادة خائفا * سموم الرياح الآخدات من الرند
ولا الكلب محموما وان طال عمره * الا انما الحمى على الاسد الورد

وأخذه أبو الوليد بن زيدون أيضا فقال

لا يهنأ الشامت المرتاح خاطره * انى معنى الامانى ضائع الخطر
هل الرياح بنجم الارض عاصفة * أم الكسوف لغير الشمس والقمر

وقال شمس المعالى قابوس

أما ترى البحر تعلو فوقه جيف * وتستقر باقصى قعره الدرر
وفى السماء نجوم لا عداد لها * وليس يكسف الا الشمس والقمر

والاول مأخوذ من قول ابن الرومى

دهر علا قدر الوضيع به * وغدا الشريف يحطه شرفه
كالبحر يرسب فيه لؤلؤه * سفلا وتطفو فوقه جيفه

وقال أيضا

طار قوم بخفة الوزن حتى * لحقوا رفعة بقاب العقاب
ورسا الراجحون من جلة النا * س رسو الجبال ذات الهضاب
لا وماذاك للئام بفخر * لا ولا ذاك للكرام بعاب
هكذا الدر راسح الوزن رأس * وكذا الدر شائل الوزن هاب
جيف أنتنت فاضحت على اللجة والدر تحتها فى حجاب
وغثاء علا عبابا من السيل وغاص المرجان تحت العباب

وأخذه ابن الساعاتى فقال

لا ترفعن علم العلوم بجهل * فعلو حظك أن تخال جهولا
وتعد عن دنيا الدنى وان سما * تحو الشريف وان أصاب خمولا
فالسيف تكسبه الضرائب رفعة * اما تركنا بيشه فرتيه كلولا
والدر يرسب فى القرار وقد طفا * زبد البحار لا يعد جليلا

قال ان هجوتنى تموت زوجتى عيشوفة قلت لا قال فتموت حمارتى قلت لا قال فن رجلى الى عنقى فى رحم امك قلت ويلك فلم تركت رأسك قال حتى أنظر ما تصنع وكان الفرزدق يقول لقد استراح النبطى من حيث تعب الكرام ومن محاسن شعره قوله

تصرم منى ودبكر بن وائل * وما خلت باقى ودها يتصرم
قوارص تأتينى ويحتقرونها * وقد يملأ القطر الاناء فيفعم

(وقوله)

ان الذى سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه أعز وأطول
بيت زوارة محتب بفنائه * ومجاشع وأبو الفوارس نهشل
أين الذين بهم تسامى دارم * امن الى سلفى طهية تجعل
أحلامنا تزن الجبال رزانة * وتخالنا ان خشنا اذا ما نجهل
فادفع بكفك ان أردت بناءنا * تهلان ذا الهضبات لا يتخلخل
انى ارتفعت عليك كل ثنية * وسموت فوق بنى كليب من عل

(وقوله)

ومستمنح طاوى المصير كأنما * يساوره من شدة الجوع أواق
دعوت بحمراء الفروع كأنها * ذرى راية فى جانب الجو تخفق

وأخذه الغزى أيضا فقال

وترفع الاوباش فوق جائز * أوليس درا البحر تحت جفائه
بوقاحة السرحان هان وانما * زاد العزيز مهابة بحيائه

وما أحسن قول ابن منير يصف النواعير

لنواعيرها على الماء أنحا * ن تهيج الشجى لقلب المشوق
فهى مثل الافلاك شكلا وفعلا * قسمت قسم جاهل بالحقوق
بين عال خال ينكسه الدهـ * ـر ويعلو سافل مرزوق

وقال أبو القاسم الباسليسى

لقد كدت سوق الفضائل كلها * وللهزل أحظى فى الزمان من الجد
فلست أرى الاكريما يفرمن * لئيم وحرا يشتكى الضيم من عبد

وقال أبو العلاء بن أبى الندى

لاغرو أن كان من دونى يفوزبكم * وأثنى عنكم بالويل والحرب
يدنى الارائك فيضحى وهو ملتثم * ثغر الفتاة ويلقى العود فى اللهب

وقال أبو عبيد البكرى

ومازال هذا الدهر يلعن فى الورى * فيرفع مجرورا ويخفض مبتدا

وأنشدنى من لفظه لنفسه عكس هذا المعنى المولى جمال الدين محمد بن نباتة

زد كل يوم رفعة فى العلى * وليصنع الحاسد ما يصنع
الدهر نحوى كما ينبغى * يدرى الذى يخفض أو يرفع

وقال ابن نقادة

الدهر يرفع مخفوضا ويخفض مر * فوعا من الناس حمدا فهو لحان
فالفضل ينحط والنقصان مرتفع * كأنما صرفه فى الحكم ميزان

وما أحسن قوله صرفه مع ذكر الميزان والاصل فى المعنى قول ابن الرومى

قالت علا الناس الا أنت قلت لها * كذاك يسفل فى الميزان من رجحا

وقال الآخر زائدا عليه

الدهر كالميزان يرفع ناقصا * أبدا ويخفض راجح المقدار
واذا انتحى الانصاف ساوى كونه * فى الوزن بين حديدة ونصار

وقال التهامى

تأمل القدر المحتوم وارض به * فانما وزن الدنيا بميزان
فظل يزداد فيها كل منتقص * علا ويهبط فيها كل رجحان

وقال الخطيرى الوراق

لاغرو أن أثرى الجهول على * نقص واعدم كل ذى فهم
ان اليد اليسرى وتفضلها الـ * ـيمنى تفوز بعلم الكم

ومن هذه المادة قول محمد بن شرف القيروانى فى خدمة الحر أصحابه

خادمنا خير ناوأفضلنا * نطرح أعباءنا ويحملها

وانى سفيه النار للمبتغى القرى
وانى حليم الكلب للضيف يطرق
اذا مت فابكينى بما أنا أهله
فكل جميل قلت فى يصدق
وكم قائل مات الفرزدق والندى
وقائلة مات الندى والفرزدق
كان الجاحظ يكثر التعجب والاستحسان لقوله سفيه النار وحليم الكلب وقوله يرثى ابنيه
يذكرنى ابنى العما كان موهنا
اذا ارتفعا فوق النجوم العواتم
وقد رزئ الاقوام قبلى بنيهم
واخوتهم فاقنى حياء الكرائم
ومات أبى والمنذران كلاهما
وعمرو بن كلثوم شهاب الاراقم
وما ابناك الا من بنى الناس فاعلم
فلم يرجع الموتى حنين المأتم
وقوله فى الفائية التى أولها
عرفت باعشاش وما كدت تعرف
وأنكرت من حذواء ما كنت تعرف
اذا اغبر آفاق السماء وكشفت
بيوتا وراء الحى نكبا مجريف
وأصبح مبيض الصقيع كأنه
على سروات النيب قطن مندف
هذا البيت يروى بالنيب والبيت والنبت وأفصح ذلك كله النيب

فنحن يسرى اليدين تخدمها * يمناهما الدهر وهى أفضلها

وقال النور الاسعردى فيمن ندم على مدحه

يمينا مامدحتك من ضلال * ولى فى ذاك عذر للعالى
ولكنى أكمل منك نقصا * كما جعل الطراز على الشمال

وقال الحريرى

ان البنان الخمس أكفاء معا * والحلى دون جميعها للمنصر

وقال الآخر

وان لم أكن أهلا لما قد سألته * فقد عظموا اليمنى وقد حلوا اليسرى

وما أحسن قول شيخ الشيوخ شرف الدين عبد العزيز

النذل مفروض له يسره * والحر بالاقتار مرفوض
كذلك المنقوص لم ينخفض * وأكمل الاسماء مخفوض

وقال الوراق الخطيرى

كن ناقصا تشرف ان الغنى * يحرمه الكامل فى فهمه
فالبدر يحوى من نجوم الدجى * فى النقص مايعدم فى تمه

وقال قوام الدين أبو طالب

اذا طبع الزمان على اعوجاج * فلا تطمع لنفسك فى اعتدال
فلولا أن يكون الزيغ طبعا * لما مال الفؤاد الى الشمال

قلت ولهذا علموا الطواف بالكعبة لما كان الطائف يجعل الكعبة المعظمة على يساره قالوا ليجتمع البيتان على جهة واحدة لان القلب بيت الرب والقلب فى الجانب الايسر وسألت الشيخ الامام العالم العلامة شمس الدين أبا عبد الله محمد بن ابراهيم بن سعد الانصارى عن الحكمة فى ميل القلب الى الجانب الايسر فقال مقاومة حرارة الكبد التى فى الجانب الايمن بحرارة القلب التى فى الجانب الايسر ولو اجتمعا فى جانب واحد لافرطت الحرارة هنالك واستولى البرد على الجانب الذى يقابله فكان البدن مفلوجا بالطبع والحكمة تأبى ذلك قلت فهلا كان الامر بالعكس فيكون الكبد فى الجانب الايسر ويكون القلب فى الجانب الايمن فقال لو كان كذلك لاعتدل البدن فى حالة بالنسبة الى شقيه كما قلت ولكن الحركات تبتدى من جهة اليسار لان الكبد مبدأ توليد الدم الغادى والارواح الحاملة للقوى فكنا نسميه يمينا لان اليمين جهة مبدأ الحركة ولذلك سمت الحكما جهة المشرق يمين الفلك لابتداء الحركة العظمى فيها قلت فلعل الاعسر انما كان كذلك لان كبده فى الجانب الايسر فقال لايعد ذلك فى القياس وقال أحمد بن الخازن

من يستقم يحرم مناه ومن يزغ * يختص بالاسعاف والتمكين
انظر الى الالف استقام ففاته * نقط وفاز به اعوجاج النون

وعكس المعنى أبو طالب يحيى بن زيادة فقال

ان كنت تسعى للزيادة فاستقم * تنل المراد ولو سموت الى السما
ألف الكتابة وهو بعض حروفها * لما استقام على الجميع تقدما

ترى جارنا فينا بخير وان جنا
فلا هو مما ينطف الجار ينطف
وكنا اذا نامت كليب عن القرى
الى الضيف نمشى بالعبيط ونلحق
ومنها أيضا وهو أحسن ماقيل فى الفخر ويقال انه غصبه من جميل
ترى الناس ماسرنا يسيرون خلفنا
وان نحن أومأنا الى الناس وقفوا
وانك اذ تسعى لتدرك شأونا
لانت المعنى ياجرير المكلف

(وقوله)

لاخير فى الحب لاترجى نوافله
فاستمطروا من قريش كل منخدع
تخال فيه اذا خادعته بلها
عن ماله وهو وافى العقل والورع

وقوله يرثى جارية له حاملا

وجفن سلاح قد رزئت فلم أنح
عليه ولم أبعث عليه البواكيا
وفى بطنه من دارم ذو حفيظة
لوان المنايا أنسأته لياليا

أرباب البديع يستحسنون قوله وجفن سلاح للكناية عن الولد ويقولون انها كانت سوداء فانه أبدع فى التشبيه

قوله

وتقول كيف تميل ميلك فى الصبا
وعليك من سمة الحليم وقار

والشيب ينهض في الشباب كأنه
صبح يصيح بجانبيه نهار

قوله يصيح يعني يظهر يقال صاح الشجر بنفسه اذا طال كأنه ينادي على نفسه بالظهور (وهلا عشيت ولم تغتر وما أشك انك تكون وافد البراجم)

في النسخة عسيت بالسين المهملة وهو خطأ ولا يصح به المعنى يقال عسيت أن أفعل فلا يصح أن يقول قاربت ان تغتر والكلام يقتضي انه قد اغتر وانما هي عشيت أي وفقت وعشيت الابل وعشيتها اذا أطعمتها عشيا وفي المثل عش ولا تغتر * وأما وافد البراجم فهو رجل من تميم والبراجم خمسة من أولاد حنظلة والعرب تضرب المثل بوافد البراجم وذلك ان الملك عمرو ابن هند أحرق تسعة وتسعين رجلا من بني تميم لثار له عندهم وقد كان آلى ان يحرق منهم مائة فبيناهو يلتمس بقية المائة اذ مر رجل من البراجم يسمى عمارا قادم من سفر فاشتم رائحة القتار فظن أن الملك اتخذ طعاما فعدل اليه فقيل له ممن أنت قال من البراجم فالقي في النار وقيل ان الشقي وافد البراجم ومن هنا لك عيرت بنو تميم بحب الطعام

كما عكس المعنى على الشعراء ابن قزل المشد فقال

ان ترقى الى المعالى أولوا الفضـ * ـل وساخت تحت الثرى السفهاء
فحباب المدام يعلو على الكا * س محـ * ـلا وترسب الاقذاء

وقال آخر في المعاني المتقدمة

لقد قعد الزمان بكل حر * وخص أخا الحماقة باليسار
كما حاد الحساب على يمين * وآلاف الحساب على اليسار

وأخذه الشيخ صدر الدين محمد بن عثمان الوكيل فقال

عقود الحساب كيوم الحساب * فمن قل وقر اسما في المعالي
كذاك اليمين لها ما يقل * وعقد الكثير نصيب الشمال

وقال ابن الخياط

فذا الدهر مطوي على البخل بذله * يعود بمر المذق حين يصرح
يساوي لديه الفضل بالنقص جهله * وسيان للكفوف عمى ومصبح

وقال مجير الدين محمد بن تميم

الدهر عندي لا محالة أحول * واسأل به من كان طبا عاقلا
يرنو ليلحظ فاضلا فيرده * حول بعينيه فيلحظ جاهلا

وما أحلى قول ابن فلاقس

ان تأخرت فالحرم عطل * من حلى العبد وهو في شوال

وقال ابن اللبانة

لما تناهيت علما ظل ينقضي * عند الكمال يصيب النير السرر
وفي الغراب اذا فكرت مغربة * من فرط ابصاره يعزى له العور

قلت هذا من عادة العرب في التفاؤل يقولون الغراب أعور لانه الذي ينعق للفراق يريدون بذلك ضعف بصره لئلا يهتدي الى تفرق شملهم الملتئم كما عكسوا المعنى في المهلكة فقالوا مفازة وفي الاديم فقالوا اسلما طلبا للتفاؤل وفي لغتهم أشياء المراد منها باطنا خلاف الظاهر من ذلك قولهم للشاعر المفلق قاتله الله وللرجل الفارس المجرب لا أب له قال الحريري في درة الغواص وعلى هذا فسر بعضهم قوله صلى الله عليه وسلم لمن استشاره في النكاح عليك بذات الدين تربت يداك والى هذا المعنى أشار الشاعر في قوله

أسب اذا أجدت القول ظلما * كذاك يقال للرجل المجيد

قلت وفسر بعضهم قوله تربت يداك أي صار ما لها مثل التراب وقال آخرون بل المراد لحقت يداك بالتراب من الفقر ومثله أمثال العوام ضرب الارض طلع لوجهه الغبار وقد ضمنت عجز بيت الطغرائي فقلت

أفدي حبيبا له في كل جارحة * مني جراح بسيف اللحظ والمقل
تقول وجنته من تحت شامته * لي أسوة بانحطاط الشمس عن زحل

وكلفت تضمينه أيضا فيمن يعلوه عبد فقلت مرتجلا

رأيته تحت عبد بات يرهزه * فقلت ترضى بذا قبحت من رجل

وستأتى قصة عمرو ابن هند فى أصل تسميته محرقا وما السبب فى ذلك

(أو ترجع بصحيفة المتلمس)

(صحيفة المتلمس) مثل يضرب لمن يحصل له الضرر من جهة النفع * والمتلمس هو جرير بن عبد المسيح أحد بنى صعصعة شاعر مجيد من شعراء الجاهلية وفد هو وابن أخته طرفة بن العبد على عمرو ابن هند أحد ملوك الحيرة فنزلا منه فى خاصته حتى نادماه فبينما طرفة يوما يشرب معه وفى يده جام من ذهب فيه شراب أشرفت أخت عمرو فرآها طرفة وقيل انما رآها فى الاناء فقال الا بانى الظبى الذى تبرق شفاه ولولا الملك القاعد الثمنى فاه فسمعها عمرو فاضغنها عليه وامسكها فى نفسه ثم خرج عمرو يتصيد ومعه عبد عمرو بن بشر وكان طرفة هجاه فرمى عمرو حمارا وقال لعبد عمرو انزل فاذبحه فنزل اليه فعالجه فاعياه فقال عمرو قد عرفك طرفة حيث يقول فيك

ولا خير فيه غير ان له غنى
وان له كنتحا اذا قام اهضما

فقال له عبد عمرو وما هعالك به أشد قال وما هو قال قوله

فليت لنا مكان الملك عمرو
رغوثا حول قبتنا تخور

فهم بقتل طرفة وخاف من هجاء المتلمس له وان يجتمع

و كيف يعلوك عبد السوء قال نعم * لى أسوة بانحطاط الشمس عن زحل

(فاصبر لها غير محتال ولا ضجر * فى حادث الدهر ما يغنى عن الحيل)

(اللغة) محتال اسم فاعل من الحيلة اذا احتال وتعمد التحيل وضجر اسم فاعل من الضجر وهو القلق من الغم وقد ضجر فهو ضجر ورجل ضجور وأضجرنى فلان فهو مضجر وقوم مضاجر ومضاجير قال اوس

تناهقون اذا الخضرت نعالكم * وفى الحفيظة أيرام مضاجير

وضجر البعير كثر رغاؤه قال الشاعر

فان أهبه يضجر كما ضجر بازل * من الادم دبرت صفحتاه وغاربه

خفف ضجر ودبرت فى الافعال كما يخفف فخذ فى الاسماء والحادث والحدث والحدثى والحادثة والحدثان كل ذلك بمعنى ما يحدثه الدهر من الامور ويختص ذلك بالشر وذكرت هنا بيتين لى وهما

صبرى الذى اقتسمته غربة ونوى * كأنما لهما فى ذاك ميراث
وكل يوم على ما فيه من هرم * يلقى صروف الليالى وهى أحداث

احداث جمع حدث وهو الشاب وورثت بذلك عن الحوادث (رجع) الدهر تقدم الكلام عليه يغنى من الغنى والحيل جمع حيلة وهى الفكرة فى بلوغ القصد بطريق خفى على غيرك كأن الذى يفعل ذلك أفرغ حيلته وقوته فى اعتماده (الاعراب فاصبر) اصبر فعل أمر وقد تقدم الكلام على فعل الامر فى قوله فسر بنا فى ذمام الليل (لها) اللام هنا للتعدية وهى حرف جر والضمير يرجع الى معهود فى النفس لم يذكر وهى المقادير أو الايام أو الحوادث ثم أشياء تذكر مضمرة غير مظهرة كقوله تعالى كل من عليها فان يعنى الارض ولم يجر لها فى اللفظ ذكر وقوله تعالى كلا اذا بلغت التراقى أى الروح وقوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة أى على ظهر الارض وقوله تعالى انا أنزلناه فى ليلة القدر أى القرآن وقوله تعالى حتى توارت بالحجاب أى الشمس وقوله تعالى فانزلن به نقعا فوسطن به جمعا أى الوادى أو الموضع أو المكان وكذا قولهم ما عليها أكرم منى أى ما على الارض وقول أبى الطيب

وانك رعت الدهر فيها وربيه * فان شئت فليحدث بساحتها خطبا

يعنى بالارض (غير محتال) غير منصوب على الحال أى مسلما أمورك الى الله ومحتال مجرور بالاضافة وهى لغظية ما أفادت تعريفا وتقدم الكلام على غير فى قوله غير هياب ولا وكل (ولا ضجر) الواو عاطفة عطفت المنفى على المنفى ولا حرف نفى وضجر اسم فاعل من ضجر يضجر ضجرا فهو ضجر مثل فرح فهو فرح وحزن فهو حزن (فى حادث الدهر) فى هنا ظرفية وحادث مجرور بها والدهر مجرور بالاضافة وهى معنوية بمعنى اللام والجار والمجرور فى موضع رفع لانه خبر تقدم على المبتدا الذى يأتى فيما بعد وجواب الامر محذوف وهو الفاء كأنه قال اصبر ففى حادث الدهر ما يغنى وقد تحذف قال الشاعر

من يفعل الحسنات الله يشكرها * والشر بالشر عند الله مثلان

تقديره فالله يشكرها (ما يغنى) ما هذه نكرة موصوفة بما بعدها وقد تقدم الكلام على ما وتقسيمها كأنه قال شئ مغن ويغنى فعل مضارع مرفوع لخلوه من الناصب والجازم وعلامة

رفعه ضمة مقدرة على الياء لانه معتل الطرف بالياء وهو فى موضع رفع لانه صفة للمبتدا الذى هو نكرة كأنه قال شئ مغن فى حادث الدهر (عن الحيل) عن للتجاوز والحيل مجرور بعن والجار والمجرور متعلق بيغنى والتقدير فاصبر للحوادث مسلما أمورك ففى حادث الدهر شئ يغنيك عن الحيل (المعنى) اصبر للنوائب صبر من لا يحتال ولا يقلق لنزولها فان فى حادث الدهر ووقائعه ما يغنيك عن الحيل ويأتيك بما لا تقدر عليه بحيلك وحولك ولو لم يكن فى الصبر الا ما جاء فى القران الكريم من الثناء على من اتصف به ومن الوعد له بالعقبى وما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم من قوله انتظار الفرج بالصبر عبادة لكان فى ذلك كفاية وروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الصبر نصف الايمان واليقين الايمان كله وقالت عائشة رضى الله عنها لو كان الصبر رجلا لكان كريما وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه القناعة سيف لا ينبو والصبر مطية لا تكبو وافضل العدة الصبر على الشدة وسئل الامام على رضى الله عنه اى شئ اقرب الى الكفر قال ذو فاقة لا صبر له وقال الحرث ابن أسد المحاسبى لكل شئ جوهر وجوهر الانسان العقل وجوهر العقل الصبر ومن كلامهم الصبر مر لا يتجرعه الا حر وكان بن المقفع يقول اذا نزل بك أمر مهم فانظر فان كان لك فيه حيلة فلا تجزع وان كان مما لا حيلة فيه فلا تجزع وما أحسن قوله تعجز وتجزع وهذا الذى يسمى قلب البعض وهو معدود عند أرباب البديع من الجناس كقولك رقيب وقريب وقال بعض العارفين كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو وقال الطحاوى أخبرنا أحمد بن أبى عمران أخبرنا أبو نصر أحمد بن أبى حاتم حدثنا الاصمعى عن أبى عمرو بن العلاء قال استعمل الحجاج أبى على أعمال له فنقم عليه فتوارى عنه فى بادية من قومه وأنا معه فبينا أنا معه فى سحر من الاسحار اذ مر راكب وهو يقول

صبر النفس عند كل ملم * ان فى الصبر حيلة المحتال
لا تضق فى الامور ذرعا فقد يكـ * ـشف عنها الردى بغير احتيال
ربما تكره النفوس من الامـ * ـر له فرجة كحل العقال

قال فقلت ماذا قال مات الحجاج قال فوالله ما أدرى بايهما كنت أشد فرحا بقوله مات الحجاج أم بقوله فرجة اه وقد حكاها بعضهم بزيادة وهو أن الحجاج أنكر على من قرأ الامن اعترف غرفة فقال ان لم تأتنى على ذلك بدليل والا ضربت عنقك وأجله على ذلك أجلا فجعل يطوف فى احياء العرب حتى وقع بمن أنشده الابيات (رجع) وفى كلام بعض الحكماء القواهر العلوية دائمة الفيض ممنوعة الحجب تقتص من الظالم للمظلوم وما أحسن قول بن حجاج

دعها سماوية تجرى على قدر * لا تفسدنها برأى منك أرضى

وقال احمد بن حديس الصقلى

ما أغفل الفيلسوف عن طرق * ليست لاهل العقول منسلكه
من سلم الامر للاله نجا * ومن غدا القصد واقع الهلكه

وقال آخر

اذا ما خطب وأيقنت من * ضعف بان الامر ياتى عسير
ينعكس الامر ويأتى كما * شئت فسبحان اللطيف الخبير

عليه بكر بن وائل منى قتلهما ظاهرا فقال لهما يوما أظنكما قد اشتقتما الى الاهل قالا نعم فكتب لهما كتابين الى عامل البحرين وقال انى كتبت لكما بصلة فاقبضاها من عامل البحرين فخرجا من عنده والكتابان فى أيديهما فمرا بشيخ جالس على ظهر الطريق منكشفا يقضى حاجته وهو مع ذلك يأكل ويتغلى فقال أحدهما لصاحبه هل رأيت أعجب من هذا الشيخ فسمع الشيخ مقالته فقال ما ترى من عجبى أخرج خبيثا وادخل طيبا واقتل عدوا وان أعجب منى من يحمل حتفه بيده وهو لا يدرى فاوجس المتلمس فى نفسه خيفة وارتاب بكتابه فلقيه غلام من أهل الحيرة فقال له أتقرأ يا غلام فقال له نعم فقبض كتابه فقرأه فاذا فيه أما بعد فاذا أتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه واصلبه حيا فاقبل على طرفة فقال والله لقد كتب لك بمثل هذا فادفع كتابك الى الغلام يقرؤه فقال كلا ما كان ليجترئ على قومى بمثل هذا وأنا أقدم عليهم فأكون أعز منه فالقى المتلمس صحيفته فى نهر الحيرة وقال

رميت بها لما رأيت مدادها
يحول به التيار فى كل جدول

ثم قال يخاطب طرفة

وقال آخر

الدهر لا ينفك من حدثانه * والمرء منقاد لحكم زمانه
فدع الزمان فانه لم يعتمد * لجلاله أحدا ولا لهوانه
كالمزن لم يخصص بنافع صوبه * أفقا ولم يختر أذى طوفانه
لكن لباريه مواطن حكمة * في ظاهر الاضداد من أكوانه

وقال أبو بكر يحيى بن بقى

دع المنى ربما نيلت بلا طلب * وربما وقع الحرمان في المهن

وقال التهامى

الدهر كالطيف بؤساه وأنعمه * من غير قصد فلا تمدح ولم تلم
لا تسأل الدهر في غماء يكشفها * فلو سألت دوام البؤس لم يدم

وذكرت هنا قول أبي بكر الخوارزمى في الصاحب بن عباد

لا تحمدن ابن عباد وان هطلت * كفاه بالجود حتى أخجل الديما
فانها خطرات من وساوسه * يعطى ويمنع لا بخلا ولا كرما

وكان الصاحب قد تلقاه بالرحب والسعة وأكرم نزله فصنع هذين البيتين وتركهما في مكان يجلس فيه الصاحب وسافر من وقته فلما وقف الصاحب عليهما قال

أقول لركب من خراسان اقبلوا * أمات خوارزميكم قيل لى نعم
فقلت اكتبوا بالجص من فوق قبره * ألا لعن الرحمن من يكفر النعم

وكان الخوارزمى مولعا بهذا المعنى يردده في شعره فمن ذلك قوله

ما أثقل الدهر على من ركبه * حدثنى عنه لسان التجربه
لا تحمد الدهر لشئ سببه * فانه لم يتعمد بالهبه
وانما أخطأ فيك مذهبه * كالسيل اذ يسقى مكانا خربه
والسم يستشفى به من شربه

وهذا كله خلاف قول بن المعتز

الدهر فيه مساءة ومسرة * فجزاء دهرك أن يذم ويحمدا

وقال أبو الطيب في المعنى الاول

هون على بصر ما شق منظره * فانما يقظات العين كالحلم
ولا تشك الى خلق فتشمتهم * شكوى الجريح الى الغربان والرخم

وقال الغزى

لا تشكون من الخمول فربما * كان الخمول الى السلامة سلما
لولا كمون الدر في أصدافه * ومشقة استخراجه ما قوما

وقال أيضا

لا تشك فالايام جبلى ربما * جاءتك من أعجوبة بعجيبة
فكذا تصاريف الزمان مشقة * في راحة وخشونة في لين
ما ضاع يونس بالعراء مجردا * في ظل نابتة من اليقطين

أطريفة بن العبد انك حائن
أبساحة الملك الهمام تمرس
ألق الصحيفة لا ابالك انه
يخشى عليك من الحياء النعرس

ثم مضى طرفة بكتابه الى صاحب البحرين فقتله فلما سمع المتلمس ما جرى عليه قال

عصانى فما الاقى رشادا وانما
تبين من أمر الغوى عواقبه
فاصبح محمولا على آلة الردى
تمج نجيع الجوف منها ترائبه
فان لا تجللها يعالوك فوقها
وكيف التوقى ظهر ما أنت راقبه

ثم لحق بالشام وهجا عمرا وبلغه أن عمرا يقول حرام عليه حب العراق أن يطعمهم منه حبة ولان وجدته لاقتلنه فقال

آليت حب العراق الدهر أطعمه
والحب يأكله في القرية السوس
أغنيت شاتى فأغنوا اليوم تيسكم
واستحمقوا في مراس الحرب أو كيسوا

قال أبو حاتم قرأت هذه الابيات على الاصمعى فتعصفت على فقلت اغنيت شاتى فأغنوا اليوم شاتكم فقال الاصمعى قل فأغنوا اليوم تيسكم ومن جيد شعر المتلمس قوله من قصيدة

والاول مأخوذ من قول الاول

والليالى من الزمان حبالى * مثقلات يلدن كل عجيب

وقال بن نباتة السعدى

تربص بيومك مافى غد * فان العواقب قد تعقب
لعل غدا من أخيه حمى * يلم لك الصدع أو يرأب

وقال الطغرائى رحمه الله

رويدك فالهموم لها نتاج * وعن كتب يكون لها انفراج
ألم تر أن طول الليل لما * تناهى حان للصبح انبلاج

وقال أبو فراس بن حمدان

خفض عليك ولا تكن قلق الحشا * مما يكون وعله وعساه
فالدهر أقصر مدة مما ترى * وعساك أن تكفى الذى تخشاه

وقال آخر

أبى لى اغضاء الجفون على القذى * يقينى أن لا ضيق الا سيفرج
الا رب ماضاق الفضاء باهله * وأمكن من بين الاسنة مخرج

والى هذا أشار بن سناء الملك فى قوله يمدح الملك العادل

يجر جيوشا يركد النقع بينها * فلم يلق من بين الاسنة مخرجا

وقال ابراهيم بن عباس الصولى

ولرب نازلة يضيق بها الفتى * ذرعا وعند الله منها المخرج
كملت فلما استحكمت حلقاتها * فرجت وكان يظنها لا تفرج

قال القاضى شمس الدين احمد بن خلكان فى وفيات الاعيان انه ما رددهما من نزلت به نازلة الا فرج الله عنه

وقال آخر

كن عن همومك معرضا * وكل الامور الى القضا
وابشر بخير عاجل * تنسى به ما قد مضى
فلرب أمر مسخط * لك فى عواقبه الرضا

وقال المعتمد بن عباد

من يحب الدهر لم يعدم تقلبه * والشوك ينبت فيه الورد والآس
تمر حينا وتحلولى حوادثه * فقلما جرحت الا انثنت تاسو

قلت قد جرحته الليالى ولم تاسه وفقد عند الشدة رهطه وناسه وواقعة المعتمد بن عباد صدعت الاكباد ودكت لها من القلوب اطواد فانه لم يجر على ملك ما جرى عليه ولا ذوى به ولا اصيب احد بمصيبته فى ملكه وماله ونفسه وبنيه ومارعت الايام له حقوقه ولا أرت المعالى بعد غروبه شروقه ولا عدت ان عدت بنوه الاملاك فى السوقه حتى قال أبو بكر بن اللبانة وقد رأى ولده فخر الدولة بن المعتمد وهو فى دكان صائغ يعمل صناعة الصياغة

أذكى القلوب أسى أجرى الدموع دما * خطب وجودك فيه يشبه العدما

وعاد

ألم تر أن المرء رهن منية
صريع لعاف فى الطير أو سوف يرمس
فلا تقبلن ضيما مخافة ميتة
وموتا بها حرا وجلدك املس

وقوله يصف البخل ويمدحه

لحفظ المال خير من بغاة
وضرب فى البلاد بغير زاد
واصلاح القليل يزيد فيه
ولا يبقى الكثير مع الفساد

(وقوله)

الى كل قوم سلم يرتقى به
وليس الينا فى السلالم مطلع
ويهرب منا كل وحش وينتمى
الى وحشنا وحش الفلاة فيرتع

وقوله وهو أحسن ما ورد فى المستنبحات

ومستنبح تستكشف الريح نوبه
ليسقط عنه وهو بالنوب معصم
عوى فى سواد الليل بعد اعتسافه
لينبح كلب أو ليوقظ نوم
فجاؤا به مستسمع الصوت للندى
له عند اتيان المهيبين مطعم
يكاد اذا ما أبصر الضيف مقبلا
يكلمه من حبه وهو أعجم

(أو افعل بك ما فعله عقيل ابن علفة بالجهنى اذ جاءه) (خاطبا فدهن استه بزيت وأدناه من قرية النمل)

هو عقيل بن علفة بن الحرث البربوعى يكنى أبا العماس وأمه عمرة بنت الحرث بن عوف المرى وأمها بنت بدر ابن حصن بن حذيفة شاعر من

وعاد كونك فى دكان قارعة * من بعدما كنت فى قصر حكى ارما
صرفت فى آلة الصياغ أنملة * لم تدر الا الندى والسيف والقلما
يد عهدتك للتقبيل تبسطها * فتستقل الثريا أن تكون فما
ياصائغا كانت العليا تصاغ له * حليا وكان عليه الحلى منتظما
للنفخ فى الصور هول ما حكاه سوى * هول رأيتك فيه تنفخ الفحما
وددت اذ نظرت عينى اليك به * لو أن عينى تشكو قبل ذاك عمى
لح فى العلى كوكبا ان لم تلح قمرا * أو قم بها ربوة ان لم تقم علما

وهذه جملة من القصيدة وقد تأخر منها بقية وعلى الجملة ما رأى الناس ولا سمعوا بمثلها رزية وقد ذكرت واقعته فى كتب الادب والتاريخ وذكرها ابن خلكان وغيره وعمل أبو بكر بن اللبانة جزأ سماه نظم السلوك فى وعظ الملوك قصره على واقعة المعتمد واشعاره فى السجن واشعار أولاده وقال فيه ومن الغريب انه أخرج من سجن أغمات ونودى عليه الصلاة على الغريب ومن نظمه فيه قوله

لم تمت انما المكارم ماتت * لا سقى الله بعدك الارض قطرا

وله فيه قصيدة أولها

لكل شئ من الاشياء ميقات * وللنى من منا یاهن غايات
انفض يديك من الدنيا وساكنها * فالارض قد أقفرت والناس قد ماتوا
وقل لعالمها العلو قد كتمت * سريرة العالم السفلى أغمات

وله فيه قصيدة أخرى اولها

تنشق ريا حين السلام فانما * أفض بها مسكا عليك مختما
وقل لى مجازا ان عدمت حقيقة * لعلك فى نعمى فقد كنت منعما

ومنها قوله

ينجيك من نجى من الجب يوسفا * ويؤويك من آوى المسيح بن مريما
فما كان قبر هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما

وله قصيدة أخرى دالية اولها

تبكى السماء بمزن رائح غادى * على البهاليل من ابناء عباد
على الجبال التى هدت قواعدها * وكانت الارض منهم ذات اوتاد
عريسة دخلتها النائبات على * اساود منهم فيها وآساد
وكعبة كانت الآمال تخدمها * فاليوم لا عاكف فيها ولا باد
ياضيف اقفر بيت المكرمات فخذ * فى ضم رحلك واجمع فضلة الزاد
ويا مؤمل واديهم ليسكنه * خف القطين وجف الزرع والوادى
ان يخلعوا فبنو العباس قد خلعوا * وقد خلت قبل حمص ارض بغداد

يريد بحمص هنا حمص المغرب وهى اشبيلية وله فيه من جملة امداحه قصيدة باثية اولها

بكت عند تودیعى فما علم الركب * أدالك سقيط الطل ام لؤلؤ رطب
وتابعها سرب وانى لمخطئ * نجوم الدياجى لا يقال لها سرب

شعراء الدولة الاموية وكان أهوج جافيا شديد الغيرة والحرفة والبذخ بنسبه وهو من بيت شرف فى قومه من كلا طرفيه وكان لا يرى أن له كفؤا وكانت قريش ترغب فى مصاهرته وتزوج اليه من حلفائها وأشرافها وخطب اليه عبد الملك بن مروان بعض بناته لبعض ولده فاطرق ساعة ثم قال ان كان ولا بد فخنثى هجناء لك فضحك عبد الملك وعجب من كبر نفسه على ضائقته وشدة عيشه بالبادية وتزوج يزيد بن عبد الملك بعض بناته ودخل على عثمان بن حيان وهو أمير المدينة فقال له عثمان زوجنى بعض بناتك فقال أبكرة من ابلى تعنى فقال له عثمان أمجنون أنت قال أى شئ قلت لى قال قلت لك زوجنى ابنتك فقال ان كنت تريد بكرة من ابلى فنعم فأمر به فوجئت عنقه فخرج وهو يقول

لحى الله دهرا دعع المال كله

وسود أبناء الاماء الفوارك

وكان له جار جهنى فخطب اليه ابنته فغضب عقيل وأخذ الجهنى فكتفه ودهن استه بشحم أو بزيت وأدناه من قرية النمل فاكل خصيتيه حتى ورم جسده ثم حله وقال أيخطب الى عبد الملك بن

ومنها سالت اخاه البحر عنه فقال لى * شقيتى الا انه البارد العذب
لنا د يمتاماه ومال فديمنى * تماسك احيانا وديمته سكب
اذا نشات بريه قبله الندى * وان نشأت بحرية فلى السحب

وكتب اليه يودعه وهو فى سجن اغمات من ابيات

رويدك سوف توسعنى سرورا * اذا عاد ارتقاؤك للسرير
وسوف تحلنى رتب المعالى * غداة تحل فى تلك القصور
تزيد على ابن مروان عطاء * بها وازيد ثم على جرير
تأهب ان تعود الى طلوع * فليس الخسف ملتزم البدور

وقال المعتمد وهو فى سجن اغمات من ابيات

مضى زمن والملك مستأنس به * واصبح عنه اليوم وهو نفور
برأى من الدهر المضلل فاسد * متى صلحت للصالحين دهور

فاجابه ابن حديس الصقلى بابيات منها

تجىء خلافا للأمور أمور * ويعدل دهر فى الورى ويجور
أتيأس من يوم يناقض أمسه * وشهب الدرارى فى البروج تدور
وقد تنتحى الاملاك بعد نحولها * ويخرج من بعد الخسوف بدور

وما أحسن قول القائل

لاتجزعن لعسرة من بعدها * يسران وعد ليس فيه خلاف
كم عسرة ضاق الفتى لنزولها * لله فى أعطافها ألطاف

البيت الاول فيه اشارة الى قوله تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا قال الامام فخر الدين قال ابن عباس يقول الله تعالى خلقت عسرا واحدا وخلقت يسرين فان يغلب عسر يسرين وروى مقاتل عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لن يغلب عسر يسرين وقرأ هذه الآية وفى تقرير هذا المعنى وجهان قال الفراء والزجاج العسر مذكور بالالف واللام وليس هنا معهود سابق فيصرف الى الجنسية فيكون المراد بالعسر فى اللفظتين واحدا وأما اليسر فانه مذكور على سبيل التنكير فكان أحدهما غير الآخر وزيف الجرجانى هذا وقال اذا قال قائل ان مع الفارس سيفا ان مع الفارس سيفا يلزم أن يكون هناك فارس واحد ومعه سيفان ومعلوم ان ذلك غير لازم من وضع العربية الوجه الثانى أن تكون الجملة الثانية تكريرا للاولى كما قرر قوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين ويكون الغرض تقرير معناها فى النفوس وتمكينها فى القلوب وكما يكون المفرد فى قولك جاءنى زيد زيد والمراد يسر الدنيا وهو ما تيسر من افتتاح البلاد ويسر الآخرة وهو ثواب الجنة لقوله تعالى قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين وهما حسنى الظفر وحسنى الثواب فالمراد من قوله لن يغلب عسر يسرين هذا وذلك لان عسر الدنيا بالنسبة الى يسر الدنيا ويسر الآخرة كالنزر القليل اه وبالجملة فالله تعالى قد أمر بالصبر وحث عليه ووعد بالعقبى لمن صبر والسنة ملأى من ذلك والعقلاء أجمعوا على ملازمته وهو شعار الانبياء والصديقين والشهداء ولكن فيه مشقة وألم وطول أمد قال الشاعر

مروان وارده وتجترئ أنت
على ان تخطب الى * وعما
حكى عنه انه خرج هو وابناه
حشامة وعملس وأختهما
المسماة بالحوراء حتى أتوا
ابنة له نا كحا فى بنى مروان
بالشام ثم قفلوا حتى اذا كانوا
ببعض الطريق قال عقيل
قضت وطرا من دير سعد
وطالما
على عرض ناطحته بالجماجم
ثم قال أجز يا حشامة فقال
وأصبحن بالموماة يحملن فتية
تساوى من الادلاج ميل العمائم
ثم قال أجز يا عملس فقال
اذا علم غادرنه بتنوفة
تدار عسن بالايدى لآخر
طاسم
ثم قال يا حوراء أجيزى فقالت
كأن الكرى أسقاهم صرخدية
تدب دبيبا فى المطا والقوائم
فقال عقيل شربتها ورب
الكعبة ثم شد عليها بالسيف
ليقتلها فقال أخوها ما ذنبها
انما أجازت شعرا فشد عليه
فخدشه أحدهم بسهم فوقع
يتمعك فى دمه ويقول
ان بنى ضرجونى بالدم
من يلق أبطال الرجال يكلم
شنشنة أعرفها من أخزم
الشنشنة السيجية وأخزم
فعل منجب لرجل من العرب
وقيل أخزم جد حاتم الطائى
ثم توجه ولده الى الطريق

ما أحسن الصبر ولكنه * في ضمنه يذهب عمر الفتى

وقال القاضي الفاضل

يقولون ان الصبر يعقب راحة * وما ضمنوا تبليغ عاقبة الصبر
وفي الصبر ربح أو طريق مبلغ * الى الربح لكن الخسارة في عمري

ونقلت من خط السراج الوراق له

وقائل قال لي لما رأى قلقي * لطول وعد وآمال تعنينا
عواقب الصبر فيما قال أكثرهم * محمودة قلت أخشى أن تخزينا

وقال أبو الحسين الجزار

عدم الصبر فهو يظهر ما يلـ * ـقاه بعد الجحود والكتمان
وعناد الاقدار لا ينفع المر * ء ولكن ما الصبر في الامكان

وما أحسن قول ابن شرف القيرواني

وحسن صبري فلا يغرنك عن ضرر * مثل الملاحة في أجفان ذي السبل

وقال أبو الوليد بن زيدون

أمقتولة الاجفان مالك والها * ألم ترك الايام نجما هوى قلي
أقلي البكا اذ لست أول حرة * طوت بالاسى كشحا على مضض الثكل
وفي أم موسى عبرة اذ رمت به * الى اليم في التابوت فاعتبري واسلي
ولله فينا علم غيب وحسبنا * به عند جور الدهر من حكم عدل

وقال الحسين القاضي الاشرف أحمد بن القاضي الفاضل

تصبر للعواقب واحتسبها * فأنت من العواقب في اثنتين
ترى بلغ المنى أو بالمنايا * فان الموت احدى الراحتين

وقال ابن رشيق

ما أنت يا دهر بالاهوال تفجعنا * الا كمن يقرع الجلمود بالخزف
ان كنت أنت لسيف الغدر منتضيا * فاني من جميل الصبر في زعف

وقال أبو المظفر محمد بن اسمعيل الابيوردي

تنكر لي دهري ولم يدر أنني * أعز وان الحادثات تهون
فبات يريني الخطب كيف اعتداؤه * وبت أريه الصبر كيف يكون

وقال أبو الفتح البستي

من جعل الصبر في مقاصده * وفي مراقيه سلما سلما
والصبر عون الفتى وناصره * وقل من عنه ندما ندما
كم صدمة للزمان منكرة * لما رأى الصبر صدما صدما
فاصبر فان الزمان عن كثب * يأسو على الرغم كلما كلما

قلت وفي هذه الابيات الجناس الذي يسميه أرباب البديع جناس التحريف ونقلت من كتاب أجناس التجنيس تصنيف أبي الوفا صادق بن كامل وهو بخطه قصيدة له كانت غير منقوطة ولا مضبوطة وهي

فلما مروا بابني القين قالوا لهم هل لكم في جزور أنكسر قالوا نعم قالوا الزموا أثر هذه الرواحل حتى تجدوا الجزور فخرج القوم حتى انتهوا الى عقيل فاحتملوه وعالجوه الى أن برئ ولحق بهم وقد روى الحكاية على غير هذا الوجه وان المخدوش بعض ولده والذي عليه أكثر الرواة هذه وروى أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه عاتب رجلا من قريش أمه أخت عقيل ابن علفة فقال له قبحك الله لقد أشبهت خالك في الجفاء فبلغت عقيلا فرحل من البادية حتى دخل على عمر فقال له أما وجدت لابن عمك شيأ تعيره به الا خؤلتي قبح الله شركما خالا فقال عمر انك لأعرابي جاف أما لو كنت تقدمت اليك لأدبتك والله ما أراك تقرأ من كتاب الله شيأ قال بلى اني لاقرأ ثم قرأ انا بعثنا نوحا فقال له عمر ألم أقل انك لم تقرأ فقال ألم أقرأ فقال ان الله تعالى قال انا ارسلنا نوحا فقال عقيل خذوا بطن هرشى أو قفاها فانه

كلا جانبي هرشى لهن طريق

فجعل القوم يضحكون من عجرفته ويعجبون منه وقدم عقيل المدينة فدخل المسجد وعليه خفان غليظان فجعل

أدر أدركاس السرور فـفي الربى * حدائق للاحداق من زهر زهر
وعـد وعد أيام التصابي فانها * كاضغاث أحـلام ومن سفر سفر
ودرودر كالحميا تديرها * ثغور بها يفـترعن بدر بدر
الى م ألام اليـوم في جهـم فقل * ودع أن ينال العقل من خمر خمر
أقل أقل ياقلب من لوعة الهوى * ففيـه لقلب الصب من قر قر
وصل وصل واعتدوا عتد تسليا * فيغنيك في السلوان عن خبر خبر
ملاذ ملاذ المرء في الدهر أن يرى * له ثروة تغني ومن قدر قدر
فوات فوات القصد في العمر واقصد الـ * ـتقى وقد وافاك من عمر عمر
يمين يمين الظن الا بوعدها * وخلق له ماخط من بشر بشر
وعرف وعرف في سناء وفي سنا * توالى بها منـه على صدر صدر
كأن كان للدنيا وللدين سيفه * يحط به عن كل ذي وزر وزر
وعيد وعيد منه في السخط والرضى * ولا مانع منـه لدى حذر حذر
أكف أكف الشر في حومة الوغى * فليس لها في الحرب في ظفر ظفر
معين معين صارف متصرف * اليه بما في الدهر من فقر فقر
وقد وقد أعيى الردى الناس سيره * وجرعه منه جنى صبر صبر
أبى أبى الا الصفاح تكرما * بعلم وألهته عن السمر السمر
وجود وجود للنايا وللمنى * وجد ووجد فيه من ذكر ذكر

(رجع) قال الشاعر وهو أرق ما يكون

ومصبر الصب قلت له وهل * صبر لمن عنه الحبيب يغيب
والله ان الشهد بعد فراقهم * مالذلي فالصبر كيف يطيب

وقال آخر

لاتخف للخطوب في كل وقت * لاولا تخشها اذا هي حلت
فحقيق دوامها ليس يبقى * كثرت في الزمان أو هي قلت
وادرع للهموم صبرا جميلا * فالرزايا اذا توالت تولت

وقال آخر

اذا بلغ الحوادث منتهاها * فرج بقرب بها الفرج المطلا
فكم خطب تولى اذا توالى * وكم كرب تجلى حين جلا

وقال آخر

اصـــــبر اذا نائبة حلت * فهي سواء والتي ولت
واستنهض العزم فليس الظبا * تبرى وتفرى كالتي كلت

وقال القاضي الفاضل

لاتلن للخطوب واصلب فمن لا * ن توالى عليه قرع الخطوب
ان ضرب الحديد ما كان الا * حين أبدى لينا لحر اللهيب

وقال آخر

يضرب برجليه فضحكوا منه فقال ما يضحككم فقال له يحيى بن الحكم وكانت ابنة عقيل عنده وكان أميرا على المدينة انهم يضحكون من خفيك وضربك برجليك وجفائك فقال لاولكنهم يضحكون من امارتك فانها أعجب من خفي وحكي أن يحيى ابن الحكم حين خطب ابنة عقيل بعث اليها جارية من عنده تنظر اليها فغمزت الجارية عضدها فرفعت يدها فدقت أنف الجارية فرجعت الى يحيى وقالت بعثتني الى أعرابية مجنونة فصنعت بي ماترى فلما اتصلت بيحيى قال لها مالك مع الخادم فقالت أردت أن يكون نظرك الي قبل كل ناظر فان كان حسنا كنت أول من تراه وان كان قبيحا كنت أولى من واراه وبهاتين الخصلتين يستشهد في التجنيس لقولها أول وأولى ورآه ووارأه ومن جيد شعر عقيل يرثي ولده علقمة يقول لعمري لقد جاءت قوافل أخبرت

بأمر من الدنيا على ثقيل
لتسع المنايا حيث شاءت فانها
محللة بعد الفتى ابن عقيل
فتى كان مولاه يحل بنجوة
فحل الموالي بعده بسبيل
كأن المنايا تنتقي من خيارنا
لها تارة أو تهتدي بدليل

اذا حل بك الامر * فسكن بالصبر لواذا
والا فاتك الاجر * فلا هذا ولا هذا

وما أحسن قول بعضهم

كل آت آت وشيكا وذو الجهل معنى والهم والحزن فضل

وقال مسلم بن الوليد

وقالت لتربيها سلاه أعاتب * فنعتبه أم صارم متجنب
واني لها بالوصل لاهي أيم * ولا أنا عن قصد المحبة أنكب
لعلك أن تمسي بفرقة صاحب * وتستعتب الايام فيك فتعتب

وقال آخر في هذه المادة

تربص بها ريب المنون لعلها * تطلق يوما أو يموت حليلها

وقال آخر أيضا

لي منية ياهند أرجو نيلها * في بعلك الوغد الدني الصاحب
اما طلاق بين اومية * تجتاحه فأكون أول خاطب

ويقال ان الرشيد أراد ان يبتاع عنانا جارية الناطفي من مولاها في حياته فاشتط عليه في الثمن وقال لا أبيعها الا بمائة ألف دينار فلما بيعت بعد موت الناطفي اشتراها الرشيد بخمسين ألف درهم فلما صارت اليه قال كيف رأيت ظفرنا بك وابتياعنا اياك ببعض ما قال مولاك فقالت يا أمير المؤمنين اذا كان الخليفة يتربص بشهواته المواريث بلغ ما يريد ببعض ما اشترى فاخجلته وقال آخر

لا أقول الله يظلمني * كيف أشكو غير منهم
قنعت روحي بما رزقت * وتعطت في العلى همي
ولبست الصبر سابغة * فهي من فرقي الى قدمي

قلت ما أحسن استعارة التعطي للهمم هنا وكذلك قول الشاعر في وصف مصلوب

كانه عاشق قد مد ساعده * يوم الفراق الى توديع مرتحل
أو قائم من نعاس فيه لوثته * مواصل لتمطيه من الكسل

وعلى ذكر المصلوبين فما أحسن قول ابن حمديس

ومرتفع في الجذع ان حط قدره * أساء اليه ظالم وهو محسن
كذي غرق مد الذراعين سابحا * من الجو بحرا عومه ليس يمكن
وتحسبه من جنة الخلد دانيا * يعانق حور الاتراهن أعين

وقال عمر الخياط

انظر اليه كانه متظلم * في جذعه لحظ السماء بطرفه
بسط اليدين كانه يدعو على * من قد أشار على الامير بحتفه

وقال بعضهم مر عمارة اليمني بمصلوب فقال يصفه

ومد على صليب الصلب منه * يمينا لا تطول الى الشمال
ونكس رأسه لعتاب قلب * دعاه الى الغواية والضلال

وقوله أيضا يحرض قومه وذلك بسبب جارهم

أما هلكت فلم آتكم
فابلغ أماثل سهم رسولا
أذل الحياة وذل الممات
وكلا أراه وخيما وبيلا
فان لم يكن غير احداهما
فسيروا الى الموت سيرا جميلا
ولا تقعدوا وبكم منة
كفى بالحوادث للمرء غولا

وقوله وقد خطب اليه رجل كثير المال يغمز في نسبه فامتنع

لعمري لئن زوجت من أجل ماله
هجينا لقد جبت الى الدراهم
أبى لي ان أرضى الدنية انني
أمد عنانا لم تخنه الشكائم
(ومتى كثر تلافينا واتصل
تراثينا
فيدعوني اليك مادعا ابنة الخس)
الى عبدها من طول السواد
وقرب الوساد

(ابنة الخس) هذه هي هند بنت الخس والخص والخسف الايادي حكى ذلك الشريف الرضي قديمة في الجاهلية أدركت القلمس أحد حكام العرب الذي يقال انه أول من وصل الوصيلة وسيب السائبة وتحاكمت هي وأختها جعة اليه في كلام لهما ومدحته بأبيات حسنة منها

قال فلم يمض ثلاثة أيام حتى رأيته مصلوبا مع جماعة بين القصرين وقال بعضهم عبرت بين القصرين وأنا عائد من دار السلطان صلاح الدين عشية النهار الذى صلب فيه عمار فشاهدته مصلوبا فذكرت أبياتا عملها فى الصالح وهى

اذا قدرت على العلياء بالغلب * فلا تعرج على سعى ولا طلب
ولا ترقن لى من كربة عظمت * فان قلبى مخلوق من الكرب
واستخبر الهول كم انست وحشته * وكم وهبت له روحى ولم أهب

قلت هذا نجم الدين عمارة اليمنى كان فقيها أديبا شاعرا شافعى المذهب من أهل السنة المتعصبين لها فى دولة الفاطميين الى مصر وصاحبها يومئذ الفائز بن الظاهر والوزير الصالح ابن رزيك فكان عنده فى أكرم محل وأعز جانب واتحد به على ما بينهما من الاختلاف فى العقيدة ثم رحل الى اليمن ثم عاد الى مصر وأقام بها الى أن زالت دولة الفاطميين على يد السلطان صلاح الدين رحمه الله ورثى أهل القصرين بقصيدته اللامية التى أولها

رميت يا دهر كف الجد بالشلل * ورعته بعد حسن الحلى بالعطل

ومنها

قدمت مصر فألفيتنى خللا * من المكارم ما أربى على الامل
قوم عرفت بهم كسب الالوف ومن * تمامها انها جاءت ولم أسل
ياعاذلى فى هوى أبناء فاطمة * لك الملامة ان قصرت فى عذلى
بالله زر ساحة القصرين وابك معى * عليهما لا على صفين والجمل
ماذا ترى كانت الافرنج فاعلة * بنسل آل أمير المؤمنين على
هل كان فى الامر شىء غير قسمة ما * ملكتم بين حكم السبى والنفل

وهى طويلة فى غاية الحسن مثبتة فى الجزء السابع من التذكرة فلما بلغت السلطان صلاح الدين تغير عليه وقيل انه استفتى عليه فى قوله فى قصيدته اليمية

وكان مبدأ هذا الدين من رجل * سعى فأصبح يدعى سيد الامم

فأفتى العلماء بقتله قلت لان هذا الكلام هو رأى الفلاسفة فى النبوات وانها بالتكسب وهى احدى المسائل التى كفروا بها والصحيح ان الله يجتبى من رسله من يشاء ولم يكن أحد من الانبياء صلوات الله عليهم عنده شعور بأنه يكون فيما بعد نبيا ولو كان كذلك ما أنكر النبى صلى الله عليه وسلم ورود الوحى عليه ولاحم وجاء الى أهله وقال زملونى زملونى وأرى أنا أن هذم مفتعل على الفقيه عمارة نظمه بعض أعدائه على لسانه ودسه فى تلك القصيدة وأغروا به السلطان وقالوا هذا متعصب للمصريين ويريد اعادة الدولة لهم وضموه مع القاضى العويرس وأولئك السبعة الذين صلبوا وما يبعد أن القاضى الفاضل تمالأ عليه واختاره هلاكه لانه لما استشاره صلاح الدين فى ضربه قال الكلب يسكت ثم ينبح قال فيسجن قال يرجى له الخلاص قال فيقتل قال الملوك اذا أرادوا شيئا فعلوه ونهض فأمر بصلبه مع الجماعة فلما أمسكوه قال مروا بى على باب القاضى الفاضل فلما رآه مقبلا قام ودخل وأغلق الباب فقال عمارة

عبد الرحيم قد احتجب * ان الخلاص من العجب

وذكر القاضى جمال الدين بن واصل فى مفرج الكروب ان القاضى العويرس رأى فى منامه المسيح عليه السلام وهو مطل عليه من السماء فقال له الصلب حق قال نعم فقصه على العابر

اذا الله جازى محسنا بوفائه
فجازاك عنى يا قلمس بالكرم
وبعض الرواة يزعم انها أقامت فى زمن النعمان عند هند ابنته ويستشهد على ذلك بقول الفرزدق وفيت بعهد كان منك تكرما
كما لابنة الخس الايادى وفت هند
وليس الامر كذلك وانما مراد الفرزدق أن هندا هى التى وفت لاختها جعة ابنة الخس لانها هند ابنة النعمان وكانت ابنة الخس قد زنت بعبد لها فلطمت وقيل لها ما حملك على الزنا فقالت قرب الوساد وطول السواد والسواد السرار يقال سادته اذا سارررته وفى الحديث السواد من السحر والحق بعض الرواة فى قولها وحب السواد لان أباها كان قد منعها من الزواج * ولها أسجاع كثيرة وشعر قليل وكانت تحاجى الرجال الى أن مر بها رجل فسألته الحاجة فقال لها كاد فقالت كاد العروس يكون أميرا فقال كاد فقالت كاد المتعل يكون راكبا فقال كاد فقالت كاد البخيل يكون كلبا وانصرف فقالت له أحاجيك فقال قولى فقالت عجبت فقال عجبت للسبخة لا يجف ثراها

فقال له أنت تصلب قال لاى معنى قال لان المسيح لم يصلب وقد قال وهو صادق انه حتى فما بقى الصلب الا فى حقك فصلب بعد أيام أو كما قال وأما القصيدة التى رثى بها أبو الحسن محمد بن يعقوب الانبارى الوزير بن بقية فما لاحد مثلها ولم يكن الا أولها لكنى به حسنا وهو

علو فى الحياة وفى الممات * لحق انت احدى المعجزات
كأن الناس حولك حين قاموا * وفود نداك أيام الصلات
كأنك قائم فيها خطيبا * وكلهم قيام للصلاة
مددت يديك نحوهم احتفالا * كمدهما اليهم بالهبات
وتشعل حولك النيران ليلا * كذلك كنت أيام الحياة

وهى مشهورة فلا فائدة فى اثباتها ويقال ان الشاعر كتب بها نسخا ورماها فى شوارع بغداد الى أن تداولها الناس وبلغت عضد الدولة بن بويه فتمنى أنه المصلوب ولم يزل مصلوبا الى أن توفى عضد الدولة فانزل ودفن وقيل ان بعض المغفلين وقف على قاص وهو يذكر ضغطة القبر ويبالغ فى هولها فقال ياقوم كم لنا فى الصلب من الفرج العظيم ونحن لا ندرى فقال مغفل آخر الى جنبه فانا نطلب الصلب منه (ذكر جماعة من أعيان المصلوبين) أول مصلوب صلب فى الاسلام عقبة بن أبى معيط قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرق الظبية منصرفه من بدر وأمر بصلبه ومنهم خبيب بن عدى وابن الدثنة الانصاريان أسرتهما هذيل يوم الرجيع ولهما حديث طويل فصلبوهما بالتنعيم وخبيب هذا أول من سن الركعتين قبل القتل وعقبة بن هيثم بن هلال النميرى صلبه خالد بن الوليد وهانئ بن عروة المرادى ومسلم بن عقيل بن أبى طالب صلبهما عبيد الله بن زياد بسوق الكوفة وعبد الله بن الزبير صلبه الحجاج بمكة منكوسا وقال لا أنزله حتى تشفع فيه أمه أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنه فلم تتكلم فيه فيقال انه بقى سنة حتى مرت به بعد ذلك فقالت أما آن لراكب هذه المطية أن ينزل فأنزل فيقال انه لما أتى اليها بأشلائه وضعتها فى حجرها فحاضت وجرى اللبن فى ثديها فقالت حنت اليه مواضعه ودرت عليه مراضعه ومنهم يزيد بن المهلب بن أبى صفرة صلبه مسلمة ابن عبد الملك بجسر بابل وعلق معه خنزيرا وسمكة وزق خمر وزيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم صلبه يوسف بن عمر فى خلافة هشام وبقى معلقا أربعة أعوام ثم أنزل وأحرق ولا حول ولا قوة الا بالله ويحيى بن زيد بن على المذكور صلب فى أيام الوليد بن يزيد بالجوزجان ولم يزل مصلوبا حتى جاء أبو مسلم الخراسانى فأنزله ووارا ه وصلى عليه وأخذ كل من خرج الى قتاله بعد ان تصفح الديوان فقتل كل من كان فى بعثه الامن أعجزه وسود أهل خراسان ثيابهم اذ ذاك فصار شعارا لبنى العباس وأمر باقامة المأتم عليه ببلخ ومرو سبعة أيام وناح عليه النساء وكل من ولد فى تلك السنة من أولاد الاعيان سموه يحيى وخالد بن عبد الله القسرى صلبه مروان الحمار على باب القواديس بدمشق وجعفر بن يحيى البرمكى صلبه هرون الرشيد وقطعه ثلاث قطع ثم أحرقه (رجع) الى ذكر التمطى وما ألطف ما استعمل ابن سناء الملك التمطى فى قوله

ياهذه لا تستحى * منى فقد انكشف المغطى
ان كان كسك قد تنا * بان ايرى قد تمطى

ولا ينبت مرعاها فقالت عجبت فقال عجبت للعمارة لا يكبر صغيرها ولا يهرم كبيرها فقالت عجبت فقال عجبت لحفيرة بين فخذيك لا يملأ حفرها ولا يدرك قعرها فخجلت وتركت المحاجاة * ومن أسجاعها قيل لها أى الخيل أحب اليك قالت ذو المعية الصنيع السليط التليع الاديم الضليع الملهب السريع فقيل لها أى الغيوث أحب اليك قالت ذو الهيدب المنبعق الاضخم المؤتلق الصخب المنبثق فقيل لها أى الابور أحب اليك فقالت الذى اذا حفر حفر واذا أخطأ قشر واذا خرج عقر وقيل لها ما مائة من المعز قالت مويل يشف الفقر من ورائه مال الضعيف وحرفة العاجز قيل فما مائة من الضأن قالت قرية لاحى لها قيل فما مائة من الابل قالت بخ بخ جمال ومال ومنى الرجال قيل فما مائة من الخيل قالت ملقى من كانت له ولا يوجد قيل فما مائة من الحجر قالت عارية الليل وخزى المجلس لا لبن فيحلب ولا صوف فيجز ان ربط عيرها أدلى وان ترك ولى وقيل لها من أعظم الناس فى عينك قالت من كانت لى اليه حاجة ومن شعرها

واستعارة التثاؤب والتمطى هنا من أحسن الاستعارات قال ابن جبارة أنشدنى ابن سناء الملك هذا وزاد فى الاعجاب به فلما عدت الى البيت أخذت جزأ من البصائر والذخائر لابى حيان التوحيدى فوجدت فيه أن بغداديه قالت لاخرى أخرجت يوم العيد قالت لها انى وحياتك قالت فما رأيت قالت أحراجا تتثاءب وابورا تتمطى فلما اجتمعت به قلت له قد عثرت على الكنز الذى انتهبته وحكيت له الحكاية فقال سيدنا يفتش عن أمرى ومما اتفق لى نظمه فى الصبر أن قلت

اذا أنشب الدهر ظفرا ونابا * وصال على الحر منا ونابا
صبرنا ولم نشك احداثه * لانا نعاف التشكى ونابى

وقلت أيضا

لو يعلم الدهر منى ان مصطبرى * يغتال صرف الليالى ثم يفترس
كانت جياد الرزايا كلما اطردت * تحوم حول ربوعى ثم تنعكس

وقلت أيضا

بالله لا تأس على فائت * مضى ولا تيأس من اللطف
فقد يجئ الدهر مع قسوة * فيه بوقت لين العطف

وقلت أيضا

ما أبصر الناس صبرى * على عنائى وكربى
الصمت دأب لسانى * وقد تكلم قلبى

وقلت أيضا

لزمت بيتى مثل ما قيل لى * ولم أعاند حادث الدهر
وليس لى درع يرد الردى * استغفر الله سوى صبرى
علما بأن البؤس رهن الرخا * وغاية العسر الى اليسر
فقد يسل السيف من غمده * ويخرج الدر من البحر
وتبرز الصهباء من دنها * ويرجع النور الى البدر

وقلت أيضا

قد أنزل الدهر حظى بالحضيض الى * أن اغتديت بما ألقاه منه لقا
يضوع عرف اصطبارى اذ يضيعنى * والعود يزداد طيبا كلما احترقا

(اعدى عدوك ادنى من وثقت به * فحاذر الناس واصحبهم على دخل)

(اللغة) أعدى افعل تفضيل من العداوة العدو ضد الولى وجمعه أعداء وهو عدو بين العداوة والمعاداة والانثى عدوة وفعول اذا كان فى تأويل فاعل كان مؤنثه بغيرها نحو رجل صبور وامرأة صبور الا حرفا واحدا جاء نادرا قالوا هذه عدوة الله قال الفراء انما أدخلوا فيها الهاء تشبيها بصديقة لان الشئ قد يبنى على ضده أدنى هنا أقرب وثقت به بالكسر اذا ائتمنته والميثاق العهد صارت الواو ياء لانكسار ما قبلها والموثق والميثاق والوثيق الشئ المحكم حاذر أمر من المحاذرة وهى التحرز ويقال الحذر ورجل حذر وحذرون وحذارى وأنشد سيبويه فى تعدية حذر

أشم كنصل السيف جعد مرجل
شغفت به لو كان شئ مدانيا
وأقسم لو خيرت بين لقائه
وبين أبى لاخترت أن لا أباليا
(وهل فقدت الاراقم فأنكح فى جنب)

(الاراقم) حى من تغلب (وجنب) حى من اليمن وهذا اللفظ من جملة شعر لمهلهل التغلبى وقد تقدم ذكره كان قد هرب حين طالت عليه الحروب من أجل حرب البسوس فنزل فى طريقه على حى من اليمن فخطبوا اليه ابنته فابى فساقوا المهر وهو جلود من أدم وغصبوه على الزواج فقال

أعزز على تغلب بما لقيت
أخت بنى الاكرمين من جشم
أنكحها فقدها الاراقم من
جنب وكان الحباء من أدم
لو بابا تين جاء خاطبها
رمل ما أيف خاطب بدم
(أو عضلنى هماء بن مرة
فاقول زوج من عود خير من
قعود)

(عضل) الولى المرأة اذا منعها من النكاح والعضل المنع الشديد مأخوذ من عضل اللحم (وزوج من عود خير من قعود) قول احدى بنات هماء بن مرة ابن ثعلبة كان له أربع بنات وكن يخطبن اليه فيعرض ذلك عليهن

حذر أمورا لا تخاف وآمن * ما ليس منجيه من الاقدار

وهو نادر لان النعت اذا جاء على فعل لا يتعدى واصحبهم أمر من المصاحبة وهى المعاشرة على دخل الدخل المكر والخديعة قال الله تعالى ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم (الاعراب أعدى) أفعل تفضيل من العداوة وهذه الصيغة لا تبنى الا مما يجوز أن يبنى منه فعل التعجب وله شروط ذكرت هناك فى شرح قوله أعال النفس بالآمال البيت فلا يبنى أفعل تفضيل الا من ثلاثى ليس بلون ولا عاهة فلا تقل هذا أحمر من ذا ولا هذا أعور من ذا بل هذا أشد عورا وأحسن حمرة فان قلت قوله تعالى فهو فى الآخرة أعمى واضل سبيلا وقول أبى الطيب

أبعد بعدت بياضا لا بياض له * لأنت أسود فى عينى من الظلم

قلت أجابوا عن الآية بأنه مأخوذ من عمى البصيرة لا عمى البصر فليس بعاهة وعن البيت بأن أسود فاعل وليس بأفعل تفضيل فهو أسود الذى مؤنثه سوداء ومن الظلم صفة له غير متصل به اتصال من فى قولك زيد خير من عمرو وبقية الشروط المذكورة فى أفعل التفضيل مذكورة فى فعل التعجب فى ذلك البيت المذكور قال الشيخ بدر الدين محمد بن مالك وأفعل التفضيل يأتى فى الكلام على ثلاثة أضرب مضافا ومعرفا بالالف واللام ومجردا من الاضافة وأداة التعريف فان جرد منهما لزم اتصاله بمن جارة للمفضل عليه كقوله زيدا كرم من عمرو وقد يستغنى بتقدير من عن ذكرها ويكثر ذلك اذا كان أفعل التفضيل خبرا كقوله تعالى والآخرة خير وأبقى ويقل اذا كان صفة أو حالا كقول الراجز * تروحى أجدر ان تقيلى * أى تروحى واثنى مكانا أجدر أن تقيلى فيه من غيره وان كان أفعل مضافا نحو زيد أفضل القوم أو معرفا نحو زيد الافضل لم يجز اتصاله بمن فأما قوله

ولست بالاكثر منهم حصى * وانما العدة للكاثر

ففيه ثلاثة أوجه احدها ان من ليست لابتداء الغاية بل لبيان الجنس كما فى قولهم أنت منهم الفارس الشجاع أى من بينهم الثانى انها متعلقة بمحذوف دل عليه المذكور الثالث ان الالف واللام زائدتان فلم يمنعا من وجود من كما لم يمنعا من الاضافة فى قوله

تولى الضجيع اذا تنبه موهنا * كالاقحوان من الرشاش المستقى

قال أبو على أراد رشاش المستقى اه قلت اذا تقرر هذا فى أفعل التفضيل فقوله أعدى عدوك ليس مبنيا من ثلاثى اذ الفعل منه عاداه فهو رباعى لا يبنى منه أفعل التفضيل فلا يقال هو أعدى عدو ولا اصدق صديق من المصادقة أما من الصدق فنعم ولهذا قال تعالى لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ومابقى فيه الا أن يقال هو على لغة من قال هو أعطاهم للدرهم وأولاهم للمعروف (رجع) اعدى مرفوع بالابتداء ولم يظهر الرفع لانه مقصور (عدوك) مجرور بالاضافة الى ما قبله والكاف ضمير المخاطب فهى فى موضع جر بالاضافة أيضا الى عدو (أدنى) أفعل تفضيل آخر من الدنو وهو القرب من دنا يدنو فأصله ثلاثى بخلاف الاول وهو مرفوع لانه خبر المبتدا المتقدم ولم يظهر فيه الرفع لانه مقصور فالضمة مقدرة (من) هذه فى موضع جر لانها مضافة الى أدنى وهى نكرة موصوفة والتقدير أدنى رجل أو أدنى صاحب موثوق به (وثقت) فعل ماض والتاء ضمير المخاطب فهى فاعلة الفعل وموضعها الرفع (به) جار ومجرور والباء للتعدية وهذه الجملة فى موضع جر صفة لمن (فاذر)

فيستحيين فلا يزوجهن وكانت أمهن تقول له زوجهن فلا يفعل فخرج ليلة الى متحدث لهن فاستمع عليهن وهن لا يعلمن فقلن تعالين نتمنى ولنصدق فقالت الكبرى

ألا ليت زوجى من أناس ذوى غنى
حديث شباب طيب الريح والعطر
طبيب بادواء النساء كأنه
خليفة جان لا يبيت على وتر

فقلن لها أنت تحبين رجلا ليس من قومك ثم قالت الثانية وهى الوسطى * ألا هل أراها هرة وضجيعها
أشم كنصل السيف غير مهند
لصوق بأكباد النساء ورهطه
اذا ما أنتمى من أهل بيتى ومحتدى

فقالت الثالثة

ألا ليته يملى الجفان بديهة
له جفنة يسقى بها الذئب والجزر
له حكمات الدهر من غير كبرة
تشين فلا الفانى ولا الضرع الغمر

فقلن لها أنت تحبين رجلا شريفا قال وقلن للرابعة وهى الصغرى تمنى فقالت زوج من عود خير من قعود فلما سمع أبوهن ذلك زوجهن فمكثن برهة ثم اجتمعن عنده فقالت الكبرى يا أبت سل

الفاء للتعقيب وحاذر فعل أمر وهو للفاعلة من الحذر والامر مبني على السكون وانما تحركت هنا لالتقاء الساكنين وهما الراء واللام و(الناس) مفعول به والفاعل ضمير استتر في فعل الامر والتقدير فحاذر أنت الناس (واصحبهم) الواو عاطفة عطفت الامر على الامر والهاء والميم ضمير يرجع الى الناس وهو في موضع نصب لانه مفعول به لاصحب (على دخل) جار ومجرور على للاستعلاء والجار والمجرور في موضع نصب على الحال أي واصحبهم مخادعا (المعنى) اشد الناس عداوة لك أقرب رجل وثقت به فخذ حذرك من الناس واصحبهم بالخديعة والمكر ولا تركن الى احد ممن وثقت به وظننت انه صديق لك لانه أشد لك عداوة من كل عدو وقرأت على الشيخ الامام العلامة الحجة الحافظ القدوة جمال الدين ابي الحجاج يوسف المزني بدمشق اخبرنا المشايخ الثلاثة فخر الدين ابو الحسن علي بن البخاري وكمال الدين ابو محمد عبد الرحيم ابن عبد الملك المقدسيان بدمشق وكمال الدين أبو العباس احمد بن محمد بن عبد القاهر النصيبي بحلب قال المقدسيان اخبرنا ابو اليمن تاج الدين زيد بن الحسن بن زيد الكندي وقال ابن النصيبي اخبرنا افتخار الدين الهاشمي بحلب سنة اثنتي عشرة وستمائة اخبرنا ابو شجاع عمر ابن محمد البسطامي وابو الفتح عبد الرشيد بن النعمان الولوالجي وابو حفص عمر بن علي الكرابيسي وابو علي الحسين بن بشير النقاش قالوا اخبرنا ابو القاسم احمد بن ابي منصور محمد ابن عبد الله الزيادي الحلبي قال حدثنا أبو القاسم علي بن احمد بن محمد بن عبد الله الخزاعي البخاري المعروف بابن المراغي سنة ثمان واربعمائة قال حدثنا ابو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي الاديب ببخارى سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة قال حدثنا ابو عيسى محمد بن عيسى ابن سورة الحافظ الترمذي قال حدثنا سفيان بن وكيع قال حدثنا جميع بن عمرو بن عبد الرحمن العجلي قال اخبرنا رجل من بني تميم من ولد ابي هالة زوج خديجة يكنى اباعبد الله عن ابن لابي هالة عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال سألت خالي هند بن ابي هالة وكان وصافا عن حلية النبي صلى الله عليه وسلم وانا اشتهي ان يصف لي شيأ منها فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر فذكر الحديث بطوله قال الحسن فسألته عن مخرجه كيف كان يصنع فيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخزن لسانه الا فيما يعنيه ويؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي عن احد منهم بشره ولا خلقه وفي الحديث طول اه وعن ربيعة بن ماجد قيل لمعاوية بن ابي سفيان ما بلغ من عقلك قال ما وثقت باحد قط قلت نعم الحزم سوء الظن بالناس وقيل

من احسن الظن باعدائه * تجرع الهم بلا كاس

ولو كنت ناظم هذا البيت لقلت من احسن الظن باحبابه ولا اقول باعدائه ولله در القائل

جزى الله خيرا كل من ليس بيننا * ولا بينه ودولا متعرف

فما نالني ضيم ولا مسني اذى * من الناس الا من فتى كنت اعرف

ويقال ان رجلا كان على عهد كسرى يقول من يشتري ثلاث كلمات بالف دينار فيطن منه الى أن اتصل بكسرى فاحضره وساله عنها فقال ليس في الناس كلهم خير فقال صدقت ثم ماذا قال ولا بد منهم فقال صدقت ثم ماذا قال فالبسهم على قدر ذلك فقال كسرى قد استوجبت

عنا قال يا بنية ما مالكم قالت الابل قال كيف تجدونها قالت خير مال نأكل لحمانها ونشرب البانها جرعا وتحملنا وضيفنا معا قال فكيف تجدين زوجك قالت خير زوج يكرم خليله ويعطي الوسيله قال مال عميم وزوج كريم ثم قال للثانية ما مالكم قالت البقر قال كيف تجدونها قالت خير مال نأنف الفناء ونملأ الاناء وتولك السقاء ونساء مع نساء قال فكيف تجدين زوجك قالت خير زوج يكرم أهله وينسى فضله قال حظيت ورضيت ثم قال للثالثة ما مالكم قالت المعز قال فكيف تجدونها قالت لا بأس بها نولدها فطما وتسلخها أدما لم نبغ بها نعما فقال جدوى مغنية قال فكيف تجدين زوجك قالت لا سمح بذر ولا بخيل حكر ثم قال للرابعة يا بنية ما مالكم قالت الضأن قال فكيف تجدونها قالت شر مال جوف لا يشبعن وهيم لا ينقعن وصم لا يسمعن وأمر مغويتهن يتبعن قال فكيف تجدين زوجك قالت شر زوج يكرم نفسه ويهين عرسه قال أشبه امرؤ بعض بزه وبعض الرواة يعزي هذه الحكاية الى ذي الاصبع العدواني وبناته (ولعمري لو بلغت هذا المبلغ

المال فخذه قال لا حاجة لي به وانما أردت ان أرى من يشتري الحكمة بالمال وقال أبو الطيب

وصرت أشك فيمن اصطفيه * لعلمي انه بعض الانام
وآنف من أخي لأبي وامي * اذا ما لم أجده في الكرام
أرى الاجداد يغلبها كثيرا * على الاخلاق أولاد اللئام

وقال ابن سناء الملك

أبى الدهر الا ضدما انا طالب * فيا ليت مني مكن الله ضده
يعد الفتى اخوانه لزمانه * واعدى له من صرفه من أعده

وقال أبو العلاء المعري

جربت دهري وأهليه فما تركت * لي التجارب في ودا مرئ غرضا

وقال أيضا

فظن بسائر الاخوان شرا * ولا تأمن على سر فؤادا
فلو خبرتهم الجوزاء خبري * لما طلعت مخافة ان تكادا
فأي الناس أجعله صديقا * وأي الارض أسلكه ارتيادا

وقال ابن نباتة السعدي

وخلني وبني الدنيا فان لهم * يوما أصوغ له ليلا من المدر
لم يبق فيهم خفي لست أعرفه * وكيف لا أعرف الصافي من الكدر

وقال بن الرومي

عدوك من صديقك مستفاد * فلا تستكثرن من الصحاب
فان الداء أكثر ما تراه * يكون من الطعام أو الشراب

وقال الغزي

قالوا بعدت ولم تقرب فقلت لهم * بعدي عن الناس في هذا الزمان هجا
لولا التباعد بين الحاجبين به * بان افتراقهما لم نعرف الالما

وقال الارجاني

جربت دهري وأهليه يبادرني * من قبل أن نجرتني فيهم الحنك
فلا حسائك في صدري على أحد * منهم ولا لهم في مضجعي حسك
ولا أغر ببشر في وجوههم * وربما غر بحر تحته شبك

وقال بن قلاقس

اعلق باطراف الوداد فانه * من دافع الامواج مات غريقا
واذا انتهى الاخلاص أوجب ضده * ان التجمع يورث التفريقا

وقال الارجاني

أسفت على عمر تصرم ضائعا * وجدت بدمع يستهل هتون
وآنسني بعدي عن الناس جانبا * وان هم على أحداقهم جلوني
ولما غدا عبأ على جفن ناظري * لقاء الورى من صاحب وخدين
ألفت القلى مستوطنا ظهر ناقتي * تلف سهولا دائما بحزون

لارتفعت عن هذه الحطة) ولا رضيت بهذه الخطة الحط انزال الشئ من العلو (والحطة) الحدرة من الارض وهو المكان المنخفض (والخطة) الامر والمقصد قال تأبط شرا

هما خطتا اما أسار ومنة * وامادم والقتل بالحر أجدر

أراد خطتان فحذف النون استخفافا والمعنى أنه لو عضني هما م وفقدت الاراقم وكمت كابنة الخس لما رضيت لنفسي بك ولرفعت قدري عنك ولست أعبأ بكلامك ولا أستمع لخطابك

(فالنار ولا العار والمنية ولا الدنية والحرة تجوع ولا تأكل بثديها)

هذه أمثال تضرب لمن يختار التلف على قبح الاحدوثة وجاء قولهم النار ولا العار والمنية ولا الدنية بالنصب أي أختار النار والمنية و بالرفع أي النار والمنية أحب الي وقال العسكري في قولهم الحرة تجوع ولا تأكل بثديها يعنون لا تكون الحرة ظئر القوم على جعل تأخذه منهم ويلحقها عيب وكان أهل بيت زرارة حضان الملوك وفي ذلك يقول حاجب

حضنا ابن ماء المزن وابنى محرق * فعا به الناس بذلك

وقالوا ما رأينا من يفتخر بالمعاب غيره وذلك أن الظئر خادم والخدمة تضع ولا ترفع والمثل للحرث بن سليل الازدى أتى علقمة الطائى يخطب ابنته ريا فقال لامها أبيني عمن في نفسها فقالت لها يا بنية أى الرجال احب اليك الكهل المباح أم الفتى الطماح قالت بل الفتى الوضاح قالت ان الشيخ يعيرك والفتى يغيرك قالت يا أماه أخشى من الشيخ ان يبلى شبابى ويشمت اترابى فلم تزل امها بها حتى زوجتها من الحرث فرحل بها الى قومه فبينا هو جالس بفنائه وهى الى جانبه اذ اقبل شباب من بنى أسد يعتلجون فتنفست صعداء فقال لها مالك فقالت مالى وللشيوخ الناهضين كالفروخ فقال ثكلتك أمك تجوع الحرة ولا تأكل بثديها أما وابيك لرب غارة شهدتها وسبية أردفتها الحق باهلك فلا حاجة لى فيك قال العسكرى وليس هذا الحديث موافقا للمثل وقال ابو عبيد أصله ولا تأكل ثديها أى من الحسرة وليس هذا بموافق ايضا ولكنه حكى على ما قيل والله تعالى اعلم

(فكيف وفى أبناء قومى منكح
وفتيان هزان الطوال الغرانقة)

يعنى كيف أرضى بهذا وفى

وما سرت الا فى الهواجر وحدها * كراهة ظلى ان يكون قرينى

وقال عبيد بن أيوب العنبرى أحد اللصوص

لقد خفت حتى لو تمر حمامة * لقلت عدو أو طليعة معشر
وخفت خليلى ذا الصفاء ورابنى * وقيل فلان أو فلانة فاحذر
اذا قيل خير قلت هذى خديعة * وان قيل شر قلت حق فشمر

وقد بالغ بشار فى الحذر حيث قال

يروعه السرار بكل شئ * مخافة ان يكون به الشرار

وقيل له من أين أخذت هذا قال من أشعب الطماع وقد قيل له ما بلغ من طمعك قال ما كنت فى جنازة فرأيت اثنين يتساران الا قلت هما يتحدثان فى شئ أوصى لى به الميت وأخذه أبو نواس أيضا فقال

تركتنى الوشاة نصب المشير * ين وأحدوثة بكل مكان
ما أرى خاليين فى الناس الا * قلت ما يخلوان الا لشانى

وأخذه بعده أبو الطيب فقال

لو قلت للدنف الحزين فديته * مما به لأغرته بفدائه

وأخذه منه ابن الخياط الدمشقى فقال

أغار اذا آنست فى الحى أنة * حذارا وخوفا ان تكون لحبه

وقد تقدما وأما نوادر أشعب فكثيرة مشهورة ومن أحسنها أنه قيل له ما بلغ من طمعك قال لمن قال له ذلك ما قلت لى هذا الكلام الا وقد أخبأت لى شيأ تعطينيه اياه وقيل له أيضا ما بلغ من طمعك قال ما رأيت عروسا بالمدينة تزف قط الا كنت بينى وبين ان تزف الى ووقف على رجل خيزرانى وهو يعمل طبقا فقال لو سمعه قليلا قال الخيزرانى وما تريد بذلك كأنك تريد أن تشتريه قال لا ولكن يشتريه بعض الاشراف فيهدى لى شيأ فيه وقيل له هل رأيت أطمع منك قال نعم خرجت الى الشام مع رفيق لى فنزلنا بعض الاديار فتلاحينا فقلت ايرهذا الراهب فى حرام الكاذب فلم نشعر بالراهب الا وقد طلع وهو منعظ ويقول أيكم الكاذب وقيل له أيضا هل رأيت أحدا أطمع منك قال نعم كلب أم حومل يتبعنى فرسخين وأنا أمضغ كمثدوا ويقال انه مر يوما بفصل الصبيان يعبثون به فقال لهم ويلكم سالم بن عبد الله يفرق تمرا من صدقة عمر فرأى الصبيان يعدون الى دار سالم وعدا أشعب معهم وقال ما يدريني لعله يكون حقا ويقال ان بعضهم احتاز بدارا فسمع صاحبها يقول لزوجته ان لم أحمل عليك ألف رجل فأنا برجل فجلس على الباب الى أن أعياه ثم قام وضرب الباب وقال تحمل على هذه القعبة أحدا والانهض ومن الحكايات الموضوعة على ألسنة البهائم قالوا رأت الضبع ظبية على حمار فقالت أردفينى على حمارك فأردفتها فقالت لها ما أفره حمارك ثم سارت يسيرا فقالت ما أفره حمارنا فقالت لها الظبية انزلى قبل أن تقولى ما أفره حمارى فما رأيت أطمع منك وأتى بعض الفقراء الى خياط فى يوم برد ولم يكن عليه غير قميص واحد فنزعه ودفعه الى الخياط ليخيط فتقا كان فيه ووقف المسكين مقرقفا من البرد ينتظر فراغه فلما فرغ منه طواه وجعله تحته وأطال فى ذلك فقال أجير عنده أما تدفعه اليه فقال اسكت عساه ينساه ويروح وقيل ان بعضهم تمنى فى

منزله فقال لبيت لنا لحما فنطبخ سكباجا فمالبث أن جاءه ابن جاره بصحفة وقال اغرفوا لنا فيها قليلا من المرق فقال الرجل جيرانا يشمون رائحة الأماني (رجع الى الحذر واليقظة) قال مسلم ابن الوليد من قصيدة مدح بها يزيد بن مزيد الشيباني

تراه في الامن في درع مضاعفة * لا يأمن الدهر أن يدعى على عجل
لا يعبق الطيب خديه ومفرقه * ولا يمسح عينيه من الكحل

وهذه القصيدة من القصائد المشهورة وفيها الابيات النادرة ويقال ان هرون الرشيد لما سمع البيت الاول في ليلة من مغنية في داره وسأل عنه وعمن قيل فيه فقيل له لمسلم بن الوليد في يزيد ابن مزيد الشيباني وكان يزيد يقول والله يا أمير المؤمنين لأحرصن على أن لا أكذب شعراء ي فيما يمدحوني به فامر الرشيد باحضار يزيد على الحالة التي يصادف عليها فاحضروه وعليه ثياب خلوته ملونة ممصرة فلما نظر اليه الرشيد في تلك الحالة قال أكذبت شاعرك يا يزيد قال فيم يا أمير المؤمنين قال في قوله تراه في الامن في البيت فقال يزيد لا والله يا أمير المؤمنين ما أكذبته وان الدرع على ما فارقتني وكشف ثيابه واذا عليه درع مظاهرة فامر الرشيد بحمل خمسين الف دينار ليزيد وخمسة آلاف دينار لمسلم وحكى الخالديان في اختيار شعر مسلم عن مسلم من جملة خبره في وصوله الى يزيد قال فلما صرت الى الرقة دخلت على يزيد بن مزيد وبين يديه وصيفة بيدها المرآة وهي تريه وجهه ويديه مشط يسرح به لحيته فقال ما الذي أبطأ بك عني قلت أيها الامير ضيق اليد وقصور الحال قال انشدني فانشدته أجود ت حبل خليع في الصبا غزل القصيدة فلما بلغت قولي لا يعبق الطيب خديه ومفرقه البيت وضع المرآة من يده ورد المشط وقال للجارية انصرفي فقد حرم مسلم علينا الطيب ويقال انه لما سمع هذا البيت قال منعتني الطيب وأمرهتني باقي عمري فما رؤي بعد ذلك ظاهر الطيب ولا مكتحلا ويقال انه كان أعطر أهل زمانه وكان يقول الله بيني وبين مسلم حرم علي أحب الاشياء الي قلت

يا ليت شعري أين كنت من الدنا * والناس ناس والزمان زمان

ففي مثل هذا الزمان كان الادب في عنفوانه والشعر في ابانه والمدح اذا أتى تلقاه الممدوح باحسانه لا كالزمان الذي قال فيه لآخر

وقالوا في الهجاء عليك اثم * وليس الاثم الا في المديح
لاني ان مدحت مدحت كذبا * وأهجوحين أهجو بالصحيح

(رجع) وقال مجير الدين محمد بن تميم

من كان يرغب في حياة فؤاده * وصفاته فلينأ عن هذا الورى
فالماء يصفو ان نأى واذا دنا * منهم تغير لونه وتكدرا

وقالوا أبو العلاء المعري

والخل كالماء يبدي لي ضمائره * مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

وقد أخذه من عمارة بن عقيل حيث قال

وما النفس الا نطفة بقرارة * اذا لم تكدر كان صفوا غديرها

وقال أبو الطيب

كلام أكثر من تلقى ومنظره * مما يشق على الآذان والحدق

قومي كثير من أكفائي

(وهزان) اسم قبيلة (والغرانقة) الشباب وهذا البيت للاعشى الاكبر وهو أعشى بني قيس بن جندل من فحول شعراء الجاهلية المتقدمين وكان يقال أشعر الناس امرؤ القيس اذا ركب وزهير اذا رغب والنابغة اذا رهب والاعشى اذا طرب وكان بعض الادباء يقول الاعشى أشعر الاربعة فقيل له فاين الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امرأ القيس بيده لواء الشعراء فقال بهذا الخبر صح للاعشى التقدم وذلك انه ما من حامل لواء الا على رأس أمير فامرؤ القيس حامل اللواء والاعشى الامير وكان الاصمعي يقول ما مدح الاعشى أحدا الا رفعه ولا هجاه الا وضعه فمن ذلك انه مر بالسمامة على المحلق بن جشم الكلابي وكان حامل الذكر وله بنات لا يخطبن رغبة عنه فنزل عنده فنحر له ناقة لم يكن عنده غيرها وسقاه خمرا فلما أصبح قال له الاعشى ألك حاجة قال تشيد ذكري فلعلي أشهر فتخطب بناتي فنهض الاعشى الى عكاظ وأنشد قصيدته القافية التي يمدح بها المحلق ويقول فيها

وقال أيضا

ومن تكد الدنيا على الحر أن يرى * عدوا له ما من صداقته بد

وقيل ان أبا الطيب لما ادعى النبوة قيل له ما معجزتك قال قولي ومن تكد الدنيا على الحر أن يرى البيت وأما أبو العلاء المعري فقد سلى نفسه عن عماه بقوله

قالوا العمى منظر قبيح * قلت بفقدانكم يهون

والله ما في الوجود شئ * تأسى على فقده العيون

وما هذه النفس قويه وهمة عن أدناس الوجود عليه على ان عدم رؤية الناس مما يخفف بعض الباس لان وقوع الناظر على ما يكره مما يجعل الجفن أمره

واحتمال الاذى ورؤية جانيه * غذاء تضوى به الاجسام

وعلى ذكر العمى فقد حضرني لابن قزل أبيات عملها في عماه أشهى من الشفة اللمياء وهي

علقتها عمياء مثل المها * قد خان فيها الزمن الغادر

أذهب عينيها فانسانها * في ظلمة لا يهتدي حائر

تجرح قلبي وهي مكفوفة * وهكذا قد يفعل الباتر

ونرجس اللحظ غدا ذابلا * واحسرتا لو أنه ناضر

يكاد هذا الرابع يختم لنفسه على الحسن بطابع وما أرشق نظمه وأنفذ في القلوب سهمه ولقد أحسن من قال وان لم يكن من زنة ذلك المثقال

قالوا تعشقتها عمياء قلت لهم * ما شأنها ذاك في عيني ولا قدحا

بل زاد وجدي فيها انها أبدا * لا تعرف الشيب في فودي اذا وضحا

ان يجرح السيف مسلولا فلا عجب * وانما أعجب لسيف مغمد اجرحا

كأنما هي بستان خلوت به * ونام ناطوره سكران قد طفحا

تفتح الورد فيه من كمائمه * والنرجس الغض فيه بعدما انفتحا

ولابن سناء الملك مقاطيع في عمياء تروي غلة الكبد الظمياء منها

شمس بغير الليل لم تحتجب * وفي سوى العينين لم تكسف

مغمدة المرهف لكنها * تقتل في الغمد بلا مرهف

رأيت منها الخلد في جؤذر * وناظري يعقوب في يوسف

وهذا البيت الثالث ماله في الحسن وارث ولقد تلطف فيما تخيل واختلس رقة المعنى وتحيل وأنشدني من لفظه لنفسه الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة ولكنه استعمل الخلد مورى ودخل الدار من دربه وغيره برا وان كان قد سرقه من ابن سناء الملك فقد استرقه وجعله بالزيادة حرا وهو

فديت اعمى مغمد الحظه * لنرجسي في خده الوردي

تمكنت عيناي من وجهه * فقلت هذي جنة الخلد

وقلت أنا في ذلك

أيا حسن أعمى لم يجد حد طرفه * محب غدا سكران فيه وما صحا

اذا طار قلب بات يرعى خدوده * غدا آمنا من مقلتيه الجوارحا

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة
الى ضوء نار باليفاع تحرق
تشب لمقرورين يصطليانها
وبات على النار الندى والمحلق
فما أتت على المحلق سنة حتى
زوج البنات على مئين ألوف
ومن ذلك أنه امتدح الاسود العنسي فأعطاه ذهبا وحللا فلما مر ببلاد عامر خافهم على ما معه فاتى علقمة بن علاثة فقال أجرني فقال أجرتك قال من الانس والجن قال نعم قال ومن الموت قال لا فاتى عامر بن الطفيل فقال أجرني فقال اجرتك قال من الانس والجن والموت قال نعم قال كيف تجيرني من الموت قال ان مت في جواري بعثت الى اهلك بالدية قال الآن علمت انك أجرتني ثم مدح عامرا وهجا علقمة فكان علقمة يبكي اذا ذكر قوله تبيتون في المشتى ملاء بطونكم وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا ويدعو عليه ان كان كاذبا ويقول أنحن نفعل بجاراتنا هذا وما زال منكسر البال من هذا البيت وحكى ابن خلاد قال كان الاعشى كثير التطواف فاصبح ليلة بابيات علقمة بن علاثة فلما نظر قائده الى قباب الادم قال ياسوء صباحاه هذه والله أبيات علقمة فلما مثل بين

وقلت فيه أيضا

ورب أعمى وجهه روضة * تنزهى فيها كثير الديون
فى خده ورد فغبنا به * من نرجس ما فتحته العيون

ولابن سناء الملك أيضا

فتنتنى مكفوفة ناظراها * كتبالى من الجراح أماما
فهى لم تسلل الجفون حساما * لاولم تحمل الفتور سنانا
وهى بكر العينين محصنة الاجـ * ـفان ما اقتض ميلها الاجفانا
قصرت عشقها على فلم تعـ * ـشق فلانا اذلم تعاين فلانا
عممت من هواى وارتحل الانـ * ـسان من عينها وأخلى المكانا
علمت غيرتى عليها فخافت * ان يسمى غيرى لها انسانا

وله أيضا فيها

ان الكمال أصاب فى محبوبتى * لما أصاب بعينه عينيها
زادت حلاوتها فصرت تخالها * وسنى وقد أسرا لكرى جفنيها
وكما علمت وللدبيب حلاوة * فكأننى أبدا أدب عليها

وقد اختلس النور الاسعردى هذا المعنى ونقله الى غير هذا المبنى وأنزله فى غير هذا المغنى فقال

ألذ نيك الملاح سرا * لاجل ذا أستعذب الدبيب
عجبت من نايك الانثى * عليها من وجهها رقيب

وعلى ذكر حلاوة الدبيب فلا بأس بايراد بعض رسالة كتبها الشريف أبو يعلى بن الهبارية الى الاستاذ الخطيرى أبى منصور وهى أسعد الله سيدنا الاستاذ الخطيرى الرئيس الاثير النفيس بهذا اليوم السعيد وعرفه بركات هذا الشهر الجديد نعم أسعده الله بهذا اليوم وعرفه بركات هذا الصوم وحشره فى زمرة القوم وأعاذ جده السعيد وأمره الجديد من النوم فان من أصعب الامور نوم الابور لاسيما عند مغالطة الرقيب ومخالسته ومساعدة الحبيب ومساعدته فى دهليز مظلم أو حمام معتم أو طريق لهو قل سائره أو مجلس أنس نام سامره أو ضرورة داعية الى الدبيب أو حاجة حاملة على خيانة الحبيب يقضى بها الوطر من غير علمه ويبلغ بها القصد منه على رغمه وقد اختلف فى ذلك أئمة الظرف وحكماء اللطف فمنهم من أباحه تجوزا ومنهم من حظره تحرزا ومنهم من عده جناية وخساره ومنهم من رآه عيارة وجساره قال بعضهم

خرق سراويلاتهم * لاتنتظر حل التكك
وافتك بهم انى ظفر * ت من الشوارع والسكك

وقال الآخر

لا أبيح الدبيب الا اذا كا * ن حبيبى بما أروم بخيلا
فأحث الكؤس حرصا عليه * جاعلا سكره اليه سبيلا
فاذا نام قمت بالرفق واللطـ * ـف وأدخلته قليلا قليلا

ومنهم من وصفه بالخلو عن اللذة المطلوبة والتجرد عن الشهوة المحبوبة فقال حد النيك ان

ندبه قال له أتدرى لم أظفر فى أللة بك بغير دية ولا عقل قال لا قال لتقوّلك على الباطل من غير جرم قال الاعشى لا ولكن ليبلو الله قدر حلمك فى فأطرق علقمة فاندفع الاعشى يقول

أعلقم قد صيرتنى الامور
اليك وما كان لى منكص
فهب لى نفسى فدتك النفوس
ولازلت تنمى ولا تنقص

فقال قد فعلت والله لو قلت فى ما قلت فى ابن عمى عامر لاغنيتك ولو قلت فى عامر ما قلت فى ما أذاقك برد الحياة

(وحكى الاصمعى) قال وفد الاعشى على كسرى فأنشده من شعره فسأله عن معنى قوله أرقت وما هذا السهاد المؤرق ومالى من سقم ومالى تعشق فقيل انه سهر وما به عشق ولا مرض فقال كسرى هذا لص فأخرجوه (ورحل) الاعشى آخر عمره الى النبى صلى الله عليه وسلم طالبا للاسلام وقد مدحه بقصيدته التى يقول فيها

فآليت لا أرثى لها من كلالة
ولا من رجى حتى تلاقى محمدا
متى ما تناخى عند باب ابن هاشم
تراحى وتلقى من فواضله ندى
فبى يرى مالا ترون وذكره
أغار لعمرى فى البلاد وأنجدا

فبلغ قريشا خبره فقالوا هذا

يكون مفاعله أعني لامناغصة ولامبادله فان ذلك من شيم الوزراء وخلائق الكبراء فاما نحن معاشر المتحادين وجيل عباس أجمعين فاننا أدنى محلا من ان ندعى فيه فيه حظا أو نعد له لحظا أو نختلط بأهله أو ننسب الى حزبه وماكل من تعاطاه كان له أهلا ولاكل من داناه سوح بكونه له محلا وقال ابن البياضى فى القاضى أبى محمد بن السمالك

وقال قوم به ابنـــــــة * ومازلت أنقض ماشيدوا

ومن ذلك الكلب حتى يكو * ن له فى البغاث قدم أويد

والمصريون يتنافسون فيه ويتفاخرون به ويعدونه منقبة سامية ومرتبة عالية واذا ادعاه مدع ومن لايعتزى الى مجد شريف ولاينتمى الى منصب منيف دفعوه عنه وأنفوا له منه وقالوا باى أبوة استحق هذه المنزله أم باى رياسة وصل الى هذه المرتبه واذا وصفوا انسانا برقة الحاشيه قالوا فلان يبوس ملتقا فاخذه المتنبى وقال

ويغيرنى جذب الزمام لقلبها * فهوا اليك كطالب تقبيلا

وانما قصدت بالمفاعلة ان تكون بين اثنين متفقى الشهوة متقاربى الرغبة متوانيى الحاله اذا وهز هذا جزدالك واذا خضع هذا رحم راكبه وناك واختال اختيال الطرف براكبه وهملج هملجة الرهوان بجاذبه وكثير من اللاطة يعتذرون عن ميلهم الى الغلمان الصغار ورغبتهم فى العلوج الكبار بانهم يعلمون مايراد منهم وفى علمهم لذة عارضة وشهوة داخلة غير الطبيعية والشهوات تتغير بتغير الاسباب حتى ان منهم من يتمنى نيك الوزير وان كان شيخا ويعشق الامير وان كان كهلا ويتمنى امراة الرئيس وان كانت عجوزا هرمة ويقال فلان يعشق لحشمته وفلان ينالك لنعمته وفلان يستجاد لرياسته وشرف بيته ولقد سمعت ان رجلا دب على أبى عمرو بن العلاء فلما شعر به قال ويلك ماحملك على هذا وأنا شيخ قال ولم لا آتيك وأنا أولج منك فى شحم ولحم وعلم ضخم وأست رجل ذى فهم ولقد ذكر ليلة باصبهان فى دار الوزارة فى جماعة من الرؤساء وعصبة من الفضلاء وعد جماعة باسمائهم فلما هدأت العيون واستولى على الحركات السكون سمعنا صراخا عاليا وصوتا مرتفعا وولولة واستغاثة فقمنا واذا الشيخ الاديب أبو جعفر القصاص ينيك أبا على الحسن بن جعفر البندنيجى الشاعر الضرير وذلك يستغيث ويقول انى شيخ أعمى فما يحملك على فيكى وذلك لايلتفت اليه الى ان أفرغ فيه وسل منه كذراع البكر وقام قائلا انى كنت أتمنى ان أنيك أبا العلاء المعرى لكفره والحاده ففاتنى ذلك فلما رأيتك شيخا أعمى فاضلا نكتك لاجله وقال

أذيك الشيوخ نيكة عاهر * مغيظ على أعمى المعرة أحمدا

فقال البندنيجى قصيدة يشكو ماجرى عليه فيها

وقد كنت دبابا على كل ناشم * فها أنا مدبوب على أنالك

وقدمات شيطانى وابرى مقلص * ضعيف القوى لم يبق فيه حراك

وحدثنى القاضى أبو الحسين الاسعاندانى المحلمى قال حدثنى أبو القاسم المغربى الوزير ببغداد أن غلامه نسيما استشعر به انه دب عليه فى سكره فانتبه مغضبا وصدمعاتبا فقال الوزير فى ذلك أبياتا يعتذر اليه فيها من جملتها

سيان عندى ميت فى قبره * يجنى عليه وناثم فى سكره

صناجة العرب مامدح أحدا الا ارتفع فرصدوه على طريقه فقالوا له يا أبا نصير أين أردت قال صاحبكم لأسلم قالوا انه ينهى على خلال كلها لك موافق قال وماهى قالوا الزنا قال لقد تركنى الزنا وما تركته قالوا والقمار قال لعلى أصيب منه عوضا قالوا والخمر قال أوه أرجع الى صبابة لى فى المهراس فأشربها ثم أرجع فعاد الى رحله فلبث أياما ثم رمى به بعيره فقتله وزعم بعض الرواة أن الذى أمره بالرجوع أبو جهل وهو غلط فان الخمر لم تحرم الا بالمدينة بعد ان مضت بدر والصحيح أن القائل عامر بن الطفيل وأما قوله

أغار لعمرى فى البلاد وأنجدا

فقال المعرى حكى الفراء وحده أغار فى معنى غارا ذا أتى الغور واذا صح هذا البيت عن الاعشى فلم يرد بالاغارة الاضداد الانجاد وروى الاصمعى روايتين احداهما أن أغار فى معنى عدا عدوا شديدا والاخرى انه كان يقدم ويؤخر فيقول لعمرى أغار فى البلاد وأنجدا فيأتى به على زحاف القبض وكان ابن مسعدة يقول غار لعمرى فيأتى به على استعمال الخرم فى النصف الثانى وروى أن الاعشى كان يؤمن

رزق الله وليه عقلا يعقله من هذه الحماقات وروعا يحجزه وهيهات فانه أراد ان يعرق فأشأم وعزم أن ينجد فاتهم فافتتح كلامه بالدعاء الصالح ثم عقبه بكلام الماجن المازح لكنه رأى نوم الايور يورث فتره ويعقب حسره ويبقى خجله ويعيروجله وحكى عن المبرد انه قال عشقت جارية من قصر المعتز بالله فلحقني بها ما لحقت عاقبته على نفسي وطال شوط مطالها وانا أقوت نفسي بترجي وصالها فلما رجت عبدها وأتجزت وعدها وحضرتني زائرة نام ايري لشؤم طيري فاجتهدت ان يقوم فابى فتحيرت خجلا وتلذذت وجلا خوفا ان تظن تلك السيره ولا تعرف السريره فاخذت سكين الدواة فقالت ما تصنع فقلت أقطعه فقالت دعه تبول منه فكان ذلك أشد على من صفع اخدعي فانصرفت وأنا أقول

الشان في ايري يقوم * فالتفتت الي وقالت مجيبة * وهوى بلا نيك يدوم

فقلت ايري على مع الزما * نفن أذم ومن ألوم

وأنشدني الرئيس أبو الفضل محمد بن محمد بن عيسون المنجم الموصلي لبعضهم في مثل هذا الحال

لو نصر الله على ايري * شددته المجنون في الدير

ان قلت نم قام وان قلت قم * نام على نفذي كالسير

يبغي خلافي أبدا جاهدا * كأنما صاحبه غيري

اه ما اخترته من كلام بن المبارية وأما ابيات أبي العز الضرير فان الفرزدق يعدو في اثرها وهو جرير لانه اعتذر لعشقه وهو أعمى وأوضح دليله الذي صدق حسا ووهما وهي

قالوا عشقت وأنت أعمى * طبيا كحيل الطرف الما

وحلاه ما عاينتها * وتقول قد شغلتك وهما

وخياله بك في المنا * م فما أطاف ولا ألما

من أين أرسل للفؤا * د وأنت لم تنظره سهما

فاجبت اني موسوى * العشق انصاتا وفهما

أهوى بجارحة السما * ع ولا أرى ذات المسمى

والذي سبق الى هذا سبق المطهمة الجرداء اعني هو بشار بن برد حيث يقول

ياقوم اذني لبعض الحي عاشقة * والاذن تعشق قبل العين أحيانا

قالوا لما لا ترى تهوى فقلت لهم * الاذن كالعين توفي القلب ما كانا

وحيث يقول أيضا

قالت عقيل بن كعب اذ تعلقها * قلبي فاضحى به من حبها اثر

اني ولم ترها تهوى فقلت لهم * ان الفؤاد يرى ما لا يرى البصر

وحيث يقول أيضا

يزهدني في حب عبدة معشر * قلوبهم فيها مخالفة قلبي

فقلت دعوا قلبي وما اختار وارتضى * فبالقلب لا بالعين يبصر ذو اللب

وقال الخليل بن أحمد رحمه الله تعالى

ان كنت لست معي فالذكر منك معي * بر الثقلي وان غيبت عن بصري

العين تبصر من تهوى وتفقده * وناظر القلب لا يخلو من النظر

بالبعث والحساب ولذلك كان يقول

فسامعتل بي على هيكل

بناه وصلب فيه وخارا

بأعظم منك يبقى في الحساب

اذا النسمات نفضن الغبارا

وكان أبو عمرو بن العلاء يقول كان لبيد مجبرا وكان الاعشى عدليا وأنشد للبيد

من هداه سبل الخير اهتدى

ناعم البال ومن شاء أضل

وأنشد للاعشى

استأثر الله بالوفاء وبالـ

ـعدل وولى الملامة الرجلا

ومن محاسن شعره قوله في القصيدة النبوية

اذا أنت لم ترحل بزاد من التقى

ولاقيت بعد الموت من قد تزودا

ندمت على أن لا تكون كمثله

فترصد للامر الذي كان أرصدا

وقوله يمدح اياس بن قبيصة

ولوان عز الناس في رأس صخرة

ململمة تعيي الاوارح المخدما

لاعطاه رب الناس مفتاح بابها

ولو لم يكن باب لاعطاه سلما

وقوله من قصيدة يمدح بها الاسود بن المنذر

رب خرق من دونها يخرق السفـ

ـرو ميل يفضي الى أميال

وقال فى هذا المعنى الشيخ جمال الدين بن الحاجب رحمه الله تعالى

ان تغيبوا عن العيان فانتم * فى قلوب حضوركم مستمر
مثلما تثبت الحقائق فى الذهـ * ـن وفى خارج لها مستقر

وابن خزم لم يرض بهذا المعنى بل قال

لئن أصبحت مرتحلا بجسمى * فقلبى عندكم أبدا مقيم
ولكن للعيان لطيف معنى * له سأل المعاينة الكليم

وذكرت بالعمى هنا قول شهاب الدين أحمد بن جلنك

معكوس نصف مفرج * تصحيفه ضد المتمى
جارت على عشاقه * عيناه طول الدهر ظلما
فغدا يعاقبه الزما * ن بأعور فى وسط أعمى

ويقال ان أبا العيناء التقى جده الاكبر على بن أبى طالب رضى الله عنه فاساء مخاطبته فدعا عليه وعلى ولده بالعمى فكل من عمى منهم فهو صحيح النسب وزعم المنجمون ان المولود اذا ولد وأحد النيرين فى الخسوف أو الكسوف فانه يولد أعمى والله أعلم وأشراف العميان شعيب النبى عليه السلام ويعقوب صلوات الله عليه قبل ان يجىء اليه قميص يوسف عليه السلام وزهرة بن كلاب بن كعب بن مرة بن كعب بن عبد المطلب بن هاشم والعباس بن عبد المطلب والحكم بن أبى العاص وأبو سفيان بن حرب والحرث بن عباس بن عبد المطلب ومطعم بن عدى ابن نوفل بن عبد مناف وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام بن المغيرة

وعتبة بن مسعود الهذلى وعبد الله بن عبيد الله بن عتبة وأبو أحمد بن جحش بن مسعود الاسدى وجابر بن عبد الله الانصارى وعبد الله بن أرقم والبراء بن عازب وحسان بن ثابت الانصارى وأبو أسيد الساعدى وقتادة بن دعامة ودريد بن الصمة الجشمى ومخرمة بن نوفل الزهرى والفاكه بن المغيرة المخزومى وخزيمة بن حازم النهشلى وأبو العباس الشاعر وعلى ابن زيد بن جدعان والمغيرة بن مقسم الضبى والترمذى الحافظ الكبير والفقيه منصور الشاعر المصرى وابن سيده اللغوى وأبو العلاء المعرى وبشار بن برد وأبو البقاء العكبرى وأبو العيناء وهشام بن معاوية الضرير النحوى الكوفى صاحب الكسائى له عدة تصانيف والسهيلى صاحب الروض الانف والشاطبى والصرصرى وأبو الحسن على بن عبد الغنى الحصرى وأبو عبد الله بن خلصة المغربى النحوى وأبو عبد الله بن الخياط وقال بعضهم لبشار بن برد ما أذهب الله كريمتى مؤمن الا عوضه خيرا منهما نعم عوضك قال بعدم رؤية الثقلاء مثلك وسمع بن مكرم رجلا يقول من كف بصره قلت حيلته فقال ما أغفلك عن أبى العيناء وخاصم أبو العيناء أو أحد العميان رجلا وفخر عليه فقال ذلك الرجل ماذا أقول فيك وموضع الحياء منك خراب ونظمه ابن البناء فى أبى العباس الاندلسى فقال

كيف يرجو الحياء منك صديق * ومكان الحياء منك خراب

وما أحسن ما أنشدنى من لفظه الشيخ الامام العلامة أثير الدين أبو حيان قال أنشدنى ظهير الدين ابراهيم البارزى الحموى لنفسه

تعجبت والدنيا كثير عجيبها * لشخص تلاقى عنده الخبث والريا

وقليب أجن كأن من الري * ـش بارجائه سقوط نصال
لا تشكى الى وانتجى الاسـ * ـود أهل الندى وأهل الفعال
أريحى صلت يظل اله القو * م ركودا قيامهم للهلال
فرع تبع يهتز فى غصن المجـ * ـد غزير اللهاء عظيم الجمال
عندك الحزم والتقى وأساس الصد * ع وحمل المغرم الاثقال
وهوان النفس العزيزة للذ كـ * ـر اذا ما التقت صدورا لعوالى
فاذا من عصاك أصبح محرو * ما وكعب الذى يطيعك عال

وقوله يمدح المحلق

اذا حاجة ولتك لا تستطيعها * فخذ طرفا من غير ها حين تسبق
فذلك أدنى أن تنال جسيمها * وللقصد أبقى فى الامور وأوفق

أيا مالك السارى الذى قد صنعتم * وأنجد أقوام لذلك وأعرقوا
وان عتاق العيس سوف تزوركم * ثناء على الاحجاز هن معلق

* يعنى ان الحداة تحدوا الابل بثناء الممدوحين فكأنه معلق على اعجازها ومنها أيضا

To: www.al-mostafa.com

بداسبل فى عينه وهو مخصب * ولم أرها يوما ألم بها حيا

ويقال ان جائزة الرشيد كانت تأخرت عن أبى نواس فقال

لقد ضاع شعرى على بابكم * كما ضاع عقد على خالصه

فاتصل ذلك بخالصة وكانت أحظى جواريه عنده وأعزهن فاحضره وقال ما حملك يا فاسق على هذا فقال الغلط من الراوى ظن ان الهمزة عينا فاظهر الرضا منخدعا له طلبا للتكرم ويقال ان بعض الادباء ذكر البيت والواقعة بحضرة القاضى الفاضل رحمه الله تعالى فقال للفور وهذا بيت قلعت عيناه فابصر وهذا من محاسن ما اتفق له وقد عكس هذا الذى قال

كان بلا ناظر بصيرا * فصار بالناظرين أعمى

ويقال انه كان بحرم الخليل عليه السلام شخصان أعميان أحدهما ناظر الحرم والآخر شيخه فرام الناظر عزل الخطيب فعارضه الشيخ ومنعه فقال له الناظر كانك قد شاركتنى فى النظر فقال لا بل فى العمى فاستحى واستمر الخطيب وقال بعضهم أكثر أهل هيت عور فرأيت رجلا منهم صحيح العينين فقلت ان هذا الغريب فقال لى ياسيدى ان لى أخا أعمى قد أخذ نصيبى ونصيبه فضحكت منه ويقال ان رجلا أعمى تزوج امرأة قبيحة فقالت له رزقت أحسن الناس وأنت لا تدرى فقال يا بظراء اين كان البصر اء عنك قبلى وقال بعضهم نزلت بعض القرى وخرجت فى الليل لحاجة فاذا أنا باعمى على عاتقه جرة ومعه سراج فقلت له يا هذا أنت أعمى والليل والنهار عندك واحد فما معنى السراج فقال يا فضولى جاتنى معى لا عمى البصيرة مثلك يستضىء به فلا يعثر بى فى الظلمة فأقع أنا وتنكسر الجرة ويقال ان المؤمل بن أميل لما قال

شف المؤمل يوم الحيرة النظر * ليت المؤمل لم يخلق له بصر

رأى فى منامه كأن رجلا أدخل أصبعيه فى عينيه وقال هذا ما تمنيت فاصبح أعمى وقال الخزيمى

فان تك عينى خبا نورها * فكم قبلها نور عين خبا

فلم يعم قلبى ولكنما * أرى نور عينى لقلبى سعى

ومثله قول بن العلاء المعرى

سوادا العين زار سواد قلبى * ليتفقا على فهم الامور

وقال بعض القدماء لوان العين كلها تكون نقرا لنقص ابصارها وانما أبصرت باجتماعها سوادا فى انسان الانسان

---

*(فانما رجل الدنيا وواحدها * من لا يعول فى الدنيا على رجل)*

(اللغة) الرجل خلاف المرأة والجمع رجال ورجالات مثل جمل وجمال وجمالات وأراجل أيضا ويقال للمرأة رجلة قال الشاعر

مزقوا جيب فتاتهم * لم يبالوا حرمة الرجله

الدنيا هى هذه الدار التى نحن فيها وسميت الدنيا لدنوها والجمع دنا مثل كبرى وكبر والنسبة اليها دنياوى ودنيوى ودنيء وواحدها الواحد أول العدد والمراد به هنا الفرد الذى لا ثانى له فى الرجال والوحدة الانفراد يقال فلان واحد دهره أى لا نظير له ولا يقال للانثى وحدى وزعم بعضهم ان أحدا لا يكون الا من يعقل يعول عولت عليه أدللت عليه دالة وحملت عليه ويقال

وكم دون ليلى من عدو وبلدة
وسهب به مستوضح الآل يبرق
وان امرأ أسرى اليك ودونه
سهوب وموماة وبيداء سملق
لحقيقة ان تستجيبى لصوته
وان تعلمى ان المعان موفق

يعنى ان الموفق معان وهذا الغالب المستعمل فى كلام العرب مثل قول الآخر

أو بلغت سوآتهم هجر وعلى ذلك قد فسر بعض العلماء قوله تعالى خلق الانسان من عجل أى خلق العجل من الانسان وعنها

لعمرى لقد لاحت عيون كثيرة
الى ضوء نار باليفاع تحرق
تشب لمقرورين يصطليانها
وبات على النار الندى والمحلق
رضيعى لبان ثدى أم تحالفا
باسحم داج عوض لا يتفرق

يعنى ان المحلق والندى حليفان لا يفترقان كأنهما تحالفا على ذلك عند النار وكذا كانت العرب من عادتها تحلف عند النار وفى قوله أسحم داج سبعة أقوال قيل هو الرماد كانوا يحلفون به وقيل الليل وقيل الدم فانهم كانوا يغمسون أيديهم فيه ويحلفون وقيل حلمة الثدى وقيل دماء الذبائح

للاصنام وقيل الرحم وقوله رضيعي لبان ثدي أم واحدة مبالغة في الوصف بالكرم وعوض اسم صنم لبكر بن وائل وقيل من أسماء الدهر وأصله أن يكون ظرفا تقول لا أفعله عوض العائضين ودهر الداهرين ثم كبروه حتى أحلوه محل ما يقسم به ومن جعل عوض اسم صنم كانه قال عوض قسمنا الذي نقسم به ومنها

ترى الجود يجري ظاهرا فوق وجهه
كما زان ضوء الهندواني رونق

نفى الذم عن آل المحلق جفنة كعابية الشيخ العراقي تدهق

يروى جابية الشيخ العراقي يعني ان العراقي الذي يتعود الحضر ويسلك البادية يكون جريصا على مائه لانه لا يعرف مواقع المياه فتكون جابيته التي هي من أوانى الماء ملآنة أبدا ويروى السيح بالسين والحاء المهملتين تعني الماء السائح من العراق ومنها

كذلك فافعل ما حييت اذا شتوا
وأقدم اذا ما أمين الناس تفرق

واما الشعر الذي ذكر بسببه فيحكى انه تزوج امرأة من عنزة فلم يرضها فطلقها وقال

عول علي بما شئت أي استعن بي كأنه يقول احمل علي ما شئت (الاعراب فانما) الفاء للاتباع وانما كلمة تقتضي الحصر وقال قوم انها وضعت كذا وقال قوم هي مركبة من ان وما فاذا قلت انما قام زيد كأنك قلت ما قام الا زيد ففي الكلام نفي واثبات والصحيح أنها للحصر وقال بعضهم ليست له واحتج بقوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وبالاجماع أنه من لم يكن كذلك فانه مؤمن والجواب أن هذا محمول على المبالغة وقال الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد رحمه الله تعالى في قوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات اذا أثبت انها للحصر فتارة تقتضي الحصر المطلق وتارة تقتضي حصرا مخصوصا ويفهم ذلك بالقرائن والسياق كقوله تعالى انما أنت منذر وذلك ظاهر الحصر للرسول في النذارة والرسول لا ينحصر في ذلك بل له أوصاف جميلة كالبشارة وغيرها لكن مفهوم الكلام يقتضي حصره في النذارة لمن لا يؤمن ونفي كونه قادرا على انزال ما يشاء على الكافر من الآيات وكذلك حديث انما أنا بشر وانكم تختصمون الى معنى حصره في البشرية بالنسبة الى الاطلاع على بواطن الخصوم لا بالنسبة الى كل شئ فان للرسول أوصافا اخر كثيرة وكذلك قوله تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو يقتضي والله أعلم الحصر باعتبار من آثرها وأما بالنسبة الى ما في نفس الامر فقد تكون سببا للخيرات ويكون ذلك من باب تغليب الاكثر في الحكم على الاقل فاذا وردت لفظة انما فاعتبرها فان ذلك السياق والمقصود من الكلام على الحصر في شئ مخصوص فقل به وان لم يدل على الحصر في شئ مخصوص فاحمل الحصر على الاطلاق اه قلت ومن الدليل على انها للحصر أن ان تقتضي الاثبات وما تقتضي النفي فعند تركبهما وجب أن يبقى كل واحد على الاصل لان الاصل عدم التغير فاما ان تقول كلمة ان تقتضي ثبوت غير المذكور وكلمة ما تقتضي نفي المذكور وهو باطل أو تقول كلمة ان تقتضي ثبوت المذكور وما تقتضي نفي غير المذكور وهذا هو الحصر وهي ههنا للحصر كأنه قال ما رجل الدنيا وواحدها الا الذي لا يعول على أحد وفي انما مباحث أخر أضربت عنها خوف الاطالة وحاصل الامر أنك اذا أردت قصر الموصوف على الصفة قلت انما زيد كاتب لمن يعتقده كاتبا وشاعرا واذا أردت قصر الصفة على الموصوف قلت انما الكاتب زيد لمن يعتقد الكاتب زيدا وعمرا وغيرهما (رجع رجل الدنيا) مرفوع على انه مبتدا والدنيا مجرور على الاضافة ولم يظهر الجر لانه مقصور فهو بكسرة مقدرة على الالف (وواحدها) الواو عاطفة وواحد مرفوع لانه معطوف على المبتدا والضمير في موضع جر بالاضافة وهو يرجع الى الدنيا (من) اسم ناقص بمعنى الذي لا يتم الا بصلة وعائد وموضعه الرفع لانه خبر للمبتدا الذي تقدم وان أردت فاجعله نكرة موصوفة بما بعدها تقديره رجل غير معول على أحد والمحصور هنا من (لا يعول) لا حرف نفي يعول فعل مضارع من عول يعول وهو مرفوع لتجرده عن الناصب والجازم والفاعل ضمير يرجع الى من والجملة في موضع رفع صفة لمن (في الدنيا) في هنا للظرف والدنيا مجرور بفي ولم يظهر الجر لانه مقصور وموضع الجار والمجرور النصب لانه مفعول فيه (على رجل) على للاستعلاء ورجل مجرور به وموضعهما النصب على المفعولية به ليعول (المعنى) ما أرى رجل الدنيا وواحدها الذي تفرد فيها بالحزم ولم يكن له فيها ثان الا رجلا ساء ظنه بالناس وتجنبهم فلم يعول في دنياه على رجل يريد أن الرجولية لا تحصر الا فيمن اتصف بهذه الصفة واضاف الرجل الى الدنيا يعني انه اذا كان كذلك لم يكن للدنيا رجل غيره فهو

أحق بالاضافة اليها من كل من عداه ومن كلام ابن سناء الملك اياك أن تغتر بخلب لسان أو تثق بقلب انسان أو تركن الى صداقة صديق أو تأمن من شقاق شقيق أو يروقك ملق ملق أو بشر بشر أو تشيم صفو صفائح الاخلاء فانها تهمي بكدر أو تنخدع بنسيم انفاس الأعداء فانها ترمي بشرر وعليك بالاحتراز من أبناء جنسك والاحتراس حتى من نفسك فما الناس بالناس الذين عهدتهم * ولا الدهر بالدهر الذى كنت تعرف اه وقيل ان انسانا صدم ابا العيناء فقال ما هذا فقال ابن آدم فضمه أبو العيناء اليه وقال تعال تعال لا اله الا الله ما ظننت أنه بقى أحد من هذا النوع وقال أبو الطيب

اذا ما الناس جربهم لبيب * فانى قد أكلتهم وذاقا
فلم أر ودهم الاخداعا * ولم أر دينهم الا نفاقا

فعطف قوله وذاقا على قوله جربهم واعترض بين المعطوف والمعطوف عليه بقوله فانى قد أكلتهم والمعنى مليح لانه يقول اذا ما جرب الناس لبيب وذاقهم فانى قد أكلتهم ومن أتى على الشئ أكلا عرفه أكثر ممن جربه ذواقا وقال أيضا

ومن عرف الايام معرفتى بها * وبالناس روى رمحه غير راحم
فليس بمرحوم اذا ظفروا به * ولا فى الردى الجارى عليهم بآثم

وقال السميسر الالبيرى

تحفظ من ثيابك ثم صنها * والا سوف تلبسها حدادا
وميز عن زمانك كل حين * ونافر اهله تسد العبادا
وظن بسائر الاجناس خيرا * وأما جنس آدم فالبعادا
أرادونى بجمعهم فردوا * على الاعقاب قد نكصوا فرادى
وعادوا بعد ذا اخوان صدق * كبعض عقارب رجعت جرادا

وقال أبو فراس بن حمدان

بمن يثق الانسان فيما ينوبه * ومن أين للحر الكريم صحاب
وقد صار هذا الناس الا أقلهم * ذئابا على اجسادهن ثياب

وقال ابن حديس الصقلى

من سالم الضعفاء راموا حربه * فالبس لكل الناس شوك مجرب
كل لا أشراك التحيل ناصب * فاخلب بنى دنياك ان لم تغلب
لا يكذب الانسان رائد عقله * فامر وتمج وكن عذوبا تشرب

*(وحسن ظنك بالايام معجزة * فظن شرا وكن منها على وجل)*

(اللغة) الظن عدم الجزم بالامر هل هو كذا أو كذا وقد يأتى بمعنى العلم قال الشاعر

فقلت لهم ظنوا بالفى مدجج * سراتهم فى الفارسى المسرد

أى استيقنوا وانما يخوف عدوه باليقين لا بالشك وما أحسن قول أبى البركات بن بنت العصار يرثى المعظم عيسى

أظن قد مات الندى بعده * والظن قد يأتى بمعنى اليقين

معجزة مثل مبخلة ومجبنة ومجمدة مصدر من العجز والعجز ضد القدرة الوجل الخوف تقول

بديهة * يا جارتى بينى فانك طالقه
كذاك أمور الناس غاد وطارقه
وبينى حصان الفرج غير ذميمة
وموموقة فينا كذاك ووامقه
وبينى فان البين خير من العصى
والا ترينى فوق رأسك بارقه
وذوقى فتى قوم فانى ذائق
فتاة أناس مثل ما انت ذائقه
وكيف وفى ابناء قومك منكح
وفتيان مزان الطوال الغرانقه

وبهذه الابيات استدل قوم على أن الطلاق فى الجاهلية كان ثلاثا لانه كرر قول بينى فى ثلاثة أبيات وتمثل ابن زيدون فى هذه الرسالة بالبيت الاخير واستعمل فيه نوع الاهتدام وهو تغيير قومك فجعلها قومى

(ما كنت لاتخطى المسك الى الرماد
ولا امتطى الثور بعد الجواد)

يعنى ما كنت لادع الفتيان من قومى لارغب اليك وأنت بالنسبة اليهم كالرماد الى المسك ولعله أشار بذلك الى رسالة لابى عثمان الجاحظ فى ذكر الرماد والمسك وأما قوله أمتطى الثور بعد الجواد فهو قول المتنبى فى قصيدة من قصائده يقول فيها

وما لاقنى بلد بعدكم
وما اعتضت من رب نعماى
رب

وجل يوجل ويأجل ويجل بكسر الياء فمن قال ياجل جعل الواو ألفا لفتحة ماقبلها ومن قال ييجل بكسر الياء فعلى لغة بني أسد فانهم يقولون انا ايجل ونحن نيجل وانت تيجل ومن قال يجل بناه على هذه اللغة ولكنه فتح الياء مثل قولهم يعلم والامر منه ايجل صارت الواو ياء لكسرة ماقبلها وتقول انى لأوجل ولا يقال للمؤنث وجلاء (الاعراب وحسن) مرفوع على الابتداء وهو مصدر وسيأتى الكلام على اعراب ذلك بعد الفراغ من مفردات الكلام (ظنك) مجرور بالاضافة الى حسن وظن مصدر ظن يظن ظنا وظن واخواتها من نواسخ الابتداء تدخل على المبتدا والخبر فتنصبهما مفعولين والكاف فى موضع جر بالاضافة (بالايام) جار ومجرور متعلق بظنك والباء للتعدية أو للالصاق ٣ والايام مفعول أول لظن والمفعول الثانى محذوف دل عليه حسن كانه قال ظنك بالايام خيرا معجزة وسيأتى الكلام على حذف أحد مفعولى ظننت فى قوله فظن شرا (معجزة) مرفوع على انه خبر المبتدا وهذه الصيغة صيغة اسم المصدر قال الشيخ بدر الدين بن مالك اعلم ان اسم المعنى الصادر عن الفاعل كالضرب او القائم بذاته كالعلم ينقسم الى مصدر والى اسم مصدر فان كان أوله ميم مزيدة لغير مفاعلة كالمضربة والمحمدة أو كان لغير ثلاثى كالغسل والوضوء فهو اسم المصدر والا فهو المصدر اهقلت فمعجزة اوله ميم مزيدة لغير المفاعلة لان أصله العجز وليس فيه ميم وهى لغير المفاعلة فتعين ان يكون اسما للمصدر الذى هو العجز (فظن) الفاء للتعقيب وظن فعل أمر من الظن ولك فى مثل هذا ضم آخره وفتحه وجره فان ضممت كنت قد تبعته حركة ماقبله لان أوله مضموم وان فتحت كنت قد طلبت الاخف وان جررت كنت على قاعدة الساكن اذا حرك (شرا) هذا منصوب على انه مفعول ثان لظن والاول محذوف تقديره ظن بالايام شرا وقد منع النحاة من مثل هذا وقالوا اما أن يحذف مفعولا ظن واما أن يثبتا قال الشيخ جمال الدين بن مالك رحمه الله الاصل أن لا يقتصر على أحد المفعولين فى هذا الباب لانهما مخبر عنه ومخبر به فلو حذف الاول بقى الخبر دون مخبر عنه ولو حذف الثانى بقى المخبر عنه دون خبر فان دل دليل على المحذوف منهما جاز الحذف كقوله تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم أى لا يحسبن الذين يبخلون ما يبخلون هو خيرا لهم وحذف المفعولين أسهل من حذف أحدهما لكن بشرط الفائدة فلو قال القائل دون تقدم كلام ولا ما يقوم مقامه ظننت مقتصرا لم يجز لعدم الفائدة نص على ذلك سيبويه اذ لا يخلو أحد من ظن فلو قارنه سبب يقتضى تجدده ظنون جاز ذلك لحصول الفائدة كقوله تعالى ولا يحسبن الذين هم الا يظنون وكقول بعض العرب من سمع يخل اه قلت وهنا دل على المفعول الاول دليل فجاز حذفه لانه مفهوم من سياق الكلام اذ هو قد قال أولا وحسن ظنك بالايام معجزة فاذا قال فيما بعد فظن شرا علم انه أراد فظن بها شرا أى بالايام وكذا فى قوله وحسن ظنك بالايام حذف المفعول الثانى كانه قال ظنك بالايام خيرا معجزة وقد تقدم (وكن) الواو عاطفة عطفت الامر على الامر وكن فعل أمر من كان فهى ترفع الاسم وتنصب الخبر واسمها مستتر فيها تقديره أنت (منها) من هنا لبيان الجنس والضمير يرجع الى الايام وهو فى موضع جر ولم يظهر الجر لان الضمائر كلها مبنية والجار متعلق بوجل (على وجل) على للاستعلاء معنى ووجل مجرور به والجار والمجرور متعلق بخبر كان المقدر تقديره وكن أنت مستقرا على وجل منها واما قوله فى أول البيت وحسن ظنك بالايام معجزة فحسن مصدر

ومن ركب الثور بعد الجوا
د أنكر أطلاقه والعبب
(فانما يتيمم من لم يجد ماء ويرعى الهشيم من عدم الجميم ويركب الصعب من لا ذلول له)
الهشيم من النبات اليابس المتكسر والجميم النبت المقتبل الذى طال ولم يبلغ النهاية والصعب ما لا يطيع والذلول ضده ومثلت بهذا القول عدم حاجتها اليه واستغنائها عنه بمن هو خير منه
(ولعلك انما غرك من علمت صبوتى اليه وشهدت مساعقى له من أقار العصر)
وريحان المصر الذين هم الكواكب علو هم والرياض طيب شيم العصر الدهر والمصر وكل بلد مصور أى مجدود والمراد بالاقمار هنا والريحان وصف قوم بحسن الوجوه والاخلاق ومرادها بهذه الصفات

٣ قوله والايام مفعول أول الخ الظاهر ان مفعولى المصدر هنا وهو قوله ظنك محذوفان وتقديرهما وفاءها حاصلا مثلا وكذلك مفعولا فعل الامر الآتى وهو ظن أيضا وتقديرهما غدرها حاصل مثلا وأما قوله بالايام فتعلق بظنك المذكور وقوله شرا ففعول مطلق لفعل الامر المذكور أيضا اه

أضيف الى فاعله وهو ظنك والمفعول الاول للمصدر وهو ظن انماها والايام والثانى ما قدرته من خبر المفهوم من سياق الكلام فهنا مصدر أول يحتاج الى فاعل وهو حسن وفاعله ظنك المضاف اليه ومصدر ثان يحتاج الى فاعل ومفعولين وهو ظن فالكاف التى أضيف اليها فاعل أضيف الى مصدره والمفعولان هما الايام وخبرا المفهوم من سياق الكلام فتدبره (المعنى) حسن ظنك أن فى الايام خيرا عجز منك لانك لم تخبر الايام ولا أهلها ولا جربتهما لتعلم ما هما عليه وهذا عجز ظاهر وهو أن يصف الانسان غيره مدة العمر وهو به جاهل والحزم انك تظن الشر بالايام وتكون منها على وجل فلا تأمن اليها وكن منها خائفا ولا تركن الى مسالمتها وسكونها فى وقت ما ومما أحسن قول ابن عبدون فى قصيدته المشهورة وهى التى رثى بها بنى المظفر

الدهر يفجع بعد العين بالاثر * فما البكاء على الاشباح والصور
أنهالك أنها لك لا آلوك معذرة * عن نومة بين ناب الليث والظفر
فلا يغرنك من دنياك نومتها * فما صناعة عينيها سوى السهر
ما الليالى أقال الله عثرتنا * من الليالى وخانتها يد الغير
تسر بالشئ لكن كى تغرّ به * كالايم ثار الى الجانى من الزهر

قيل ان الرشيد كان اذا ذكر قول جعفر بن يحيى البرمكى

فاغتبق واصطبح وقد صافتنى اللـ * ـه اذا صافتنى من الحدثان

قال ما صانه الله بى من الحدثان ولقد كنت له كدون الافعى فى أصول الريحان حتى اذا جاءه بالشم تلقاه بالسم وحديث قيصر بن الطرطيس لما خطب قيلا قطرة اليونانية ودخل اليها ووضعت الحية التى تقتل بالنظر بين الرياحين له ودخوله هو عليها وعبثه بالريحان مشهور فلا فائدة فى ذكره وقصيدة ابن عبدون هذه من أحسن القصائد لانها اشتملت على تواريخ جماعة من اعيان الاسلام وغيرهم من الطوائف ومن أحسن ما فيها قوله

وخضبت شيب عثمان دما وخطت * الى الزبير ولم تستحى من عمر
وليتها اذ فدت عمرا بخارجه * فدت عليا بما شاءت من البشر

وقد شرح هذه القصيدة ابن بدرون وغيره من الفضلاء وقصيدة عدى بن زيد الرائية مشهورة وقد عدد فيها جماعة من الملوك الاول وندب فيها من درج من الامم وهى مليحة وعظ فيها الزهاد والملوك واستعمل الكتاب ابياتها فى رسائلهم تضمينا وتداولها الناس واستشهدوا بابياتها كثيرا ومنها

أين كسر كسرى الملوك أنوشر * وان ام اين قبله سابور
ومنها وبنو الاصفر الكرام ملوك الـ * ـروم لم يبق منهم مذكور
ثم اضحوا كأنهم ورق جف فألوت به الصبا والدبور

ويحكى ان المامون أو الرشيد قال لو وصفت الدنيا نفسها ما زادت على ما قال أبو نواس شيأ وهو قوله

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو فى ثياب صديق

وقال أبو الطيب

فذى الدار أخدع من مومس * وأمكر من كفة الحابل

التعريض بذكر ابن زيدون وأمثاله ممن تعجبهم ونكاية المكتوب اليه بمدحهم ومدحه بهذه الالفاظ والتهكم عليه

*(من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم * مثل النجوم التى يسرى بها السارى)*

يعنى هؤلاء الموصوفين وهذا البيت من جملة أبيات منسوبة لرجل من العرب يسمى العرندس ويقال انه أحد بنى بكر بن كلاب يمدح بها بنى بدر الغنويين وكان أبو عبيدة اذا أنشدوها يقول هذا والله محال كلابى يمدح غنويا يعنى عداوة الحيين وهى هذه

هيفون لينون أيسارا ذوو كرم * سواس مكرمة أبناء ايسار
ان يسألوا الخير أعطوه وان صبروا * فى الجهد أدرك منهم طيب أخبار
وان تودتهم لاذوا ان شهموا * كشفت أذمار شر أى أذمار
فيهم ومنهم بعد المجد متلدا * ولا يعد تناخزى ولا عار
لا ينطقون عن الفحشاء ان نطقوا * ولا يمارون ان مارو ابا كبار
من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم * مثل النجوم التى يسرى بها السارى

تفانى الرجال على حبها * ومايحصلون على طائل

وقال أيضا

ومايسع الازمان علمى بامرها * ومانحسن الايام تكتب ما أملى
وما الدهر أهل أن تؤمل عنده * حياة وان يشتاق فيه الى النذل

وقد لمح هذا المعنى أبو العلاء المعرى فقال

بنت من الدنيا ولابنت لى * فيها ولاعرس ولا أخت

ويقال انه كتب على قبره هذا البيت

هذا جناه أبى على * وما جنيت على احد

قال علاء الدين الوداعى ومن خطه نقلت زرت قبره بالمعرة رحمه الله تعالى فى ربيع الاول سنة تسع وسبعين وستمائة ولم أر عليه شيئا من ذلك وقد دثر والصق بالارض وعملت هذين البيتين

قد زرت قبر أبى العلاء المرتضى * لما أتيت معرة النعمان
وسألت من غفر الخطايا انه * يهدى اليه رسالة الغفران

وبالغ أبو العلاء المعرى فى ذم الاولاد فمن ذلك قوله

أرى ولد الفتى عبأ عليه * لقد سعد الذى أضحى عقيما
فاما ان يربيه عدوا * واما أن يخلفه يتيما
واما أن يصادفه حمام * فيبقى حزنه أبدا مقيما

وقال الامير أبو الفتح بن أبى حصينة

وفى الدار خلفى صبية قد تركتهم * يطلون أطلال الفراخ من الوكر
جنيت على روحى بروحى جناية * فاثقلت ظهرى بالذى خف من ظهرى

وقال الباخرزى

القبر أخفى ستره للبنات * ودفنها يروى من المكرمات
أما رأيت الله عز اسمه * قد وضع النعش بجنب البنات

وقال صالح بن صالح التشتيرى

تحاذر احداث الليالى وقلما * خلا من توقيهن قلب لبيب
وترتاب بالايام عند سكونها * وما ارتاب بالايام غير أريب
وما الدهر فى حال السكون بساكن * ولكنه مستجمع لوثوب

وعلى ذكر فساد الزمان فلله در البديع الهمدانى حيث يقول فى رسالة أجاب بها استاذه أبا الحسين بن فارس صاحب المجمل فى اللغة عن رسالة كتبها اليه فى ذم الزمان نعم أطال الله بقاء الشيخ أنه المحامى المسنون وان ظنت الظنون والناس لآدم وان كان العهد قد تقادم فالاستاذ يقول فساد الزمان ولا يقول متى كان صالحا فى الدولة العباسية وقد رأينا آخرها وسمعنا أولها أم فى الدولة المروانية وفى أخبارها لا تكسع السيول باغيارها أم فى السنين الحربية والسيف يعمد فى الطلا والرمح يركز فى الكلام والحرتان وكربلا أم البيعة الهاشمية والعشرة براس من بنى فراس أم الايام الاموية والنفير الى الحجاز والبعوث على الاعجاز أم الامارة العدوية وصاحبها يقول وهل بعد الطلوع الا النزول أم فى الخلافة التيمية وهو

(نحن قدح ليس منها ما أنت وهم وانى تقع منهم)

قوله نحن قدح مثل يضرب لمن يتشبه بقوم ليس منهم ويتمدح بما ليس فيه ويقال حن قدحا على التمييز وقدح على انه الفاعل والقدح أحد قداح الميسر وهى السهام التى توضع فى خريطة ويقترع بها فاذا كان أحد القداح من غير جوهر اخوانه ثم أجاله المفيض خرج له صوت يخالف أصواتها فعرف به انه ليس من جملة القداح وتمثل به عمر رضى الله عنه حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل أبى عمرو بن أمية يوم بدر فقال أبو عمرو اقتل من بين قريش صبرا فقال عمر رضى الله عنه حن قدح ليس منها يعنى انك لست من قريش ويروى ان أبا عمرو كان عبدا وكان أمية قد عمى وكان يقوده فتبناه قلت كذا روى

(وهل أنت الا واو عمرو فيهم وكالوشيظة فى العظم بينهم)

يعنى انك مستلحق بهم ولست منهم كواو عمرو الملحقة بلفظه وليست منه وأول من أفاد هذا المعنى أبو نواس فى أشجع السلمى

أيها المدعى سليمى سفاها
لست منها ولا قلامة ظفر
انما أنت من سليمى كواو
ألحقت فى الهجاء ظلما بعمرو

يقول

يقول طوبى لمن مات فى نأنأت الاسلام أم على عهد الرسالة ويوم الفتح قيل اسكتى يافلانة فقد ذهبت الامانة أم فى الجاهلية ولبيد يقول

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم * وبقيت فى خلف كجلد الاجرب

أم قبل ذلك وأخو عاد يقول

بلاد بها كنا ونحن من أهلها * اذ الناس ناس والزمان زمان

أم قبل ذلك ويروى عن آدم عليه السلام

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح

أم قبل ذلك وقد قالت الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ما فسد الناس وانما اطرد القياس ولا أظلمت الايام وانما امتد الظلام وهل يفسد الشئ الا عن صلاح ويعمى المرء الا عن صباح انتهى قلت استدل بعضهم بهذه الآية الكريمة على انه كان قبل خلق آدم خلق آخر فى الارض وانهم أفسدوا فيها وأهلكهم الله تعالى لان الملائكة قالت أتجعل فيها من يفسد فيها وقال آخرون لم يسكن الارض قبل آدم خلق آخر غيره وانما الملائكة علموا ان ذرية آدم يفسدون فى الارض من قوله تعالى خليفة قالوا الخليفة الذى يحكم بين الخصوم والخصم اما ان يكون ظالما أو مظلوما ومتى حصل التظالم بينهم حصل الفساد فى الارض فلهذا قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها (رجع) قال أبو اسحق الغزى فى حسن الظن

دع ما تناسب فى الابصار ظاهره * ولا تقل بقياس غير مطرد

فهيئة المتنافى لا عتدادبها * شتان ما بين مهتز ومرتعد

وقال أبو العلاء المعرى

قد يبعد الشئ من شئ يشابهه * ان السماء نظير الماء فى الزرق

وقال أبو الطيب وقد يتقارب الوصفان جدا * وموصوفاهما متباعدان

وما أحسن قول المعرى فيما أظن

الناس كالناس الا أن تجربهم * وللبصيرة حكم ليس للبصر

والا يك مشتبهات فى منابتها * وانما يقع التفضيل فى الثمر

وقال شرف الدين شيخ الشيوخ بحماه

فاقت بسيوفها الدنيا وفاح لها * طيب طوى المسك فى نشر لها أرج

فان يشاركه فى اسم الملك طائفة * فان شمس الضحى من جملة السرج

ومن الكلام النوابغ الناس أجناس وأكثرهم أنجاس وقال ابن اللبانة

وقد يسمى سماء كل مرتفع * وانما الفضل حيث الشمس والقمر

ونقلت من خط السراج الوراق له

قد تشبه الحالة الاخرى وبينهما * اذا تأملت فرق عن سواك خفى

فربما صفق المسرور من طرب * وربما صفق المحزون من أسف

وقال ابن سراج انما تكون أصوات الحمام على قضية ما فى نفس المستمع فاذا سمعها من يطرب سماه غناء واذا سمعها من يحزن سماه بكاء وقال ابن قاضى ميلة

لقد عرض الحمام لنا بمجمع * اذا أصغى له ركب تلاحا

وزأى انسان فى النوم كأنه يكتب على ظفره ووفق رؤياه على معبر فقال رأيت هذا المنام دعى فى نسبه وأنشد هذا الشعر من قول أبى فراس وكالوشيظة وهى قطعة عظم تكون زيادة فى العظم الصميم ومنه يقال فلان وشيظة فى قومه أى هو حشو فيهم وتمثل به الحسن بن على صلوات الله عليهما فقال لعمرو بن العاص وقد تلقاه بكلام كرهه أليس من وهن الدين وامانة السنة أن يكون معاوية رئيسا وهو الطليق ابن الطليق ويكون مثلك لى خصما وأنت شانئ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وغلت فى قريش وانما أنت منها كالوشيظة فى العظم

(وان كنت انما بلغت قعر تابوتك وتجافيت عن بعض قوتك وعطرت اردانك وجرت همیانك واختلت فى مشيتك وحذفت فضول لحيتك)

يعنى لازمت منزلك وأظهرت الغنى والقرى بما تستفضله من قوتك وعطرت أكمام ثيابك وجررت همیانك وأسرولك وما أشبه ذلك قال الشاعر

يشدهم يانه على عدم
وذاك من حمقه ومن تيهه

والهميان غير عربى واختلت

زها قلب الخلى فقال غنى * وبرح بالشجى فقال ناحا

وقال ابن المعتز

بشر بالصبح طائر هتفا * هاج من الليل بعدما انتصفا
مذكر بالصبوح صاح بنا * كخاطب فوق منبر وقفا
صفق اما ارتياحة اسنا الصبح واما على الدجى أسفا

وقال العماد الكاتب

وأترجة صفراء لم أدر لونها * أمن فرق السكين أم فرقة السكن
بحق عرتها صفرة بعد خضرة * فمن شجر بانت وصارت الى شجن

وقال غيره

أمسيت أرحم أترجا وأحسبه * فى صفرة اللون من بعض المساكين
عجبت منه فما أدرى أصفرته * من فرقة الغصن أم خوف السكاكين

وقال الغزى

كالشمع يبكى ولا يدرى أعبرته * من صحبة النار أم من فرقة العسل

(غاض الوفاء وفاض الغدر وانفرجت * مسافة الخلف بين القول والعمل)

(اللغة) غاض الماء يغيض غيضا أى قل ونضب وغيض الماء فعل به ذلك وغاضه الله يتعدى ولا يتعدى وأغاضه الله وغاض ثمن السلعة أى نقص الوفاء ضد الغدر يقال وفى بعهده وأوفى بمعنى ووفى الشئ وفيا على فعول اى تم وفاض الخبر والحديث واستفاض أى شاع وهو مستفيض ولا يقال مستفاض وفاض الماء أى كثر حتى سال على جانب الوادى الغدر ضد الوفاء انفرجت الفرجة فى الحائط طاقة تفتح ويقال رجل أفرج للذى لا تلتقى اليتاه والمراد بالانفراج ههنا التباعد فيما بين الطرفين مسافة المسافة البعد وأصلها من الشم لان الدليل اذا كان فى فلاة أخذ التراب فاستافه أى شمه ليعلم أين هو من بقاع الارض الخلف بالضم الاسم من الاخلاف وهو فى المستقبل كالكذب فى الماضى (الاعراب غاض) فعل ماض و(الوفاء) فاعله (وفاض) الواو عاطفة عطفت الفعل على الفعل وفاض فعل ماض أيضا (الغدر) فاعله (وانفرجت) الواو عاطفة انفرجت فعل ماض فهو انفعل من الفرجة وهو من افعال المطاوعة كما تقول كسرته فانكسر وفرجته فانفرج والتاء علامة التأنيث الفاعل الآتى (مسافة) فاعل انفرجت (الخلف) مضاف اليه والاضافة معنوية بمعنى اللام (بين) منصوب على انه ظرف مكان فهو مفعول فيه فعل فيه الانفراج ولفظة بين تقتضى الاشتراك فلا تدخل الا على مثنى أو مجموع كقولك المال بينهما والدار بين الاخوة قال الحريرى فى درة الغواص فاما قوله تعالى مذبذبين بين ذلك فان لفظة ذلك تؤدى عن شيئين ألا ترى انك تقول ظننت ذلك فتقيم ذلك مقام مفعولى ظننت وكان تقدير الكلام فى الآية مذبذبين بين الفريقين وكشف هذا بقوله تعالى لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ونظيره لا نفرق بين أحد من رسله وذلك ان لفظة أحد فى قوله تستغرق الجنس الواقع على المثنى والجمع بعضد ذلك قوله تعالى يا نساء النبى لستن كأحد من النساء وكذلك اذا قلت ما جاءنى من أحد فقد شمل هذا النفى استغراق الجنس فان اعترض معترض بقول امرئ القيس بين الدخول فحومل فالجواب ان الدخول اسم واقع على عدة أمكنة فلهذا جاز أن يعقب بالفاء كما تقول المال بين الاخوة فزيد ومثله قوله تعالى يزجى سحابا ثم يؤلف بينه اه ما اخترته من كلامه فى هذا

الفصل

أى أظهرت الخيلاء والكبر وقصصت ما استطال من ذيلك معتمدا على الوضاءة والنظافة وأصلحت شاربك ومططت حاجبك ورققت خط عذارك واستأنفت عقد ازارك رجاء الاكتنان فيهم وطمعا فى الاعتداد منهم فظننت عجزا)

الط المدكانه اذا تخايل مدهما والازار الطيلسان وما أشبهه والمعنى انك ان كنت تصنع هذه الاشياء لتعد من هؤلاء القوم وتكن بهم والا كتنان ستر الشئ بثوب أو غيره فقد خبت وظننت ظنا عاجزا وهذا اللفظ منظوم من قول الخنساء حيث تقول

ومن ظن ممن يلاقى الحروب
بان لا يصاب فقد ظن عجزا

واسم الخنساء تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمى كانت من شواعر العرب المعترف لهن بالتقدم حكى الاصمعى قال كان النابغة الجعدى و يجلس فى الموسم بعكاظ وتتحاكم اليه الشعراء فدخلت اليه الخنساء فأنشدته من قولها فى أخيها وان صخرا لتأتم الهداة به
كأنه علم فى رأسه نار
فقال انت أشعر من كل ذات ثديين فقالت ومن كل ذى

الفصل (القول) مخفوض بالاضافة الى الظرف المكانى (العمل) معطوف عليه (المعنى) ان الوفاء نقص أوغاب أوذهب من بين الناس والغدر اشتهر وزاد وشاع واتسعت مسافته ما بين القول والعمل فى الوعود أخذ يوضح الدلالة على عدم حسن الظن بالايام وتحقيق ما ادعاه من الحزم فى ذلك وان الانسان لا يعول على أحد لان الوفاء ذهب والغدر ظهر والخلف فى الوعد زاد وهذه موجبات تقتضى التأدب بما وعظوا الاخذ بما أمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل غادر لواء يوم القيامة يقال هذه غدرة فلان وفى رواية يعرف به وفى رويه لكل غادر لواء عند رأسه يوم القيامة وفى رواية لكل غادر لواء يوم القيامة يرفع له بقدر غدره ألا ولا غادر أعظم غدرا من أمير وهذه عادة العرب كانت تنصب الالوية فى الاسواق الخفلة بغدرة الغادر لتشهره بذلك قال الشيخ محيى الدين النووى رحمه الله فى هذه الاحاديث بيان تغليظ تحريم الغدر لاسيما من صاحب الالوية العامة لان غدره يتعدى ضرره الى خلق كثير اه ويقال ان أعرق الناس فى الغدر عبد الرحمن بن محمد ابن الاشعث بن قيس بن معدى كرب بن معاوية بن جبلة غدر عبد الرحمن بالحجاج بن يوسف وغدر محمد بن الاشعث بأهل طبرستان وكان زياد بن أبيه ولاه اياها فصالحهم وعقد لهم ثم غدر بهم وغزاهم فأخذوا عليه الشعاب وقتلوا ابنه أبا بكرة وفضحوه وغدر الاشعث ببنى الحرث بن كعب وغزاهم فأسروه ففدى نفسه بمائتى قلوص أعطاهم مائة وبقى مائة فلم يؤدها حتى جاء الاسلام فهدم ما كان فى الجاهلية وغدر معدى كرب بهرة وكان بينهم عقد فغزاهم غادرا فقتلوه وشقوا بطنه وملئوه حصى وكان بين قيس بن معدى كرب وبين مراد ولث عهد الى أجل معلوم فغزاهم فى آخر يوم من الاجل وكان ذلك يوم الجمعة فقالوا له انه بقى من الاجل يوم وكان يهوديا فقال انه لا يحل لى القتال غدا فقاتلهم وقاتلوه وهزموا جيشه وأما الوافون فكثير منهم أوفى بن مطر المازنى كان جاوره رجل ومعه امرأة له فأعجبت أخا أوفى وكان لا يصل اليها مع زوجها فوثب عليه فقتله فبلغ ذلك أوفى فقتل أخاه وقال

سعيت على قيس بذمة جاره * لأمنع عرضى ان عرضى ممنع

والحرث ابن عباد أسر عدى بن ربيعة وهو مهلهل وكان طلبته وهو لا يعرفه فقال له ان دللتنى عليه فأنا آمن فأعطاه ذلك فقال أنا هو عدى ابن ربيعة فخلى سبيله والسموءل بن عادياء اليهودى ذبح ابنه وهو ينظر اليه من الحصن ولم يدفع لقاتله دروع امرئ القيس التى عنده وقصته مشهورة وعوف ابن محلم الشيبانى كان من وفائه ان مروان بن زنباع العبسى قد وتر عمرو بن هند اللخمى فجعل على نفسه ان لا يؤمنه حتى يضع يده فى يده ثم ان مروان غدر أبكر بن وائل فأسره رجل من بنى تيم الله ولم يكن منيعا فخاف مروان ان يبلغ عمرو بن هند مكانه فبعث اليه من يأخذه فسمع أم أسره وهى تقول لابنها كأنك أسرت مروان فقال مروان وما تأملين فى مروان فقالت مائة بعير قال فأنا مروان وهى لك ان أديتنى الى عوف بن محلم قالت ومن لى بالوفاء فأخذ مروان عودا من الارض وقال هذا لك بالوفاء فحمله ابنها الى قبة عوف فلم يجده فاجارته ابنته جماعة وبلغ عمرو بن هند ومكانه فبعث يطلبه فأبى ان يسلمه الا ان يؤمنه فقال قد آليت ان لا أومنه حتى يضع يده فى يدى فقال عوف انى أبر قسمك على ان أجعل يدى بين يدك ويده ففعل وأمن مروان ثم ان مروان وفى بوعده للعجوز مائة ناقة وتشبه هذه القصة

خصيتين وقال بشار لم تقل امرأة شعرا قط الا تبين الضعف فيه فقيل له أو كذلك الخنساء فقال تلك كان لها أربع خصى وأكثر شعرها فى مراثى أخويها معاوية وصخر وأدركت الخنساء الاسلام وأسلمت حكى ان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه نظر اليها وفى وجهها ندوب فقال ما هذا يا خنساء فقالت من طول البكاء على أخوى قال لها أخواك فى النار قالت ذاك أطول لحزنى انى كنت أبكى لهما من النار وانا اليوم أبكى لهما من النار ورأت عائشة رضى الله عنها على جسد الخنساء صدارا من شعر وهو ثوب صغير فقالت يا خنساء أتلبسين الصدار وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه قالت لم أعلم بنهيه وله سبب فقالت وما هو قالت زوجنى أبى رجلا متلافا لماله فاسرع فيه حتى نفد فقال لى الى أين تذهبين يا خنساء فقلت الى أخى صخر فلقيناه فقسم ماله بيننا شطرين ثم خيرنا فقالت زوجته اما كفالك ان تقسم مالك حتى تخيرهم فقال

والله لا امنحها شرارها
وهى حصان قد كفتنى عارها

ولو أموت مزقت خمارها
وجعلت من شعر صدارها
فجعلت هذا الصدار تصديقا
لظنه فلا انزعه حتى اموت

وحدث علقمة بن جرير قال استأذن الجماعة على معاوية وكنت فيهم فلما دخلنا عليه اجلسنا واكلنا ثم قال يا علقمة هل عندك ظريفة تحدثنا بها قلت نعم اقبلت قبل مخرجي اليك أسوق شارفا لي اريد نحرها عند الحي فادركني الليل بين ابيات بني الشريد فاذا عمرة ابنة مرداس عروسا وامها الخنساء بنت عمر فقلت لهم انحروا هذه الجزور واستعينوا بها وجلست معهم فلما هيئت اذن لنا فدخلنا فاذا هي جارية وضيئة يعني عمرة واذا امها الخنساء جالسة ملتفة بكساء احمر وقد هرمت واذا هي تلحظ الجارية لحظا شديدا فقال القوم بالله يا عمرة الا تحرشت بها فانها الآن تعرف بعض ما انت فيه فقامت الجارية تريد شيأ فوطئت على قدمها وطأة أوجعتها فقالت وهي مغيظة حسن اليك يا حمقاء والله لكأنما تطئين أمة ورهاء انا والله كنت اكرم منك عرسا واطيب ورسا وذلك زمان اذ كنت فتاة أعجب الفتيان لا أذيب الشحم ولا ارعى البهم كالمهرة

قصة حاجب بن زرارة بن عدس بن عبد الله بن دارم كان قد تدبر هو واهله أرض العراق فانكر ذلك والى الحيرة وكتب الى كسرى بذلك فكتب اليه كسرى ان أرادوا ان يرعوا بأرضنا فليقدم علينا وفدهم ويعطونا رهائن منهم فقدم عليه حاجب بن زرارة فلما وافقه على ما يريده طلب منه الرهائن فقال حاجب ليس معي سوى قوسي هذه فخذها فضحك منه أصحاب كسرى فقال لهم الملك خذوها منه فانه لن يسلمها وذهب فوفى بما وعد فصار ذلك معدودا في مآثر بني تميم ولذلك قال أبو تمام الطائي يمدح ابا دلف من قصيدة

اذا افتخرت يوما تميم بقوسها * وزادت على ما وطدت من مناقب
فأنتم بذي قار أمالت سيوفكم * عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

معناه ان بني عجل كانوا في ذي قار مع بني شيبان ويرون ان العرب كانت تزعم ان الفرس لا يموتون وان حنظلة العجلي حمل على رجل منهم فطعنه فقتله فقال لاصحابه ويلكم انهم يموتون فحملوا عليهم فكان سبب ظفرهم وما أحسن ما نقلت من خط بعض الفضلاء في ملبح قرندلي

بدالي في حلق الحواجب فتنة * فقلت بعقل ذا هل فيه ذاهب
حبيبي بحق الله قل لي ما الذي * دعاك الى هذا فقال مجاوبي
وعدت بوصلي العاشقين تعطفا * فلم يشقوا واسترهنوا قوس حاجبي

وامرأة هدبة بن خشرم العذري فانه لما قدم ليقاد رفع رأسه اليها وقال

لا تنكحي ان فرق الدهر بيننا * أغم القفا والوجه ليس بانزعا
ضروبا بلهبيه على زور صدره * اذا القوم هشوا للنعال تقنعا

فسألت المرأة ان يمهلوه قليلا ثم أتت جزارا فاخذت مدية وجدعت أنفها ثم أتته قبل ان يقتل محدوعة ليعلم انها لا تتزوج بعده وهذه بخلاف ما يحكى عن بعض الزوجات ان زوجها وقع في السياق وكان يحبها وأهله حوله وهو في كرب الموت فاشار اليها ان تدنو منه فلما فعلت قال لها سرا أسألتك بالله لا تتزوجي بعدي أحدا فقال لها أهله ما الذي قال لك قالت انه من حلاوة الروح يخاط وحكي ان عبد الحميد الكاتب قال له مروان حين أيقن بزوال ملكهم قد احتجت ان تكون مع عدوي وتظهر العدر بي فان أعجابهم بآدابك وحاجتهم الى كتابتك يحوجهم الى حسن الظن بك فان استطعت أن تنفعني في حياتي والا لم تعجز عن حفظ حرمتي بعد وفاتي فقال عبد الحميد ان الذي أشرت اليه أنفع الامرين لك وأقبحهما بي وما عندي الا الصبر حتى يفتح الله وأقتل معك وأنشد

أسر وفاء ثم أظهر غدرة * فمن لي بعذر يوسع الناس ظاهرا

ويقال انه كان هو وابن المقنع في بيت لما هجم عليهم العباسيون وهموا بقتل عبد الحميد قال لهم ابن المقنع أنا عبد الحميد فقالوا له أكذلك فقال اتقوا الله في دمه فليس هو بعبد الحميد وأمهلوا حتى تجدوا من يعرفنا فان كنت أنا عبد الحميد قتلتموني عن يقين ولا تقتلوه ظنا اه وما أحر ما وبخ به العتابي للمأمون في قوله

ما على ذا كنا افترقنا بغدا * ادولا هكذا عهدنا الاخاء
تطعن الناس بالمثقفة السمـ * ـمر على غدرهم وتنسى الوفاء

رجع الى عدم الوفاء والغدر قال أبو الطيب

غاض الوفاء فما تلقاه من أحد * واعوز الصدق فى الاخبار والقسم

وأخذ ابن قلاقس قول الطغرائى فقال

غاض الوفاء وفاض ما * ء الغدر أنهارا وغدرا
وتطابق الاقوام فى * أقوالهم سرا وجهرا
فانظر بعينك هل ترى * عرفا وليس تراه نكرا

ومن كلام الحكماء اذا كان الغدر طبعا فالثقة بكل أحد عجز وقال محمد بن شرف القيروانى

ولقد يهون ان يخونك ذو هوى * كون الخيانة من أخ وخدين
لقى أخو يعقوب يعقوب الاذى * وهما جميعا فى ثياب جنين
ومضى على عن عقيل خاذلا * ورأى الامين جنابة المأمون
فعلى الوفاء سلام غير معاين * شخصاله الا عيان ظنون

وقال ابن قلاقس

وبنوا الزمان وان صفوا لك ظاهرا * يوما طووا لك باطنا ممذوقا
دوح تمر تلك الجنى أثماره * ولقد تمر به الرياح وريقا

وقال ابو فراس بن حمدان

مالى أعاتب دهرى أين يذهب بى * قد صرح الدهر لى بالمنع والياس
أبغى الوفاء بدهر لا وفاء به * كأننى جاهل بالدهر والناس

قال أيضا

أين الخليل الذى يرضيك باطنه * مع الخطوب كما يرضيك ظاهره

وقال ابن الساعاتى

لا يغرنك التودد من قو * م فان الوداد منهم نفاق
والقلوب الغلاظ لا ينزع الاحـ * ـقاد منها الا السيوف الرقاق

وقال آخر

زمان كل حب فيه خب * وطعم الخل خل لو يذاق
لهم سوق بضاعته نفاق * فنافق فالنفاق له نفاق

وقال القاسم بن عمر بن منصور الواسطى

لا ترد من خيار دهرك خيرا * فبعيد من السراب الشراب
رونق كالحباب يعلو على الما * ء ولكن تحت الحباب حباب
عظمت فى النفاق ألسنة القو * م وفى الالسن العذاب العذاب

وقال آخر

لا تثـ * ـق من آدمى * فى وداد بصفاء
كيف ترجو منه صفوا * وهو من طين وماء

وهو كقول القائل

ومن يك أصله ماء وطينا * بعيد من جبلته الصفاء

وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

يا مشتكى الهم دعه وانتظر فرجا * ودار وقتك من حين الى حين
ولا تعاند اذا أمسيت فى كدر * فانما أنت من ماء ومن طين

الصنيع لا مضاعة ولا عند مضيع فعجب القوم من غيظها من اينتها فضحك معاوية حتى استلقى وماتت الخنساء فى زمنه بالبادية ومن محاسن شعرها قولها فى رثاء اخيها

اذهب فلا يعدنك الله من رجل
دراك ضيم وطلاب باوتار
قد كنت تحمل قلبا غير مؤتشب
مركبا فى نصاب غير خوار
فسوف ابكيك ما ناحت مطوقة
وما اضاءت نجوم الليل للسارى

شدوا المآزر حتى يستقاد لكم
وشمروا انها ايام تشمار
وابكوا فتى الحى لا قته صيته
وكل حى الى وقت ومقدار

وقولها من قصيدة

فاقسمت آسى على هالك
واسال نائحة ما لها

ابعد ابن عمر بن آل الشريد
حلت به الارض اثقالها

قولها حلت به الارض اثقالها يحتمل وجهين احدهما ان السيد الشجاع ثقيل على الارض لسودده وسطوته فاذا مات حل بموته ثقل عنها والثانى ان الارض حلت باموالها من الحلية وسميت الموتى ثقلا للارض تشبيها للعمل والحمل يسمى ثقلا وفى قوله تعالى وأخرجت

وقلت أنا
دع الاخوان ان لم تلق منهم * صفاء واستعن واستغن بالله
أليس المر من طين وماء * وأى صفا لهاتيك الجبله

وقال العباس بن الاحنف
ما أرانى الاساء هجر من ليس برانى أقوى على الهجران
ملنى واثقا بحسن وفائى * ما أضر الوفاء بالانسان

وقال الارجانى
ما يلتقى اثنان منصفان معا * اذا اختبرت الانام كلهم
تنصف مادام يظلمونك أو تنـ * ـصف مادام يظلمون هم

وأخذه مجير الدين محمد بن تميم فقال
لك الخير كم صاحبت فى الناس صاحبا * فما نالنى منه سوى الهم والعنا
وجربت أبناء الزمان فلم أجـد * فتى منهم عند المضيق ولا أنا

حكى عن بعض العارفين انه قال طفت زمانا على من ينصفنى فلما أنصفت خنت أنا وقال التهامى
ذهب التكرم والوفاء من الورى * وتصرما الا من الاشعار
وفشت خيانات الثقاة وغيرهم * حتى أتهمنا رؤية الابصار

ونقلت من خط السراج الوراق له
وكان الناس ان مدحوا أثابوا * وللكرماء بالمدح افتخار
وكان العذر فى وقت ووقت * فصرنا لاعطاء ولا اعتذار

ونقلت منه له
رجعت عن التقاضى للتقاضى * ورب رضى بدا من غير راض
وقد غاضت بحار الجود عنا * وأنجأنا الزمان الى الحماض
وخربة مادر فى كل حوض * فتظمأ كى بالموت قاض

قلت فى المثل الاتم من مادر وكان مادر هذا اذا أورد أبله وصدرت عن الحوض الذى شربت منه خرى فى الحوض وقد بقى ماء قليل ومدره به بخلا ان يشرب من فضله قال الشاعر
قد جلت خزيا هلال بن عامر * بنى عامر طرا بسلحة مادر

وقال آخر
كان ميثاقهم ميثاق غانيه * يعطيك منها الرضى ما يسلب الضجر
فلا يغرنك من قول طلاوته * فانما هو نوار ولا ثمر
لو ينفق الناس مما فى قلوبهم * فى سوق دعواهم للصدق ما اتجروا

وبالغ عبد المنعم بن عبد المحسن الصورى حيث قال
كيف ترجو الوفاء من نسل من لم * يقف لله فى الجنان بحبه
وعزيز فى العالمين أمين * خان عهدا أبوه فى الخلد ربه

نسأل الله المغفرة لناوله ولابى العلاء المعرى فى هذه المادة كثيرا ضربت عن اثبات شئ منه
ونقلت من خط السراج الوراق له
أما السماح فقد مضى وقد انقضى * فتسل عنه ولا تسل عن خبره
واسكت اذا خاض الورق فى ذكره * حتى يخوضوا فى حديث غيره

وما أحسن قوله ومن خطه نقلت

الارض أثقالها قال بعض المفسرين أى موتاها وقال بعضهم كنوزها وقولها
لعمر أبيك انعم الفتى
تحل به الجرب أجذالها
وخيل تكدس مشى الوعو
ل نازلت بالسيف ابطالها
لدى مارق بينها ضيق
تجر المنية أذيالها
نهين النفوس وهون النفو
س يوم الكريهة أبقى لها
ومحصنة من بنات الملو
ك تعتعت بالليل خلخالها
وقافية مثل حد السا
ن تبقى ويهلك من قالها
نطقت ابن عمرو فأوضحتها
ولم تنطق الناس أمثالها
فان تك مرة أودت به
فقد كان يكثر تقيالها

وقولها أيضا
وان صخرا لمولانا وسيدنا
وان صخرا اذا نشتو لنجار
وان صخرا لتأتم الهداة به
كأنه علم فى رأسه نار

مثل الرديني لم تدنس شبيبته
كأنه تحت طى البرد أسوار

وقولها أيضا
فما بلغت كف امرئ متناولا
من المجد الا والذى نلت أطول

وما بلغ المهدون للناس مدحة
وان أطنبوا الا الذى فيك أفضل

تنسيك عرقوبا مواعيده * عن منهج القول الصحيح نكبت
لا تبن آمالا عليها انها * واهية الاس وقد تعرقبت

وقلت أنا في مليح ساقي

كاف في ساق كل وعد منه لي * ما زال يخلفه على الاطلاق
حتى قطعت مطامعي من وعده * ونسيت عرقوبا بهذا الساق (ى)

وقال ناصر الدين حسن بن النقيب

أنت حرما لم يكن منك وعد * فاذا ما وعدت صرت رقيقا
واذا شئت ان تكون عتيق الخلف من موعد فكن صديقا

وقد اشتهر قول القائل

وان حلفت لا ينقض النأي عهدها * فليس لمخضوب البنان يمين

وأنشدت للشيخ الامام العلامة شهاب الدين أبي الثناء محمود رحمه الله وان صح ذلك أنه له فهو روايتي عنه بالاجازة

حلفت بان لا تعلوا الراح راحتي * لأعلم رشدا المرء كيف يكون
وقد أيقظ الزهر الغمام وحلت * رياض باكناف الحمى وغصون
فقلت لساقيها ادرها فقال لي * أمثلك من بعد اليمين يمين
فقلت له في فتية من شعاعها * على ان تركي لو عقلت جنون
ألست ترى منها البنان خضيبة * وليس لمخضوب البنان يمين

وكتبت أنا الى المولى جمال الدين محمد بن نباتة

لوان قربك بالنفوس يكون * كان العزيز لمثل ذاك يهون
لكن دهري أنت تعلم انه * بنوى الحبيب موكل مقرون
هذا اذا عاهدته أن نلتقي * ينسى ولو أنصفت قلت يخون
دهر له في كل يوم خفية * بأهيله ما عند ذاك يمين

وقيل ان بعضهم قال لآخر أتشاركني على شرط أن لا تحلف قال اي والله قال قد حلفت قال لا والله قال له حلفت وحلفت انك لم تحلف وما اشتركنا الى الآن وما أحلى قول ابن سناء الملك

ماذا لقيت من الصدود لاتني * ألقى خشونته بقلب مترف
والقلب يحلف ان سيسلو ثم لا * لا يسلو ويحلف انه لم يحلف

وقال جمال الدين ابراهيم بن النجار

ما لهذي العيون قاتلها الله تسمى لواحظا وهي نبل
ولهذا الذي يسمونه العشق مجازا وفي الحقيقة قتل
ولقلبي يقول أسلو فان قلت نعم قال لست والله أسلو

وأخبرني من لفظه الشيخ العلامة أثير الدين أبو حيان سماعا من كتابه المسمى مجانى العصر في ترجمة جمال الدين ابراهيم الوراق الكتبي عرف بالوطواط انه كان بينه وبين بعض القضاة مودة فلما تولى ذلك القاضي قضاء الديار المصرية توهم جمال الدين انه يحسن اليه ويبره فسأله فلم يجبه الى شئ من مقصوده فاستفتى عليه فضلاء الديار المصرية فكتبوا على فتياه

أخو الجود معروف له الفضل والندا
حليف ان ما دامت تعاروبذبل
وقولها تمدح آخاها وأباها
جاري أباه فاقبلا وهما
يتعاورا رن ملاءة الحضر
حتى اذا بدت القلوب وقد
لزت هنالك القدر بالقدر
برقت صحيفة وجهه والده
ومضى على غلوائه يجري
أولى فاولى أن يساويه
لولا جلال السن والكبر
وهما كأنهما وقد برزا
صقران قد حطا الى وكر
يعني انه لغما أفرج له عن السبق مع قدرته على المساواة معرفة بحقه وتسليما لكبره وسنه وقيل لابي عبيد ان هذه الابيات ليست في مجموع شعر الخنساء فقال العامة أسقط من ان يجاد عليها بمثل هذا ومن الشعر الذي ذكرت بسببه قولها هذه الابيات
تعرفني الدهر نهسا وخزا
وأوجعني الدهر قرعا وغمزا
وأفنى رجالي فبادوا معا
فأصبح قلبي بهم مستفزا
كان لم يكونوا حمى يتقى
اذا الناس في ذاك من عزبزا
وخيل تكدس بالداريين
وتحت العجاجة يجمزن جزا
بيض الصفاح وسمر الرماح
فبالبيض ضربا وبالسمر وخزا
جززنا نواصي فرسانها
وكانوا يظنون أن لا يجزا

ومن ظن ممن يلاقى الحروب بأن لا يصاب فقد ظن عجزا

(وأخطأت استك الحفرة)

هذا مثل يضرب لمن يطلب أمرا فيخطئه ولا يناله حكى أن المختار بن أبى عبيد قال وهو بالكوفة والله لا دخلن البصرة ولا أرمى دونها بكتاب ثم لأملكن الهند والسند والبند أراد بالبند العلم أنا والله صاحب الخضراء والبيضاء والمسجد الذى ينبع منه الماء فلما بلغ هذا الحجاج بن يوسف قال أخطأت استك ابن أبى عبيد الحفرة أنا والله صاحب ذلك كان الحجاج تمثل بذلك

(والله لو كساك محرق البردين)

(محرق) هو عمرو بن المنذر بن ماء السماء وهو عمرو بن هند وكان يعرف بأمه هند بنت الحرث بن جبر آكل المرار الكندى وكان يقال لعمرو مضرط الحجارة لشدة بأسه وسمى محرقا لقصة استوفى أبو الفرج شرحها فى كتاب الاغانى فقال كان قد عاقد حياطى على أن لا يغزوا ولا يغزوا ولا يفاخروا ولا يغزوا ثم انه غزا اليمامة ورجع مغتبطا ومر بطى فقال له زرارة بن عدس التميمى وكان من خواصه أبيت اللعن اصبت من هذا الحى شيأ فقال ويلك باجوبة مختلفة وصبر ذلك كتابا وسماه فتوى الفتوة ومرآة المروة وقد راحت به نعجة الى المغرب قلت سألت أنا الشيخ أثير الدين أبا حيان عن ذلك القاضى فيما بينى وبينه فاخبرنى أنه شهاب الدين محمد الخولى وقد وقفت أنا على ذلك الكتاب ونقلته بخطى وهو فى الجزء الثانى عشر من التذكرة والفتيا نثر حسن وأجوبة الجماعة أهل عصره نثر ونظم ومعنى الفتيا أيجوز لمن حسنت حاله وارتفعت منزلته أن لا يحس الى صاحبه ولا يبقى له بشئ من دنياه

*(وشان صدقك عند الناس كذبهم * وهل يطابق معوج بمعتدل)*

(اللغة) شان الشين ضد الزين تقول شانه يشينه والمشاين المعايب الصدق خلاف الكذب وهو الاخبار بما يطابق الواقع فى نفس الامر وقد تقدم الكلام عليه كذبهم الكذب خلاف الصدق وهو الاخبار بما يخالف الواقع فى نفس الامر واستشكل بعضهم قوله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون قال كيف يكونون كاذبين وقد شهدوا بالرسالة وصدقهم الله بقوله والله يعلم انك لرسوله والجواب انه انما كذبهم فى خبرهم لمخالفته اعتقادهم ولتوجيه الكذب الى ما تضمنته جملة خبرهم من التوكيد بادخال ان على أحد جزئيها وبادخال اللام على الجزء الآخر وهما لثبوت التوكيد وزيادته فحمل ذلك على انه ادعاء عن صميم القلب لكنه غير مطابق للواقع عندهم فى نفس الامر لان الواقع عندهم خلافه فتوجه التكذيب الى ما تضمنه نفس الادعاء لا الى معنى الامر من حيث هو وله ذا وسط والله يعلم انك لرسوله بين جملة الادعاء وجملة التكذيب دفعا لرجوع الذهن اذا توهم ان التكذيب عائد الى معنى الخبر فكان المعنى والله يشهد انهم لكاذبون فيما ادعوه من مواطأة قلوبهم لألسنتهم أو ان التكذيب يرجع الى الشهادة لانه اذا لم تواطئ القلوب فيه الألسنة لم تكن شهادة فى الحقيقة فهم كاذبون فى تسمية ذلك شهادة والمراد والله يشهد انهم لكاذبون عند أنفسهم لانهم يعتقدون ان قولهم انك لرسول الله كذب وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر والمنافقون هم الحلاس بن سويد بن الصامت وهو الذى تخلف عن تبوك وأخوه الحرث بن سويد ونجاد بن عمرو بن عامر وعبد الله بن نفيل وهو الذى كان ينقل حديث النبى صلى الله عليه وسلم وقيس بن زيد وأبو حبيبة بن الازعر وهو ممن بنى مسجد الضرار وثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير وهما اللذان عاهدا الله لئن آتانا من فضله الآية ومعتب القائل يوم أحد لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا وهو القائل يوم الاحزاب يعدنا محمد كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يأمن أن يذهب لحاجته الى الغائط ما يعدنا الله ورسوله الا غرورا ورافع بن زيد وفيه وفى معتب بن قشير ونفر نزلت ألم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت الآية وعباد ابن حنيف بن راهب ممن بنى مسجد الضرار وقيس بن رفاعة الشاعر وقرمان حليف لبنى ظفر ومن الخزرج سعد بن زرارة وكان يدخن على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشعر وعقبة بن كريم وزيد بن عمرو وقيس بن عمرو بن سهل جد يحيى بن سعيد الانصارى والحر ابن قيس وعدى بن ربيعة وهو الذى رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعذرة وابنه سويد بن عدى وعبد الله بن أبى بن سلول وهو رأس المنافقين ومالك بن أبى نوفل وسويد وداعس من يهود بنى قينقاع (رجع) يطابق المطابقة الموافقة طابقت بين الشيئين اذا جعلتهما على حذو

واحد وألصقتهما ومطابقة الفرس فى جريه وضع رجليه مكان يديه معوج أعوج الشئ اعوجاجا وعصا معوّجة ولا يقال معوّجة فالشدة على الجيم لا على الواو بمعتدل اعتدل الشئ اذا استقام فالمعتدل المستقيم (الاعراب وشان) الواو عاطفة عطفت شان على قوله وانفرجت فى البيت الذى تقدم شان فعل ماض (صدقك) منصوب على انه مفعول والكاف فى موضع جر بالاضافة (عند) منصوب بالظرفية والعامل فيه شان (الناس) مخفوض باضافته الى الظرف (كذبهم) مرفوع على انه فاعل شان ١ وانما تأخر عن المفعول به للضرورة فى الوزن والهاء والميم ضمير جمع عاقل يرجع الى الناس وهو فى موضع جر بالاضافة (وهل) الواو وللابتداء وهل تقدم الكلام عليها فى قوله فهل تعين على غى البيت وهى هنا للاستفهام (يطابق) فعل مضارع مغير الم يسم فاعله وقد تقدم الكلام على هذه الصيغة فى قوله ناعن الاهل البيت وهو مرفوع لخلوه عن الناصب والجازم (معوج) مرفوع على انه مفعول مالم يسم فاعله (بمعتدل) الباء حرف جر وهى للاستعانة ومعتدل مجرور بها (المعنى) وشان كذب الناس صدقك عندهم لانك تلبست بما لم يتلبسوا به وخالفتهم فى حالهم لانك واياهم فى طرفى نقيض كما ان المعوج والمعتدل طرفا نقيض فلا تلمهم اذا باعدوك وهجروك ونفروا منك لانك لست منهم فى شئ ثم أخذ يستفهمه فقال وهل يطابق المعوج بالمعتدل والمعوج الناس والمعتدل أنت ضرب له بذلك مثالا ليعترف له ويقول لا ما يحصل بينهما تطابق وهذا عند أهل البديع يسمى حسن التعليل لانه علل شين صدقه عند الناس وكذبهم بأن قال وهل يطابق المعوج وهو الكذب بالمعتدل وهو الصدق ومن حسن التعليل قول ابن القيسرانى ومن خطه نقلت

وأهوى الذى أهوى له البدر ساجدا * ألست ترى فى وجهه أثر الترب

وقول أبى هفان

ولو لم تصافح رجلها صفحة الثرى * لما كنت أدوى علة للتيمم

أخذه الآخر فقال

سألت الارض لم كانت مصلى * ولم كانت لنا طهرا وطيبا
فقالت غيرنا طقت لانى * حويت لكل انسان حبيبا

وقال أبو تمام الطائى

رمى شفعت ريح الصبا لرياضها * الى المزن حتى جادها وهو هامع
كأن السحاب الغر غيبن تحتها * حبيا فما ترقى لهن مدامع

وقال آخر

لو لم تكن نية الجوزاء خدمته * لما رأيت عليها عقد منتطق

وقال مسلم بن الوليد

ياواشيا حسنت فينا اساءته * نجى حذارك انسانى من الغرق

وقال الآخر

ان يقعدوا فوقى لغير نزاهة * وعلو مرتبة وعز مكان
فالنار يعلوها الدخان وربما * يعلو الغبار عمائم الفرسان

وقال ابن الساعاتى

أن لهم عقدا قال وان كان لهم
فلم يزل به حتى أصاب نسوة
وأذواذا فقال فى ذلك قيس
ابن وجزة الطائى
أراك ابن هند لم تعقك أمانة
وما المرء الا عهده وموائقه
فاقسمت جهدى بالاباطح من منى
وماخب فى يطحائهن درادقه
لئن لم تغير بعض ما قد فعلته
لانتحين للاعظم ذوانت عارقه
سمى عارقا بهذا البيت وبلغ
الشعر عمرو بن هند فقال له
زرارة بن عدس أبيت اللعن
أيتوعدك فقال عمرو لرميلة
ابن شعار الطائى أيهجوفى
ابن عمك ويتوعدنى قال لا
والله ما هجاك ولكنه قال
والله لو كان ابن جفنة جاركم
ما ان كساكم ضيعة وهوانا
وأراد رميلة أن يسل سخيمته
فقال والله لأقتلنه فبلغ ذلك
عارقا فقال منشدا
أيوعدنى والرمل بينى وبينه
تبين رويدا امامة من هند
غدرت بعهد كنت أنت أخذتنا
عليه وشر الشيمة الغدر بالعهد

(١) قوله وانما تاخر الخ الصواب ان تاخير الفاعل هنا لكونه متصلا بضمير يعود على ما يتعلق بالمفعول فلو قدمه لادى الى اعادة الضمير على متاخر لفظا ورتبة وذلك لا يجوز فى فصيح الكلام اه

لا تحسبن لطالب بلغ المنى * كلا وأخفق فى الشباب المقبل
فالخمر تحكم فى العقول مسنة * وتداس أول عصرها بالارجل

وما أحسن عصرها فى هذا الموضع وقال التهامى

لو لم يكن أقحوانا ثغر مبسمها * ما كان يزداد طيبا ساعة السحر

وقال محمد بن هانئ

قد طيب الافواه طيب ثنائه * من أجل ذا تجد الثغور عذابا

وقال آخر

قد قلت اذ أبصرتها حاسرا * عن ساقها فاضل سربالها
لو لم يكن من برد ساقها * لاحترقت من نار خلخالها

وقال ابن قاضى ميلة

وكيف لا تدركه نشوة * واللحظ راح وجنى الريق راح
لو لم تكن ريقته خمرة * لما ثنى عطفه وهو صاح

وقال ابن سناء الملك

علمتنى بهجرها الصبر عنها * فهى مشكورة على التقبيح

وقال آخر

اعتقنى سوء ما صنعت من الر * ق فيا بردها على كبدى
فصرت عبد الاسوء منك وما * أحسن سوء قبلى الى أحد

(رجع) الى قول الطغرائى أقول سبحان الله العظيم ولا أنت يا مؤيد الدين ما طابقت بين المعوج والمعتدل لان المعوج انما يطابقه المستقيم والمعتدل يطابقه المائل وقد اتفق له ما اتفق لابى الطيب فى قوله

نظرت الى الذين أرى ملوكا * كأنك مستقيم فى محال
فان تفق الانام وأنت منهم * فان المسك بعض دم الغزال

وحكى ان أبا الطيب قيل له هذا الايراد فى مجلس سيف الدولة وان المحال لا يطابق الاستقامة ولكن القافية أنجأتك الى ذلك ولكن لو فرض أنك قلت كأنك مستقيم فى اعوجاج كيف كنت تصنع فى البيت الثانى فقال ولم يتوقف * فان البياض بعض دم الدجاج * فاستحسن هذا من بديهته قلت انما يستحسن هذا فى سرعة البديهة والا أين قوله فان المسك بعض دم الغزال من قوله فان البياض بعض دم الدجاج وكذا حكاية خلف الاحمر مع أصحابه فى قول النمر بن تولب العكلى وتقدما فى مقدمة هذا الكتاب

ألم بصحبتى وهم هجوع * خيال طارق من أم حصن
لها ما تشتهى عسل مصفى * متى شاءت وحوارى بسمن

فقال لهم لو قال أم حفص فى البيت الاول ما كنتم تقولون فى الثانى فسكتوا فقال وحوارى بلمص واللمص الفالوذج قلت ولكن أين لفظ السمن وعذوبته من اللمص وقول أبى الطيب هذا فى سيف الدولة يشبه قوله فى عضد الدولة أيضا

ولولا كونكم فى الناس كانوا * هراء كالكلام بلا معانى

وقول

وقد يبرء العذر الفتى وهو ما به
اذا هو أمسى جله من دم الفصد
فبلغ عمرو بن هند قوله فغزا
طيأ فأسر أسرى من بنى عدى
ابن أخزم رهط حاتم فوفد
حاتم عليه وسأله فى الاسرى
فاطلقهم له وكان المنذرين
ماء السماء ابو عمرو وقد وضع
ابناله صغيرا يقال له مالك
عند زرارة بن عدس وان مالكا
خرج يوما يتصيد فاخفق ولم يجد
شيأ فرجع فر بابل لرجل من
بنى عبد الله بن دارم يقال له
سويد وكان عند سويد ابنة
زرارة فولدت له سبعة غلمة
فامر مالك بن المنذر بناقة سمينة
منها فنحرها ثم اشتوى وسويد
نائم فلما انتبه شد عليه مالك
بعصى فضربه فأمته فمات
وخرج سويد هاربا حتى لحق
بمكة وكانت طى تطلب غرة
ابن زرارة وبنى أبيه حتى بلغهم
ما صنعوا باخى الملك فقال ثعلبة
ابن عمرو الطائى
من مبلغ عمرو وأبان
المرء لم يخلق صباره
وهو ادن الايام لا
تبقى لها الا الحجارة
ان ابن عمرو أمته
بالسفح أسفل من أواره
تسفى الرياح خلال كشـ
ـيته وقد سلبوا ازاره
فاقتل زرارة لا أرى
فى القوم أوفى من زراره
فلما بلغ هذا الشعر عمرو بن

وقول يحيى بن بقى مما تصطفيه وتنتقى وهو

هل يستوى الناس قالوا كلنا بشر * فالمندل الرطب والطرفاء أعواد

وبيت الحصرى أحق بالتقدم وأولى بالترنم وهو

أيا بكران أصبحت بعض ملوكهم * فان الليالى بعضها ليلة القدر

وصاحب الذوق لا يمترى فى أن هذا من قول البحترى

فان قصرت أكفاؤه عن محله * فان يمين المرء فوق شماله

ما أثقل قول الغزى فى هذا المعنى وأوهى وأوهن ما شاد فى هذا المبنى وهو

ولا غرو أن كنت بعض الورى * فان الينجوج بعض الحطب

ومن كلام القاضى الفاضل رحمه الله وأسره بتقصيرى عن مداه فما كان هذا عهدى بوده فقال أرسل نفسك على سجيتها وأسر فى ليلتك على دجوجيتها وتعرض لنفحات صديقك فما يخل عليك بلينجوجيتها فقلت نعم على تغيهقكما فى النسبة الى الينجوج وعلى كون حروفها أطول فى هجائها من عوج وقال فى المعنى الاول عبد الصمد بن بابك

تقاعس عنك الفاخرون فاحجموا * وخيل المعالى غير خيل المراكب

فان زعم الاملاك انك منهم * فخارا فان الشمس بعض الكواكب

وقال خلف بن عبد العزيز الجزورى النحوى

ما أنت بعض الناس الا مثلما * بعض الحصى الياقوتة الحمراء

وقلت أنا فى هذه المادة

مولى تفرع من كرام وجوههم * وبنانهم للمجتلى والمجتنى

فاقوا الانام علا وهم من جنسهم * ومن الحجارة أعتد فى الاعين

وأما عدم المطابقة فى شعر أبى الطيب فكثير جدا من ذلك قوله

ولكل عين قرة فى قربه * حتى كأن مغيبه الاقذاء

القرة ضدها السخنة والقذاء ضد الجلاء وقوله أيضا

ولم يعظم لنقص كان فيه * ولم يزل الامير ولن يزالا

العظم ضد الحقارة والنقص ضد الكمال فلو قال ولم يكمل لنقص كان فيه لكان أصنع وكذا قوله وان لم يكن من هذا الباب

لم تفتقديك من حزن سوى لثق * ولا من البحر غير الريح والسفن

ولا من الليث الا قبح منظره * ومن سواه سوى ما ليس بالحسن

كان الذى ينبغى له أن يقول ولا من البحر غير الجزر والغرق لانهما من معايب البحر والريح والسفن من محاسنه وكذا قوله

لمن تطلب الدنيا اذا لم تردبها * سرورا محب أو اساءة مجرم

وليس المجرم ضد المحب ولا السرور ضد الاساءة وانما المجرم ضد المحسن والمحب ضد المبغض والسرور ضد الحزن والاساءة ضد الاحسان وكذا قوله

وانه المشير عليك فى بضده * فالحر ممتحن بأولاد الزنا

والحر ضد اللئيم وقوله

هند بكى وفاضت عيناه وبلغ الخبر زرارة فهرب وركب عمرو فى طلبه فلم يقدر عليه فاخذ امرأته وهى حبلى فقال أذكر فى بطنك أم أنثى قالت لا علم لى بذلك فبقر بطنها فقال قوم زرارة لزرارة والله ما قتلت أخا الملك فأته فأصدقه الخبر فاتاه فتنصل اليه فقال على بسويد فقال انه لحق بمكة قال فعلى ببنيه فاتاه ببنيه السبعة وأمهم بنت زرارة علمه بعضهم فوق بعض فامر بقتلهم فقتلوا أحدهم فضربوا عنقه وتعلق بزرارة الآخرون فقال زرارة يا بعضى أرسل بعضى فذهب مثلا وقتلوا وآلى عمرو بن هند اليقتلن رجل فخرج يريدهم وبعث على مقدمته عمرو بن ثعلبة الطائى فوجد القوم قد أنذروا فاخذ منهم ثمانية وتسعين رجلا بناحية البحرين فحبسهم ولحقه ابن هند فضربت رقبته وأمر لهم بأخدود ثم أضرم فيه نارا فلما احتدمت وتلظت قذف بهم فيه فاحترقوا فاقبل راكب من البراجم وهم بطن من بنى حنظلة لا يدرى بشئ مما كان يصنع بغيره فأخذوا ألقى فى النار وأقام عمرو بن هند لا يرى أحدا فقيل له لو تحللت بامرأة منهم فقد أحرقت تسعة

كم قتيل كما قتلت شهيد * بياض الطلى وورد الخدود

وكان ينبغي أن يقول ببياض الطلى وحمرة الخدود (رجع) حكى المفضل ان رجلا من العرب كان له عبد لم يكذب قط فبايعه رجل ليكذبه وجعل الخطر بينهما أهلهما وماهما فقال الرجل لسيد العبد دعه يبيت الليلة عندي ففعل فأطعمه الرجل لحم حوار وسقاه لبنا حليبا كان في في اناخاذر فلما أصبحوا تحملوا وقالوا للعبد الحق بأهلك فلما توارى عنهم نزلوا فأتى العبد سيده فقال أطعموني لحما لاغثا ولا سمينا وسقوني لبنا لا مخيضا ولا حقينا وتركتهم وقد ظعنوا واستقلوا فلا أدري أساروا بعدي أو حلوا وفي النوى يكذبك الصادق فأرسلها مثلا وحاز مولاه مال الذي بايعه وأهله وقال بعضهم أنا لا أكذب ولو أعطيت ألف درهم فقال صاحبه هذه واحدة بالدرهم وقال آخر ما كذبت عمري فقال صاحبه هذه واحدة وما أحسن قول أبي الحسين الجزار

أمستوفي قلوب * الى كم هكذا تكذب
من الصبح الى الظهر * الى العصر الى المغرب

(ان كان ينجع شئ في ثباتهم * على العهود فسبق السيف للعذل)

(اللغة) ينجع نجع في فلان الوعظ أي دخل وأثر ونجع الدواء اذا أفاد ثباتهم الثبات ضد الزوال العهود جمع عهد وهو اليمين والموثق والذمة والحفاظ والوصية السبق المبادرة والوصول الى الغاية قبل شئ آخر العذل بالسكون الملام وبالتحريك الاسم وهذا أصله مثل من أمثال العرب وصيغته سبق السيف العذل يضرب في الامر الذي لا يقدر على رده وأصله ان سعدا وسعيدا ابني ضبة بن أد خرجا في طلب ابل لهما فرجع سعد ولم يرجع سعيد وكان ضبة اذا رأى شخصا مقبلا قال أسعد أم سعيد ثم انه في بعض مسايره أتى الى مكان ومعه الحرث بن كعب في الشهر الحرام فقال له الحرث قتلت ههنا فتى هيئته كذا وكذا وأخذت منه هذا السيف فتناوله ضبة فعرفه فقال ان الحديث ذو شجون ثم ضربه به فعذل فقال سبق السيف العذل وقال جرير

يكلفني رد الغرائب بعدما * سبقن كسبق السيف ما قال عاذله

وقال رؤبة بن العجاج

والصادق السابق يوم العذل * كسبق صمصامة زجر المهل

(الاعراب ان) حرف شرط وقد تقدم الكلام عليها في قوله فان جنحت اليه اليت (كان) تقدم الكلام على كان وعملها وهي فعل الشرط هنا (ينجع) فعل مضارع مرفوع لتجرده عن ناصب وجازم وهو في موضع نصب لانه خبر كان ولكنه تقدم على الاسم تقديره ان كان شئ ناجعا والاصل تاخير الخبر ولكنه يجوز تقدمه في باب كان وأخواتها وتوسط الخبر جائز في جميع الباب كقوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين وقول الشاعر

سلي ان جهلت الناس عنا وعنهم * فليس سواء عالم وجهول

وقال الآخر

لا طيب للعيش ما دامت منغصة * لذاته باذكار الموت والهرم

وأما تقديم الخبر على كان وبابها فجائز أيضا الا مع دام وزال وبرح وفتئ وانفك فان الخبر

وتسعين رجلا فدعا بامرأة من بني حنظلة فقال لها من أنت قالت الحمراء بنت ضمرة فقال اني لا أظنك أعجمية فقالت ما أنا بأعجمية ولا ولدتني العجم اني لبنت ضمرة بن جابر

سادا معدا كابرا عن كابر

فقال عمرو أما والله لولا مخافتي أن تلدي مثلك لصرفتك عن النار فقالت أما والذي أسأله أن يضع وسادك ويخفض عمادك ما تقتل الانساء أعاليها ندي وأسفلها علا قال اقذفوها في النار فالتفتت وقالت ألا فتى يكون مكان عجوز فلما انطوى عليها قالت هيهات صار الفتيان حمما وسمي من ذلك اليوم محرقا ومن ملوك جفنة ايضا المحرق لكنه غير صاحب البردين فأما امر البردين فحكي ان الوفود اجتمعت عند محرق فاخرج بردين من لباسه يبلو الوفود وقال ليقم اعز العرب قبيلة فليأخذهما فقام عامر بن أحيمر فأخذهما فاتزر بالواحد وارتدى بالاخرى فقال له انت اعز العرب قبيلة قال العز كله في معد والعدد في معد ثم في نزار ثم في مضر ثم في خندف ثم في تميم ثم في سعد ثم في كعب ثم في بهدلة فمن انكر هذا فلينافرني فسكت الناس فقال هذه عشيرتك كما تزعم فكيف انت في نفسك

لا يتقدم عليهن لان كلا منها لا يستعمل الا بحرف النفي والنفي له صدر الكلام وكذا اذا اقترنت كان وأخواتها بحرف مصدري لا يجوز ان يتقدم الخبر كقولك أريد ان تكون فاضلا وأما ليس فقد تقدم الكلام عليها (شئ) مرفوع على أنه اسم كان (في ثباتهم) في حرف جر معناه الظرفية هنا وهو متعلق بقوله ينجع ثباتهم مجرور بفي والضمير يرجع الى الناس وهو في موضع جر بالاضافة (على العهود) على للاستعلاء معنى والعهود مجرور به والالف واللام للجنس والجار والمجرور متعلق بثبات لانه مصدر وهو يعمل عمل الفعل وقد أضيف الى فاعله وهو الهاء والميم وعلى العهود مفعوله فهو في موضع نصب (فسبق) ١ الفاء جواب الشرط وسبق مرفوع على انه مبتدا (السيف) مجرور بالاضافة (للعذل) اللام للتعدية وهي متعلقة بالخبر المحذوف تقديره فسبق السيف مستقر للعذل (المعنى) ان كان شئ من الاشياء نافعا في ثبات الناس على العهود وذلك الشئ مثل اللوم والعذل أو التعنيف على ما ارتكبوه من نقض الوفاء واظهار الغدر فان السيف سبق العذل في ذلك يعني ان هذا الامر فات وما بقي يفيد فيهم العذل شيئا كما أن السيف يسبق من يعذل ويفوت الفوت في كفه بعد ما يمضي ومن وضع المثل في الاصل يظهر هذا وخلاصة الحال أن رعيهم للعهود وثباتهم عليها أمر فرغ الله منه فلا تطمع في عوده كما ان المقتول لا يطمع في حياته وهيهات ما جرح بميت ايلام لقد أسمعت لو ناديت حيا وأقول ان العذل مما يغري واللوم مما يحرض والعتاب مما يزيد في الاغراض والتعنيف مما يحسن المنهي عنه وأما رعي العهود فأمر حض الله عليه ومدح من تلبس به فقال تعالى والموفون بعهدهم اذا عاهدوا وقال تعالى وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم قال تعالى يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود وقد روى مسلم في صحيحه بسنده والى حذيفة بن اليمان قال خرجت أنا وأبو حسيل فأخذنا كفار قريش فقالوا انكم تريدون محمدا فقلنا ما نريد الا المدينة فأخذوا علينا عهد الله وميثاقه لننصرفن الى المدينة ولا نقاتل معه فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه الخبر فقال انصرفا اليهم بعهدهم ونستعين الله عليهم فأمرهما صلى الله عليه وسلم بوفاء عهدهم الكفار حضا منه صلى الله عليه وسلم على الاتصاف بالاخلاق الحميدة لانه كما قال صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقال مالك رحمة الله يلزم الاسير الوفاء بالعهد وقال الشافعي وأبو حنيفة والكوفيون رحمهم الله تعالى في الاسير يعاهد الكفار لا يهرب منهم لا يلزمه الوفاء بذلك ومتى أمكنه الهرب هرب منهم واتفقوا على انهم لو أكرهوه فحلف لا يهرب فله ان يهرب ولا يمين عليه وأما العذل فما يفيدا لا الاغراء قال ابن سناء الملك رحمه الله تعالى من رسالة وما أتعب معاتب الايام فانه يضرب في حديد بارد وما ألأم ظفر الهموم فانها كثيرة تتساعد على قلب واحد وما ألطف قول القائل

يقول لي العاذل في لومه * وقوله زور وبهتان
ما وجه من أحببته قبلة * قلت ولا قولك قرآن

وانشدني جمال الدين محمود بن علي المعروف بالحافي قال انشدني عفيف الدين التلمساني لنفسه من أبيات

ولي على عاذلي حقوق هوى * عليه شكري ببعضها يجب
لام فلما رآه هام به * فكنت في عشقه أنا السبب

١ قوله الفاء جواب الشرط تقدم له رحمه الله تعالى نظيره وسبق بالهامش أن الصواب جعل الفاء رابطة للجواب وأن الجملة بعدها هي الجواب اه وقوله فيما بعد اللام للتعدية وهي متعلقة بالخبر المحذوف الظاهر جعل اللام للتقوية وهي متعلقة بسبق وسبق اما مبتدأ محذوف الخبر أو خبر لمبتدا محذوف والدال عليه في الصورتين الكلام السابق والتقدير ان كان شئ نافعا في ثباتهم على العهود فسبق السيف لعذلهم نافع أو فالنافع سبق السيف لعذلهم اه

واصل بيتك قال انا ابو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة وخال عشرة وهانا ذا في نفسي وشاهد العز شاهدي ثم وضع قدمه على الارض وقال من ازالها من مكانها فله عشرة من الابل فلم يقم اليه احد وخرج بالبردين فضربت العرب بعزه المثل وبمردية

* (وحلتك ماريه بالقرطين) *

القرط نوع مما تحلى به المرأة اذنها وماريه هي ابنة ظالم ابن وهب الكندي زوجة الحرث الاكبر الغساني احد ملوك العرب بالشام وهي ام الحرث الاصغر وامها هند

وما أرق قول قرهب بن جابر الخزاعي

هددت بالسلطان فيك وانما * أخشى صدودك لا من السلطان
أهوى الملامة فيك حتى لو درى * أخذ الرشا مني الذي يلحاني

وقال ابن وكيع

أبصره عادلي عليه * ولم يكن قبل ذا رآه
فقال لي لو هويت هذا * ما لام فيك الناس في هواه
قل لي الى من عدلت عنه * فليس أهل الهوى سواه
فظل من حيث ليس يدري * يأمر بالحب من نهاه

وقال شمس الدين محمد بن التلمساني

أسرفت في اللوم ولم تقتصر * وزدت في لومك ياذا العذول
قد رضيت نفسي بمحبوبها * وانما المولى كثير الفضول

ومنه قول آخر

قد قصر اللاحي وجاء يلومني * وزخرف لي زور الكلام بمينه
وقال اسل عن هذا وعد عن غرامه * فقلت له هذا الفضول بعينه

وما أحسن قول القائل

وما عذولي ناهيا عنكم * لكنه بالصبر أمار
قال أسلهم ان لم تطق هجرهم * قلت له النار ولا العار

وقال شرف الدين شيخ الشيوخ بحماه

أعاذلي ليس مثلي من تفنده * وليس مثلك مأمونا على عذلي
ما دمت خلوا فما تنفك متهما * اعشق وقولك مقبول على ولي

وقال شيخ الشيوخ أيضا

من منصفي من عاذل جاهل * يخون باللوم لمن لا يخون
ان قلت ما نحسك الا اذى * قال وما عشقك الا جنون

وقال أيضا

ان قوما يلحون في حب سعدى * لا يكادون يفقهون حديثا
سمعوا وصفها ولاموا عليها * احذوا طيبا وأعطوا خبيثا

وقال أيضا

زعموا أنني هويت سواكم * كذبوا ما عرفت الا هواكم
قد علمتم بصدق مرسل دمعي * فسلوه ان كان قلبي سلاكم
قال لي عذلي متى تبصر الرشد وتسلو فقلت يوم عماكم

وقال شهاب الدين بن الخيمي

وعذول رابني في نصحه * كلما زادت ابا زاد لجاجا
ما عذولي قط الا عاشق * ستر الغيرة بالعذلي وداجا

وأخذت أنا هذا المعنى فقلت

تداهى عذولي في الغرام ولم تكن * مقاصده تخفى على عاشق مثلي
أحب فلما غار مني وخاف أن * أفاتحه في ذاك سابق بالعذل

المنسوداء آكل المرار وكان في قرطبة الوليدتان عجيبتان يتوارثهما الملوك وصلتها الى عبد الملك بن مروان فوهبهما لابنته فاطمة لما زوجها لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فلما ولي عمر الخلافة قال لها ان احببت المقام عندي فضعي القرطين والحلي في بيت مال المسلمين فوضعته فلما مات وولي يزيد ابن عبد الملك ارسل اليها يقول خذي القرطين والحلي من بيت مال المسلمين فقالت لا والله ما وافقه في حال حياته واخالفه بعد وفاته وروى الميداني ان مارية اهدت قرطيها الى الكعبة وهما درتان كبيضتي الحمام لم ير في عصرهما ولا قبله مثلهما هكذا روى الميداني والله اعلم بحقيقتهما

(وقلدك عمرو الصمصامة) هو عمرو بن معدي كرب بن عبد الله الزبيدي وكنيته ابو ثور الفارس المشهور صاحب الغارات والوقائع المذكورة في الجاهلية والاسلام وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم في السنة العاشرة من الهجرة قال عمر وقدمت المدينة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا من تبوك فاردت أن أدنو اليه فمنعني من حوله

وقلت

وقلت
يا قومي سالتكم خبروني * هكذا كل من أحب حبيبه
سقم زائد ودمع وسهد * ويحي عاذلي تمام المصيبه

وقلت
يا حسرة فيه على سلوة * ليستريح القلب من عاذلي
فان عمري بين ذل الهوى * وعذله قد ضاع في الباطل

وقلت
تعشقته مثل القضيب اذا انثنى * بوجه حكى البدر المنير اداتما
فان كان عذالي عموا عن جماله * فلي اذن عن كل ما نقلوا صما

وقلت
ألح عذولي في هواه وزادني * ملاما فقلت لحتل على غير مسمعي
فلم يدر من فرط الولوع بذكره * مصيبته حتى تعشقه معي

وقلت
بي غزال لما أطعت هواه * أخذ القلب والتصبر غصبا
ما أفاق العذول من سكرة العذ * ل عليه حتى غدا فيه صبا

والعلم المشهور في هذا كله قول أبي نواس

دع عنك لومي فان اللوم اغراء * وداوني بالتي كانت هي الداء

وقال محمد بن شرف القيرواني

قل للعذول لو أطلعت على الذي * عاينته لعناك ما يعنيني
أتصدني أم للغرام تردني * وتلومني في الحب أم تغريني
دعني فلست معاقبا بجنايتي * اذ ليس دينك لي ولا لك ديني

وحكي ان المفضل الضبي قال له الرشيد دلني على بيت أوله أكثم بن صيفي في اصالة الرأي وجودة الموعظة وآخره بقراط في معرفة الدواء فقال يا أمير المؤمنين لقد هولت علي فقال هذا قول أبي نواس دع عنك لومي البيت وذكرت ههنا ما ذكره صاحب الاغاني عن الهيثم بن عدي قال قال لي صالح ابن حسان يوما انصف بيت كانه اعرابي في شملة والآخر كانه مخنث يتفكك قلت لا أدري قال أجلتك حولا قلت لو أجلتني عشرا ما عرفته قال أف لك قد كنت أحسبك أجود ذهنا من هذا قلت فما هو قال قول جميل

ألا أيها النوام ويحكم هبوا * هذا الكلام اعرابي

ثم قال نسائلكم هل يقتل الرجل الحب * كانه والله من مخنثي العقيق

قلت علم الله لولا ايراد النادرة لاستحييت ان أكتب النصف الثاني لانه محمول الى الغاية والناس ينظرون به قول الآخر

مات الخليفة أيها الثقلان * فكانما افطرت في رمضان

و يقولون في الاول عزى الثقلين ثم انه حل في الثاني وأقول انه ليس بينهما نسبة في الانحلال وقول جميل انما يحسن من مثل فريدة جارية الواثق فانها صنعت فيه لحنا وغنت به وكانت بارعة الجمال فاذا سمع منها كان مناسبا والى بيت جميل أشار ابن نقادة في قوله

أهجر وصدوا غتراب وفرقة * وبين فبالله كم يحمل الصب
فقل لمحب نبه الركب سائلا * ونام نعم قد يقتل الرجل الحب

ويقال اغنج بيت قالته العرب قول الاعشى

قالت هريرة لما جئت زائرها * ويلي عليك وويلي منك يا رجل

فقال دعوه فدنوت منه فقلت أنعم صباحا أبيت اللعن فقال يا عمرو أسلم تسلم ويؤمنك الله من الفزع الاكبر فاسلمت وعاش عمرو الى أيام عثمان وأبلى في وقائع الاسلام بلاء حسنا مثل وقعة القادسية وهو الذي ضرب خطم الفيل بالسيف فانهزم وانهزمت الاعاجم وكان سبب الفتح ومثل وقعة اليرموك وغيرها قال الخثعمي ما رأيت أشرف من رجل رأيته يوم اليرموك خرج له علج فقتله ثم آخر فقتله ثم انهزموا فتبعهم وتبعته ثم انصرف الى خباء له اسود فنزل فدعا بالجمان ودعا من حوله قلت من هذا قالوا عمرو ابن معدي كرب وحدث ابن أبي حاتم قال مر بنا يوم القادسية بعمرو بن معدي كرب وهو يحض الناس بين الصفين ويقول أيها الناس كونوا أشد منا شانا ان هذا الرجل من الاعاجم اذا التقى حزرقافانا هو تيس فبينما هو كذلك يحرضنا اذ خرج رجل من الاعاجم فوقف بين الصفين فرماه بنشابة فما أخطأت سيئة قوس كان متنكبها فالتفت ثم حمل عليه فاعتنقه ثم أخذ بمنطقته فاحتمله فوضعه بين يديه وجاء حتى اذا دنا منا كسر

وقيل ان عبد الملك بن مروان قال يوما لجلسائه تعلمون ان النابغة كان مخنثا قالوا وكيف ذلك يا أمير المؤمنين قال أما سمعتم قوله

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه * فتناولته واتقتنا باليد

والله لا يعرف هذه الاشارة الا مخنث قلت لو كان أحد من الجلساء انتصر للنابغة لقال فمن أين ظهر لولانا أمير المؤمنين هذا ومعرفته بذلك عما ريب ولكن حرمة الخلافة ومهابتها يمنعان المعارضة وذكر صاحب الاغانى أن المأمون قال لمن حضر من جلسائه أنشدونى بيتا للملك بدل البيت وان لم يعرف قائله انه للملك فأنشده بعضهم قول امرئ القيس

أمن أجل اعرابية حل أهلها * جنوب الملا عينا لك تستدران

قال وما فى هذا ما يدل على ملكه قد يجوز ان يقول هذا سوقة من أهل الحضر فكأنه يؤنب نفسه على التعلق باعرابية ثم قال الشعر الذى يدل على أن قائله ملك قول الوليد بن يزيد

اسقنى من سلاف ريق سليمى * واسق هذا النديم كاسا عقارا

أما ترى الى اشارته وقوله هذا النديم فانها اشارة ملك ومثل هذا قوله

لى المحض من ودهم * ويغمرهم نائلى

وهذا قول من يقدر بالمال على طويات الرجال يبذل المعروف فيهم ويمكنه استخلاصها لنفسه وأنشدنى من لفظه الشيخ الامام العلامة أثير الدين أبو حيان الأندلسى للسلطان أبى عبد الله محمد بن السلطان الغالب بأمر الله أبى عبد الله محمد بن يوسف بن نصر الخزرجى يعرف بابن الاحمر ملك الاندلس قال رأيته مرارا بغرناطة وأنشدته شعرا وحضرت عنده انشاد الشعر وكان رجلا جميلا حسن السياسة متظاهرا بالدين

أيا ربة القرط التى حسنت هتكى * على أى حال كان لابد لى منك

فاما بذل وهو أليق بالهوى * واما بعزوهو أليق بالملك

انتهى وقلت أنا رادا عليه

تمسك بذل فهو أليق بالهوى * لتنظم مع أهل المحبة فى سلك

متى لاق بالعشاق عزوسطوة * كأنك من ذل المحبة فى شك

وممن قال الشعر فى محبوبه من الخلفاء والملوك هرون الرشيد فانه قال فى هذه المادة

ملك الثلاث الآنسات عنانى * وحللن من قلبى بكل مكان

مالى تطاوعنى البرية كلها * وأطيعهن وهن فى عصيانى

ماذاك الا أن سلطان الهوى * وبه غلبن أعز من سلطانى

وقال المستعين بالله بن الحكم الاموى أحد خلفاء المغرب

عجبا يهاب الليث حد سنانى * وأهاب لحظ فواتر الاجفان

وأقارع الابطال لا متهيبا * منها سوى الاعراض والهجران

وتملكت نفسى ثلاث كالدمى * زهر الوجوه نواعم الابدان

حاكمت فيهن الصدود الى الصبى * فقضى بسلطان على سلطانى

فأبحن من قلبى الحمى وتركننى * فى عز ملكى كالاسير العانى

لا تعذلوا ملكا تذلل للهوى * ذل الهوى عز وملك ثان

حلقة فذبحه ونزع سواريه ومنطقته وألقاه وقال هكذا فاصنعوا بهم فقلنا من يستطيع يا أبا ثور أن يصنع كما تصنع وحكى أبو عبيدة قال لما كان فتح القادسية أصاب المسلمون أموالا عظيمة فعزل سعد بن أبى وقاص الخمس ثم قسم البقية فاصاب الفارس ستة آلاف وبقى مال دثر فكتب الى عمر بما فعل فكتب اليه أن رد على المسلمين الخمس وأعط من لحق بك ممن لم يشهد الوقعة ففعل ذلك ثم كتب اليه كذلك فكتب اليه إن أعط ما بقى حملة القرآن فاتاه عمرو بن معدى كرب فقال ما معك من حفظ القرآن قال انى أسلمت ثم شغلت بالغزو عن حفظ القرآن وقيل أتاه بشر بن ربيعة فقال له ما معك من حفظ القرآن قال معى بسم الله الرحمن الرحيم فضحك القوم فقال سعد مالك فى هذا المال من شئ ولا من نصيب فقال عمرو منشدا

اذا قتلنا ولا يبكى لنا أحد * قالت قريش ألا تلك المقادير

تعطى السوية من طعن له نفذ * ولا سوية اذ تعطى الدنانير

وقال بشر أبيا تا فكتب سعد الى عمر بما قالا فكتب اليه أعطهما على بلائهما فاعطاهما

ماضر أنى عبدهن صبابة * وبنو الزمان وهن من عبدانى

وقال الملك تميم بن المعز بن باديس

بالله جد لى بوعد صدق * وخل هذا الدلال عنكا
ولا تدعنى أطل أشكو * مثل محياك ليس يشكى

وقال القائم بأمر الله العباسى

جمعت على من الغرام عجائب * خلفن قلبى فى أسار موحش
خل يصد وعاذل متنصح * ومعاند يؤذنى ونمام يشى

وقال ابن منقذ

أسطو عليه وقلبى لو تمكن من * كفى غلهما غيظا الى عنقى
واستعير اذا عاتبته حنقا * وأين ذل الهوى من عزة الحمق

وقال الظاهر غازى فى مملوكه أيبك الجمدار

أنا مالك مملوك ظبى أغيد * ومن العجائب مالك مملوك
وأنا الغنى وانى من وصله * بين البرية معدم صعلوك
ولكم سفكت دما بسيفى عنوة * ودمى بسيف لحاظه مسفوك

(رجع الى العذل) أخذ ابن قلاقس قول أبى نواس فقال

فدعى الملامة فى التصابى واعلمى * أن الملامة بما تغرينى

وما أحسن قول ابن سناء الملك

وصفتك واللاحى يعاند بالعذل * فكنت أباذر وكان أبا جهل
له شاهد ازور من النهى والنهى * عليك ومن عينيك لى شاهد عدل

وقال شرف الدين على بن جبارة هذا البيت نادرة قصيدته وعين خريدته وقد أخذه أخذا وفلذه فلذا من قول شاعر متقدم

ولى عاذل يعزى الى الجهل لم يخل * بأنى فى دعوى الغرام أبوذر

قلت لكنه أخذه وقف عاج وأعاده درة تاج ألا ترى الى أنه قابل فيه بين أبى ذر وبين أبى جهل فزاده حسنا وكان فيه ليلى فضم اليها لبنى وكرر ابن سناء الملك هذا فى شعره فقال

أيا عاذلى فيه لما رآه * لئن كنت أعمى فانى أصم
وهبك أباذر هذا الملام * فانى أبو جهل هذا الصنم

ومن أبيات المعانى

وشادن مبتسم عن حبب * مورد الخد مليح الشنب
يلومنى العاذل فى حبه * وما درى شعبان أنى رجب

قلت العرب كانت تسمى المحرم المؤتمر وصفر ناجرا وربيعا الاول خواناو ربيعا الآخر بصانا وجمادى الاولى الحنين وجمادى الآخرة الرنى ورجب الاصم وشعبان العاذل ورمضان الناتق وشوالا الوعل وذا القعدة رنة وذا الحجة برکا وأبو العلاء المعرى عمى أكثر من هذا النوع فقال

هزت اليك من القد ابن ذى يزن * ولاحظتك بها روت على عجل
أرتك عم رسول الله منتقبا * أبا حذيفة يحكى أو أبا جهل

أربعة آلاف درهم وحكى المدائنى قال كان عمرو بن معدى كرب فى سرية أميرها سلمان بن ربيعة فعرض من الخيل فمر عمرو على فرس له فقال سلمان هذا هجين فقال عمرو وعتيق قال فأمر به فعطش ثم دعا بترس فقلبت فيه ماء فدعا بخيل عتاق فشربت فجاء فرس عمرو فثنى يديه وشرب وهكذا يصنع الهجين فقال له الا ترى فقال عمرو أجل الهجين يعرف الهجين فبلغ عمر فكتب اليه قد بلغنى ما قلت لأميرك وبلغنى أن لك سيفا تسميه الصمصامة وعندى سيف مصمصم بالله لئن وضعته على هامتك لأقلعن حتى أبلغ به شراسيفك فان سرك أن تعلم أحق ما أقول فعد ويروى أن عمر رضى الله عنه سأله يوما فقال ما تقول فى الحرب قال مرة المذاق اذا كشفت عن ساق فمن صبر عرف ومن ضعف تلف قال فما تقول فى الرمح قال خليلك وربما خانك قال فالنبل قال منايا تخطئ وتصيب قال فالترس قال عليه تدور الدوائر قال فالسيف قال عبدك تكلتك أمك قال عمر بل أمك فقال الحمى أصرعتنى فاغلظ له عمر فى الكلام فقال

ابن ذى يزن هو سيف ملك مشهور وهارون ملك ساحر والعباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحذيفة وجل هما ابنا بدر وقال أيضا

نهارهم ابن يعفر فى ضحاه * وليلة جارهم بنت المحلق

ابن يعفر هو الاسود وبنت المحلق هى ليلى أى ليلة مظلمة وقال آخر

على أبوابه فى كل وقت * لسائله أخو عمرو بن أد

أخو لخم أعارك منه ثوبا * هنيئا بالقميص المستجد

وقد ألقى كساء أبى عبيد * عليك فصرت أكسى أهل نجد

أراد أبوك أمك حين زفت * فلم يوجد لامك بنت سعد

أرانى الله عينك فى الجعبا * وعينك مثل بشار بن برد

أخو عمرو وضبة وأخو لخم جذام وأبو عبيد الابرص وبنت سعد عذرة وبشار بن برد أعمى وقال محمد بن عبدون يصف خمرا عادت خلا

ألا فى سبيل اللهو كأس مدامة * أتتنا بطعم عهده غير ثابت

أتت بنت بسطام بن قيس عشية * وراحة كجسم الشنفرى بعد ثابت

بنت بسطام هى صهباء وجسم الشنفرى عنى به قوله

فاسقنيها أباسواد بن عمرو * ان جسمى من بعد خالى لخل

وذكرت هنا ما اتفق للشريف أبى الحسن على بن اسمعيل الزيدى لانه عمد الى شراب اعتصره فى جرتين فوجد احداهما خلا فقال

رب اختين أمستا طوع ملكى * نجل أم تصببوا اليها الرجال

هذه حسنها مقيم وهذى * غيرت حسن حالها الاحوال

فاقتضاض الحسناء سهل حرام * واقتضاض السوآء صعب حلال

قال ابن رشيق أخذ البيت الاخير من قول ابن هرمة وقد توعده الحسن بن زيد فى شرب الخمر

أرى طيب الحلال على خبثا * وطيب النفس فى خبث الحرام

قلت ومن هنا ولد ابن حجاج فيما أظن قوله

كيف لا أشرب من صالحها * وعلى فاسدها فطر الصيام

واما ابن هرمة فكان منهوما فى الشراب لا يصبر عنه قال مرة للمنصور فيما أظن يا أمير المؤمنين اكتب الى عامل المدينة ان لا يحدنى فى الخمر اذا أتى بى اليه فقال ويحك هذا حد كيف أكتب باسقاطه عنك قال يا أمير المؤمنين تحيل لى فى ذلك قال فكتب الى عامل المدينة اذا أتى اليك ابن هرمة وهو سكران فحده ثمانين واجلد من حمله مائة فكان العسس يمرون به وهو ملقى على الطريق فلا يتعرضون له ويقول أحدهم من يشترى ثمانين بمائة وسئل بعضهم عن معشوق له فقال هو أبو سفيان فقيل له استعن عليه ببنت بسطام أراد انه صخر والآخر أراد ان يسقيه صهباء فنظم ذلك بعض الشعراء فقال

ولم أنسه اذ زار بعد ازوراره * فبت نديم البدر فى ليلة البدر

وكان أبو سفيان حتى تولعت * به بنت بسطام فبتنا الى الفجر

خليفة بغداد الموفى ثلاثة * وعشرين والموفى الثلاثة فى مصر

أتوعدنى كأنك ذو رعين
يأنقم عيشة أو ذو نواس
فلا تفخر بملكك كل ملك
يصير لذلة بعد الشماس

فقال عمر صدقت فاقتص منى قال بل أعفو يا أمير المؤمنين لو لا آية سمعتها منك مجللتك بالسيف أخذ منك أم ترك قال وما هى قال سمعتك تقرأ انه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى والله لو علمت انى اذا دخلتها مت لفعلت وحكى أن عيينة بن حصن لما قدم الكوفة أقام أياما ثم قال والله مالى بابى ثور عهد ثم ركب فرسا وسأل عن محله بنى فريد فأرشد اليها وسال عن عمرو فوقف ببابه ثم قال يا أبا ثور أخرج الينا فخرج مؤتزرا كأنما كسر وجبر فقال له أنعم صباحا أبا مالك فقال او ليس قد بدلنا الله تعالى بهذا السلام عليكم فقال دعنا مما لا نعرف انزل فان عندى كبشا سمينا فنزل فعمد الى الكبش فذبحه ثم ألقاه فى قدر وطبخه وجلس يتحدث الى ان أدرك فثرد فى جفنة عظيمة وألقى القدر عليها وقعدا فأكلا منها ثم قال أى الشراب أحب اليك اللبن أم ما كنا نتنادم عليه فى الجاهلية فقال اوليس حرمها الله تعالى فى الاسلام

أراد المطيع والحاكم وقال أبو الحسين الجزار

يا أخا مالك ويا من له الخنساء أخت ويا أبا المعاذ

أراد متمما وصخرا وجبلا (رجع) وأما هذا المثل أعني سبق السيف العذل فقد استعمله الشعراء كثيرا وأحسن ما فيه ما نقلته من خط السراج الوراق له

قلت اذ جرد لحظا * حده يدمي الاجل
ياعذولي كف عني * سبق السيف العذل

وقول بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي

ياغضا قد طاب لي منه الجنى * وياعزا الاذل فيه الغزل
طرفك قبل العذل قد أبادني * فما احتيالي سبق السيف العذل

وقال أبو الطيب

ترابه في كلاب كحل أعينها * وسيفه في جناب يسبق العذلا

قال بن وكيع لو قال

احسانه في كلاب غيث مجدبها * وسيفه في جناب يسبق العذلا

لصح التقسيم اذ ليس التراب ضد السيف وقال بن الحاجب القديم

وحاولت بالعذل ان ترشدني * فقلت مهلا سبق السيف العذل

وقال بن نباتة السعدي

يا أهل بابل عزمي قبله فكري * في الثابات وسيفي يسبق العذلا

(ياوارد اسؤر عيش كله كدر * أنفقت صفوك في أيامك الاول)

(اللغه) الوارد الذي يرد الماء لشربه سؤر السؤر البقية يقال اذا شربت فاسئر أي أبق شيئا من الشراب في قعر الاناء والنعت سائر على غير قياس لان قياسه مسئر ونظيره أجبر فهو جبار وبهذا استدل على ان سائرا بمعنى الباقي وليس هو بمعنى الجميع وقد تقدم الكلام في هذا عيش العيش تقدم الكلام عليه كله بمعنى جميعه وكل لا يدخله الالف واللام في كلام العرب لانه وضع في الاصل للشيوع ولكن أرباب المعقول غيروا هذا الاصل فقالوا الكل والجزء وكل لا يؤكد به الا ما يبعض فتقول ذهب المال كله ولا تقول جاء زيد كله وتقول اشتريت العبد كله ويؤتى باجمع بعد كل في التأكيد قال الله تعالى فسجد الملائكة كلهم أجمعون قال الشيخ الامام جمال الدين بن مالك رحمه الله تعالى وأغفل أكثر النحويين جميعا ونبه سيبويه على انها بمنزلة كل معنى واستعمالا ولم يذكر شاهدا من كلام العرب وقد ظفرت له بشاهد وهو قول امرأة من العرب ترقص ابنها

فداك حي خولان * جميعهم وهمدان
وكل آل قحطان * والاكرمون عدنان

والكليات الخمس عند أرباب المنطق هي الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض العام فالجنس كالحيوانية والنوع كالانسانية والفصل كالناطقية ولا يريدون بالناطقية ما يفهمه عوام الناس من أنه النطق بالكلام لانه ينتقض بالدرة وهي الببغاء اذا حاكت شيأ من ألفاظ الناس يلزم ان تكون انسانا لانها بهذا الاعتبار حيوان ناطق وينتقض بالاخرس والطفل الذي

فقال انت أقدم اسلاما أم أنا
قال انت قال فاني قد سمعت
ما بين دفتي المصحف فوالله
ما وجدت لها تحريما الا انه
قال فهل أنتم منتهون فقلت
الا ثم جاء بنبيذ وجلسا يشربان
ويتحدثان ويذكران ايام
الجاهلية حتى أمسيا فلما اراد
عيينة الانصراف قال عمرو
ان انصرف ابو مالك بغير
جبانها لوصمة فأمر له بناقة
ارحبية وحمله عليها ثم اتى
بمزود فيه اربعة آلاف درهم
فوضعه بين يديه فقال اما
المال فوالله لا آخذه ولا المسه
فانصرف وهو يقول

جزيت أبا ثور جزاء كرامة
فنعم الفتى أنت المزور
المضيف

وقيل انه لم يكن في عمرو
خصلة رديئة الا الكذب
حكى أبو عمرو بن العلاء قال
وقف عمرو يوما بالمربد
يتحدث على عادتهم فقال
غزوت في الجاهلية على بني
مالك فخرجوا مستفزعين
بخالد بن الصقعب فحملت
عليه بالصمصامة فاخذت
رأسه وكان خالد بن الصقعب
حاضرا فقال بعض الجماعة
مهلا ابا ثور قتلك يسمع
كلامك وأشار اليه فقال
اسكت انما أنت محدث
فاسمع أو قم ثم التفت الى
خالد وقال انما نرهب هذه

لا يتكلم انهما ليسا من الاناسي لانهما غير ناطقين وانما يريدون بالناطقية القوة المفكرة فعلى هذا دخل الانس والطفل في حد الانسان وخرج عنه البغاء والناطق هو فصل الانسان عن سائر الحيوان والخاصة كالكتابة لانها تختص ببعض النوع ولم تعمه والعرض العام كالضاحكية لانها عامة لجميع النوع ولهذا كان التعريف في الحدود بالجنس القريب والفصل مطردا منعكسا والتعريف بالجنس القريب والخاصة مطردا غير منعكس ولقد قلت هذه الجماعة فلم يعرفوه حتى مثلته بأمثلة كثيرة منها قول النحاة في الاسم انه كلمة تدل على معنى غير مقترنة بأحد الازمنة الثلاثة وقولهم في الاسم أيضا انه كلمة تدخلها حروف الجر أو الالف واللام أو التنوين فالتعريف الاول بالجنس القريب والفصل لاجرم أنه مطرد منعكس حيث وجد المحدود وجد المحدود وحيث وجد المحدود صدق الحد لان كل اسم هو كلمة تدل على معنى غير مقترنة بزمان وكل كلمة تدل على معنى غير مقترنة بزمان فهي اسم والتعريف الثاني بالجنس والخاصة لاجرم أنه مطرد غير منعكس لان كل كلمة دخلها الجر أو الالف واللام أو التنوين فهي اسم وليس كل اسم يدخلها الجر كباب مالا ينصرف والمبنيات ومالا يدخله الالف واللام مثل كل وغيروذكا ودجلة وغير ذلك ولا التنوين مثل الاسماء المؤنثة المقصورة كسعلى ودنيا وبابهما فأنت ترى كيف اطرد وما انعكس بخلاف الاول فتنبه لهذه القاعدة فانها فائدة جليلة (رجع) كدر الكدر ضد الصفاء قال أصحاب التجارب ان الخيل لا تشرب الماء اذا كان صافيا ولهذا تضربه بأيديها حتى يتكدر وعلل بعضهم هذا بأن الخيل ترى خيالها في الماء الصافي فلهذا تكدره وهذا تعليل عليل لا يشفي به غليل وذكرت بالعكر هنا قول القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر لما كانوا في حصن عكار وهو

حصن عكار ماصفا * قط يوما من الكدر
كيف يصفو الذي ثلا * ثة أرباعه عكر

وقال لما فتح ومن خطه نقلت

ياملبك الارض بشرا بك فقد نلت الاراده
ان عكار يقينا * هي عكار زياده

ومن هذه المادة قوله ومن خطه نقلت

قولهم عني صبيغ * لي في ذاك اراده
ليس الا ليقولوا * ذا صبي وزياده

وذكرت بالاول ماحكي عن القاضي الفاضل رحمه الله وقد ذكب القاضي المكين بن حيوس ولم يكن معه مقرعة فأعطاه القاضي الفاضل مقرعة فرماها ثم ردفي طلبها عجلا فاوجدها فعاد بسكينة تخيته فأنشدها الفاضل رحمه الله تعالى

ياغاديا شبه السفيه وعائدا مثل الحليم
ضيعت مقرعة وعد * ت تشتهيها من غير ميم

وما أحسن قوله وقد ورد نعي الملك الناصر من الشرق ولم يصح ذلك

نعي زاد فيه الدهر ميما * فأصبح بعد بؤساه نعيما
وما صدق النذير به لاني * رأيت الشمس والنجوما

المعدية بهذه الاخبار ومضى في حديثه فلم يقطعه فقال له رجل انك لشجاع في الحرب والكذب فقال اني كذلك وحكى أبو عمر وبن العلاء قال جاء رجل الى عمرو وهو واقف بالمربد على فرس له وقد أسن فقال لا تظرن مابقي من قوة أبي ثور فادخل يده بين ساقه وجنب الفرس فقطن عمرو لذلك فضم رجله وحرك الفرس فجعل الرجل يعدو مع الفرس لا يقدر أن ينزع يده حتى اذا بلغ منه صاح به فقال يا ابن أخي مالك قال يدي تحت ساقك فخلى عنه وقال ان في عملك بقية بعد ومن كلامه حكى أنه أتى مجاشع ابن مسعود فقال أسألك حملان مثلي وسلاح مثلي فأمر له بفرس جواد وسيف صارم وعشرين ألف درهم فمر ببني حنظلة فقالوا يا أبا ثور كيف رأيت صاحبك فقال لله بنو مجاشع ما أشد في الحروب لقاءها وأجزل في اللزبات عطاءها وأحسن في المكرمات بناءها والله لقد قاتلتها فما أجبنتها وسألتها فما أبخلتها وهاجيتها فما أفحمتها ومن جيد شعره

ولما رأيت الخيل زورا كأنها
جداول ماء أرسلت فاسبطرت

ويقال ان ابن عمار دخل يوما الى مجلس فيه ابن اللبانة الدانى ولم يكن ابن عمار يومئذ قد رأس فقال له اجلس يا ابن عمار بغير ميم فقال له نعم يا دانى بغير ألف وقال أبو تمام الطائى

هن الحمام فان كسرت عيافة * من حائهن فانهن حمام

أخذه ابن الرقاق فنقله الى وصف قوس فقال

أفديك من بعيبة زوراء * مشغوفة بمقاتل الاعداء
ألفت حمام الأيك وهى نضيرة * والآن يألفها بكسر الحاء

ولكنه نقص المعنى الذى حاوله بزيادة الأيك لان الحمام بكسر الحاء لا يضاف الى الأيك ولو قال ألفت الحمام وسكت لكان أحسن وأتم وقال ابن وضاح المرسى فى ذلك

عجبى من القوس الكريمة انها * لم ترع حق حمائم الاغصان
أضحت لها حتفا وكاتب مألفا * وكذاك حكم تصرف الازمان

وقال الحصرى المكفوف فى موت المعتضد ولاية ابنه المعتمد

مات عباد ولكن * بقى الفرع الكريم
فكأن الميت حى * غير أن الضد ميم

وقال ابن سناء الملك

لم أنس اذ زارنى كالبدر مكتملا * بالحسن مشتملا بالسحر مكتحلا
رنا الى بعينيه فقلت طلا * حتى اذا كسر الاجفان قلت طلا

وحكى لى ان أبا الحسين الجزار أو السراج الوراق شكا فى طريق الجاز اسهالا فوصف له بعض الاطباء سفوفا فلما تناوله أفرط به الاسهال فقال

فتحت على بابا بالسفوف * وصلت به الى الامر المخوف
ولكن الحكيم أراد خيرا * فجاء بغير ياء فى الحروف

ونقلت من خط السراج الوراق له

قلت له مسليا * عن حالة ماشاءها
لعل فيها خيرة * فقال أخرياءها

ونقلت منه أيضا له

قالوا وقد سمعوا مدحى له ورأوا * حالا باعقاب ذاك المدح مجهوده
ما كان رأيك محمودا بمدحته * فقلت كلا ولكن كان محموده
ووجهه شاهد ينبيك عن خبرى * والباء فى خبرى ليست بموجوده

وقال بعضهم من طين طوبى خلقت قذا * فأنت فى ذا الورى غريب
بدلت النون فيك باء * فالناس طين وأنت طيب

وقال أبو الحسين الجزار

ولحية خالفت النفس من * عنفها فيها ومن لامها
قد صح عندى انها حلية * وانما هم قدموا لامها

وقال ابن دانيال فى الفخر الصائغ

قد كنت بالفخر ذا اضلال * اذ جئته مخلص الوفاء

وحاشت الى النفس أول فكرة
فزدت على مكروهها فاستقرت
ظللت كأنى للرماح دريئة
أقاتل عن احساب جرم وفرت
ولو أن قومى انطقتنى رماحهم
نطقت ولكن الرماح أجرت

قوله أقاتل عن احساب جرم من الهجاء الممض وذلك أنه ذكر أن قوما فروا وليس هو منهم غير أنه يقاتل غضبا لهم وعصبة وقوله ولو أن قومى أنطقتنى يعنى لو قاتلوا وطاعنوا نطقت بمدحهم ولكنهم فروا فاسكتونى عن المدح والاصل فى الاجوار أن الفصيل اذا أراد وافطامه شقوا سانده فلم يقدر على الرضاع وقوله فى القصيدة التى أولها

أمن ريحانة الداعى السميع
وقد عجبت امامة ان رأتنى
تفرع لمتى شيب فظيع
أشاب الرأس أيام طوال
وهم ما تبلغه الضلوع
وزحف كتيبة للقاء أخرى
كأن زهاءها رأس صليع
واسناد الاسنة نحو نحرى
وهز المشرفية والوقوع
فان تنب النوائب آل عصم
تجد حكماءهم فيها رفوع
اذا لم تستطع شيأ فدعه
وجاوزه الى ما تستطيع
وصله بالتروع فكل شئ
سماك أو سموت له نزوع

حققته اذ دعواه فخرا * فكان فخرا بغير فاه

وقال أيضا عوّادنا علق الفصيح امرؤ * ينبح أى قد صار هجاء

كأنه اذ سقطت داله * فأصبح العواد عواه

(رجع) أنفقت أذهبت صفوك الصفو ضد الكدر الاول جمع أولى مثل كبرى وكبر (الاعراب يا) حرف نداء وحروف النداء خمسة وهى الهمزة وأى ويا وأيا وهيا اما الهمزة فانها للقريب مثل الذى يليك وأى لأبعد منه كالذى تراه قريبا ويا للبعيد قليلا وأيا لأبعد منه وهيا للبعيد الذى يحتاج الى مد الصوت وياتستعمل للجميع وقد ينزل البعيد قريبا والقريب بعيدا لفوائد يعرفها أرباب المعانى وقد اعترض على النحاة أجمع فى قولهم الكلام لا يتركب من اسم وحرف بمثل يازيد فانه بالاجماع منهم كلام وقد تركب من اسم وحرف والجواب ان هذه أسماء أفعال لان يا بمعنى أقبل كما ان صه بمعنى اسكت ومن قال انها أسماء أفعال خلص من هذا الايراد ولكن تعكر عليه الهمزة فانه ما لهم اسم فعل من حرف واحد ومن قال انها حروف أجاب عن هذا الايراد بأن التقدير فى يافلان أدعو فلانا وأورد عليه ان يازيد صيغة انشاء ومتى قدر أدعو زيدا انقلب من الانشاء الى الاخبار واحتمل الصدق والكذب وهذا باطل فان من قال يازيد لا يقال له صدقت ولا كذبت والجواب ان الصيغة مشتركة بين الانشاء والاخبار لان المتكلم اذا قال بعت فهذا مشترك بين الانشاء والاخبار اذ يحتمل ان يكون قد أخبر بأنه وقع منه بيع فى زمن ماض فيقال له كذبت ما وقع منك بيع أو صدقت وقع منك ذلك وما يصرف هذه الصيغة الى الانشاء أو الى الاخبار الا القرينة مثل ما اذا كان انسان قد ساومه آخر وطلب منه البيع فيقول بعت فههنا تعينت الصيغة بالقرينة الى الانشاء قالوا سلمنا ان الصيغة مشتركة بين الانشاء والاخبار ولكن قولنا يازيد بخطاب مع زيد ومتى قدر أدعو زيدا انقلب الخطاب لغيره وهذا مشكل وقد استوفيت البحث فيه فى أول التعليقة على الحاجبية (رجع) المنادى منصوب الموضع واللفظ اما اذا كان علما مفردا مثل يا آدم بنى على الضم أو مفردا ويراد بالافراد ههنا أن لا يكون مضافا فان المنادى المضاف منصوب مثل يا عبد الله والافالمجموع والتثنية غير مفرد وهو مرفوع تقول يازيدون ويازيدان فهذا منصوب الموضع وأما اذا كان غير مفرد أو علم فانه منصوب اللفظ وانما بنى المفرد على الضم لانه أشبه المضمر والمضمر مبنى ووجه الشبه انه مفرد كما انه مفرد وانه مخاطب كالكاف فى أدعوك وأناديك وانه معرفة كما انه معرفة ولانه صار مع حرف النداء كالاصوات نحو حوب وهيد وهلا وعدس وانما بنى على حركة اشعارا بطرو الحركة وتمييزا له على ما لم يدخله الاعراب نحو ومن وكم واعلما بعدم الثبوت فى بنائه وانما كانت رفعا لانه لو كسر أشبه المضاف الى ياء المتكلم ولو فتح لأشبه المضاف اذا نودى فى يا غلام زيد ولانه أعطى أقوى الحركات جبرا له لما أخذ منه الاعراب فالمنادى ان كان معرفة بنى على الضم نحو يا الله يا محمد يا آدم وما أحلى قول ابن عنين

مال ابن مادة دونه لعفاته * خرط القتادة أو منال الفرقد

مال لزوم الجمع يمنع صرفه * فى راحة مثل المنادى المفرد

وان كان مضافا نصبت فقلت يا عبد الله يا غلام زيد فأما اذا لم يكن معرفة ولا مفردا وهو نكرة

وقوله أيضا

يا أيها المغتابنا
جهلا بنا وولدت عبدا
ليس الجمال بمئزر
فاعلم وان رديت بردا
ان الجمال معادن
ومناقب أورثن مجدا
أعددت للعدّ ثان سا
بغة وعدا عند ندى
وحسام ذا شطب يقد
البيض والابدان قدا
كل امرئ يجرى الى
يوم الهياج بما استعدا
لما رأيت نساءنا
يفحصن بالمعزاء شدا
وبدت محاسنها التى
تخفى وعاد الامر جدا
نازلت كبشهم ولم
أر من نزال الكبش بدا
كم ينذرون دمى وانذر
ان لقيت بأن أشدا
كم من أخ لى صالح
بوّأته بيدى لحدا
ذهب الذين أحبهم
وبقيت مثل السيف فردا
قلت لو لم يكن له الا هذه القصيدة لاستحق بها التقدم على بشر كثير وأما الصمصامة فهى سيفه المشهور قال عبد الملك بن عمير أهدت بلقيس الى سليمان عليه السلام خمسة أسياف وهى ذو الفقار وذو النون ومجذوب ورسوب والصمامة فأما ذو الفقار فكان لرسول

لم يقصد لها معين كقول الاعمى يا رجلا خذ بيدى فانه ينصب وينون فتقول يا راكبا ياساهيا يانائما (رجع الى اعراب البيت واردا) نكرة غير مقصودة فلهذا تنصب وهو اسم فاعل من ورد فهو وارد (سؤر) منصوب على انه مفعول به لاسم الفاعل (عيش) مجرور بالاضافة بمعنى اللام (كله) مرفوع على انه مبتدا والهاء فى موضع جر بالاضافة (كدر) مرفوع على انه خبر والجملة فى موضع نصب لانه صفة لسؤر وان شئت فى موضع جر لانه صفة لعيش وهو أحسن (أنفقت) فعل ماض والتاء ضمير الفاعل وهو المخاطب (صفوك) منصوب على انه مفعول به لانفقت والكاف فى موضع جر بالاضافة (فى أيامك) فى هنا ظرفية متعلقة بأنفق أيامك مجرور بفى والكاف فى موضع جر بالاضافة (الاول) مجرور لانه صفة لايام وقد تبعه فى تعريفه وجمعه وتأنيثه وجره (المعنى) يامن ورد بقية عيش كله كدر لاى شئ ترد هذا الكدر والصفو قد انفقته وأفنيته فى ايامك السالفة وهذا الذى يسميه أرباب البلاغة التجريد وهو أن يجرد الانسان من نفسه شخصا يخاطبه فهو يسترجع بمعاتبته وتعنيفه وتوبيخه وهذه عادة جارية لكل من آخذ نفسه فاخذ يوبخها ويعاتبها فيقول من قال لك تفعلين هذا ولم كنت اعتمدت هذا الامر الفاسد وأمثال ذلك (وقد) استعمل الشعراء ذلك كثيرا كقول الحيص بيص

الم يراك المجد فى زى شاعر * وقد نحلت شوقا فروع المنابر
حكمت تصيب الشعر علما وحكمة * يعضها ينقاد صعب المفاخر
أما وأبيك الخير انك فارس الـ * ـمعالى ومحيى الدارسات الغوابر
فانك أعييت المسامع والنهى * بقولك عنا فى بطون الدفاتر

ومنهم من لا يقصر اسم التجريد على مخاطبة المتكلم غيره مريدا نفسه ولكن يجريه فى كل ما يصح ان يشتق له بان يكون قد جرد فيه شئ من آخر كقوله تعالى لهم فيها دار الخلد أى الجنة والجنة هى دار الخلد ولكنه جرد من الدار دار وقوله تعالى وهى قراءة على كرم الله وجهه يرثنى وارث وهو الوارث نفسه ولكنه جرد من الوارث وارث وقول الشاعر

وشوهاء تعدو بى الى صارخ الوغى * بمستلئم مثل البعير المرحل

يريد ويعنى من نفسى بمستلئم فجرد من نفسه مستلئما جعله مصاحبا له (رجع الكلام الى الصفو فى أيام الشباب) نعم ان الصفاء والعذوبة والهناء انما هى معصوبة بالشباب ومنهل الصبى رائق العيش هنى المورد عذب المذاق لذيذ المطعم فاذا اتى زمن المشيب كدر منهل العيش وغصص وارده بكره مذاقه وقد قال الله تعالى وهو أصدق القائلين ومنكم من يرد الى أرذل العمر وقال تعالى ومن نعمره ننكسه فى الخلق وقرئ تنكسه بضم النون الاولى وفتح الثانية وتشديد الكاف قال الشاعر

من عاش أخلقت الايام جدته * وخانه ثقتاه السمع والبصر

أخذه ابن شرف القيروانى فقال

ومن يطل عمره يفقد أحبته * حتى الجوارح والصبر الذى عيلا

وقال الآخر

ومن يعمر يلق فى نفسه * ما يتمناه لأعدائه

وقال الآخر

طول حياة مابها طائل * تغص عندى كل ما يشتهى
أصبحت مثل الطفل فى مهده * تشابه المبدأ والمنتهى

الله صلى الله عليه وسلم أخذه من منبه بن الحجاج يوم بدر وحجذوب ورسوب للحرث بن جبلة الغسانى وذو النون والصمصامة لعمرو بن معدى كرب وحكى ان عمر ابن الخطاب قال لعمر وابعث لى الصمصامة فبعث به اليه فلم يره كما بلغه فقال له فى ذلك فقال انى بعثت اليك الصمصامة ولم أبعث لك باليد التى تضرب به وحكى ابو عبيدة ان الصمصامة انتقلت الى سعيد بن العاص وذلك ان خالد بن الوليد لما غزا ابنى زبيد وكان خالد بن سعيد من جملة أمرائه اوقع بهم واسر ريحانة اخت عمرو ابن معدى كرب فقداها خالدا وأثابه عمرو والصمصامة ثم فقد يوم الدار فى مقتل عثمان ووجد ولم يزل الى ان صعد المهدى البصرة فلما كان بواسط ارسل الى بنى العاص يطلب الصمصامة فقالوا انه فى السبيل محبسا فقال خمسون سيفا قاطعا فى السبيل أغنى من سيف واحد وأعطاهم خمسين سيفا واخذه فلما صار الى الهادى احضره وامر الشعراء بوصفه فقال بعضهم من أبيات

جاز صمصامة الزبيدى عمرو
من جميع الانام موسى الامين

فلا تسلم سعى اذا خانتى * ان الثمانين وبلغتها

وقال ابن واصلة من شاب قدمات وهوحى * يمشى على الارض وهوهالك
لو كان عمر الفتى حسابا * كان له شيبه فذالك

وقال أبو العلاء المعمرى

وأطربنى الشباب غداة ولى * فليت سنيه صوت يستعاد

وقال التهامى وطرى من الدنيا الشباب وروقه * فاذا انقضى فقدا انقضت أوطارى

وقال الارجانى

ارى بين أيامى وشعرى قد بدا * لتجهيل اتلافى خلافا يجدد
فقد أصبحت سودا وشعرى أبيضا * وعهدى بها بيضا وشعرى أسود

وقال ابن افلح يعتذر عن الانحناء

قالوا انحنى كبرا فقلت سفاهة * لمقال من لم ينشد فى قيله
سكن الحبيب شغاف قلبى ثاويا * فحنوت منعطفا على تقبيله

وقال الآخر يعتذر عن اللهو فى المشيب

وقالوا انتبه من رقدة اللهو والصبى * فقد لاح صبح فى دجاك عجيب
فقلت اخلائى دعونى ولدتى * فان الكرى عند الصباح يطيب

وقال ابن المعتز يعتذر عن المشيب

صدت سريرة ازمعت هجرى * وصفت ضمائرها الى الغدر
قالت كبرت وشبت قلت لها * هذا غبار وقائع الدهر

وقال أبو تمام الطائى

رأت تبسمه فاهتاج هائجها * وقال لاعجها للعبرة انسكبى
فلا يروقك ايماض القتير به * فان ذاك ابتسام الراى والادب

وما أحسن قول ابى تمام الملقب بالجام

ليالى كان العيس غضا يظلنى * نضيرا وماء الوعد غير مشوب
وعينى قد نامت بليل شبيبتى * ولم تتنبه الا بصبح مشيب

وقال ابن سناء الملك يعتذر عن شيب الحبيب

ما شاب من كبر ولكن شيبه * من ماء ورد الريق اومسك الما
لا يستوى شيبى وشيب معذبى * هذاك عن رى وهذا عن ظما

وقال أيضا فى شيب الحبيب

جاء فى غير وقته ذلك الشيـ * ـب فعفاه ثوب لثمى بذيلى
ولقد زاده جمالا وحسنا * زادوحى من الغرام ودليلى
ولقد طفل المشيب وقلنا * حسن الطفل ذا المشيب الطفيلى

وقال ايضا لقد شيبتنى فى الزمان خطوبة * ولا عجب ان شاب من شابه الخطب
ونور شيب فى عذارى معذبى * ولا عجب ان نور الغصن الرطب

وقال ايضا قالوا لقد شاب الحبيـ * ـب وشاب منه كل عزم

مايبالى من انتضاء لضرب
اشمال سطت به ام يمين
ثم وصل الى المتوكل فدفعه
الى غلامه باغزا التركى فقتله
به ومن عند باغزا انقطع خبره
(وجعلك الحرث على
النعامة فرس الحرث بن
عباد التغلبى أكبر سادات
بنى وائل وهو الذى اعتزل
حرب البسوس وقال لا ناقة
لى فيها ولا جمل فلما قتل
ولده نهض حينئذ وقال
قرباعر بط النعامة منى
لقحت حرب وائل عن حيال
يعنى هذا الفرس ويتكرر
قوله قرباعر بط النعامة
منى فى أبيات كثيرة فى هذه
القصيدة وقد تقدم شئ من
ذكره ويقال ان هذه الفرس
كانت لحترز بن لوذان وهى
التى يقول فيها يخاطب زوجته
ان الرجال لهم اليك وسيلة
أن يأخذوك تكحلى وتخضبى
وأنا امرؤ ان يأخذونى عنوة
أقرن الى سنن الركاب وأجنب
ويكون مركبك القعود
وحدجه
واين النعامة يوم ذلك مركبى
يعنى انك ان أسرت كانت
لك وسيلة عند الرجال من
كحلك وخضابك وأنا ان
أسرت جنبت الى جانب
فرسى فأكون راكب ظلها
قال أبو عبادة النعامة عرق
فى باطن القدم ولذلك يقال

فاجبت من شرهى عليه أذوقه فى كل طعم

وقال ايضا
يا عجبا منى ومن صبوتى * فى أول العمر بشيخ هرم
وحبه والله فى مهجتى * كالشيب فى لحيته مضطرم

وقال آخر
هذا الذى أعشقه شائبا * يتمنى من قبل ما عذرا
هويته مذ لاح لى ورده * حتى غدا ريحانه مزهرا

وقال النور الاسعردى
لام العواذل اذ عشقت فتى له * سبعون عاما غير عام واحد
لا تعذلونى فى هواه فاننى * عاينت فيه لمحة من والدى

وقيل لبعض أهل المجون علام لا تميل الى النسوان قال أذكر بيزها أمى فاسحى فقيل له هلا تذكر بذكره أباك وهذا الشاعر أخذ هذا المعنى فعكسه وانشدنى بعض اشياخى لنفسه وقال لى لا تروها عنى

تعشقته شيخا كأن مشيبه * على وجنتيه ياسمين على ورد
أخو العقل يدرى ما يراد من الذى * أمنت عليه من رقيب ومن صد
ألا اننى لو كنت أصبو لأمرد * صبوت الى هيفاء مائسة القد
وسود اللحى ابصرت فيهم مشاركا * فرحت اناصبا بابيضها وحدى

وانشدنى الشيخ الامام العلامة بهاء الدين محمد بن سيد الناس اجازة قال انشدنى الامام العلامة بهاء الدين بن النحاس لنفسه

قالوا حبيبك قد تبدى شيبه * فالام قلبك فى هواه يهيم
قلت أقصروا فالآن تم جماله * وبدا شقاء فتى عليه يلوم
الصبح غرته وشعر عذاره * ليل ونبت الشيب فيه نجوم

وما سمعت فى هذه المادة احسن من قول الشيخ صدر الدين محمد بن الوكيل رحمه الله تعالى

شيب وجدى بشائب * من سنا البدر أوجه
كلما شاب يبتغى * بيض الله وجهه

وقلت أنا
عشقت شيخا بديع حسن * لام على حبه العذول
كأن ياقوت وجنتيه * للشيب فيها حبال لولو

وقال ابن حريق البلنسى فى محبوبته

ان ما كان فى وجنتها * شربته السن حتى نشفا
وذوى العناب من أغلها * فاعادته الليالى حشفا

وقلت أنا فى مليحة أسنت

قالوا اسلها قد ذوى عناب راحتها * وأنت رهن صبابات وتضليل
فقلت لست بسال حبها أبدا * وكلما كرنش العناب يحلولى

وقال أبو نواس فى معاجلة الشيب

واذا عددت سنى كم هى لم أجد * للشيب عذرا فى النزول براسى

وقال أبو فراس الحمدانى

عذيرى من طوالع فى عذارى * ومن رد المشيب المستعار

للبيت شالت نعامته أى ارتفعت رجلاه وقولهم ان فرس الحرث بن عباد هى فرس خرز فيه نظر فقد قيل ان خرز بعد الحرث بزمان

*(ماشككت فيك ولا سترت اياك ولا كنت الا اذاك

يعنى لو تجملت بهذه الذخائر لما تدلس على أمرك ولا خفى عنى نسبك الذى أعرفه قبل الآن

(وهبك ساميتهم فى ذروة المجد والحسب)
(وجاريتهم فى غاية الظرف والادب)

المساماة المماثلة فى السمو والذروة أعلى الشئ ومنه ذروة السنام والمجد التوسع فى الكرم والجلالة وأصل المجد من قولهم مجدت الابل اذا حصلت فى مرعى كبير واسع وأمجدها الراعى والحسب ما يعده الانسان من مفاخره ويحسبه من مفاخر آبائه قال ابن الاعرابى الحسب والكرم يكونان فى المرء وان لم يكن له آباء لهم شرف والظرف الكيس والادب جمع أنواع من المحاسن مأخوذ من المأدبة وهى الجمع على الطعام والدعاء اليه ومنه سمى الادب الجامع لفنون كثيرة كالنظم والنثر والعلم والادب

وما زادت على العشرين سنى * فاعذر المشيب الى عذارى

وما أحسن قول مهيار الديلمى

واذا عددت سنى لم الك صاعدا * عدد الاناييب التى فى صعدتى

والام فيك مع المشيب على الصبى * باجور لائمتى عليك ولمتى

وما أحسن قول القائل

ألا ياساريا فى بطن قفر * ليقطع فى الفلا وعرا وسهلا

قطعت نقا المشيب و بنت عنه * وما بعد النقا الا المصلى

وقال ابن نقادة

ان كان قد أضحى المشيب ظالمى لاعجبا
أترب رأسى فعلمت أن طيى اقتربا
كذا الكتاب عاجلا * يطوى اذا ما أتربا

(رجع) الى ما يناسب قول الطغرائى قال ابن النبيه

فالعمر كالكاس تستحل أوائله * لكنه ربما جحت أواخره
خذ من زمانك ما أعطاك مغتنما * وأنت ناه لهذا الدهر آمره

وهو مأخوذ من قول الصابى

والعمر مثل الكاس يرـ * سب فى أواخرها القذى

ولما سمع ابن التعاويذى هذا قال

فمن شبه العمر كاسا يقـ * ـرقذاه ويرسب فى أسفله
فانى رأيت القذى طافيا * على صفحة الكاس من أوله

وقال القاضى الفاضل

اليك بعد انقضاء اللهو واللعب * عنى فلم أر لى ما يقتضى أربى
والعمر كالكاس والايام تمزجه * والشيب فيه قذى فى موضع الحبب
أقول اذ غاض منى فيض فضلته * ياوحشتا لشباب ذاهب الذهب

وقال أبو عثمان الخالدى

لقد فرحت بما عاينت من عدم * خوف القبيحين من كبر ومن بطر
وربما ابتهج الاعمى بحالته * لانه قد نجا من طيرة العور
ولست أبكى على شئ منيت به * يبكى على الشيب من يأسى على العمر
وما شكرت زمانى وهو يصعدنى * فكيف أشكره فى حال منحدر

قلت قوله لانه قد نجا من طيرة العور يشبه قول القائل

لم يكفنى فى الرزء خيبة مطلبى * حتى حرمت لذاذة الايناس
كالاعور المسكين أعدم عينه * واعتاض منها بغضه فى الناس

وما أحسن قول الآخر

والاعور الممقوت مع قبحه * خير من الاعمى على كل حال

ويشبه هذا قول أبى الطيب

والتفنن فى كل مقولة (ألست تاوى الى بيت قعيدته لكاع اذ كلهم عزب خالى الذراع) القعيدة امرأة الرجل كأنها مقاعدته ولكاع اللئيمة النفس مبنى على الكسر والعزب البعيد عن الزوجة مأخوذ من العازب فى طلب الكلا وهو المتباعد وخالى الذراع مثل خالى اليد كناية عن الفراغ والمعنى انك جامع للمحاسن لست متزوجا وكل من شئت من هؤلاء القوم الذين يختارون صحبتى عزب فكيف أفضلك عليهم وقوله الى بيت قعيدته لكاع هو نصف بيت من شعر الحطيئة وهو قوله

أطوّف ما أطوّف ثم آوى

الى بيت قعيدته لكاع

واسم الحطيئة جرول بن أوس بن مالك العبسى والحطيئة لقب وقع عليه قيل لقصره من الارض وقيل لانه ضرط يوما فقيل له ما هذا فقال أغاحطأت حطيئة وكان من اكبر شعراء المخضرمين أدرك الجاهلية والاسلام والغالب على شعره الهجاء وكان دنى النفس والهمة قدم المدينة فشى اشرافها بعضهم الى بعض وقالوا قد م علينا هذا الرجل وهو شاعر

ان كنت ترضى بان يعطوا الجزى بذلوا * منها رضاك ومن للعور بالحول

ونقلت من خط محيي الدين بن عبد الظاهر له

وأعور العين ظل يكشفها * بلاحياء منه ولاخيفه
وكيف يلقى الحياء عند فتى * عورته لاتزال مكشوفه

وقال أبو علي بن رشيق وكان أحول في نفسه وفي الطوسي الاعمى الشاعر وفي محمد بن شرف الاعور لابد في العور من تيه ومن صلف * لانهم يبصرون الناس أنصافا
وكل أحول يلقى ذا مكارمة * لانهم ينظرون الناس أضعافا
والعمى أولى بحال العور لو عرفوا * على القياس ولكن خاف من خافا

وما أحسن قول القائل

شمس الضحى يعشى العيون ضياؤها * الا اذا رمقت بعين واحدة
فلذاك تاه العور واحتقروا الورى * فاعرف فضيلتهم وخذها فائده
نقصان جارحة أعانت أختها * فكأنما قويت بعين زائده

وقال محمد بن شرف يهجو جماما

كأنما جمامنا قطعة * النتن والظلمة والضيق
كأننا في وسطها فيشة * ألوطها والعرق الريق

فقال ابن رشيق

وأنت أيضا أعور أصلع * فصادف التشبيه تحقيق

وقد ظرف القاضي الفاضل في قوله

ما كان يكمل حزا الحمام حتى ازداد قبه
فكأنني فيه خرو * ف شواو من فوق مكبه

وما أظن القاضي الفاضل الا قصد هذا التشبيه والسبق اليه دون غيره لئلا يتخيله غيره وينظمه لانه كان أحدب قصيرا أو قص كما كان البهاء زهير يقصد مثل هذه الاشياء لما كان أسود قصيرا شنجا فيندب على نفسه ولا يدع أحدا يسبقه الى مثل ذلك وحكاياته في ذلك مشهورة وحكى القاضي السعيد أبو المكارم أسعد بن خطير بن عماتي قال دخلت يوما على القاضي الفاضل رحمه الله تعالى فوجدت بين يديه أترجة كبيرة مفرطة في الضخامة وهي من الاترج الشهي فلما جلست حدقت اليها واتفق فكر وذهول فأخذ رحمه الله يتبادر على نفسه وقال يا مولاي الاسعد ما هذه الفكرة الطويلة ما أنت مفكر الا في خلق هذه الاترجة وما فيها من التكتيل والتعوج وتعجب من المناسبة لها وكيف اتفق الجمع بيننا وبينها فدهشت وانخلع قلبي مني خوفا ثم رجع الى خاطري فقلت لا والله بل أفكر في معنى وقع لي فيها ويسر الله أن نظمت فيها

لله بل للحسن أترجة * تذكر الناس بأمر النعيم
كأنها قد جمعت نفسها * من هيبة الفاضل عبد الرحيم

قال فأعجباه واستحسناها وانقطع الحديث قلت ولو صحف الفاضل رحمه الله تعالى قوله هيبة بهيئة بالياء آخر الحروف لتم له الذي أراده من ابن عماتي وتمت له الاجنة التي قصد تركيبها

والشاعر يظن فيحقق فيأتي الرجل منكم فان اعطاه جهد نفسه وان سومه هجاه فاجمع رأيهم على أن يجعلوا له شيأ من بينهم فجمعوا له أربعمائة دينار وأتوه وقالوا هذه صلة آل فلان وآل فلان وآل فلان فاخذها وظنوا انهم كفوه عن المسئلة فاذا هو يوم الجمعة قد استقبل الامام قائلا من يحملني على نعلين كفاه الله كبة جهنم وحكى أبو عبيدة قال مضى الحطيئة الى عبيد بن الماس فسأله فقال ما أنا على عمل فأعطيك ولا في مالي فضلة عن قومي فقال له ولا عليك ثم انصرف فقال بعض قومه عرضتنا ونفسك للشر فقال كيف قالوا هذا الحطيئة وهو هاجينا اخبث هجاء قال ردوه فردوه اليه فقال كتمتنا نفسك كأنك تريد العلل علينا اجلس ولنا عندك ما يسرك فجلس فقال له من أشعر الناس فقال الذي يقول ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتق الشتم يشتم فقال عبيد هذا والله من مقدمات أفاعيك ثم قال لوكيله اذهب به الى السوق فلا يطلب شيأ الا اشتريته فجعل يعرض عليه الخز والرقيق من الثياب فلا يريدها

وهذا من غريب الاتفاق وقال جبلة بن الايهم في واقعته المشهورة مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه

تنصرت الاشراف من أجل لطمة * وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكنفني فيها الحاج ونخوة * وبعت لها العين الصحيحة بالعور

قال أبو الحسن بن سيده في المحكم أراد العوراء فوضع المصدر موضع الصفة ولو أراد العور الذي هو العرض لقابل الصحيحة وهو جوهر بالعور وهو عرض وهذا قبيح في الصنعة وقد يريد العين الصحيحة بذات العور فحذف وكل هذا يقابل الجوهر بالجوهر لان مقابلة الشئ بنظيره أذهب في الصنعة وأشرف في الوضع وما أحسن قول بعض المغاربة في مليح أعور

بركات يحكي البدر عند تمامه * حاشاه بل بدر السما يحكيه
لم تذو احدى زهرتيه وانما * كملت بذاك بدائع التشبيه
فكأنه رام يغمض طرفه * ليصيب بالسهم الذي يرميه

ومن نظم أبي الفتح بن جني وكان أعور رحمه الله تعالى

صدودك عني ولا ذنب لي * دليل على نية فاسده
فقد وحياتك مما بكيـ * ـت خشيت على عيني الواحده
ولولا مخافة ان لا أرا * ك لما كان في تركها فائده

وقال بعضهم وكان أعور من اليمنى فمشى الى جانبه أعور من اليسرى

ألم ترنا اذ سرنا جميعا * الى الحاجات ليس لنا نظير
أساير ه على يمني يديه * وفيما بيننا رجل ضرير

وقال الباخرزي

ولا تحسبوا ابليس علمي الخنا * فاني منه بالفضائح أبصر
وكيف يرى ابليس معشار ما أرى * وقد فتحت عيناي لي وهو أعور

(فيم اقتحامك لج البحر تركبه * وأنت يكفيك منه مصة الوشل)

(اللغة) فيم تقدم الكلام عليها في قوله فيم الاقامة بالزوراء البيت اقتحامك فعم الامر قحوما رمى بنفسه من غير رؤية والمقحمة بالضم المهلكة فاقتحم افتعل منه اقتحاما اللج معظم الماء وكذلك اللجة تركبه أي تعلوه يكفيك كفاه يكفيه كفاية أغناه واكتفيت به واستكفيته الشئ فكفانيه مصة مصصت الشئ أمصه مصا وكذلك امتصصته وهو فعل بالشفتين على مهل وفي الحديث مصوا الماء مصا ولا تعبوه عبا الوشل بالتحريك الماء القليل وفي المثل وهل في الرمل أوشال (الاعراب فيم) أصله فما وقد تقدم الكلام عليه في قوله فيم الاقامة البيت (اقتحامك) مصدر اقتحم وهو مرفوع على أنه مبتدأ والخبر تقدم في الجار والمجرور لانه تضمن الاستفهام وله صدر الكلام والكاف في موضع جر بالاضافة في اللفظ وهي في موضع الرفع بالمعنى لانه فاعل المصدر الذي أضيف اليه (لج) منصوب على انه مفعول به للمصدر (البحر) مجرور بالاضافة المعنوية المقدرة باللام (تركبه) فعل مضارع مرفوع لتجرده عن الناصب والجازم والهاء ضمير يعود الى البحر أو الى اللج وهو في موضع نصب لتركبه والفاعل ضمير يرجع الى المخاطب والجملة من الفعل والفاعل والمفعول في موضع نصب على الحال تقديره فيم

فيعرض الاكسية الغلاظ والكرابيس فيشتريها ثم مضى فلما جلس عبيد في نادي قومه أقبل الحطيئة وقال

سئلت فلم تبخل ولم تعط طائلا * فسيان لا ذم عليك ولا حمد

ثم ركض فرسه وولى وحكي ان الزبرقان بن بدر كان عاملا على صدقات قومه فورد في سنة مجدبة على عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليؤدي ما اجتمع من الصدقة فلقي الحطيئة ومعه زوجته وبناته فقال له الزبرقان وقد عرفه ولم يعرفه الحطيئة اين تريد قال العراق فقد حطمتنا هذه السنة قال وما تصنع قال وددت ان اصادف بها رجلا يكفيني مؤنة عيالي واصفيه مدحي ما حييت فقال له الزبرقان فهل لك في من يوسعك لبنا وسمنا ويحاورك أحسن جوار فقال الحطيئة هكذا وأبيك العيش فقال قد أصبته قال عند من قال عندي قال من أنت قال الزبرقان ابن بدر قال فاين محلك قال اركب هذه الابل واستقبل مطلع الشمس واسأل عن القمر يريد الزبرقان فانه من أسماء القمر وسمي به لحسنه وسر الى أم هند بنت صعصعة يعني زوجته ففعل وأكرمته المرأة فبلغ ذلك بغيض بن

اقتحامك لج البحر راكبا له (وأنت) الواو للابتداء وأنت ضمير مرفوع بالابتداء (يكفيك) فعل مضارع لتجرده من الناصب والجازم وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء لانه معتل الطرف لا يظهر فيه غير النصب والكاف في موضع نصب على المفعولية ليكفي وهو ضمير المخاطب والجملة في موضع رفع على انها خبر لأنت تقديره وأنت كافيك (منه) من هنا للتبعيض وهي متعلقة بيكفي والهاء مجرورة بها وهذا الضمير يرجع الى البحر فان قلت هل يجوز أن يعود الضمير الى اللج كما قلته في تركبه قلت لا يجوز ذلك لان اللج داخل البحر فلا بد من اقتحام اللج وركوب البحر حتى يصل الى اللج فيناقض هذا الاعراب المراد من البيت وهو يريد الانكار عليه في اقتحامه اللج لان القليل من البحر يكفيه منه المصة وهذا موجود في أقل جزء منه في الساحل (مصة) مرفوع على انه فاعل يكفي (الوشل) مجرور بالاضافة المعنوية المقدرة باللام وقوله وأنت يكفيك منه مصة الى آخره جملة حالية (المعنى) لاى شئ تقتحم البحر وتركب لجته وتصبر على أهواله والغرض في الشاطئ لان المقصود شربة تمصها من الماء القليل لتسد عطشك وتروى ظمأك وهذا موجود في أي نغبة تمصها من أي نهر كان يعني فما المراد من الدنيا الا اقيام الصورة لا غير وهو ما يقوم بهذا الجسد من المأكل والمشرب والملبس وهذا سهل يحصل بادنى تحيل وأخف تكسب ولا يضطر مع هذا الى ركوب الاخطار ومكابدة الاهوال ومقاساة المشاق ومعاناة المتاعب

ومراد النفوس أحقر من ان * يتعادى له وان يتعاني

قيل لابن الخليل بن أحمد رحمه الله أتى اليه رسول الخليفة يطلبه وهو جالس يبل خبزا يابسا في ماء فاذا انتقع أكله فقال له أجب أمير المؤمنين فقال له مادمت أجد هذين فاني لا احتاج اليه وقد أخذ الطغرائي بريض نفسه ويعكس سورة غضبها بعد أن كان قد ثار واحتدم واحتد واضطرم وهذا هو الصحيح لان الامر أقل من هذا العناء كله وما أحق هذا المقام أن ينشد فيه قول القائل

ما الجزع أهل ان تردد نظرة * فيه وتعطف نحوه الاعناق

ومن كلام ابن سناء الملك رحمه الله تعالى سئمت من معانقة الآمال ومضاجعة الامانى وبرمت بمعاناة من عنانى وأعيانى ومللت صحبة الانتظار الذى أظمانى وأضنانى ورثيت لعينى من رؤية من يرانى وكأنه ما يرانى وعزمت على ان أتخلى واستريح وأسير وأسيح وأسكن الى كل راحة وأقلع بكل ريح وأضع يدى في يد الزمان وأطلب منه الامان وأتوب اليه من التحذلق عليه فانه سبب الحرمان فالامور مقدره والدنيا مكدره والاشياء لها غايات وللعاجات أوقات ويعجبنى قوله نظما

تدعى العقل وهو أشرف ما فيك ولم صار داخلا تحت حسك
وكذا حبك الحياة وقد أصبحت لا تشتهى سوى طول حبسك
طلق النفس فهى أخون عرسيك أليست هى المشير بعرسك
واذا اختال فوق أرضك منك التعطف فاذكر هوانه تحت رمسك
لا تغالط فما تغال رضى الله تعالى الا باغضاب نفسك
ما أهان الورى ولا ملك الدنيا ولا حازها سوى المتنسك

عامر بن شماس وكانوا يناسبون الزبرقان فأرادوه على جوارهم فأبى فدسوا الى امرأة الزبرقان أنه يريد أن يتزوج مليكة ابنة الحطيئة وكانت جميلة فقصرت في حق الحطيئة وظهر له منها الجفاء فانتقل الى بني شماس فضربوا له قبة وضربوا له أثاثا وربطوا له بكل طنب حلة وأراحوا عليه ابلهم وكسوه ثم ورد الزبرقان فقال ردوا على جاري فأبوا وكاد يكون بينهم حرب فقال اهل الراى منهم غيروه ففعلوا ذلك فاختار بغيضا فصار يمدحهم وهم يطلبون منه هجاء الزبرقان فيمتنع الى أن ارسل الزبرقان الى رجل من النمر فهجا بغيضا فحينئذ قال الحطيئة يهجو الزبرقان

وبئا ضل عن بغيض
والله ما معشر لاموا امرأ جنبا
في آل لاى بن شماس باكياس
لما بدا لى منكم غش أنفسكم
ولم يكن بجراحى منكم آسى
ان معت يا سام بينا من نوالكم
ولن ترى طارد اللحر كالياس
دع المكارم لا ترحل لبغيتها
واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى
من يفعل الخير لا يعدم جوائزه
لن يذهب العرف عند الله والناس

قلت ما أحلى ما أتى بالمتنسك هنا قافية فسقى الله ضريحه وروّح روحه وما كان ألطف ذوقه وأشب عمره الذى جعل الهلال طوقه وهذه القافية لا يجيزها العروضيون ويحتجون بان الكاف أصلية وليست ضميرا كاخواتها وأنا وغيرى من أئمة الادب الذين لطف ذوقهم يرون ان هذه القافية بين نجوم القوافى كالشمس وهى التى فيها خفة الروح وما عداها فيه ثقل الرمس لانها قليلة الوقوع فى الكلام بخيلة بالزيارة ورد السلام قل أن يظفر الناظم من هذا النوع بقافية ويجد لها ثانية والاستقراء أمامك فاطلب لها أختا واسلك من أرض اللغة عوجا وأمتا فان وجدت فبعد جهد وتعب فى النظم والنثر يؤديانك الى الزهد بخلاف أخواتها البواقى لانك تجد أمثالهن فى مطالع اللغة رواقى يعرف هذا القول أربابه ومن بينى وبينه نسبة أو تشابه وقال أبو العز مظفر الاعمى دخلت على الملك الكامل فقال لى أجز هذا النصف قد بلغ الشوق منتهاه

فقلت *ومادرى العاشقون ماهو*

فقال *وانما غرّهم دخولى*

فقلت *فيه فهاموا به وتاهوا*

فقال *ولى حبيب يرى هوانى*

فقلت *وما تغيرت عن هواه*

فقال *ياضة النفس فى احتمالى*

فقلت *وروضة الحسن فى حلاه*

فقال *أسمر لدن القوام ألمى*

فقلت *يعشقه كل من يراه*

فقال *ريقته كلها مدام*

فقلت *ختامها المسك من لماه*

فقال *ليلته كلها رقاد*

فقلت *وليلتى كلها انتباه*

ثم ان مظفرا أكملها مديحا فيه وقد أوردت هذا الشعر لان فيه قافيتين لا يجوزان على رأى أرباب العروض وهما أحسن ما فى هذه القوافى الاولى ماهو والثانية انتباه انظرهما تجدهما أحسن القوافى ولو تركناها والعقل لكان ينبغى ان لا تعد القوافى الا اذا كانت غير متصلات بضمير مخاطب أو غائب أو متكلم لان فى ذلك شيأ من الايطاء وما أحسن قول ابن سناء الملك من قصيدة

خذ الحديث عن المدا * مع فهى تروى عن قتاده
انى بديهى الدمع * ع وان دمعى لا يباده

وقول ابن بابك من أبيات

هو الربع يخرس ان شمته * وان سمته خبرا خبرك
فلا ترعدنك دواعى الهوى * فطود المهابة قد وقرك
كأن لسانى قد ساقه * الى الحمد أخذك ما قد ترك

فاستعدى عليه الزبرقان عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال عمر للزبرقان ما أرى هجوا ولكن معاتبة فقال الزبرقان أما تبلغ مروءتى الا أن آكل وألبس فقال عمر رضى الله عنه على بحسان فجى به فسأله أهجاه قال لا بل سلح عليه بعد ان أكل الشبرم فأمر عمر بقطع لسان الحطيئة ليرهبه فقال يا أمير المؤمنين والله لقد هجوت أبى وأمى وزوجتى ونفسى فضحك عمر وقال ما قلت قال قلت فى أبى وأمى

ولقد أتيتك فى النساء فسؤتنى
وأبا بنيك فساءنى فى المجلس

وقلت فى زوجتى

أطوف ما أطوف ثم آوى
الى بيت قعيدته لكاع

وقلت فى نفسى

أرى لى وجها قبح الله خلقه
فقبح من وجه وقبح حامله

فأمر به عمر فحبس فى بئر وغطاه فقال

ماذا تقول لافراخ بذى مرخ
حمر الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم فى قعر مظلمة
فاغفر عليك سلام الله يا عمر

فاخرجه ثم قال اياك وهجاء الناس قال اذا تموت عيالى جوعا فقال اياك والمقذع قال وما هو قال ان تخاير بين الناس قال أنت والله أهجى منى فسلمه الى

غبار تصدع عن فارس * يقطر من قسطل المعترك

نقلت هذه الابيات من ديوان بخط ابن خروف النحوى والقصيدة مثبتة فى حرف الراء وجدت ابن خروف قد كتب على الهامش هذا البيت فى قافية الكاف والذى بعده وترك والمعترك فى قافية الراء وهو غير جائز ويجوز الكل فى قافية الكاف وما أحسن قول محاسن الشواء

فضلت الورى فى الحلم والعلم يافعا * ويظهر حسن الشئ مع قبح ضده
فكم من معان مشكلات شرحتها * بلبلج نطق المصقع المتبده

وقال ابن نباتة السعدى

لا سكن الثرى للعدم عتقا * وما وجهى به أصفى من المقل
بذلته لنيوب الاسد تأكله * كيما أعيش بعرض غير مبتذل

وقال أبو فراس بن حمدان

ان الغنى هو الغنى بنفسه * ولو أنه عارى المناكب حافى
ماكل ما فوق البسيطة كافيا * فاذا قنعت فكل شئ كافى

وقال ناصر الدين بن النقيب

ليس من بات معتقا لامانيه * كمن بات للامانى رقا
ان للمرء فى الحياة على اللـ * ـه أن يموت قوتا ورزقا
خلنى من حديث كدوسى * واضطراب فى الارض غربا وشرقا
ما الذى أقتنيه من عرض يغنى * اذا كان جوهرى ليس يبقى

وقال الشريف أبو الحسن العقيلى

وقائل ما الملك قلت الغنى * فقال لا بل راحة القلب
وصون ماء الوجه عن بذله * فى نيل ما ينفد عن قرب

(ملك القناعة لا يخشى عليه ولا * يحتاج فيه الى الانصار والخول)

(اللغة) القناعة الرضى بالقسم وقد تقدم الكلام عليه فى قوله والدهر يعكس آمالى البيت يخشى يخاف عليه يحتاج يضطر ويفتقر الانصار الذين ينصرون ويساعدون على الاهوال والانصار الذين نصروا النبى صلى الله عليه وسلم لما هاجر من مكة الى المدينة شرفها الله تعالى وآووه وحاربوا معه أعداءه وآووه الذين هاجروا معه اليهم وآخوهم والمهاجرون الذين هاجروا معه صلى الله عليه وسلم من أهل مكة وهم الذين تركوا ديارهم وأوطانهم وأولادهم وأهلهم وأموالهم وتغربوا معه وهم بلاشك أفضل والانصار يلونهم فى الفضيلة لانهم تلقوه بالرحب والسعة والبشر والقبول ونصروه وأعانوه على بلوغ ما رامه من ابلاغ الرسالة واظهار الدين القيم ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الانصار كرشى وعيبتى فالانصار لقب يقع على قبيلة الاوس والخزرج ابنى حرثة بن ثعلبة العنقاء لقب بذلك لطول عنقه ابن عمرو مزيقيا لقب بذلك لانه كان يمزق عنه كل حلة لئلا يلبسها أحد بعده ابن عامر بن ماء السماء لقب بذلك لسماحته وبذله كأنه ناب مناب المطر ابن حرثة الغطريف ابن امرئ القيس البطريق لقب بذلك لانه أول من استعان به بنو اسرائيل من العرب بعد بلقيس فبطرقه رجعيم بن سليمان بن داود بن ثعلبة بن مازن بن الازد بن الغوث بن بنت مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ

الزبرقان فشد فى عنقه حبلا فعارضته غطفان وسألته أن يهبه لهم ففعل ثم اشترى منه عمر بن الخطاب رضى الله عنه أعراض الناس بثلاثة آلاف درهم ولم يزل مقيما بالبادية الى ان توفى فى خلافة عمر رضى الله عنه ولما حضرته الوفاة قالوا له يا أبا ملكة أوص فقال ويل للشعر من راوية السوء فقالوا له أوص يرحمك الله قال أبلغوا أهل امرئ القيس أن صاحبهم أشعر الناس بقوله فما لك من ليل فقالوا له أوص فقال

الشعر صعب وطويل سلمه
اذا رقى فيه الذى لا يعلمه
زلت به الى الحضيض قدمه

قالوا ألك حاجة قال لا ولكن أخشى على المدح الجيد يمدح به من ليس له أهلا قالوا توصى للفقراء بشئ فقال بالافلاح فى المسئلة فانها تجارة لن تبوروا ست المسؤل أضيق ثم مات ومن محاسن شعره قوله

جزى الله خيرا والجزاء يكفه
على خير ما يجزى الرجال بغيضا
فلو شاء اذ جئناه ضن فلم يلم
وصادف منا فى البلاد عريضا

هذا معنى حسن غريب يقول كثرت محاسنه فاستغنى أن يكثر مادحيه وانه لو منع أو أساء اساءة واحدة لسكانت له فى البلاد حسنات كثيرة

ابن يشجب بن يعرب بن قحطان وأنشدني بعض الافاضل لقاضي القضاة نجم الدين أحمد بن صصرى الثعلبي أبياتا منها

ومالي أنصارا سوى فيض أدمعي * اذا بات من أهواه وهو مهاجر

و يعجبني قول ابن سناء الملك رحمه الله تعالى

أنا جدانصارا النبي لانني * يا أشهل العينين عبد الاشهلي

(رجع) الخول خول الرجل حشمه الواحد خائل وقد يكون الخول واحدا وهو اسم يقع على العبد والامة قال الفراء جمع خائل وهو الراعي وقال غيره مأخوذ من التخويل وهو التمليك (الاعراب ملك) مرفوع على انه مبتدأ (القناعة) مجرور بالاضافة (لا) حرف نفي وهو وما دخل عليه في موضع الرفع لانه خبر المبتدا تقديره ملك القناعة غير مخشي عليه (يخشى) فعل مضارع مرفوع لتجرده عن الناصب والجازم ورفعه ضمة مقدرة على الالف لانه معتل الطرف وانما كتب بالياء لانه من خشيت وهو مغير الما لم يسم فاعله (عليه) على للاستعلاء معنى والهاء مجرور به وهو في موضع رفع لانه سد مسد مفعول ما لم يسم فاعله (ولا) الواو عاطفة عطفت الجملة الفعلية على مثلها الاحرف نفي (يحتاج) فعل مغير لما لم يسم فاعله والكلام فيه كالكلام في يخشى (فيه) في للظرف والضمير مجرور به وهو راجع الى الملك والجار والمجرور متعلق بالى والكلام في قوله فيه كالكلام في عليه (الى) حرف جر وهو لانتهاء الغاية (الانصار) مجرور بالى (والخول) معطوف على الانصار (المعنى) ان القناعة صاحبها ملك لانه في غنى عن الناس وفي ملكها مزية على ملك ما سواها من أمور الدنيا وهي انها غير محتاجه الى خدم ولا انصار ولا عساكر يحفظونها ولا يخشى عليها من زوال ولا اغتصاب لان ملوك الدنيا يحتاجون الى الخول والانصار للخدمة والحفظ والاحتراز على نفوسهم من الاعداء والى العساكر ليحفظوا ثغور البلاد وحدود الممالك من العدو الذين يتغلبون عليها ويضطرون الى أموال ينفقونها في العساكر ليمونوهم بذلك ثم هم مع ذلك الهم والفكرة في تحصيل الاموال وتدبير الرعايا في خوف وخشية من زوال الملك اما بغلبة العدو واما بخروج أحد من الرعايا عن الطاعة واما بوثوب أحد من حشمهم وخدمهم وأقاربهم عليهم أو اطعامهم السم الى غير ذلك من الآفات والمخافات وحكي ان خالد بن برمك جد البرامكة لما طلبه السفاح أو المنصور ليقلده الوزارة دخل عليه فلما وقع نظره عليه قال أخرجوه وغضب عليه وكان كثيرا تتطلع الى رؤيته فعجب الحاضرون من ذلك وربما انه أمر بقتله فقال يا أمير المؤمنين علام تقتلني قال لانك دخلت علي ومعك السم فقال يا أمير المؤمنين حاش لله وانما نحن معتادون بخدم الملوك ونخشى بادرتهم في وقت غضب فيمسك أحدنا ويعذب ونخاف طول العذاب فنضع لاجل ذلك تحت فص الخاتم سما فاذا رأينا ذلك امتص أحدنا ذلك ليموت خوفا من تطويل العذاب فعفا عنه وقلده الوزارة ثم قال له يا أمير المؤمنين من أين علمت ان السم معي قال انه في ساعدي دملجان اذا حصل في المكان الذي أنا فيه سم انتطحا في ساعدي فمن هناك علمت ذلك قلت كذلك وحدثها مسطورة بهذا المعنى وفي انتطاح الدملجين بعد كثير من العقل ولكن قال أصحاب الخواص ان قرن الحية اذا قارب الطعام المسموم عرق والله أعلم (رجع) وملك القناعة منزه عن هذه المشاق المتعددة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبح منكم آمنا في سربه

تكفيه ولا يصدق هاجيه ومن محاسن شعره قوله

فتى غير مفراح اذا الخير مسه ومن نكبات الدهر غير جزوع

كثير الندى ان تأته بصنيعة الى ماله لم تأته بشفيع

وقوله في أبي موسى الاشعري

وجحفل كسواد الليل منتجع أرضى العدو ويؤس بعد انعام

من كل اجرد كالسرحان أبرزه مسح الاكف وسقي بعد اطعام

مستحقبات روايا هاجحافلها يسمو بها أشعري طرفه سامي

الروايا الابل التي تحمل الاثقال تجنب الخيل اليها فتضع جحافلها على اعجاز الابل مكان الحقائب لطولها فكأنها مستحقبة لها وكان الحطيئة قد سأل أبا موسى أن يكتبه في الجيش فقال تمت العدة فمدحه بهذه القصيدة فكتبه فبلغ عمر فلامه على ذلك فقال اشتريت عرضي منه فقال أحسنت وقوله

وفتيان صدق من عدي عليهم صفائح أخرى علقت بالعواتق

اذا ما دعوا لم يسألوا من دعاهم ولم يمسكوا فوق القلوب الخوافق

(وقوله)

سيري أمام فان المال يجمعه سيب الاله واقبالي وادباري

معا فى بدنه معه قون يومه فكأنما حيزت له الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس واعمل بما افترض الله عليك تكن أعبد الناس واجتنب ما حرم الله عليك تكن أورع الناس ومن كلام ابن المعتز الزهد فى الدنيا الراحة العظمى ومنه طلاق الدنيا مهر الجنة وكان أبو حاتم يقول انما بينى وبين الملوك يوم واحد اما أمس فلا يجدون لذته وأنا واياهم فى غد على وجل وانما هو اليوم فعسى ان يكون هذا اليوم وأخذ هذا الكلام أبو العتاهية فقال

حتى متى نحن فى الايام نحسبها * وانما نحن فيها بين يومين
يوم تولى ويوم نحن نأمله * لعله أجلب الايام للحين

وقال أبو الفتح البستى وفيه جناس

قد مر أمس ولم يعبأ به أحد * من التواء وبوس مر أم رغد
وعندى اليوم قوت استعف به * وان بقيت غدا أصلحت أمر غد

وقال ابن عنين

الرزق يأتى وان لم يسع صاحبه * حتما ولكن شقاء المرء مكتوب
وفى القناعة كنز لا نفاد له * وكل ما يملك الانسان مسلوب

وذكرت هنا ما ذكره ابن مسدى فى معجمه فى ترجمة أبى طالب محمد بن على بن على بن الخيمى الكاتب قال سمعته يقول وليت حوران فى قديم الزمان وكنت كثير الجوار لقبور بنى أيوب فأصابنى ضيق فرأيت فى النوم كأن فى قبورهم قبر شمس الدوله فقصدت اليه فوجدت قبرا عظيما مفتوح الباب وهو فيه مسجى يكفنه ومعى قصيدة امتدحه بها فأنشدته اياها فلما فرغت من انشادى استترعنى فى زاوية القبر وأخذ كفنه فرمى به الى فرأى فى وجهى أثر الندم والانكسار فعرف ذلك منى فأنشدنى

لا تستقلن معروفا سمحت به * ميتا وأمسيت منه عارى البدن
ولا تظنن جودى شابه بخل * من بعد بذلى ملك الشام واليمن
انى خرجت من الدنيا وليس معى * من كل ما ملكت كفى سوى كفنى

(رجع) قال ابن الساعاتى

كفى بملوك الارض جهلا حذارهم * وان ملكوا أن يسلب الملك عنهم
وهب جعلوا ما فى المعادن جملة * رهائن أكياس تشد وتختم
فلم يبق دينار سوى الشمس لم ينل * ولم يبق غير البدر فى الناس درهم
أليس أخو الطمر ين فى العيش فوقهم * اذا بات لا يخشى ولا يتوهم

وهو مأخوذ من قول محمد بن غالب من رصافة بلنسية

صون الفتى وجهه أبقى لهمته * فما ازال فى الموقف الزارى
قنعت فامتد مالى فالسماء يدى * وبدرها درهمى والشمس دينارى

وأخذه شمس الدين بن الآمدى فعكس أصل المعنى وقال

وما يستوى من راح فى الناس ساريا * وآخر فى قطع من الليل مظلم
ولم يستقم للمرء يوما وليلة * بلا شمس دينار ولا بدر درهم

نسرى الى ضوء أحساب أضأ لها
كما أضاءت نجوم الليل للسارى

(وقوله)

أنت آل شماس بن لاى وانما
أتاهم بها الاحلام والحسب العد
أقلوا عليهم لا أبا لابيكم
من اللوم أو سدوا المكان الذى سدوا
أولئك قوم ان بنوا أحسنوا البنا
وان عاهدوا أوفوا وان عقدوا شدوا
وان كانت النعماء فيهم جزوا بها
وان أنعموا لا كدروها ولا كدوا
وان قال مولاهم على جهل حادث
من الدهر ردوا فضل أحلامكم ردوا
شياطين فى الهيجاء مكاشيف للدجى
بنى لهم آباؤهم وبنى الجد
وتعذلنى أبناء سعد عليهم
وما قلت الا بالذى علمت سعد
(وأين من انفرد به عن لاغلب الاعلى الاقل الاخس منه)
هذا تفسير لما تقدم من الكلام بان الذى تنفرد به العزب والذى يغلب على الاقل منه المتزوج والغلب الاستيلاء على الشئ كانها لا تستولى الا على فضل

وقال أبو اسحق الغزى

لاتعجبن لمن يهوى و يصعد فى * دنياه فالناس فى أرجوحة القدر
واقنع بما قل فالاوشال صافية * ولجة البحر لاتخلو من الكدر

وقال أيضا

ياطالب الرزق فى الدنيا بحيلته * ان القناعة أضحت حلية الحيل
لاتحقرن طفيف الرزق وارض به * ما الغمر مجتمع الامن الوشل

وقال الحريرى اذا أعطشتك اكف اللئام * كفتك القناعة شبعا وريا
فكن رجلا رجله فى الثرى * وهامة همته فى الثريا
فان اراقة ماء المحيا * ة دون اراقة ماء المحيا

وقال بعض الشعراء

اقنع بأيسر شئ أنت نائله * واصبر ولا تتعرض للولايات
فاصفا النيل الا وهو منتقص * ولا تكدر الا فى الزيادات

وقال بن طباطبا العلوى

كن بما أوتيته مغتبطا * تستدم عمر القنوع المكتفى
ان فى نيل المنى وشك الردى * وقياس القصد عند الشرف
كسراج دهنه قوت له * فاذا أغرقته فيه طفى

وقال آخر وهو أحسن لاختصاره وجناسه

خذ من العيش ما كفى * فهوان زاد أتلفا
كسراج منور * ان طفا دهنه انطفا

وقال أمين الملك بن أبى حفص المنشى

لعمرك ان فضول المعاش * بمذموم اعقابها لاينى
فان تك قد نلت قدر الكفاف * وصرت بيسوره تكتفى
فلا يحسدنك الا الملوك * لان القناعة ملك خفى

وقال عبد المجيد بن عبدون

يادهر أن توسع الاحرار مظلمة * فاستثنى ان غيلى غير مغروب
ولاتخل اننى القاك منفردا * ان القناعة جيش غير مغلوب

وقال مؤيد الدين الطغرائى

لاتلتمس فضل الغنى انه * متلفة يشقى بها الحر
أما ترى المرء له عبرة * فى صدف أهلكه الدر

قال ابن النحوى لما قدم أبو تمام قال له أبى ما أفدت فى سفرتك هذه قال أربعمائة ألف درهم وأربعة أبيات أحب الى من المال قال أنشدنى اياها قال أنشدنى أبو نواس الحسن بن هانئ لنفسه

انى وما جمعت من صفد * وحويت من سبد ومن لبد
هم تصرفت الخطوب بها * فنزعن من بلد الى بلد
يا ويح من حسمت قناعته * سبب المطامع عن غد فغد

ما بقى من زوجته
(وكم بين من يعتمدنى بالقوة الظاهرة والشهوة الوافرة والنفس المصروفة الى واللذة الموقوفة على)
كل هذه الالفاظ كناية عن كثرة النكاح المحبب للنساء حكى بعض الغزاة مع قتيبة قال لما فتحنا بلد كذا من الروم سبيت امرأة منهم فواقعتها فى ليلة سبع مرات فقالت أكل العرب تفعل هذا قلت نعم قالت صدقت بهذا العمل نصروا علينا
(وبين آخر قد نضب عديره ونزحت بيره
وذهب نشاطه ولم يبق الاضراطه)
الكلام معطوف على ما قبله وهذه الالفاظ كناية عن عجز الرجل عن النكاح اذا شاخ وضعف وهو مأخوذ من قول بعض العرب وقد أسن وسئل عن حاله فقال والله لقد ذهب منى الاطيبان وهم الجماع والنوم وبقى فى الارطبان وهما السعال والضراط
(وهل يجتمع لى فيك الا الحشف وسوء الكيلة)
يعنى لو وصلتك لاجتمع على سوء منظرك وسوء مخبرك وهذا مثل للعرب يضرب فى الخلتين السيئتين يجتمعان ويقال انه لعمرو بن

لولم يكن لله متهما * لم يعس محتاجا الى أحد

ويروى عن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما

أغن عن المخلوق بالخالق * تغن عن الكاذب والصادق
واسترزق الرحمن من فضله * فليس غير الله بالرازق
من ظن ان الناس يغنونه * فليس من مولاه بالواثق
أوظن ان المال من كسبه * زلت به النعلان من حالق

وقال ابن أبى الصقر الواسطى

كل رزق ترجوه من مخلوق * يعتريه ضرب من التعويق
وأنا قائل واستغفر الله * مقال المجاز لا التحقيق
لست أرضى من فعل ابليس شيئا * غير ترك السجود للمخلوق

وحكى ان أبا تمام لما دخل الى الحضرة وأقام بها مدة عزم على الانحدار الى البصرة وقيل الى واسط فورد عليه كتاب عبد الصمد بن المعدل وفيه

أنت بين اثنتين تبرز للنا * س وكلتاهما بوجه مذال
لست تفتك راغبا فى وصال * من حبيب أوطالبا للنوال
أى ماء تحرر وجهك يبقى * بين ذل الهوى وذل السؤال

فكر راجعا وقال لا أدخل بلدا فيها مثل هذا الشاعر على أن هذه الابيات اختلف الرواة فى قائلها وفى أسبابها وذكرت هنا قول مجير الدين محمد بن تميم الاسعردى وان لم يكن من هذا الباب ومن خطه نقلت

أنت بين اثنتين مانجل يعقو * ب وكلتاهما مقر الساده
لست تنفك راكبا عود عبد * مسبطرا أوحاملا خف غاده
أى ماء تحرر وجهك يبقى * بين ذل البغا وذل القياده

وقال قاضى القضاة نجم الدين بن العديم رحمه الله تعالى رأيت فى نومى كأنى داخل الى بلدة صغيرة فقيل لى ان نجم الدين محمد بن اسرائيل كاتب عندوا ليها فعملت فى النوم ارتجالا

الى كم ذا تغرر بك الليالى * وتبدى منك حالا بعد حال
فطورا شيخ زاوية وفقر * وطورا كاتبا فى باب وال

وقال السراج الوراق ومن خطه نقلت

مالى اذل وللقناعة عزة * أنجو بها من ذلة وهوان
وأصون وجهى أن يذل لاوجه * منحوتة من عالم الصوان

والقوم كالاصنام والاسلام * تزهى عن الاصنام والاوثان

وقال أبو عبد الله الحسين المنعوت بالبارع وقد تقدم

قد تعففت واقتنعت بتدفيع زمانى وقلت انى وحدى
لالانى أنفت مع ذا من الكد * يه أين الكرام حتى أكدى

ومن هذه المادة قول عمارة اليمنى

وأحق الانام بالذم جيل * بين أبنائه كريم يهان

معدى كرب والحشف أردى التمر والكبلة فعلة من الكبل وهى تدل على الهيئة نحو الجلسة والركبة فليعلم ذلك

(ويقترن على بك الا الغدة والموت فى بيت سلولية)

هذا مثل آخر فى معنى الاول وقائله عامر بن الطفيل عند ماتوعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا عليه وقال اللهم اكفنى عامرا عاشت فظهر فى رقبته غدة ماتت منها فى بيت امرأة من سلول وجعل يقول غدة كغدة البعير وموت فى بيت سلولية وقد تقدم خبره

(تعالى الله ياسلم بن عمرو اذل الحرص أعناق الرجال)

هذا البيت لابى العتاهية واسمه اسمعيل بن القاسم ابن سويد مولى عنزة ومنشأه

أصبح الجود قصة عند قوم * مستحيل فى حقها الامكان
كذبونى بواحد يهب الالـ * ـف وانى من السماع العيان

قلت هذا على أنه القائل فى رثاء أهل القصر فى قصيدته اللامية أتيت مصر فأولتنى خلائقها البيتين وقد تقدم وقال أبو الرضى الفضل بن منصور الظريف

ياقالة الشعر قد نصحتكم * ولست أدهى الامن النصح
قد ذهب الدهر بالكرام وفى * ذاك أمور طويلة الشرح
صونوا القوافى فما أرى أحدا * يعثر فيه الرجاء بالنجح
وان شككتم فيما أقول لكم * فكذبونى بواحد سمح

وحكى صاحب الاغانى عن مخارق قال لقيت أبا العتاهية على الجسر فقلت له يا أبا اسحق أنشدنى قولك فى تبخيل الناس كلهم فضحك وقال هنا قلت نعم فأنشدنى

ان كنت متخذا خليلا * فاستنق واتخذ الخليلا

وساق الابيات صاحب الاغانى ومنها

فاضرب بطرفك حيث شئـ * ـت فهل ترى الا بخيلا

فقلت له افرطت يا أبا اسحق فقال فديتك فأكذبنى بجواد واحد فأحببت موافقته والتفت يمينا وشمالا فقلت ما أجد أحدا أقبل بين عينى وقال فديتك يا بنى لقد رققت حتى كدت تشرب انتهى ويقال ان بعض السؤال اجتاز بقوم يأكلون فقال السلام عليكم يا بخلاء فقالوا له أتقول انا بخلاء فقال كذبونى بكسرة (رجع) ومما قلت أنا فى القناعة

يقول الزمان ولم يستمع * لمن طلب الرزق أو أمله
أنا حر من جد فى كسبه * ومن يقتنع تعصبت له

وقلت أيضا

اذا ملك الانسان ثوب قناعة * ترشف كاس العز فى الناس سائغه
ولم يخش من فقر رمته سهامه * لان عليه نعمة الصبر سابغه

وقلت أيضا

لاتسال الناس فانى امرؤ * ماطاب لى عرف من العرف
واقنع ولا تجمع حطاما فكم * فى الدهر للدينار من صرف

وقلت أيضا

هو الرزق ان وافاك سعيا فهين * وان تأته فى غيضه فعويص
على ان من الغاه نال منال من * يغور على تحصيله ويغوص

وقلت أيضا

تطلبت رزقى بالقناعة فى الورى * ولم ابتذل من أجل قوتى قوتى
ومذ خفت ضيق السبل فى طلب الغنى * رتعت بأمن فى مروط مروتى

وقلت أيضا

لايعرف الدهر احياء وأمواتا * أخانهم أمل فى النفس أم واتى
فنزه النفس عن مال وعن أمل * قد أتعباها ولا تجزع لما فاتا

الكوفة وهو من الثلاثة المطبوعين الذين لا يقدر على جمع شعرهم لكثرته بنشار والسيد الحميرى وأبو العتاهية كان أول أمره يبيع الجرار على رأسه ثم تولع بالنظم وكان فيه من العجائب قيل له كيف تقول الشعر فقال ما أردته قط الا تمثل لى فآخذ منه ما أريد وأترك مالا أريد وكان أبو نواس يقول ما رأيته قط الا تمثل لى انه سماوى وانى أرضى وأكثر شعر أبى العتاهية فى الزهد وكان قد تنسك وتزهد الى أن مات قال أحمد بن الحرث كان مذهب أبى العتاهية القول بالتوحيد وان الله تعالى خلق جوهرين متضادين لا من شئ ثم ان الله تعالى بنى

فالمسن تتقاضاه منيته * الا الى ذلك الميقات ميقاتا

وقلت فى القناعة غزلا

ان غاب من أحببته عن مجلسى * ليذوب قلب الصب من حسراته
احضرت لى وردا وكأس مدامة * وشربت ريقته على جناته

وأبلغ من هذا قول أبى نواس

ألم ترانى أقنيت عمرى * بطلبها ومطلبها عسير
فلما لم أجد شيئا اليها * يقربنى وأعيتنى الامور
حجبت وقلت قد حجبت عنان * فيجمعنى وإياها المسير

وهو مأخوذ من قول بعضهم

اليس الليل يجمع أم عمرو * وإيانا فذاك بنا تدان
وننظر للهلال كما أراه * ويعلوها النهار كما علانى

وقال ابن المعتز

ألست أرى النجم الذى هو طالع * عليك فهذا للمحبين نافع
عسى يلتقى فى الافق لحظى ولحظها * فيجمعنا اذ ليس فى الارض جامع

وقال آخر

يقابل نجم الافق طرفى لعله * يرى طرف محبوبى فيلتقيان
وأطمع قلبى أن يفوز بقربه * ألست تراه دائم الخفقان

وحكى أن بعضهم رأى امرأة حسناء فى طاقة فأحبها ولازم المقام ببابها والمرور تحت الطاقة الى أن أعيى وقل صبره وحصل على اليأس منها فدق الباب عليها فخرجت الجارية اليه فدفع اليها صحفة وقال دعى سيدتك تبل فى هذه الصحفة فبالت له فيها وقالت للجارية اتبعيه وانظرى ما يصنع بذلك فلم يزل الى أن دخل الى بعض الخرابات فوضع ازاره فى ذلك البول وقال يا مشئوم اذا فاتك اللحم فاشرب المرقة فصار ذلك مثلا وقال ابن الجوزى فى كتاب الاذكياء روينا ان هدهدا قال لسليمان أريد أن تكون فى ضيافتى فقال له سلمان أنا وحدى فقال لا بل مع العسكر كله فى جزيرة كذا فى يوم كذا فمضى سلمان وجنوده الى هناك فصعد الهدهد الى الجو فصاد جرادة وخنقها ورمى بها فى البحر وقال يا نبى الله كلوا ممن فاته اللحم نال من المرق فضحك سليمان وجنوده من ذلك حولا كاملا انتهى قلت وقد نظم بعضهم هذا المعنى فقال

وكن قنوعا فقد جرى مثلا * ان فاتك اللحم فاشرب المرقه

وقال بعض أرباب الجون السحق والبدال والجلد من القناعة وقال الشاعر

شغل المرد بالبدال وأضحى * نسوة الناس شغلهم بالسحاق
كل جنس بجنسه قد تكفا * فعزاء يا معشر الفساق

فأجاب الآخر

اذا اجتزا المرد بالبدال * وساحقت ربة المجال
وضعت كفى على قدى * أصلحه ثم لا أبالى

العالم هذه البنية منهما وان
العالم حديث العين والصفة
لا محدث له الا الله وكان يزعم
ان الله سيعيد كل شئ الى
الجوهرين المتصلين قبل
ان تفنى الاعيان جميعا وكان
يقول بالوعيد وتحريم
المكاسب وكان يتشيع على
مذهب الزيدية ولا ينتقص
أحدا ولا يرى الخروج على
السلطان وكان مجبرا محدث
الجاحظ قال قال أبو العتاهية
لثمامة بن أشرس بين يدى
المأمون وكان كثيرا
ما يعارضه بقوله فى الاخبار
أسألك عن مسئلة فقال له
المأمون عليك بشعرك فقال
ان رأى أمير المؤمنين أن يأذن
لى فى مسئلتى ويأمره بإجابتى
فقال أجبه اذا سأل قال أنا

وقال محاسن الشواء

يارب لاتخرس حماة فاهلها * دون البلاد أرامل عزبان
أخذ البغاء رجالها فتساحقت * نسوانها وتبادل المردان

وقال الآخر

لاعدمنا عميرة ابنة كف * انها تسعف المحب الشجيا
نقدها الريق ثم لامهرالا * دلوماء ان لم تكن دهريا

وقال الآخر

جلدت يوما عميرة عبثا * وكان فى ذلك منية النفس
فصنت مالى وماشممت خراجحش ولاخضت فى دم الكبس

وقال النور الاسعردى

أرى النحوى زيدا ذا اجتهاد * جزى الرحمن بالخيرات غيره
تراه ضاربا عمرا نهارا * ويجلدان خلاليلا عميره

وقال آخر مضمنا

عاقبت ابرى الذى أشوقه * بكل خير غدا يرتجيه
فكلما قام قمت أجلده * وذاك ذنب عقابه فيه

وقال الحكيم شمس الدين محمد بن دانيال

لى عدو يقوم منى بلا رجل مقام المحير المرتاب
باكيا كالمصاب أبكى عليه * وعناء صلاح عقل المصاب
كل يوم انكيه جلدا الى أن * قد غدا قائما بغير اهاب
جلده هين ولا أجلد الحد على تلكم الامور الصعاب

وكانت بعض الجوارى قد كتفت بالنساء بدلا من الرجال فراودها رجل عن نفسها فقالت أنا ما أختار العصابى على النبى تريد بذلك قول الشاعر

وليس على فى هذا ملام * اذا اخترت النبى على العصابى

فالنبى اسحق والعصابى الزبير وقيل لاعرابى ارجعى الى الحق فقالت ان الحق بعض مرادى تعنى ان السحق بعضه الحق وقال بعض الشعراء

مغرمة بالنساء سهلا * تحنو علين كل حين
ما أتقنت فى الهنوك الا * تضيف اسحق فى حسين (ى)

وقال آخر

أما والله لو يلقاك ابرى * قبيل الصبح فى ظلماء بيت
لما فارقته حتى كأنى * أرى شفريك فى معصار زيت
وكنت ترين ان السحق شؤم * وان الشأن فى هذا الكميت

ويقال ان رجلا دخل الى بيت فوجد امرأتين وهما فى السحق وقد أجهدتا أنفسهما فجذب التى هى من فوق وقعد مكانها وقال بأبى وأمى أنتما هذا عمل يريد الرجال والجبال وما أحلى قول القائل

أقول ما يفعله العباد من خير وشر فهو من الله تعالى وأنت تأبى ذلك فمن حرك يدى هذه وجعل أبو العتاهية يحركها فقال له عمامة حركها من أمه زانية فقال شتمنى والله يا أمير المؤمنين فقال عمامة ناقض الماص بظر أمه فضحك المأمون وقال ألم أقل لك تشتغل بشعرك وتدع ما ليس من عملك قال عمامة فلقينى فقال لى يا أبا معن أما أغناك الجواب عن السفه فقلت ان اتم الكلام ما قطع الحجة وعاقب على الاساءة وشفى الغيظ واتصر من الجاهل وحدث أبو شعيب صاحب ابن أبى دواد قال قلت لابى العتاهية القرآن عندك مخلوق أو غير مخلوق قال

جرح يريد القتيله * ايش تنفع اللزقات

وقال بعضهم

رجلى وكفى لاعدمت كليهما * بهما أصول على الزمان وأعتدى
أمشى على هذى وأمكم هذه * فطيتى رجلى وجاريتى يدى

وكتب الى المولى جمال الدين محمد بن نباتة وأنا برحبة مالك بن طوق كتابا ومنه وما حال مولانا مع من استجده من صاحب وخدين وأهل رفاه وبنين وما هذه المداجمة لاخباره التى لايزال فعل وعدها يستحب السنين فكتبت اليه فى الجواب وأما سؤال مولانا عما استجده المملوك من صاحب وخدين وأهل رفاه وبنين فوالله ما رأيت فى الرحبة الى الآن قرينة الا من السجع ولا جارية الا من الدمع والفراش عاطل والامكان مما طل ومطيتى رجلى وجاريتى يدى كما قيل

مقل من الاهلين يسر واسرة * كفى حزنا ما بين شت واقلال
(ترجو البقاء بدار لا ثبات لها * فهل سمعت بظل غير منتقل)

(اللغة) الرجاء ممدود الامل رجوت رجوا ورجاء ورجاوة وترجية وارتجيته وترجيته كله بمعنى رجوته وقد يكون الرجو والرجاء بمعنى الخوف قال الله تعالى مالكم لاترجون لله وقارا أى لاتخافون عظمة الله تعالى البقاء بقى الشئ يبقى بقاء وكذلك بقى الرجل زمانا طويلا وبقى من الشرب قية والباقية توضع موضع المصدر قال الله تعالى فهل ترى لهم من باقية بدار الدار مؤنثة وقوله تعالى ولنعم دار المتقين ذكر على معنى المثوى والموضع كما قال تعالى نعم الثواب وحسنت مرتفقا فأنث على المعنى أى وحسنت الجنة مرتفقا كما قال تعالى بئس الشراب وساءت مرتفقا أى ساءت النار مرتفقا وأدنى العدد أدؤر فالهمزة فيه مبدلة من واو مضمومة ولك أن لاتهمز والكثير ديار مثل جبل وأجبل وجبال ودور أيضا مثل أسد وأسد والدارة أخص من الدار قال امية بن الصلت يمدح عبد الله بن جدعان

له داع بمكة مشمعل * وآخر فوق دارته ينادى

ويقال ما بها دورى وما بها ديارى أى واحد وهو فيعال من درت وأصله ديوار والواو اذا وقعت بعد ياء ساكنة قبلها فتحة قلبت ياء مثل أيام وقيام ودار الشئ يدور دورا ودورانا لاثبات لها أى لابقاء لها الظل لغة النى ء وهو ما أظلك من سحاب ونحوه وظل الليل سواده يقال أتانا فى ظل الليل قال ذو الرمة

قد أسعف النازح المجهول مسعفه * فى ظل أخضر يدعو هامة النوم

وهو استعارة لان الظل فى الحقيقة انما هو ضوء شاع الشمس دون الشعاع فاذا لم يكن ضوء فهو ظلمة وليس بظل وقال اصحاب العلم الطبيعى الظل مطلقا هو الضوء الثانى ومعنى ذلك ان النير اذا ارتفع عن الافق استضاء الهواء باثبات الشعاع فيه فهذا هو الضوء الاول فاذا حجب هذا الضوء حاجب كان ما وراء ذلك الحاجب ضوأ ثانيا بالنسبة الى الضوء الاول لانه مستفاد منه وهذا الضوء الثانى هو الظل ومنه منبسط ويقال مستو أيضا وهو المأخوذ من الاعمدة القائمة على سطح الارض كظل الشخص الماشى من اشخاص البشر وغيرهم أو الشخص الواقف كالنخل وغيرها من الاشجار ومنه منكوس ويقال معكوس أيضا وهو المأخوذ من الاعمدة

سألتنى من الله أو عن غير الله
قلت من غير الله فامسك
فاعدت عليه فاجابنى هذا
الجواب حتى فعل ذلك مرارا
فقلت مالك لاتجيبنى قال قد
أجبت ولكنك جار وحدث
ثمامة بن أشرس قال كان أبو
العتاهية شديد البخل
فأنشدنى ذات يوم أبياتا له
فى ذم البخل يقول فيها
ألا انما مالى الذى أنا منفق
وليس لى المال الذى أنا تاركه
فقلت له من أين أخذت هذا
القول قال من قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليس لك
من مالك الا ما أكلت فافنيت
أو لبست فابليت أو أعطيت
فامضيت فقلت له أتؤمن بهذا
القول انه لحق قال نعم قلت
فلم تحبس عندك أكثر من

الواقعة فى سطح الافق كظل الشخص القائم على السطح القائم على بسيط الافق كوتد خارج من حائط منه مايعبر عنه بالمستعمل وهو ماعدا هذين كوتد قائم على سطح مائل عن الافق أو على سطح كرة او اسطوانة أو مخروط أو ما أشبه ذلك وذكرت هنا ما نظمته فى ملبج يشتغل بعلم الوقت وهو هذان البيتان

أهواه مشتغلا بعلم الوقت ذا * حسن بديع فى الانام نفيس
وكأن شمس جبينه لما استوت * جاء العذار بظلها المنكوس

والعرب تزعم ان ظل القناة أطول الظلال تقول يوم أطول من ظل القناة ويزعمون ان ظل الوتد أقصر الظلال فيقولون أقصر من ظل الوتد ولهذا قال الشاعر

فهذا طويل كظل القناة * وهذا قصير كظل الوتد

ويرون ان ابهام القطاة أقصر الاشياء كما قال ويوم كابهام القطاة وقال الآخر

ويوم كظل الرمح قصر طوله * دم الزق عنا واصطفاق المزاهر

وقال عبد المحسن الصورى ملغزا فى الظل

لى صاحب لا أستطيع فراقه * ما ان يسىء وماله احسان
بيناتراه وقد تقاصر طوله * حتى يطول كأنه شيطان

(رجع) غير تقدم الكلام عليه منتقل متحول (الاعراب) ترجو فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره لكونه معتل الطرف بالواو وأصله أترجو فحذفت همزة الاستفهام وهو جائز كقول عمر وابن أبى ربيعة المخزومى

فوالله ما أدرى وان كنت داريا * بسبع رمين الجمر أم بثمان

تقديره أبسبع وهو كثير فى الشعر ومن الذهول فى المحبة وشغل القلب قول المجنون

فوالله ما أدرى اذا ما ذكرتها * اثنتين صليت الضحى أم ثمانيا

وكثير من الناس يمر على سمعه هذا البيت ويظنه من باب المغالاة فى شغل القلب بالحب والذهول عن شأن المحب وعدم الالتفات الى ماسوى الفكرة فى المحبوب وليس كذلك بل الشك الذى تردد بين الثنتين والثمانية له سبب يختص بهما دون ماعداهما من الاعداد الممكنة وذلك انه كان يعلم من نفسه كثرة السهو بسبب اشتغال فكرته لغيبة لبه فكان يثنى أصابعه لعدد الركعات ثم انه مع ذلك يذهل فلا يدرى هل الاصابع التى ثناها هى التى صلاها أو الاصابع المفتوحة فاذا وجد أصبعين قد ثنيتا كان ذلك محتملا لان يكون قد صلى ركعتين بعددهما أو بعدد الاصابع المفتوحة وهى ثمانية وما أحسن قول القائل

أفرط نسيانى الى غاية * لم يدع النسيان لى حسا
فصرت مهما عرضت حاجة * مهمة ضمنتها طرسا
وصرت أنسى الطرس فى راحتى * وصرت أنسى أننى أنسى

وذكر اصحاب الخواص والتجارب أشياء تورث النسيان وقد نظمها الشيخ علم الدين السخاوى رحمه الله تعالى فقال

توق خصال الخوف نسيان ماضى * قراءة ألواح القبور قديمها
وأكل التفاح ان كان حامضا * وكسرة خضراء فيها سمومها

عمرين بدرة لا تأكل منها ولا تنفقها ولا تقدمها اذخر اليوم فاقتك فقال يا أبا معن والله ان ما تقول هو الحق ولكنى أخشى الفقر والحاجة الى الناس قلت وهم تزيد حال من اقتدر على حالك وأنت دائم الحرص والجمع والشح على نفسك لا تشترى اللحم الا من عيد الاعيد فترك جواب كلامى كله ثم قال والله لقد اشتريت فى يوم عاشوراء لحما وتوابله وما يتبعه باربعة دراهم فلما قال هذا القول أضحكنى وأذهلنى وعلمت انه ليس ممن شرح الله صدره للاسلام وتوفى سنة ثلاث عشرة ومائتين ببغداد وهو وابراهيم الموصلى وأبو عمرو الشيبانى فى يوم واحد وقيل

كذا المشى ما بين القطار وحمل الشقفا ومنها الهشيم وهو عظيمها
ومن ذا بول المرء فى الماء راكدا * كذلك نبذ القمل حين تميطها
ولا تنظر المصلوب والماء راكدا * وأكلك سؤر الغار وهو تميمها

قال حماد بن الزبرقان حفظت ما لم يحفظه أحد ونسيت ما لم ينسه أحد كنت لا أحفظ القرآن فانفت أن أجىء من يعلمنى فحفظته من المصحف فى شهر واحد ثم قبضت يوما على لحيتى لأقص ما فضل عن قبضتى فنسيت وقصصت من أعلاها ما فوق قبضتى فاحتجت ان أجلس فى البيت سنة الى أن استوت وقد روى هذه الواقعة الخطيب فى تاريخه أنها وقعت لأبى المنذر هشام بن الكلبى النسابة فقال قال كان لى عم يعاتبنى على حفظ القرآن فدخلت بيتا وحلفت لا أخرج منه حتى أحفظ القرآن فحفظته فى ثلاثة أيام ونظرت يوما فى المرآة الحكاية ذكر ذلك ابن خلكان فى وفيات الاعيان ونقلت من خط مجير الدين محمد بن تميم فى مليح ينسى كثيرا

يروحى الذى نسيانه صار عادة * وأفرط حتى كاد يعدمه الحسا
فلو أنه بالهجر أضنى مهددى * لما ساءنى علما انه ينسى

وعلى ذكر قص اللحية فقد ذكرت الحكاية المشهورة عن بعض المغفلين قال نظر بعضهم فى كتاب الفراسة فوجد أن من كان طويلا صغير الرأس طويل اللحية فانه يكون قليل العقل فاخذ المرآة وقال أما رأسى فصغير ولا حيلة لى فى كبره وأما قدى فطويل ولا حيلة لى فى قصره وأما اللحية فيمكن تقصيرها فقبض على لحيته وقرب السراج الى فضل ما زاد عن قبضته ليحرق ذلك فلما وصلت النار الى يده نزعها من لحيته هربا من النار فأتت النار على لحيته جميعها وعاد نكالا فكتب على ذلك الكلام باب صحيح مجرب وقال المأمون ما طالت لحية رجل الا وقد تكوسج عقله (رجع) والفاعل لترجو ضمير مستتر فيه تقديره أنت و(البقاء) منصوب على انه مفعول به لترجو (بدار) جار ومجرور والباء هنا ظرفية معناه البقاء فى دار (لا) هذه هى لا التى لنفى الجنس وقد تقدم الكلام عليها فى قوله فلا صديق البيت (ثبات) مبنى على الفتح لانه اسم لا (لها) جار ومجرور متعلق بالخبر المحذوف وتقديره لا ثبات موجود لها والضمير يعود الى الدار (فهل) الفاء للتعقيب وهل حرف استفهام (سمعت) فعل ماض والتاء ضمير الفاعل وهو المخاطب (بظل) الباء للتعدية وهى متعلقة بسمعت (١ غير) صفة لظل فهو مجرور لذلك فان قلت غير مضاف والمضاف معرفة وظل نكرة فكيف توصف النكرة بالمعرفة قلت غير لا تتعرف بالاضافة لانها وضعت مبهمة وقد تقدم الكلام على مثل هذا (منتقل) مجرور بالاضافة الى غير (المعنى) أترجو الخلود والبقاء بدار هى فى نفسها لا بقاء لها وهى أشبه شئ بالظل فى كونها وفسادها بينا هى كائنة اذا هى فاسدة تفصيلا فى الحوادث الكائنة وجملة بخراب هذه الدار وحصول القيامة وأخذ يضرب له مثلا فى الخارج فقال له مستفهما فهل سمعت بظل غير منتقل وهذا الزام له لانه يضطره الى ان يقول لا ما رأيت لان الظل مستفاد من حركة الشمس وهذه الحركة لا وقفة لها فالظل فى انتقال أبدا منتسخ لا يستقر على حالة بين طول وقصر واخذ فى التنقل قال الله تعالى ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا فهو اما ان يريد بالدار كناية عن حياة كل فرد من أفراد هذا النوع واما أن يريد به فناء هذا العالم وايا ما كان فلا ثبات له ولا بقاء فالخلود متعذر

له عند موته أى شئ تشتهى
قال ان يأتى مخارق ويضع فيه
على أذنى ويغنينى قولى
ستعرض عن ذكرى وتنسى
مودتى
ويحدث بعدى للخليل خليل
اذا ما انقضت عنى من الدهر
مدتى
فان غناء الباكيات قليل
ومن محاسن شعره قوله
جزى الجعيل على صالحة
عنى لخفته على فكرى
ما فاتنى خير امرئ حملت
منى يداه مؤنة الشكر
(وقوله)
حذيرى من الانسان لان
جفوته
صفا لى ولان كنت طوع يديه
وانى لمحتاج الى ظل صاحب
يروق ويصفو ان كدرت عليه

(١) قوله فان قلت الخ غير هنا مضافة الى نكرة فلا يرد هذا السؤال

واذا رجوت المستحيل فانما * تبني الرجاء على شفير هار

وأما خراب هذه الدار فقد نطق القرآن الكريم به في عدة مواضع من ذلك قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات الآية وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال تبدل الارض غير الارض فيبسطها ويمدها مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا أمتا وقال ابن عباس رضي الله عنهما هي تلك الارض الا أنها تغيرت في صفاتها فتسير عن الارض جبالها وتفجر أنهارها وتستوي فلا ترى فيها عوجا ولا أمتا وقال ابن مسعود تبدل بارض كالفضة البيضاء النقية لم يسفك فيها دم ولم تعمل عليها خطيئة قال الامام فخر الدين رحمه الله اعلم ان التبديل يحتمل وجهين أحدهما ان تكون الارض باقية وتبدل صفتها بصفة أخرى والثاني أن تفني الذات وتحدث ذات ثانية والدليل على أن اطلاق لفظ التبديل لارادة التغيير في الصفة جائز أنه يقال بدلت الحلقة خاتما اذا أنت سويتها خاتما فنقلتها من شكل الى شكل ومنه قوله تعالى فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات ويقال بدلت قميصي جبة أي نقلت العين من صفة الى صفة أخرى ويقال تبدل زيد اذا تغيرت أحواله أما ذكر التبديل عند وقوع المبدل في الذات فكقولك بدلت الدراهم دنانير ومنه قوله تعالى بدلناهم جلودا غيرها وقوله تعالى وبدلناهم بجنتيهم جنتين فاذا عرفت ان اللفظ محتمل لكل واحد من هذين المفهومين ففي الآية قولان الاول المراد تبديل الصفة لا تبديل الذات وذكر قول ابن عباس ورواية ابي هريرة رضي الله عنهم وقوله والسموات اي وتبدل السموات بانتثار كواكبها وانفطارها وتكوير شمسها وخسوف قمرها وكورها فتارة تكون كالمهل وتارة كالدهان القول الثاني ان المراد تبديل الذات وذكر قول ابن مسعود رضي الله عنه فهذا شرح هذين القولين ومن الناس من رجح القول الاول قال لان قوله يوم تبدل الارض غير الارض المراد هذه الارض فالتبديل صفة مضافة اليها وعند حصول الصفة يكون الموصوف موجودا فلما كان الموصوف بالتبديل هو هذه الارض وجب كون الارض باقية عند حصول ذلك التبديل ولا يمكن ان تكون هذه الارض باقية وذلك لأن التبدل مع صفاتها وجب ان يكون الباقي هو الذات لان هذه الآية تقتضي كون الذات باقية والقائلون بهذا القول هم الذين يقولون عند قيام القيامة لا يعدم الله الذات والاجسام وانما يعدل الصفات وأحوالها والله اعلم بمراده واعلم انه لا يبعد أن يقال ان المراد من تبديل الارض والسموات هو أن الله سبحانه وتعالى يجعل الارض جهنم ويجعل السموات الجنة والدليل عليه قوله تعالى كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وقوله تعالى كلا ان كتاب الفجار لفي سجين والله أعلم اه كلام الامام رحمه الله تعالى قلت اذا تركنا وظاهر الآية دلنا على ان الارض تبدل باخرى غيرها في ذاتها لانه قال غير الارض كما قال تعالى بدلناهم جلودا غيرها ومن المعلوم أن الجلود تبلى وتفنى بالاحراق والعذاب فلو قال تعالى تبدل الارض وسكت لجاز أن يكون المراد ان صفتها تبدل وقد علل الشيخ علاء الدين بن النفيس رحمه الله تعالى في رسالته التي سماها برسالة ماذكره فاضل بن ناطق عن الرجل المسمى بكامل عارض بها رسالة حي بن يقظان التي للرئيس ابن سينا فذكر سبب خراب هذه الدار وفساد هذا العالم وظهور الآيات التي جاءت في السنة في آخر الرسالة فقال ما معناه ملخصا واذا قد ثبت ان ميل الشمس الى الشمال والجنوب يتناقص دائما فاذا بطل هذا الميل او قرب منه صارت

الشمس

كأن المأمون رحمه الله تعالى يقول خذوا مني الخلافة وأعطوني هذا الصاحب وقوله

ان المطايا تشتكيك لانها قطعت اليك سباسبا ورمالا

فاذا وردن بنا وردن مخفة واذا صدرن بنا صدرن ثقالا

(وقوله)

كأنك عند الكر في الحرب انما تفر من الصف الذي من ورائكا

فما آفة الابطال غيرك في الوغى وما آفة الاموال غير حياتكا

(وقوله)

بكيتك يا علي بدمع عيني فلم يغن البكاء عليك شيا

وكانت في حياتك لي عظات وأنت اليوم أوعظ منك حيا

(وقوله)

لا تأمن الموت في طرف ولا نفس وان تستترت بالاقفال والحرس

الشمس دائمة المسامتة لخط الاستواء أو ما يقرب منه فلذلك تحدث حرارة شديدة جدا ويحدث في البقاع التي لها عرض بعيد برد مفرط فتفسد الازجة وتضعف القلوب ويكثر موت الفجأة وتسوء الاخلاق فتفسد المعاملات وتكثر الشرور والمخاصمات وتكثر الحروب والفتن ويتقدم الاشرار وتفسد الاذهان ويفسادها تبعدا الناس عن قبول العلوم والحكمة فلذلك يقبض العلم ثم اذا بطل ميل الشمس جدا اشتد الحر في البقاع القريبة من خط الاستواء وكثرة النيران واللهيب خاصة في البلاد الغورية والكبريتية فلذلك تحدث نار بارض اليمن وتمتد حتى تعم الارض التي عند خط الاستواء فحينئذ تكثر الادخنة وتتولد الصواعق والبروق الهائلة والرياح الرديئة ويظلم الجو ويكدر ويلزم من ارتفاع ذلك عن ارض خط الاستواء وما يقرب منه ان يقل جرم الارض هناك ويثقل ما يقابل القطبين من الارض فلا جرم يلزم من ذلك سقوط الجبال ويقل الماء جدا لاجل سيلانه الى قرب خط الاستواء بسبب الخسف ثم يبخره بقوة الحرارة التي هناك فيجف كثير من البحار ولذلك تقل مياه الارض جدا لكثرة ما يتصاعد منها متدخنا فلذلك تظهر الكنوز وما يكون في باطن الارض واذا دام فقدان ميل الشمس مدة افرط الخروج عن الاعتدال حتى افسد الازجة الحيوانية والنباتية وكان من ذلك القيامة انتهى والايات في خراب هذا العالم كثيرة منها قوله تعالى يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب الآية وقوله تعالى يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا وقوله تعالى فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان وقوله تعالى يوم تكون السماء كالمهل الآية وقوله تعالى اذا الشمس كورت الآيات وقوله تعالى اذا السماء انشقت الآيات وقوله تعالى اذا السماء انفطرت الآيات وأما ذم هذا الدار الفانية فقال رضي الله عنه الدنيا دار ممر والآخرة دار مقر والناس فيها رجلان رجل باع نفسه فأوبقها ورجل ابتاع نفسه فاعتقها وقال الشعبي سمعت الحجاج يتكلم بكلام ما سبقه اليه أحد سمعته يقول أما بعد فان الله تعالى كتب على الدنيا الفناء وكتب على الآخرة البقاء فلا بقاء لما كتب عليه الفناء ولا فناء لما كتب عليه البقاء فلا يغرنكم شاهد الدنيا من غائب الآخرة وقاهر واطول الامل بقصر الاجل وقال الحسن البصري رضي الله عنه ان امرأ ليس بينه وبين آدم أب حي لمعرق في الموت ومن الكلم النوابغ كل حي يحتضر فطوبى لمن يختضر قلت الثانية بالخاء المعجمة أي يموت شابا على خضرة ورقة ومنها الليالي ما خلدن لذا تك أفتخالهن مخلدات وأخبرني سماعا من لفظه الشيخ الامام الحافظ أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف الغرناطي الاندلسي بالقاهرة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة قراءة من كتابه أخبرنا الخطيب المقرئ النحوي أبو الحجاج يوسف ابن ابراهيم بن يوسف بن سعيد بن أبي ريحانة الاندلسي الانصاري في كتابه الى من مالقة سنة اثنتين وسبعين وستمائة وفيها توفي رحمه الله عن أبي عبد الله محمد بن أحمد بن اليتيم أخبرنا أبو الفضل معن بن عبد الرزاق السجزي الشيخ بمقبرة سر من رأى قراءة عليه أخبرنا عن أبي الحسين المبارك بن عبد الجبار عن أبي الفتح هلال بن محمد البغدادي عن محمد بن أبي القاسم عن اسمعيل بن اسحق عن نضر بن علي عن الاصمعي عن أبي عمرو عن عيسى بن عمر عن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الدنيا دار بلاء ومنزل قلعة وعناء قد نزعت عنها نفوس السعداء وانتزعت بالكره من أيدي الاشقياء وأسعد الناس أرغبهم عنها

ترجو النجاة ولم تسلك طريقتها
ان السفينة لا تجرى على اليبس

(وقوله)

الا انما كلنا باثد
وكل الى ربه عائد
فيا عجبا كيف يعصى الاله
أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شئ له آية
تدل على انه واحد

(وقوله)

ما أن يطيب لذى الرعاية
للاثام لاعب ولاه و
ان كان يطرق في مسرته
فيموت من أجزائه حزنا

كان ابن مخلد يقول ان هذين البيتين لروحانيان يطيران بين السماء والارض وقوله أيضا

الناس في غفلاتهم
ورحى المنية تطحن

وأشقاهم بها أرغبهم فيها فهي الغاشة لمن انتعشها والمغوية لمن أطاعها والخاترة لمن انقادلها والفائز من أعرض عنها والهالك من هوى فيها طوبى لعبد اتقى فيها ربه ونصح نفسه وقدم توبته وأخر شهوته من قبل ان تلفظه الدنيا الى الآخرة فيصبح في بطن موحشة غبراء مدلهمة ظلماء لا يستطيع ان يزيد في حسنه ولا ينقص من سيئه ثم ينشر فيحشر اما الى جنة يدوم نعيمها أو نار لا ينفك عذابها انتهى قلت فاذا كانت هذه الدار بهذه الصفات التي أخبر بها الصادق الامين ورأينا ذلك أكثره مشاهدا فأي رجاء يؤمله الانسان فيها وأي أمنية ينال منها وهذا ما لا شها وهذه غايتها وأما أيام مدتها فكما قال أبو العتاهية

تأتي المكاره حين تأتي جملة * وترى السرور يجيء في الفلتات

ويعجبني قول أبي الطيب المتنبي ونقله المعنى من عتاب محبوبه الى عتاب الدهر وهو

أي يوم سررتني بوصال * لم ترعني ثلاثة بصدود

وهذا البيت ظاهره بين الانسجام لفظه وانصبابه في السمع وتعلقه بالقلب وباطنه مشكل لعدم تعلق الجملة الثانية بالاولى وقد تكلم عليه الشريف بن الشجري في أماليه في أول المجلس الثاني عشر وأجاد الكلام فيه فليؤخذ من هناك (رجع) ولله در التهامي حيث يقول

حكم المنية في البرية جاري * ما هذه الدنيا بدار قرار
بينا يرى الانسان فيها مخبرا * حتى يرى خبرا من الاخبار
طبعت على كدر وأنت تريدها * صفوا من الاقذاء والاقذار
ومكلف الايام ضد طباعها * متطلب في الماء جذوة نار
واذا رجوت المستحيل فانما * تبني الرجاء على شفير هار
فالعيش نوم والمنية يقظة * والمرء بينهما خيال سار

وذكرت بقوله بينا يرى الانسان فيها مخبرا البيت ما رثى به عبد الرحمن بن اسمعيل العروضي ابن يونس صاحب تاريخ مصر وهو

أبا سعيد وما يألوك ان نشرت * عنك الدواوين تصديقا وتصويبا
ما زلت تلهج بالتاريخ تكتبه * حتى رأيناك في التاريخ مكتوبا
أرخت موتك في ذكري وفي صحفي * لمن يؤرخني ان كنت محسوبا

ومما نقلته من خط الوراق في رثاء الجزار

بلغت أبا الحسين مدى اليه * لمسبوق ومستبق رهان
وكنت وطالما قد كنت أيضا * تقول على الاولى سبقوك كانوا

وأخذ بعض المغاربة فقال

يا ويح اجسام الأنا * م لما تطيق من الاذى
خلقت لتبقى للقذى * وتفاوها ذاك القذى

وقال آخر

كأن بني الايام وفدان كلما * ترحل وفد جاءنا بعده وفد
فكل يحث السير عنها ونحوها * يسير بذا نعش ويأتي بذا مهد

وقال محمد بن كناسة الاسدي

(وقوله) اذا المرء لم يعتق من المال رقه تملكه المال الذي هو مالكه ألا انما مالي الذي أنا منفق وليس لي المال الذي أنا تاركه اذا كنت ذا مال فبادر به الذي يحق ولا تستهلكنه هو والكه

(وقوله) أكل يوم طول الزمان الزمان اذا حثثتك في حاجة تقول غدا لاجعل الله لي اليك ولا عندك ما عشت حاجة أبدا

وقوله في الشعر الذي ذكر بسببه يخاطب سلم الخاسر حيث يقول فيه تعالى الله يا سلم بن عمرو أذل الحرص أعناق الرجال هب الدنيا تساق اليك عفوا أليس مصير ذاك الى الزوال

ومن عجب الدنيا تيقنك البلى * وانك فيها للبقاء مريد
اذا اعتادت النفس الرضاع من الهوى * فان فطام النفس عنه شديد

وقال أبو العرب الصقلي

أرى الدنيا الدنية لا تواتي * فعالج في التصرف والطلاب
ولا يغرك منها حسن برد * لدعلمان من ذهب الذهاب
فأولها رجاء من سراب * وآخرها رداء من تراب

وقال أبو العلاء المعري

وحب الفتى طول الحياة يذله * وان كان فيه نخوة وغرام
وكل يريد العيش والعيش حتفه * ويستعذب اللذات وهي سهام

وقال آخر

حتام اصرف نفسي عن مراشدها * واتعب القلب بين اليأس والامل
ما مدة العمر الا منتهى نفس * يا قرب ما بين عيش المرء والاجل

وقال ابن خفاجة

وهل مهجة الانسان الا طريدة * يحوم عليها الحمام عقاب
تحث بها في كل يوم وليلة * مطايا الى دار البلى وركاب
الا ان جسما يستحيل لتربة * وان حياة تنتهي لخراب

وقال ابن نباتة السعدي

وغاية هذه الدنيا فساد * فكيف تكون منها في صلاح
هي الخرقاء تنقض بعد نسج * فما فيها لحي من فلاح
يؤول به الشباب الى مشيب * ويسلمه العدو الى الرواح
اما في أهلها رجل لبيب * يحس فيشتكي الم الجراح
ومن لبس التراب كمن علاه * فلا تغررك إنفاس الرياح

وقال ابن نباتة

أيسكن الناس وقد حاطهم * شبعة افلاك عليهم تدور
والدار في الاخرى دها اليزها * في هذه الدنيا لحود القبور

وقال أبو الطيب

نعد المشرفية والعوالي * وتقتلنا المنون بلا قتال
ونرتبط السوابق مقربات * وما ينجين من خبب الليالي
يدفن بعضنا بعضا ويمشي * أواخرنا على هام الاوالي
ومن لم يعشق الدنيا قديما * ولكن لا سبيل الى الوصال
نصيبك في حياتك من حبيب * نصيبك في منامك من خيال

قلت يريد بالاوالي الاوائل وهو كثير في كلامهم قال امرؤ القيس

وامنع عرسي ان يزن بها الخالي أي الخائل

وقوله ولكن لا سبيل الى الوصال فيه محذوف فانه حذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه

(ما كان أخلقك بأن تقدر بذرعك وتربع بذلك على ظلعك)

ما أخلقك أي ما أولاك يقال فلان خليق بكذا أي كأنه مخلوق فيه مجبول عليه وتقدر بذرعك أي تقيس الامر بجهدك قبل أن تفعله والذرع الجهد ومن ضاق فلان ذرعا وأصل الزرع بسط اليد كأنه جهد في بسطها وتربع على ظلعك مثل للعرب يضرب لمن يكلف نفسه ما لا يقدر عليه والظلع في البعير العمز في مشيه ويستعار لغيره وربع اذا أقام فالمعنى أقم على ضعفك وارفق بنفسك وقال آخر قولهم أربع الى ظلعك أي على قدر قدرتك ويقولون أيضا ارفق على

تقديره ولكن لاسبيل الى دوام الوصال والمعنى عليه لان الوصال حصل ولكن دوام الوصال لاسبيل اليه قوله ويمشي أواخر نا البيت أخذه مهيار الديلمي فقال

رويدا باخفاف المطى فانما * تداس جباه في الثرى وخدود

وأخذه أبو العلاء المعري قبله فقال

خفف الوطء ما أظن اديم الا * رض الا من هذه الاجساد

وما أكثر حكمة قول المعري من هذه القصيدة

تعب كله الحياة فما أعـ * ـجب الا من راغب في ازدياد

واللبيب الاريب من ليس يغـ * ـتر بكون مصيره للفساد

وقال في خراب هذا العالم

زحل أشرف الكواكب دارا * من لقاه الردى على ميعاد

والثريا رهينة بافتراق الـ * ـشمل حتى تعد بالافراد

وهذا قول بفناء هذا العالم وخرابه ثم انه خالف هذا الرأي فقال

راح من راح والثريا الثريا * والسماك السماك والغفر غفر

ونجوم السماء تعجب منا * كيف تبقى من بعدنا وتمر

وأخبرني الشيخ الامام الحافظ فتح الدين محمد بن سيد الناس اليعمري قال سمعت الشيخ العلامة تقي الدين بن دقيق العيد رحمه الله تعالى يقول في أبي العلاء المعري انه كان في حيرة انتهى قلت يعني من العقيدة ولعمري هذا الذي يظهر لذوي الالباب من كلامه بيناه وبرى رأي النبوات اذا هو برى رأي الحكماء ومن تتبع كلامه وجد هذا التناقض فيه وأما هذان البيتان فيمكن أن يفهم منهما عدم المغايرة للاولين لان قوله راح من راح لا يدل على ان هذه الكواكب باقية لا تفنى وانما يفهم منه انها أطول اعمارا منا فلها أمد أطول وغاية هي ابعد من غاية الانسان وقال بعض الاعراب

وكل مفارقه اخوه * لعمر أبيك الا الفرقدان

وهذا أيضا يمكن له التأويل ويرد الى القول بخراب هذا العالم وقال بعض الناس الاهنا بمعنى حتى وليس بشئ وسألت الشيخ الامام العلامة اثير الدين أبا حيان عن ذلك فقال هذا شئ لم أقف عليه في كلام العرب وقال ابن سناء الملك

بقيت ويبلى الزمان الجديد * وتبا لمذهب أهل القدم

فلابد من أن تمور السماء * ويزوى بها كل نجم نجم

فليس السماء كما قد رأيـ * ـت بالشهب الا ديماحلم

قلت ذهب الحكماء الى القول بقدم أربعة أشياء وهي الزمان والمكان والهيولى والصورة وقال أفلاطون بقدم النفس حتى جاء رسطاطاليس فبرهن على حدوثها وخالف أفلاطون وقال هو صديقي والحق أصدق لي منه وتبعوا على هذه المقالة أن العالم باق ببقاء واجب الوجود لا يتغير نظامه ولا يبلى ولا يحول ولا يزول وهي من المسائل التي كفروا بها والصحيح ماذهب اليه المتكلمون فانهم استدلوا على حدوث العالم بمجموعه وبرهنوا دعواهم وقرروا الابحاث في ذلك مع خصومهم وليس هذا مكان شئ من تلك البراهين لما فيها من تقدير

ظلمك لان الراقي في جبل أوسلم اذا كان ظالما يرقى بنفسه وقال آخر قولهم أرقى على ظلمك أي احمل الحجر على قدر جهدك فان الحجر يسمى ربيعة وهو قول متعمق * (ولا تكن براقش الدالة على أهلها) * هذا مثل يضرب لمن يعمل عملا يرجع ضرره عليه واختلفت الاقوال فيه فقال قوم وهم الاكثر براقش اسم كلبة نبحت قوما قصدوا الغارة على قوم فخفي عليهم مكانهم فلما نبحت الكلبة عرفوهم فاجتاحوهم فقالت العرب اشأم من براقش وعلى أهلها تجني براقش وقال أبو عمرو ابن العلاء براقش امرأة كانت لبعض الملوك فسافر الملك

المقدمات التى تنتج لنا المطلوب على ذلك فليؤخذ ذلك من كتب الكلام وقال الخباز البلدى أو غيره

قلت للفرقدين والليل ملق * فضل أذياله على الآفاق
أبقيا ما بقيتما فسيرمى * بين شخصيكما بسهم الفراق

وقال ابن سناء الملك

آثرت دهرى ان تبقى به أبدا * فكان ايثار دهرى غير ايثارى
والمرء بالدهر لا ينفك منكسرا * قهرا وغير عجيب كسر فخار

وقال من أبيات

تزخرف منها وجهها وهى جنة * ويخضر منها نضرة فهو سندس
صليتى وهذا الحسن باق فربما * يعزل بيت الحسن منه ويكنس

ولما وقف القاضى الفاضل رحمه الله تعالى على هذه القصيدة التى منها هذه الابيات كتب الى ابن سناء الملك من جملة فصل وما قلت هذه الغاية الا وتعلمنى انها البداية ولا قلت هذا البيت انه القصيدة الا تلا ما بعده وما نريهم من آية أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون ولا عيب فى هذه المحاسن الا قصور الافهام وتقصير الانام والا فقد لهج الناس بما تحتها ودونوا ما دونها وشغلوا التصانيف والخواطر والاقلام بما لا يقاربها وسارت الاشعار وطالت بما لا يبلغ مداها ولا نصيفه والقصيدة فائقة فى حسنها بديعة فى فنها وقد ذلت السين فيها وانقادت فلو أنها الراء لما زادت وبيت يعزل ويكنس أردت ان أكنسه من القصيدة فان لفظة الكنس غير لائقة بمكانها فأجاب ابن سناء الملك قائلا وعلم المملوك ما نبه عليه مولانا من البيت الذى أراد أن يكنسه من القصيدة وقد كان المملوك مشغوفا بهذا البيت مستحليا له متعجبا منه معتقدا انه قد ملح فيه وان قافية بيته أميرة ذلك الشعر وسيدة قوافيه ومنا أوقعه فى الكنس الا ابن المعتز فى قوله

وقوامى مثل القناة من الخط * وجدى من لحيتى مكنوس

والمولى يعلم ان المملوك لم يزل يجرى خلف هذا الرجل ويتعثر ويطلب مطالبه فتتعسر عليه وتتعذر ولا آنس ناره الا ما وجد عليها هدى ولا مال المملوك الا الى طريق من ميله اليه طبعه ولا سار قلبه الا الى من دله عليه سمعه ورأى المملوك أبا عبادة فقد قال

ويا عاذلى فى عبرة قد سفحتها * لبين وأخرى قبلها للتجنب
تحاول منى شيمة غير شيمتى * وتطلب منى مذهبا غير مذهبى

وقال

وما زارنى الا وطئت صبابة * اليه والا قلت أهلا ومرحبا

فعلم المملوك ان هذه طريقة لا تسلك وعقيلة لا تملك وغاية لا تدرك ووجد أبا تمام قد قال

سلم على الربيع من سلمى بذى سلم

وقد قال

خشنت عليه أخت بنى خشين

فاشمأز من هذا النمط طبعه واقشعر منه فهمه ونبا عنه ذوقه وكاد سمعه يتبرعه ولا يكاد يسيغه ووجد هذا المبدع السيد عبد الله بن المعتز قد قال

وقفت فى الروض أبكى فقد مشبهه * حتى بكت بدموعى أعين الزهر
لو لم أعرها دموع العين تسفحها * لرجتى لاستعارتها من المطر

وقد قال

قد لك غصن لا شك فيه كما * وجهك شمس نهاره جسدك

واستخلفها وكان لهم موضع اذا فزعوا دخنوا فيه فاذا ابصره الجند اجتمعوا وان جواريها عبثن ليلة فدخن فجاء الجند فلما اجتمعوا قال لهم انصاحها ان رددتيهم ولم تستعملهم فى شئ ودخنت مرة أخرى لم يحضروا فامرت بهم فبنوا بناء دون دارها فلما جاء الملك سأل عن البناء فحدثوه بالقصة فقال على قومها تجنى براقش وحكى الشرفى عن لقمان حكاية أخرى فى هذا المعنى وهى تقارب هذه والاول أقرب الى المعنى

(وعنز السوء المستثيرة تجتفها)

هذا ايضا مثل يضرب لمن يعين على ضرر نفسه وأصله ان رجلا وجد عنزا فاراد ذبحها

فوجه المملوك طبعه الى هذا النمط مائلا وخاطره فى بعض الاحيان عليه سائلا فنسج على هذا الاسلوب وغلب عليه خاطره مع علمه انه المغلوب وحبك الشئ يعمى ويصم فقد اعماه حبه له واصمه الى ان نظم تلك اللفظة فى تلك الابيات تقليدا لابن المعتز فانه قالها وجعل اثقالها وهى تغفر لذلك فى جنب احسانه فاما المملوك فهى عورة ظهرت من لسانه فأجاب القاضى الفاضل رحمه الله ولاحجة فيما احتج به عن الكنس فى بيت ابن المعتز فانه غير معصوم من الغلط ولا يقلد الا فى الصواب فقط وقد علم ماذكره بن رشيق فى العمدة من تهافت طبعه وتباين وضعه فذكر من محاسنه مالا يعلق معه كتاب ومن باردة وغثه مالا يلبس عليه الثياب وقد تعصب القاضى السعيد على ابى تمام فنقصه من حظه والبحترى فأعطاه اكثر من حقه وما أنصفهما ولو كان هذا موضع العتب لاشتفى * فؤادى ولكن للعتاب مواضع انتهى قلت قد استعمل ابن سناء الملك رحمه الله تعالى هذه اللفظة فى غير هذا الموضع ولم يتعظ بنهى الفاضل ولا ارعوى ولا ازدجر عما قبحه لانه غلب عليه الهوى فقال

توسوس شعرى به مدة * ومابرح الحلى والوسوسه
وخلصنى من يدى عشقه * ظلام على خده حندسه
كنست فؤادى من عشقه * ومحبته كانت المكنسه

واما القاضى الفاضل فما أظنه خلا هذا الايراد من ضعف انتقاد وأحاشى ذلك الذهن الوقاد من هذا الاعتقال فى ورطة هذا الاعتقاد وما أراه الا أنه تعمد أن يعكس مراده وبوهى ماشاده ويوهن ماشيده ويرميه ببلاء البلاده اما على سبيل النكال أو النكاده لان الفاضل رحمه الله تعالى ممن يتوخى هذه الالفاظ ويقصدها وينشيها وينشدها ويورى زنادها ويوردها فمن كلام القاضى الفاضل فى بعض رسائله وما استطاعت أيديهم أن تقبض جمره ولا ألبابهم ان تسيغ خمره ولا سيوفهم ان تنكنس قممه ولا أعراضهم ان تأخذ لطيمه انتهى (رجع) واما قول الطغرائى فهل سمعت بظل غير منتقل فقد ذكرت به قول القائل

الكون عندى كالخيال حقيقة * فى شكله وعمومه وخصوصه
يبدى خيالا للشخوص تواطقا * والناطق الفعال غير شخوصه

وأحسن منه

رأيت خيال الظل أعجب منظرا * لمن هو فى علم الحقيقة راقى
شخوص وأشكال يزهره بعضا * لبعض بأصوات هناك دقاق
تمر وتمضى بابة بعد بابة * وتفنى جميعا والمحرق باقى

وظرف القائل فى قوله

ماترى فى الوجود غير شخيص * بذقين يهدى الى أن يموتا

وعلى ذكر الخيال فما أحسن قول الوجيه المناوى

اذا ماتغنت قلت سكرى صبابة * وان رقصت قلنا احتكام مدام
أرتنا خيال الظل والسير دونها * فأبدت خيال الشمس خلف غمام

وقلت أنا فى مليح مخايل

مخايل قد بدت عليه * مخايل البدر فى الكمال

فلم يجد سكينا فبينما هو كذلك اذ بحثت الشاة بظلفها فاستثارت سكينا فذبحها بها (فما أراك الا سقط بك العشاء على سرحان

مثل يضرب لمن أراد أمرا فوقع على حتفه وأصله ان دابة خرجت تطلب عشاء فوجدها ذئب فأكلها وقيل رجل أعشى العين وقع على ذئب فأكله وعلى هذه الرواية يكون العشاء مقصورا وقيل بل هو سرحان بن قعنب اليربوعى كان فاتكا رحى وادبا فورد وقوف الاسدى فقال أشهد لايمنعنى سرحان رعى ابلى الليلة فرعى فربه سرحان بن قعنب فقتله فقال أخوه يخاطب زوجة الاسدى ابلغ صبيحة أن راعى أهلها

تريك بياضا تنونا * تروق فى الحسن والجمال
فقد غدا وصله يقينا * أحسن ما كان فى الخيال

وقلت فيه أيضا

هويت خيالا ياحكى الغصن قده * اذا ما انثنى هاجت عليه البلابل
أراق دم العشاق سيف جفونه * ومن بعد ذا أضحى عليهم يخايل

*(وياخبيرا على الاسرار مطلعا * أصمت ففى الصمت منجاة من الزلل)*

(اللغة) السر الذى يكتم والجمع أسرار والسريرة مثل ذلك والجمع السرائر وقوله تعالى يوم تبلى السرائر معناه يوم تختبر سرائر القلب وهو ما أسره من العقيدة والنية وفى المثل مايوم حليمة بسر لان حليمة بنت الحرث بن أبى شمر الغسانى لما وجه أبوها جيشا الى المنذر بن ماء السما أخرجت لهم طيبا فطيبتهم فنسبوا اليها مطلعا فاعل من الاطلاع اصمت صمت يصمت صمتا وصموتا وصماتا وأصمت مثله والتصميت التسكيت والتصميت أيضا السكوت ورجل صميت أى سكيت والصمتة مثل السكتة منجاة نجوت من كذا نجاء ممدود ونجا مقصور والصدق منجاة وأنجيت غيرى ونجيته وقرئ بهما الزلل تقول زللت زلا وزليلا اذا زلت فى طين أو منطق قال الفراء زللت بالكسر تزل زللا والاسم الزلة والزليلى واستزله غيره وزلل النية والتصفيق يعنى انه نزل من موضع الى موضع لطلب الكلأ والنية الموضع الذى ينوون المسير اليه وزحلوقة زل قال الراجز

لمن زحلوقة زل * بها العينان تنهل

وكذلك زحلوقة زلل (الاعراب ويا خبيرا) الواو عاطفة على المنادى فى قوله ياوارد اسؤر عيش البيت وياحرف نداء وقد تقدم الكلام عليه هنا خبيرا اسم فاعل من خبرت الامر ونصب لانه نكرة غير مقصودة وتقدم الكلام على المنادى (على الاسرار) على حرف جر ومعناه هنا الاستعلاء معنى وهو متعلق بمطلع لان خبيرا لا يعدى بحرف جر بل يقال اطلعت على كذا والاسرار مجرور بعلى (مطلعا) صفة لخبيرا وقدم وأخر تقديره وياخبيرا مطلعا على الاسرار (أصمت) فعل أمر من صمت وقد تقدمت القاعدة فى الهمزة المجتلبة فى أول فعل الامر وعلة بنائه على السكون (ففى) الفاء هنا واقعة فى جواب الامر وفى حرف جر (الصمت) مجرور بفى والجار والمجرور فى محل الرفع لانه خبر مقدم (منجاة) اسم مصدر مثل مرضاة وهو مرفوع على انه مبتدأ والخبر تقدم فى الجار والمجرور (من الزلل) من لبيان الجنس وهو متعلق بمنجاة والزلل مجرور بمن (المعنى) ويا من خبر الامور واطلع على الاسرار اصمت ولا تبد شيأ مما خبرته واطلعت عليه فان صمتك منجاة لك من الزلل وهذا أمر يجب اتباعه على كل من طلب السلامة فقد يترتب على افشاء السر مفاسد كثيرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسر الى أخيه سرا لم يحل له ان يفشيه عليه وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه من كتم سره كان الخيار بيده ومن عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء الظن به وقال أكثم بن صيفى ان سرك من دمك فانظر أين تريقه وقال عمرو بن العاص ما استودعت رجلا سرا فافشاه فلمته لانى كنت به أضيق صدرا حيث استودعته اياه وأخذه الشاعر فقال

اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه * فصدر الذى يستودع السر أضيق

سقط العشاء به على سرحان
سقط العشاء به على مستمر
لم يدن من خوف من الحدثان
(وبك لا بظبى أعفر)
هو مثل يضرب للشماتة بالرجل يقول نزل به المكروه ولا نزل بظبى تريد ان عنا بى بالظبى أشد من عنا بى به والأعفر الذى لونه لون التراب وهو الغفر وكذلك غزلان السهل وكأنه خص الظبى بالداء لان العشار والكسر سريعان اليه وقيل لانه متى أصابه داء مات سريعا والمثل للفرزدق منظوم من أبيات يتعلق بها حكاية وذلك ان الفرزدق كان قد هجا بنى نهشل بابيات منها

لعمرى لقد قل النهى فى عديدكم
نهشل ما لؤمكم بقليل

وقال آخر اذا ماضاق صدرك من حديث * فأفشته الرجال فمن تلوم
اذا عاتبت من أفشى حديثى * وسرى عنده فأنا الظلوم

وقال بعضهم المرء ما كتمته فى نفسك فاذا أسررته الى غيرك فليس بسر وما أحسن ما أنشدنى الشيخ الامام العلامة أثير الدين أبو حيان لابى حفص عمر بن محمد النجاتى البجلى اللغوى قوله

سرك ان أودعته ثانيا * فاعلم بان قد آن أن تفشيه
لان ما أضمر فى حالة الا فراد تستخرجه التثنيه

معناه اذا قلت قام الزيدان فان الفعل هنا لم يتحمل ضميرا لتثنية لما كان فى حالة الافراد فاذا قلت وقعدا احتجت الى أن تظهر ضميرا يعود على الاثنين لانك تذكر الفعل للاثنين ففى حالة الافراد لم يظهر وفى حالة التثنية ظهر وجاء رجل الى القاضى شريح فكلمه بشئ وأخفاه فلما خرج قال له رجل يا أبا أمية ما قال لك قال يا ابن أخى أومأ رأيته ستره عنك وقال عبد الله ابن أبى زكريا الخزاعى فقيه دمشق وأحد الاعلام وكان يعدل بعمر بن عبد العزيز ما علمت شيأ من العبادة أشد من السكوت قيل انه كان لا يتكلم الا اذا سئل وكان من أكثر الناس تبسما وكان عمر بن عبد العزيز يجلسه معه على السرير وأسر رجل الى آخر حديثا فلما فرغ قال له أحفظت قال بل نسيت ومن كلام ابن المعتز رحمه الله تعالى افرح بعالم تنطق به من الخطا فرحك بعالم تسكت عنه من الصواب ومنه أيضا كلما كثرت خزان الاسرار ازدادت ضياعا ومن كلام الحكمة اكتم مذهبك كما تكتم ذهبك ومنها مقتل الرجل بين فكيه وقال ابن المحلى العنبرى الطبيب

من لزم الصمت اكتسى هيبة * تخفى عن الناس مساويه
لسان من يعقل فى قلبه * وقلب من يجهل فى فيه

ومن الكلم النوابغ رب كلام أوردك مورد القتال أوردك عن مورد القذال ومنها يا ابنى ق فاك ما يقرع قفاك ق فعل أمر من الوقاية ماضيه وقى ومضارعه يقى ومنها ان لم تملك فضل لسانك ملكت الشيطان فضل عنانك ومنها ملاك حسن السمت ايثار الصمت وقال بعض النساك أسكتنى كلمة ابن مسعود عشرين سنة وهى من كان كلامه لا يوافق فعله فانما يوبخ نفسه وسمع بقراط رجلا يكثر كلامه فقال له ياهذا ان البارى عز وجل جعل للانسان لسانا واحدا وأذنين ليكون ما يسمع أكثر مما يقول ومن كلام القاضى الفاضل رحمه الله تعالى وأمت الاسرار فى قلبك والحد موتاها فى جنبك فقبيح بك ان لا يرى لك سر الا عند ربك وقال أبو العلاء المعرى

فظن بسائر الاخوان شرا * ولا تأمن على سر فؤادا

وقال آخر

ابخل بسرك لا تبح يوما به * فصغيره يأتى بكل عظيم
أوما ترى سر الزناد اذا فشا * يأتى وشيكا ساقطه بحريق

وقال مؤيد الدين الطغرائى

ولا تستودعن السر الا * فؤادك فهو موضعه الامين
اذا حفاظ سرك زيد فيهم * فذاك السر أضيع ما يكون

وما أحسن قول ابن حماتى من قصيدة

ثم خرج سادات بنى تميم وفيهم الحتات بن هاشم عم الفرزدق الى معاوية فوصلهم وترك حتا تا فعاتبه فقال معاوية انى اشتريت من القوم دينهم ووفرت عليك دينك قال فاشترى منى دينى أيضا فالحقه بهم فى الصلة فاقام ينتجزها فطعن فمات فرجع معاوية فيما أعطاه فحينئذ قال الفرزدق وهو اذ ذاك بالبصرة

أبوك وعمى يا معاوى أورثا
ترات فأولى بالتراث أقاربه
فما بال ميراث الحتات أكلته
وميراث حرب جامد لك داثبه
وكم من أب لى يا معاوى لم يكن
أبوك الذى من عبد شمس يقاربه
فوجد المهلبيون سبيلا

وضاق على العين حتى كانني * حللت به للضيق في صدر محنق
فالتني كالدمع في جفن عاشق * فاخرج أو كالسر في صدر أحمق

وما أحسن ما اعتذر به التهامي عن اظهار سره بقوله

قد بحت وجدا فلامتني فقلت لها * لا تعذليه فلم يلؤم ولم يلم
لما صفا قلبه شفت سريرته * والشئ في كل صاف غيره كتم

وسمعت امرأة عاشقها وهو ينشد

سري وسرك لم يشعر به أحد * الا الاله والا أنت ثم أنا

فقالت له لا تنس القوادة فانه لابد أن تدري بسرنا وحكى الماوردي ان عبد الله بن طاهر تذاكر الناس في مجلسه حفظ السر فقال

ومستودعي سرا تضمنت سره * فاودعته من مستقر الحشا قبرا

فقال ابنه عبد الله وهو صبي

وما السر في قلبي كناو بحفرة * لاني أرى المدفون ينتظر النشرا
ولكنني اخفيه حتى كانني * من الدهر يوما ما أحطت به خبرا

وقال أبو الحسين جعفر بن عثمان المصحفي الاندلسي صاحب الحكم

ياذا الذي أودعني سره * لا ترج أن تسمعه مني
لم أجره بعدك في خاطري * كأنه ما مر في اذني

وكنت قد أهديت الى المولى جمال الدين محمد بن نباتة من رحبة مالك بن طوق حمل سمك فراقني وسألته كتمان ذلك لمصلحة آثرتها وكتبت مع ذلك

أهديته سمكا يصطاد ودك لي * فليس ذا سمكا الا كنفسك
لا تنكر التمر اذ يهدى الى هجر * فأنت بحر وقد أهدى لك السمك

فكتب الجواب عن ذلك ومنه فأهاله رفد لم يكن فيه عيب غير السرف وجود لو تمكن المملوك منه لوصل فيه القول ووصف ولكن أشار مولانا الى مصلحة كتمه وجرى في امتثال الاشارة على رسمه وخشي أن يجري له في هذه المطالعة ذكر ايحكمه ويا خذ من أقصته اللؤلؤية معنى يثره أو ينظمه فيتوهم مولانا ان المملوك يشيع أمره طلبا لاشاعة كلامه واذاعة نثاره ونظامه فسكت والاقوال تعتلج وصمت والفاظ الآثار تكاد في مسامع الاعين تلج ومنه على ان المملوك ان سكت مقاله فقد تكلمت مقلاته وجاش غليانها بشكر ما هبت به منن مولانا وهباته وليست والله كما قال بعض العرب مقلاة نزور ولكن ذات نتاج تعاود منها القرى وتزور

هبات عن البحر الفرات تحدثت * فقد عظمت عن قولي المتغالي
وقد أفصحت عندي المقالي بشكرها * فلم تخل عندي من ثناء مقالي

انتهى وأما الجاحظ فلم ير الصمت مذهبا لانه قال كيف يكون الصمت أنفع من الكلام ونفعه لا يكاد يجاوز صاحبه ونفع الكلام يخص ويعم والرواة لم تر وسكوت الصامتين كما روت كلام الناطقين وبالكلام أرسل الله أنبياءه ومواضع الكلام المحمودة كثيرة وبطول الصمت يفسد البيان وقال أبو تمام الطائي تذاكرنا في مجلس سعيد بن عبد العزيز الكلام وفضله

فسعوا به الى زياد وقالوا هيجا أمير المؤمنين فقال زياد اعرف بني تميم أحضر قومك والفرزدق فيهم ليأخذوا عطاءهم فأحسن الفرزدق بالشر فهرب وما زال يطوف حتى أتى المدينة عائذا بسعيد بن العاص فقال فيه من قصيدة منشدا

ترى الغر الجحاجح من قريش * اذا ما الامر في الحدثان عالا
قياما ينظرون الى سعيد * كأنهم يرون به هلالا

فأمنه سعيد فبلغ زيادا فقال لا والله لا أرضى عنه حتى يقتسب في بني فقيم ثم قال مروان لم ترض أن تكون قعودا تنظر الى سعيد حتى جعلتنا قياما فقال انك منهم يا أبا عبد الملك لصافن فحقدها

والصمت ونبله فقال ليس النجم كالقمر انك انما تمدح السكوت بالكلام ولا تمدح الكلام بالسكوت وما أنبأ عن شئ فهو أكبر منه قلت ليس هذا بانصاف لان الصمت مطلقا ولا الكلام مطلقا وانما الصمت محمود اذا تكلم الانسان فيما لا يعنيه أو فيما اذا نقل عنه آلت عقباه الى مضرته أو مضرة غيره وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك وافتى الفقهاء أنه ان علم أن قوله الحق يصادف موقعا وقبولا تعين أن يقوله والا فالسكوت أولى ورب كلمة أدنت أجلا وقطعت دولا ومنعت أملا ودهت الى مأدبة شرها الجفلى وأما الرسل فكلامهم متعين واجب عليهم لانهم ألزموا البلاغ وكلفوا هداية العباد ولا يكون ذلك الا بالكلام ولو لازموا الصمت لم يؤدوا الامانة ولم ينصحوا العباد وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حفظ على أمتى أربعين حديثا بعثه الله فى زمرة العلماء يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم نضر الله وجه امرئ سمع مقالتى فوعاها فادها كما سمعها فالكلام فى العلم ونشره هداية وهداية الناس تتعين على من اتصف به وقد قال صلى الله عليه وسلم من كتم علما ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار ونصح المسلمين فريضة على كل مسلم وروى الشعبى عن علقمة عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت وفى بعض الروايات او ليسكت وقال الحسن بن عمرو الشعبى سمعت بشر بن الحرث يقول الصبر هو الصمت والصمت هو الصبر ولا يكون المتكلم أورع من الصامت الا رجل عالم يتكلم فى موضعه ويسكت فى موضعه انتهى والكلام مذموم اذا تكلم به فى غيبة بل هو محرم أو اشتغل بما لا فائدة فيه أو بما اذا حفظ عليه أو نقل عنه حصلت به فتن أو نشأت به احن أو تولدت به أحقاد أما اذا كان الكلام بين أحباب وأصحاب وأهل وغاو وصفاء ومروءات وديانات فلا بأس بالكلام وما أحسن ما قال محمد بن كناسة الاسدى

فى انقباض وحشمة فاذا * جالست أهل العفاف والكرم
أرسلت نفسى على سجيتها * وقلت ما شئت غير محتشم

وقال القاضى الفاضل رحمه الله

الصمت أسلم لكن ان اردت دمى * ان لا يفيض فسامحنى افض كلمى
بينى وبين وجودى الله يحكم لى * عليه يا ليتنى لا شئ فى العدم
ولا حديثى ولا دهرى وحادثه * ولا همومى ولا وهمى ولا هممى
ولا حسامى الذى للعز أغمده * ولا اجرد فى الشكوى سوى قلمى
ولا الليالى التى نيرانها اتقدت * بالفكر لم تعل فى الدنيا سوى علمى

وقال سيف الدين الآمدى رحمه الله اجتمعت بالشيخ شهاب الدين ابى الفتوح يحيى السهروردى فى حلب فقال لى لابد لى ان املك الارض فقلت من اين لك هذا قال رايت فى المنام كأنى شربت البحر فقلت لعل هذا يكون اشتهار العلم وما يناسب ذلك فرأيته لا يرجع عما وقع فى نفسه ورأيته كثير العلم قليل العقل انتهى ويقال انه لما تحقق القتل كان كثيرا ما ينشد

أرى قدمى اراق دمى * وهان دمى فهاندمى

ونقلت من خط القاضى شمس الدين أحمد بن خلكان رحمه الله تعالى ما صورته حكى لى

عليه مروان فلما عزل سعيد وتولى المدينة مروان أحضر الفرزدق فقال أنت القائل هما دلتانى من ثمانين قامة كما أتقض بازا قتم الريش كاسره فقلت أرفعوا الاستار لا يشعروا بنا واقبلت فى أعجاز ليل أبادره فقال نعم قال أتقول هذا بين أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج عن المدينة فاستجار بعبد الله ابن جعفر ثم مات زياد فبلغ الفرزدق أن مسكينا الدارمى رثاه فقال ولم يكن هجازيادا حتى مات خوفا منه أمسكين أبكى الله عينك انما جرى دمعها فى باطل فتحدرا بكتب امرأ من أهل ميسان كافرا

الضياء محمد بن خميس الوكيل المعروف بابن المغربي قال لما اعتقل الشهاب السهروردي بالمقام بقلعة حلب دخلت عليه المقام قاصد الاجتماع به وجلست أتوضأ للصلاة فرأيته يمشي ويقول اللهم اقبض روحي على خط مستقيم ولما رجع من تمشيه قال اللهم خلص لطيفتي من هذا العالم ثم عاد وقال

لو علمنا اننا لا نلتقي * لقضينا من سليمى وطرا

قال فتركته وخرجت ولم أسمع منه شيأ غير هذا انتهى ما نقلته ووجدت شمس الدين محمد بن التلمساني قد خرج على الحاشية بخطه قوله اللهم اقبض روحي على خط مستقيم تبع فيه اقليدس حيث قال اللهم أمتنا على زاوية قائمة وابعثنا على خط مستقيم انتهى قلت قدم الكلام على هذا في قوله وضج من لغب نضوي البيت وقوله اللهم خلص لطيفتي تبع فيه قول ارسطو فيما أظن اللهم خلص لطيفتي من ظلمات الهيولى وذكرت هنا ما حكاه ابن المزرع قال سمعت الجاحظ يقول وقد أنشد أبيات أبي نواس السينية التي أولها ودار ندامى عطلوها وأدجلوا الابيات لا أعرف شعرا يفضل هذه الابيات ولقد أنشدتها أبا شعيب القلال فقال والله يا أبا عثمان ان هذا الشعر ولونقر لطن فقلت له ويحك ما تفارق عمل الجرار والخزف انتهى قلت وكتاب الصنائع لابن مولاهم ولابن يعمر في هذا الباب غايه وفي العجب العجيب آيه وما أحسن قول أبي الحسين الجزار

فان يكن أحمد الكندي متهما * بالفخر يوما فاني لست أتهم
فاللحم والعظم والسكين تعرفني * والخلع والقطع والساطور والوضم

يشير الى قول أبي الطيب

فالخيل والليل والبيداء تعرفني * والسيف والرمح والقرطاس والقلم

وقال

ان شئت تعرف في الآداب منزلتي * وانني قد حدا في العز والنعم
فالظرف والسيف والاوجاق تشهد لي * والعود والنرد والشطرنج والقلم

وقلت أنا في هذه المادة

ان كنت تنكر حالي في الغرام وما * ألقى واني في دعواي متهم
فالليل والويل والتسهيد تشهد لي * والحزن والدمع والاشواق والسقم

وقال أبو الحسين الجزار متهكما يفخر على أبي الطيب

تعاظم قدري على ابن الحسين * فذهني كالعارض الصيب
وكم مرة قد تحكمت فيه * لان الخروف أبو الطيب

وقال أبو الحسين أيضا

حسن التأني مما يعين على * رزق الفتى والحظوظ تختلف
والعبد مذ كان في جزارته * يعرف من أين تؤكل الكتف

قلت قد رأيت بعضهم قد قال ان الكتف تؤكل من أسفلها لان لحم الكتف اذا جذب من الجانب الاسفل انقلع بكليته ولان المرقة تجري بين اللحم والعظم فاذا أخذت من أعلاها ربما انصبت المرقة على الآكل وقال النصير الحامي أنشدنيه القاضي جمال الدين ابراهيم بن

ككسرى على علاته أو كقيصر
أقول له لما أتاني نعيه
به لا بظبي بالصريمة أعفرا
* (أعذرت ان أغنيت شيأ
وأسمعت لو ناديت حيا)
يعني بلغت العذر في
صيحتك ان قبلت مني
تركت التعرض الى
وأسمعتك ان كنت حيا تسمع
وهذا نصف بيت من بيتين
عمرو بن معدي كرب ويروى
دريد ابن الصمة وقد
تقدم ذكرهما وهما
لقد أسمعت لو ناديت حيا
ولكن لا حياة لمن تنادي
لو نار انفخت بها أضاءت
ولكن أنت تنفخ في رماد
وبعض المتعصبين على أبي
لعلاء المعري يزعم أنه خرج
بيلة الى بعض مراتب موسى

شيخنا الامام شهاب الدين محمود وقال أنشدني النصير لنفسه من لفظه

ومذ لزمت الحمام صرت فتى * بها يداري من لا يداريه
أعرف حر الاشياء وباردها * وآخذ الماء من مجاريه

وقد أتى بمثلين معروفين وقال تاج الدين مظفر الذهبي

كلفت بتصوير الدمى في شبيبتي * واتقنتها اتقان حر مهذب
وحاولت عنها رجعة ومدحتكم * فلم أخل من تزويق زور مكذب

وقال نجم الدين بن صابر المنجنيقي

تعلمت علم المنجنيق ورميه * لهدم الصياصي وافتتاح المرابط
وعدت الى نظم المديح لشقوتي * فلم اخل في الحالين من قصد حائط

وقال سيف الدين المشد

الحمد لله في حلي ومرتحلي * على الذي نلت من علمي ومن عملي
بالامس كنت الى الديوان منتسبا * واليوم أصبحت والديوان ينسب لي

وقال السراج الوراق

رب سامح أبا الحسين وسامحني فحبي وحسبه الاتمام
فذنوب الوراق كل جريح * وذنوب الجزار كل عظام

وقال أيضا

نصب الحشا غرضا وقرطس اذ رمى * وهي القلوب سهامها الاحداق
وسألته وصلا فقال يحجني * ياليت شعري أينا الوراق

وقال أيضا

بني اقتدي بالكتاب العزيز * وراح لبري سعيا ولاجا
فما قال لي أف مذ كان لي * لكوني أبا ولكوني سراجا

وقال أيضا

قالوا وقد ملني فلان * ومالوا المسلول رجعه
قطعت عنه فقلت دمعه * كنت سراجا فصرت شمعه

وقال أيضا

اثني على الانام اني * لم أهج خلقا ولا هجاني
فقلت لا خير في سراج * ان لم يكن دافئ اللسان

وقال أيضا

قلبي لديك وطرفي طال بعدهما * عني فلي أبدا سهد وتذكار
ولست منهما قول السراج اذا * ما قال من قلق في قلبي النار

وقال أيضا

الهي قد جاوزت سبعين حجة * فشكرا لنعماك التي ليس تكفر
وعمرت في الاسلام فازددت بهجة * ونورا كذا يبدو السراج المعمر
وعمم نور الشيب رأسي فسرني * وماساءني أن السراج منور

وقال

عليه السلام ورفع رأسه الى السماء وقال يارب كلمني فانا أفصح من موسى قال ذلك مرارا فلم يجبه أحد فانشد البيتين وذكرانهما من شعره والحكاية باطلة في حقه من وجوه متعددة

(ان العصا قرعت لدى الحلم * والشئ تحقره وقد ينمى)
قرعت له العصا مثل يضرب لمن ينصح وينبه على ماهو أصلح وقوله ان العصا قرعت والشئ تحقره مثلان في التحذير منظومان في قول الحرث بن وعلة الشكري وقد قتل بعض سادات قومه أخاه فقال من أبيات حسنة في معناها

أقتلت سداتنا بلا ترة * الا لتوهن قوة العظم

وقال أيضا

كم قطع الجود من لسان * قلد من نظمه النحورا
فها أنا شاعر سراج * فاقطع لسانى أزدك نورا

وقال وقد وقع المطر

جاء لسان السراج مبلولا * لكم بشكر كالروض مطلولا
فقال قوم والقطر يأخذه * قد عاد هذا السراج قنديلا

وقال أيضا

شعر يتى مذ رمدت قد حجبت * شخصك عنى وكان مأنوسا
الحمد لله زادنى شرفا * كنت سراجا فصرت فانوسا

وعلى الجملة فقد استعمل اسمه وصناعته كثيرا الى الغاية وأخبرنى المولى القاضى عماد الدين اسمعيل بن القيسرانى قال قال والدى للسراج الوراق لولا لقبك راح نصف شعرك وحكى انه جهز يوما غلامه ليبتاع له زيتا طيبا يأكل به الخبص فأحضره وقلبه وأخذ فى الاكل فوجده زيتا حارا فأنكر على الغلام وأخذه وجاء الى البياع وقال أتفعل مثل هذا بنا فقال والله ياسيدى مالى ذنب لانه قال أعطنى زيتا للسراج وحضره هو وأبو الحسين الجزار ليلة من الليالى عند الصاحب بهاء الدين للمنادمة فقام أبو الحسين الى بيت الخلاء فقال الصاحب ياطواشى قم قدام جمال الدين بالشمعة فقال أبو الحسين يا مولانا الصاحب المملوك تعودان يخرا على السراج فقال السراج لاجرم أتى ما بقيت أنيك علقا وما أحسن قول شرف الدين أبى الطيب أحمد بن الحلاوى

جاء غلامى فشكا * أمر كيسى وبكى
وقال لى لاشك بر * ذونك قد تشبكا
قد سقته اليوم فما * مشى ولا تحركا
فقلت من غيظى له * مجاوبا لما حكى
تريد أن تخدعنى * وأنت أصل المشتكى
ابن الحلاوى أنا * فلا تكن معلكا
ولا تخادعنى ودع * حديثك المعلكا
لو أنه مسير * لما غدا مشبكا
فذر أى حلاوة الالفاظ منى ضحكا

(رجع) وهذا شهاب الدين السهروردى وهو المقتول حبسه الظاهر غازى ابن السلطان صلاح الدين باشارة والده وكان شابا فاضلا أوحد أهل زمانه فى العلوم الحكمية بارعا فى اصول الفقه مفرط الذكاء فصيح العبارة له كتاب التنقيحات وكتاب التلويحات وهو أكثر مسائل من اشارات ابن سينا وكتاب الهياكل وكتاب حكمة الاشراق والرسالة المعروفة بالغربة الغربية على مثال رسالة حى بن يقظان ويقال انه كان يعرف على السيمياء وانه اجتمع بالظاهر غازى وأراه منها عجائب فقيل لوالده السلطان صلاح الدين انه يفسد عقيدة ولدك فكتب اليه أن اقتله بلا معاودة فقتله وهو ابن ست وثلاثين سنة أو ثمان وثلاثين والناس فى

ووطئتنا وطأ على حنف * وطء المقيد نابت العرم
وزعمت أنا لا حلوم لنا * ان العصا قرعت لذى الحلم
لا تأمنن قوما ظلمتهم * وبدأتهم بالشر والظلم
ان يأبروا نخلا لغيرهم * والشئ تحقره وقد ينمى
الا ترى لمأبيض مسربتى * وعضضت من نابى على جذم
ترجو الاعادى أن أصالحها * جهلا توهم صاحب الكلم
قومى هم قتلوا أميم أخى * فاذا رميت يصيبنى سهمى
فلئن عفوت لاعفون جللا * ولئن اصبت لاوهنن عظمى
واختلف فيمن قرعت له * العصا وضرب به المثل فقيل
هو عامر بن الظرب بن عباد * اليشكرى أحد حكام العرب

أمره مختلفون فقائل انه من أهل الصلاح والكرامات ظهرت بعد موته وقال القاضي بهاء الدين ابن شداد رحمه الله تعالى في أول سيرة صلاح الدين انه كان حسن العقيدة كثير التعظيم لشعائر الدين وأطال الكلام في ذكره وأكثر الناس على انه ملحد لا يعتقد شيئا وانه انما قتله قلة عقله وكثرة كلامه ويقال ان الخليل بن أحمد رحمه الله اجتمع هو وعبد الله ابن المقفع ليلة فتحادثا الى الغداة فلما تفرقا قيل للخليل كيف رأيته قال رأيت رجلا علمه أكثر من عقله وقيل لابن المقفع كيف رأيت الخليل قال رأيت رجلا عقله أكثر من علمه وكذا كان ابن المقفع فانه قتله قلة عقله وكثرة كلامه شر قتلة ومات شر ميتة قلت وكذا أيضا كان الشيخ الامام العالم العلامة تقي الدين أحمد بن تيمية رحمه الله علمه متسع جدا الى الغاية وعقله ناقص يورطه في المهالك ويوقعه في المضايق وما أحسن قول القائل

الصعو يرتع في الرياض وانما * حبس الهزار لانه يترنم

وكم قد رأيت من ذي منظر ورواء حسن وسمت وبهاء كان له في النفوس أبهة وعظمة حتى اذا تكلم انسلخ مما كان فيه ورمى بالهوان وحكي ان بعضهم كان يجلس الى القاضي أبي يوسف فيطيل الصمت فقال له يوما القاضي أبو يوسف ألا تتكلم فقال بلى متى يفطر الصائم فقال أبو يوسف اذا غابت الشمس قال فان لم تغب الشمس الى نصف الليل فضحك أبو يوسف وقال أصبت أنت في صمتك وأخطأت أنا في استدعاء نطقك ثم تمثل بقول القائل

عجبت لازراء الغبي بنفسه * وصمت الذي قد كان بالقول أعلما
وفي الصمت ستر للغبي وانما * صحيفة لب المرء أن يتكلما

وبعض الناس يروي أن هذه الواقعة اتفقت للشافعي رضي الله عنه وان هذا السائل كان يحضر مجلس الشافعي وهو ذو أبهة وزي حسن وبخور يعبق فيحترمه الشافعي ويتجمع منه ويضم رجليه ويجد لذلك ألما فلما كان في بعض الايام أطال الجلوس والشافعي ضام رجله الى أن خدرت فلما سأل هذا السؤال وقال فان لم تغب الشمس الى نصف الليل قال الشافعي يمد الشافعي رجله ومدها وبعضهم يرويها انها وقعت لابي حنيفة رضي الله عنه والظاهر انها وقعت لابي يوسف رحمه الله تعالى وقال الهيثم بن صالح لابنه اذا قللت من الكلام أكثرت من الصواب واذا أكثرت من الكلام قللت من الصواب فقال يا أبت فان أنا أكثرت وأكثرت يعني من الكلام والصواب فقال أبوه ما رأيت موعوظا أحق بان يكون واعظا منك

*(قد رشحوك لامر ان فطنت له * فاربأ بنفسك ان ترعى مع الهمل)*

(اللغة) رشحوك فلان يرشح للوزارة أي يربى لها ويؤهل فان الترشيح هو أن ترشح الام ولدها باللبن القليل تجعله في فيه قليلا قليلا الى أن يقوى على المص وترشح الفصيل اذا قوي على المشي قال الاصمعي اذا قوي ومشى مع أمه فهو راشح وأمه مرشح فطنت الفطنة الفهم تقول فطنت بالفتح ورجل فطن وقد فطن فطنة وفطانة وفطانية أربأ قال أبو زيد ربأت الشئ اذا حذرته واتقيته والمرباة المرقبة ومنه قيل لمكان البازي الذي يقف عليه مربأ الهمل بالتحريك الابل بلا راع مثل النفش الا ان النفش لا يكون الا ليلا والهمل يكون ليلا ونهارا يقال ابل همل وهاملة وهمال وهوامل وتركتها هملا أي سدى وفي المثل اختلط المرعى بالهمل قال الزمخشري في المستقصى أي تساوى النعم التي لا راعي لها وما لها راع لسوء الرعية يضرب

مثلا

المشهورين وفيه يقول ذو الاصبع
ومناحاكم يقضى فلا يدفع ما يقضى
وهو أول من قضى في الخنثى وذلك أنه اختصم اليه في رجل له ما للمرأة وما للرجل أيجعل رجلا أم امرأة فقال لهم انصرفوا عني حتى أنظر في أمري فما نزل بي مثلها فانصرفوا وبات ليلته ساهرا وكانت له جارية ترعى غنمه يقال لها سخيلة وكان يقول لها اذا سرحت عنه بكرة ضحيت يا سخيل واذا راحت يقول مسيت يا سخيل لانها كانت تأخر حتى تسبق فلم يقل لها شيئا ودأت سهره وفكره فقالت له ما عراك فقال دعيني من شأنك فأعادت

مثلا لقوم يشكل عليهم أمرهم فلا يعزمون فيه على رأى (الاعراب قد) حرف يعجب الافعال ويقرب الماضى من الحال وهى هنا للتحقيق وقد تقدم الكلام عليه (رشحوك) رشح فعل ماض والواو ضمير الفاعلين والكاف للمخاطب وهى ضمير المفعول وأضمر الفاعلين هنا لانه آثر على ذكرهم اما الخوف منهم اذا ذكروا واما للجهل واما العلم المخاطب بهم وهم معهودون فى ذهنه (لامر) اللام لام التعدية وأمر مجرور بها وهو فى موضع نصب (ان) حرف شرط وقد تقدم الكلام عليها (فطنت) فعل ماض والتاء ضمير الفاعل وهو المخاطب فارق بين ضمير المتكلم والمخاطب انما ضموا تاء المتكلم وفتحوا تاء المخاطب لان الرفع هو العمدة فى الكلام وهو أول الحركات فاعطوا الاول للاولى لان المتكلم أولى من المخاطب كما ان المخاطب أولى من الغائب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابدأ بنفسك ثم بمن تعول ثم بالناس وفتحوا تاء الخطاب لانها استحقت ثانى الحركات وهى الفتحة لما أخذ الاولى الاول (له) جار ومجرور وهو متعلق بفطنت (فاربا) الفاء جواب الشرط اربا فعل أمر مبنى على السكون وهو سكون الهمزة (بنفسك) الباء للتعدية وعلى ما حكاه أبو زيد أن اربا يتعدى بنفسه فالباء هنا للمصاحبة ونفس مجرور بالباء والكاف فى موضع جر بالاضافة (أن) حرف ينصب الفعل المضارع وقد تقدم الكلام على أن فى قوله وعادة النصل أن يزهى بجوهره وهى هنا مصدرية لانها ومادخلت عليه فى تاويل المصدر (ترعى) فعل مضارع منصوب بان وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الالف لانه معتل الطرف وانما كتب بالياء لانه من رعيت (مع الهمل) مع قال الجوهرى فى صحاحه هى كلمة تدل على المصاحبة وقال محمد ابن السرى الذى يدل على ان مع اسم حركة آخره مع حركة أوله وقد يسكن وينون تقول جاآ معا انتهى (الهمل) مجرور باضافته الى مع كأنه قال ارباً بنفسك أن ترعى مصاحب الهمل قلت اللغة الفصحى أن تسكون العين من مع متحركة قال بعضهم ما عمر بيت فيه مع ولا نهضت قافية مقيدة وهذا كلام من ذاق البلاغة وارتضع اخلافها ومعا اذا جاءت فى الكلام فانها تنصب على الحال اذا قلت جاآ معا كأنك قلت جاآ متصاحبين وذكرت هنا قول شمس الدين محمد بن العفيف التلمسانى

للمنطقيين أشتكى أبدا * عين رقيبى فليته هجعا
حاذرها من احبه فابى * ان نختلى ساعة ونجتمعا
كيف غدت دائما وما انفصلت * مانعة الجمع والخلو معا

قلت فى هذا نظر لان التعجب لم يصادف موقعا لانك اذا قلت العدد اما زوج واما فرد كانت هذه القضية مانعة الجمع والخلو معا لان العدد لا يجتمع فيه الزوجية والفردية ولا يخلو من واحد منهما واذا كان كذلك فما بقى للتعجب ولا للانكار محل ولا مساغ وانما عادة الشعراء وغيرهم التعجب مما يخرج عن العوائد المألوفه والقواعد المعروفه كقول الامير أمين الدين على بن عثمان السليمانى

أضيف الدجا منى الى لون شعره * فطال ولولاذاك ماخص بالجسر
وحاجبه نون الوفاية ماوفت * على شرطها فعل الجفون من الكسر

وما أحسن ما استعمل أبو الطيب معانى القافية حيث قال

عليه فقال ويلك أنه اختصم الى فى خنثى له ما للذكر وما للانثى فى ميراثه أجعله امرأة أم رجلا فقالت لا أبالك أقعده فان بال من حيث يبول الرجل فهو رجل فقال لها * مسى سخيل بعدها أوضحى * فذهبت مثلا ثم خرج فقضى بالذى أشارت قال السهيلى وهو حكم معمول به فى الشرع من باب الاستدلال بالعلامات وله مثل فى الشريعة قول الله تعالى وجاؤا على قميصه بدم كذب ووجه الدلالة على الكذب أن القميص لم يكن فيه خرق ولا اثر ثم أن عامرا كبر وضعف حتى قال فى شعره

أرخت ثلاث ذوائب من شعرها * في ليلة فارت ليالي أربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها * فأرتني القمرين في وقت معا

ويعجبني قول أبي نصر أحمد بن علي بن أبي بكر الزوزني

الحسن في عجب عاجب * تقاصر وصفي عن كنهه
رأيت الهلال على وجهه من * رأيت الهلال على وجهه

قلت وهذا في غاية الحسن يظن السامع له من أول وهلة أنه من باب التكرار وتحصيل الحاصل الى أن يشحذ ذهنه ويتأمل غرض الشاعر في ذلك فيرقص له طربا ومن هذه المادة قول القائل

قالت لتربٍ معها منكرة * لوقفتي هذا الذي نراه من
قالت فتى يشكو الهوى متيم * قالت بمن قالت بمن قالت بمن

معناه قالت بمن هو متيم تستفهم من تربها قالت لها بالتي قالت بمن وقالوا هو مأخوذ من قول أبي الطيب

قالت وقد رأت اصفراري من به * وتنهدت فأجبتها المتنهد

وفي البيتين عيب ولم أر أحدا تنبه له وهو الايطاء في القافية لان من في القافيتين للاستفهام ولو كانت احداهما للاستفهام والاخرى موصولة كالوسطى في قوله قالت بمن لكان أكمل وأخلص من الايطاء في بيتين ومنها قول شيخ الشيوخ شرف الدين عبد العزيز الحموي

ما بان لي فيك حين * لولم يبن لك حين
يا جنتي كل هون * لولا تجنبك هين
قد نبتنا بوعيد * وتنكر الوعدين
ان كان جفنيك جفن * فان عيني عين

قلت يليق بهذا النوع ما سماه به الشيخ زين الدين عمر بن مظفر الوردي وهو ايهام التوكيد وأنشد في فيه لنفسه اجازة ومن خطه نقلت

تعشقت أحوى لي اليه وسائل * واصلاح أحوالي لديه لديه
أمر به مستعطفا متلطفا * فيثقل تسليمي عليه عليه
فلا كان واش كدر الصفو بيننا * وبغض تحبيبي اليه اليه

ومثله قول ابن نقادة

يثبت تأليف الهوى حسنها * وقدها للصبر ان ماح ماح
وطرفها مسكرة خمره * اذا ادبرت وهو ياصاح صاح
أمد قلبي نحو كاساتها * رشفا اذا أمدت الى الراح راح
واضحها موضح عذري فما * يلومني فيها اذا لاح لاح

وأما تحصيل الحاصل وتكرار اللفظ والمعنى بعينيهما فهو كما قال الارجاني فيما أظن ولكنه قصد ذلك

سال الصدى عنه وأصغى للصدى * كيما يجيب فقال مثل مقاله

أرى شعرات على حاجبي
بيضا نبتن جميعا تواما
أظل أهاهي بهن الكلا
ب أحسبهن صوارا قياما
فقال له الثاني من ولده وقيل ابنته انك ربما أخطأت في حكم فيجعل عنك قال فاجعلوا لي امارة أتنبه بها حتى أعرف الصواب فكان يجلس قدام بيته ويجعل ابنه في البيت ومعه عصا فاذا هفا قرع جفنة فينتبه ويرجع الى الصواب فضرب به المثل وهو أول من فعل ذلك وقيل هو شخص في زمن النعمان بن المنذر سمى أخاه وذلك ان النعمان أرسل شخصا يرتاد الكلأ فأبطأ فغضب وعزم على أن يسأله اذا ورد

فان قال خصبا قتله وان قال جدبا قتله وعرف بذلك أخوه فقال للنعمان أتأذن اليه لى ان انذره قال لا قال فاشير قال لا قال فاقرع له عصا قال فاقرع فلما ورد اخذ اخوه عصا من بعض جلسائه وقرع بها عصاه التى كانت معه قرعا مختلفا الى ان فهم اخوه القصة فقال لم اجد خصبا ولم اذم جدبا الارض مشكلة لا بقلها يعرف ولا جدبها بوصف رائدها واقف ومنكرها عارف فقال النعمان أولى لك بذلك نجوت فنجا وقال اخوه قرعت العصا حتى تبين صاحبي ولم تك لولا ذاك للقوم تقرع

ناداه اين ترى محـط رحاله * فاجاب اين ترى محـط رحاله

وكان بهاء الدين أسعد السنجارى فى بعض أسفاره فنزل فى بعض الطريق وكان له غلام يدعى ابراهيم وكان يأنس به فابعد الغلام فقام يناديه يا ابراهيم يا ابراهيم مرارا ولم يجبه غير الصدى فقال

بنفسى حبيب جاروهو مجاور * بعيد عن الابصار وهو قريب
يجيب صدى الوادى اذا ماد عوته * على انه صخر وليس يجيب

وما أحسن قول محاسن الشواء

لى صديق غداوان كان لا ينـطق الا بغيبة أو محال
اشبه الناس بالصدى ان تحدثـه حدثنا اعاده فى الحال

وقول ناصر الدين حسن بن النقيب

لما رفعت لضيف الطيف حين سرى * نارا شتياق هدته فى دجا الظلم
وسار نحـوى ليلقانى فلم يرنى * ولا استبنت له من شدة الالم
فكنت مثل الصدى فيما أجبت به * فما ارى ويحس الصوت من كلمى

وقول السراج الوراق

وقفت باطـلال المحبة سائلا * ودمعى يسـقى ثم عهـدا ومعهدا
ومن عجب انى أروى ديارهم * وحظى منها حين اسلاها الصدى

وقال السراج الوارق ملغزا فى ماء

ما اسم شئ اذا سألتك ماهو * قلت لى كالصدى مجيبا ماهو
ولعمرى لقد أجبت وأثلجـت فؤادى به فـزال صـداه

وقال ابن سناء الملك

يحكينى الربـع او احكيه بعدكم * سقما فيا ليت شعرى اينا الحاكى
فما مررت بربـع كان ربعكم * الا ظننت صداه انه الشاكى

وانشدنى لنفسه اجازة المولى جمال الدين محمد بن نباتة

امعهـد سـعدى بالعـذيب سقاكا * ملث الحيا حتى يبل صداكا
صـدى كلما أشكو أجاب كأنما * خلقنا على اطـلالها نتشاكى

وقال ناصر الدين حسن بن النقيب

خيال الفتى فى كل صاف لعينه * كصوت الصدى فى سمعه اذ يجاوب
فيسمع من ذا ناطق وهو صامت * ويبصر من ذا حاضر وهـو غائب

وأما قول أبى الطيب والذى بعده فانهـما فى غاية ما يكون من مبالغة وصف البشرة بالرقـة والصفاء وما أحسن قول بعضهم

برزت فقابل ناظرى من وجهها * مرآة حسن بالجمال صقيل
أبكى فانظر أدمعى فى خـدها * تجرى فأحسب انها تبكى لى

وقال الآخر

ولما التقى الواشون والركب ظاعن * وقد رام للتوديع منى تدانيا

بدت فى محياه خيالات أدمعى * صفاء فظنوه بكى البكائيا

ومثله قول الارجانى

فابلنى حتى بدت أدمعى * فى خده المصقول مثل المراه
يوهم صحبى انه مسعدى * بادمع لم تذرها مقلتاه
وانما قلدنى منه بدمع * عين من جفون مراه
ولم تقع فى خده قطرة * الا خيالات دموع البكاه

وقال الارجانى

وأغيد راق ماء الوجه منه * فلو أرخى لثاما عنه سالا
تبين سواده الابصار فيه * فحيث لحظت فيه حسبت خالا

وأخذه الآخر فقال

ولما استقلت أعين الناس حوله * تراقبه حيث استقل وسارا
تمثلت الاهداب فى صفو خده * خيالا فخالوا الشعر فيه عذارا

وقال أبو الحسن على بن أحمد الديباجى المصرى

ياحبذا القرطرفن صدغه * واخضر شاربه فزاد جمالا
وكأن اسود ناظرى فى خده * لما نظرت له تمثل خالا

وقال بن رشيق فيما أظن

أخاف تجنيه فاصفر ان بدا * ويصفر خوفا ان أتم عليه
وأكثر ظنى أن مرآة خده * توصل الوان الوجوه اليه

وقال أحمد بن صالح بن شردار الوزير

ظبى ترى وجهك فى وجهه * وتشرب الخمرة من فيه

وقال بن قاضى ميلة

محيا ترى الاتراب اشخاصها به * جرى فيه را قراق النضارة مذهبا
اذا زاره ذو لوعة لاح شخصه * الى الحول فى افرنده متنصبا
فاعجب بوجه حسنه من وشاته * يسنم على من زاره متنقبا
بدت صور العشاق فى ماء خده * فاغنت رقيب الحى أن يترقبا

وقال أبو العيناء أنشدت النظام

اذا هم الندمان له بلحظ * تمشت فى مفاصله الكلوم

فقال ما ينبغى أن ينادم هذا الا أعمى ولا ينالك الا بابر من وهم وقال آخر

ومهفهف قسم الاله مثاله * نصفين من غصن ومن رمل
فاذا تأمل فى الزجاجة ظله * جرحته لحظة مقلة الظل

وقال آخر

اضمر ان اضمر هجرى له * فيشتكى اضمار اضمارى
رق فلو مرت به ذرة * لخضبته بدم جارى

وقال بن سناء الملك

نظرا تى لوجهه * بدموع معثره
رق حتى كأنما * لثمه سوء مقدره

وانشدنى

وقيل المراد بقرع العصا قصة تصيير لما كان مع جذيمة واقبلت عساكر الزباء قال له انى متى انكرت القوم قرعت لك العصا وهى فرس جذيمة التى لا تلحق فاركبها وانج فلما راى الشر قرعها بالسوط فأنف جذيمة من الهرب فركبها فصير ونجا عليها وضرب بذلك المثل يعنون لو كان لجذيمة حلم لركبها لكن القول الاول أشهر وأحسن

(وان بادرت بالندامة ورجعت على نفسك بالملامة كنت قد اشتريت العافية لك بالعافية منك)

يعنى ان ندمت على ما أقدمت

وأنشدني لنفسه اجازة المولى صفي الدين عبد العزيز الحلي

وظبية من ظباء الترك كالشمس * لكنها في رياض الحسن قد سرحت
ان جال ماء الحيا في خدها خجلت * وان تردد في أجفانها انفتحت
قمت على صبها قلبا ووجنتها * لو رمت تقبيلها بالوهم لانجرحت

وقال بن القابلة

ووجه مليح رق حسنا اديمه * يرى الصب فيه وجهه حين ينظر
تعرض لي عند اللقاء به رشا * تكاد الحيا من حياه تعصر
ولم يتعرض كي أراه وانما * اراد يريني أن وجهي اصفر

وعلى ذكر رؤية الهلال فما أحسن قول ابن الرقاق

لله شهر ما انتظرت هلاله * الا كنون أو كعطفة لام
حتى تبدى لي أغن مهفهف * لضيائه ينجاب كل ظلام
فطفقت أهتف في الانام ضللتم * وغلطتم في عدة الايام
ماجاءنا شهر لاول ليلة * مذ كانت الدنيا ببدر تمام

وقوله أيضا

وشهر أدرنا لارتقاب هلاله * عيونا الى جو السماء جوائلا
الى ان بدا أحوى المراشف أحور * يجر لاثراد الشباب دلادلا
فقلت له أهلا وسهلا ومرحبا * بمدرحوى طيب الشمول شمائلا
اتطلبك الابصار في الجو ناقصا * وأنت كذا تمشي على الارض كاملا

قلت ومع حسن هذين المعنيين فقد طول في المقطوع بين وزاد في التوطئة لما اراد وكان يكفيه في كل مقطوع بيتان وقد خطر لي نظم هذا المعنى في بيتين لا غير فقلت

ولما ترا أينا الهلال بدا لنا * محيا حبيب لم يغب قط عن فكري
فقلت عجيب أن يرى البدر هكذا * تماما ونحن الآن في أول الشهر

وقلت في ذلك أيضا

رأيت الهلال وحبي معا * وفي وجهه شغل عيني وفكري
فبشرت بالسعد عيني التي * أرتني الهلال على وجه بدري

وقال آخر في مليح لم ينظر الهلال

تراآت البدر عيون ولم * ينظر اليه مع نظاره
وما الذي يصنع بالبدر من * أطلعه الله بأوزاره

قيل ان في أيام اياس بن معاوية القاضي تعذر على الناس رؤية الهلال فلم يره أحد فحضر اليه أنس بن مالك رضي الله عنه فيما أظن وقال رأيته فقال أرني مكان رأيته فأراه فلم ير اياس شيئا ونظر شعرة بيضاء خارجة عن حاجبه فحاها وقال له انظر الى الهلال وحققه فنظر فلم يجد شيئا وهذا من تمرس اياس رحمه الله تعالى (فائدة) ذكرتها هنا وهي انه وجد بخط الشيخ تقي الدين بن الصلاح رحمه الله تعالى ما صورته ذكر أبو القاسم السهيلي قال اجمع المسلمون على ان حجة الوداع كان يوم عرفة فيها يوم الجمعة وكان أول شهر ذي الحجة في تلك السنة يوم

عليه وتركته ولمت نفسك
أرحت نفسك بانقطاعك
عنا وأرحتنا منك
(وان قلت جمعة ولا طحن
ورب صلف تحت الراعدة)
مثلان يضربان لمن يتوعد
ولا يفعل والجمعة صوت
الرحى والطحن الدقيق فعل
بمعنى مفعول كذبح وفرق
والصلف قلة البركة والخير
ولذلك يقال اصلف من ملح
في ماء أي لا يبقى وسحاب
صلف اذا كان قليل الماء
كثير الرعد والمعنى انك متى
قلت اني أتوعدك ولا تفعل
فستري ما يكون
(وانشدت لا يؤيسنك من
مخدرة
قول تغلطه وان جرحا)

الخميس وهذا لاشك فيه ثم قال بعد ذلك وقال أكثر أهل التاريخ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الاول بعد الحجة المذكورة بثلاثة أشهر وكيف حسب الانسان الشهور من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وجعل أول ذي الحجة الخميس ما يتصور أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الاول سواء حسب الجميع نواقص أو كوامل أو بعضهن نواقص وبعضهن كوامل فاعتبره تجده كذلك وأجاب عن هذا السؤال قاضي القضاة شرف الدين الباوزي الحموي بما صورته يحتمل انه لما حج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى هلال ذي الحجة بين مكة والمدينة ليلة الخميس وغم على أهل المدينة فلم يروا هلال ذي الحجة الا ليلة الجمعة فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي بالمدينة أرخ أهل المدينة موته على حكم ما رأوا وأرخوا في أول ذي الحجة وهو يوم الجمعة فجاءت الشهور الثلاثة ذو الحجة والمحرم وصفر كوامل وجاء أول ربيع الاول الخميس وكان ثاني عشر ربيع الاول يوم الاثنين وكان بين رؤيته صلى الله عليه وسلم وبين رؤية اهل المدينة مسافة القصر والصحيح من مذهب الشافعي اعتبار اختلاف المطالع والله اعلم بالصواب وقد أجاب القاضي عز الدين بن جماعة عن هذا الاشكال ايضا بان تفرض الشهور الثلاثة كوامل ويكون قولهم لاثنتي عشرة ليلة خلت منه اي بايامها كاملة فتكون وفاته بعد استكمال ذلك والدخول في الثالث عشر والاشكال قوي وكلا الجوابين فيه نظر لما في كلام السير مما يدل على نقصان الثلاثة او اثنين منها والراجح من حيث الاتباع انه لليلتين خلتا من ربيع الاول والجمهور على انه لاثنتي عشرة ليلة خلت وصرح به جماعة من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين (المعنى) قد ربوك واهلوك لامر ان كنت تعلم باطنه في مرادهم منك فاهرب منهم ولا تطاوعهم على ما يرمونه منك ان اردت ان لا ترعى هاملا فتعود سدى يحذر نفسه من أعاديه الذين يسعون في قهره وحساده الذين يريدون هلاكه ويتمنون وقوع الاذى به ويتربصون به الدوائر قال الارجاني

عرفت دهري واهليه ببادرتي * من قبل ان نجدتني فيهم الحنك
فلا حسائك في صدري على احد * منهم ولا لهم في مضجعي حسك
ولا أغر ببشر في وجوههم * وربما غر حب تحته شبك

وقال ابن الساعاتي

لا يغرنك التودد من قو * م فان الوداد منهم نفاق
والقلوب الغلاظ لا ينزع الاحـ * ـقاد منها الا السيوف الرقاق

وقال مهيار الديلمي

خلعت موفقا نظري وقلبي * هواه فمن يعادي او يوالي
اطالع صاحبا فاري بظني * خلال تجاربي فيه انتحالا
وأخبره فلا ارضاه قولا * لاخبره فارضاه فعالا

وأبو الطيب أوجز قولا من هذا لانه قال

اخالط نفس المرء من قبل جسمه * وأعرفها من فعله والتكلم

والسابق الى هذا المعنى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فيما ينسب اليه من الشعر حيث قال

هذا البيت لشار بن برد وقد ذكر أبو الشمقمق قال دخلت عليه يوما وبين يديه مائة دينار فقال خذ منها أتدري ما قصتها قلت لا قال أنا اليوم جالس واذا بفتى من ذوي النعمة دخل علي فقال يا أبا معاذ هذه مائة دينار نذرت ان أدفعها اليك فتسلمها فقلت ما سببها فقال كنت قد هويت امرأة وتعرضت لها فقصعت علي فأردت السلو فذكرت قولك

لا يؤيسنك من مخدرة * قول تغلظه وان جرحا
عمر النساء الى مياسرة * والصعب يركب بعد ما جمحا

فصبرت فادركت مقصودي منها وآليت على نفسي أن

عيناك قد دلتا عيني منك على * أشياء قد كنت طول الدهر تخفيها
والعين تعلم من عيني محدثها * ان كان من حزبها او من اعاديها

وقال أبو الطيب

واذا خامر الهوى قلب صب * فعليه لكل عين دليل

وهو مأخوذ من قول زهير

ومهما تكن عند امرئ من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم

وقال أبو الطيب

ويعرف الامر قبل موقعه * فعاله بعد فكره ندم

ومن حكم أبي الطيب قوله

لو فكر العاشق في منتهى * صورة من يسبيه لم يسبه

ومثله قول القائل

يمثل ذو اللب في نفسه * مصائبه قبل ان تنزلا
يرى الامر يقضى الى آخر * فيجعل آخره أولا

وما أحسن قول أبي نواس

أسأل القادمين من حكمان * كيف خلفتم أبا عثمان
وأبا ميسة المهذب والما * جد والمرتجى لصرف الزمان
فيقولون لي جنان كما سرك في حالها فسل عن جنان
ما لهم لا يبارك الله فيهم * كيف لم يغن عنهم كتماني

قلت أبو عثمان هو أخو مولى جنان وأبو ميسة هو مولاها وهذه جنان كان أبو نواس يهواها ولم يصدق في هوى امرأة غيرها وله فيها ملح ظريفة قال شرف الدين شيخ الشيوخ عبد العزيز الحموي رحمه الله تعالى أنشدت والدي أبيات أبي نواس هذه فقال هذا شبيه بقصد ظريفة وهي ان بعض عوام بغداد مرض له نسيب فوصف له بطيخ رقي وكان عزيزا في ذلك الفصل فلم يجده فذكر له ان بطيخة منه عند بعض الفكاهيين بالكرخ فلما جاءه لم يرد البداءة بسوم البطيخة ثلاثا يفطن لقصده فقال كيف تبيع هذا الرمان فقال البطيخة بنصف دينار فقال بعها لمن يطلبها بما شئت فأنا أريد مشتري طبق فاكهة كيف تبيع التفاح قال البطيخة بدينار فلم يزل يساومه على نوع نوع وهو يزيد في البطيخة حتى أنجأته الضرورة الى ان صدقه واشتراها منه بما تراضيا عليه انتهى قلت ومن هذا الباب ما حكي ان انسانا مر بمكتب فيه صغير مليح الوجه فوقف وسأل الفقيه وقال يا مولانا هذا ابن من وأشار الى صغير غير ذلك فقال الفقيه يا مولانا لا تتعبني وتضيع الزمان في السؤال هذا المليح ابن فلان وما أحلى قول شرف الدين شيخ الشيوخ

سألته من ريقه شربة * اطفي بها من كبدي حرة
فقال اخشى يا شديد الظما * ان تتبع الشربة بالجمرة

وأنشدني جمال الدين محمد بن نباتة قال أنشدني القاضي زين الدين عمر بن الوردي قال أنشدني الاديب يحيى بن محمد بن زكريا الحموي الخباز لنفسه

اجل اليك هذه المائة دينار
(فعلت لما نهيت عنه)
وواجهت ما استعفيت منه)
بعثت من يزعجك الى
الخضراء دفعا
ويستخفك نحوها وكزا
وصفعا)
يعني انك ان لم تبال بتوعدي
ولم تصدقه وعاودت المراسلة
بعثت من يزعجك من مكانك
والازعاج عدم الاستقرار
ومنه المرأة المزعاج التي
لا تستقر في مكان والخضراء
ناحية المزدرع من البلد أو
اسم ضيعة والوكز مثل
الدفع وهو ضرب الظهر مع
الدفع وقيل الضرب بمجتمع
اليد على الذقن

طلبت منه قبلة قال لى * اياك ان تطمع فى القرب
البوس جاليش وأخشى بأن * تستتبع الجاليش بالقلب

وقال أبو حاتم الحجارى بالراء

وزائر زارنى وقد هجعت * عيناى لما تبلج الفجر
بكيت للقرب ثم قلت له * من ثمر الوصل يجتنى الهجر

وقال سعيد بن حميد لفضل الشاعرة

ما كنت أيام كنت راضية * عنى بذاك الرضا بمغتبط
علما بأن الرضا سيعقبه * منك التجنى وكثرة السخط

وقال العباس بن الاحنف

قد كنت أبكى وأنت راضية * حذار هذا الصدود والغضب

وقال آخر

بكيت فقالت أراك بكيت * فقلت الوصال اخاف انتقاضه
فقالت فديتك من عاشق * يشمر للذيل قبل المخاضه

وقال ابن خفاجة

ما للعذار وكان وجهك قبلة * قد خط فيه من الدجى محرابا
ولقد علمت بكون ثغرك بارقا * ان سوف يرجى للعذار سحابا

وأنشد فى نفسه اجازة القاضى شهاب الدين محمود رحمه الله تعالى

أحبابنا هل لى اليكم وقد نأت * بى الدار من بعد البعاد رجوع
وهل شمس هذا الانس بعد فراقنا * يكون لها بعد الغروب طلوع
وهل لى ولا والله ما ذاك ممكن * فؤاد اذا حان الفراق مطيع
وقد كنت أدرى والحياة شهية * برؤيتكم أن النوى سيروع

ومن تلميح قول القائل

عاقنى عن حلاوة التشييع * ما أرى من مرارة التوديع
لا يفى انس ذا بوحشة هذا * فرأيت الصواب ترك الجميع

وما أحسن اعتذار القائل عن ترك الوداع

ما اخترت تركك وداعكم يوم النوى * والله مس ملل ولا التجنب
لكن خشيت بان أموت صبابة * ويقال انت قتلته فتقادبى

وقال عبد الصمد بن بابك

ان لم أودعك فعن عذرة * فاثن اليها اذ ناواعيه
قرت بك العين فنزهتها * عن نظرة ليست لها ثانيه

ويعجبنى قول القائل

انى لأكره ان انام فالتقى * بك فى الكرى خوف الفراق الثانى

وذكرت هنا قول ابن رشيق يرثى

المنايا حتم فطوبى لنفس * سلمت بالرضا لحتم القضاء

(فاذا صرت اليها عبت اكار وهابك وتسلط نواطيرها عليك

الاكارون الزراعون جمع اكار ويجمع على اكرة كانه جمع اكر فى التقدير ماخوذ من الاكرة وهى الحفيرة فى الارض والعبث ان يخلط بعمله لعبا ماخوذ من العبيثة وهى طعام مخلوط والسلاطة التمكن من القهر ومنه سمى السلطان

(فمن قرعة معوجة تقوم فى قفاك ومن خلة منتنة يرمى بها تحت خصاك)

أى تضرب فى القفا بالقرع المعوج الى أن يستقيم وهو

لو بودى قتلت نفسى لالقا * ولكن خشيت فوق اللقاء

هو مأخوذ من قول القائل

ولقد هممت بقتل نفسى بعده * أسفا عليه فخفت ان لا ألتقى

ومعناه انى اذا قتلت نفسى كنت فى النار وهو من أهل الجنة وهذا من ألطف معنى يكون وقال آخر يتمنى الوداع وهو مشهور

أرأيت من يرضى بفرقة ألفه * أنا قد رضيت لنا بان نتفرقا

حتى أفوز بقبلة فى خده * عند الوداع ومثلها عند اللقا

وقال آخر يهون أمر الوداع

اذا رأيت الوداع فاصبر * ولا يهمنك البعاد

وانتظر العود عن قريب * فان قلب الوداع عادو

وما أحسن قول الارجانى

كنا جميعا والدار تجمعنا * مثل حروف الجميع متلصقه

واليوم جاء الوداع يجعلنا * مثل حروف الوداع مفترقه

وعلى ذكر القلب فما أحسن قول القائل

جاذبتها والريح تضرب عقربا * من فوق خد مثل قلب العقرب

فتمايلت عجبا وصدت وانثنت * وتسترت عنى بقلب العقرب

وقال الآخر

وتحت البراقع مقلوبها * تدب على حسن خد ندى

تسالم من وطئت خده * وتكسر قلب الشجى المكمد

وقال الآخر

فقالت ترى ماذا الذى أنت فانع * به من هوانا قلت معكوس قانع

وقال آخر فى ذم الدنيا

كيف السرور باقبال وآخره * اذا تامله مقلوب اقبال

وقال أبو الفضل الميكالى فى ذم الاقحوان

للاقحوان على ملاحته * وخز بقلب يشتكى العشقا

مقلوبه فى اللفظ يخبرنى * ان الاحبة قد نأوا حقا

وقال آخر فى ذم ارجة

ارجة قد أتتك برا * لا تقبلنها اذا بررتا

ولا نراها فدتك نفسى * لان مقلوبها هبررتا

وقال آخر فى البهار

حكانى بهار الروض حتى ألفته * وكل بهار للمحب مصاحب

فقلت له مابال لونك شاحبا * فقال لانى حين أقلب راهب

وزاد على هذا المعنى ابن رشيق فقال

ياحسن ماسمى البهار به * لو تركته عيافة العائف

عما لا يستقيم فيكون كناية عن ايصال الضرب والرمى بالفعل تحت الخصى كناية عن استدخاله فى استه وفى نتنه مناسبة واستقذار للمفعول به *(ذلك بما قدمت يداك وان الله ليس بظلام للعبيد)* يعنى بما فعلت أنت والعرب تقول هذا ما كسبت يداك وان لم تكن اليد الفاعلة وانما يقصدون بذلك فعله وعلى ذلك حمل قوله تعالى لما خلقت بيدى على بعض الوجوه والذوق وجود الطعم بالفم ونقل الى اختبار الشئ ويستعمل فى القليل والكثير ولذلك ذكره الله تعالى فى

قلبته راهبا فاشعرنى * خوفا ويا ويل راهب خائف

وقال أيضا

لم كره النمام اهل الهوى * اساء اخوانى وما احسنوا
ان كان غاما فعكوسه * من غير تكذيب لهم مامن

وكتب بعض الافاضل مع كرسى أهداه

اهديت شيئا يقل لولا * احدوثة الفال والتبرك
كرسى تفاءلت فيه لما * رأيت مقلوبه يسرك

وقال ابن قزل ملغزا فى رمح

أى شئ يكون مالا وذخرا * راق حسنا عند اللقاء ومخبر
اسمر القد ازرق السن وصفا * انما قلبه بلا شك أحمر

وقال آخر ملغزا فى دملج

الى النساء يلتجى * وعندهن يوجد
الجسم منه فضة * والقلب منه جلمد

وقال آخر فى كحل

يا أيها العطار أعرب لنا * عن اسم شئ قل فى سومك
تنظره بالعين فى يقظة * كما يرى بالقلب فى نومك

وقال الشيخ صدر الدين محمد بن الوكيل

راح بها الاعمى يرى مع العمى * وهاك برهانا على هذى المدح
الخمر للاقداح قلب دائما * والحدق انظرها تجد قلب القدح

وكتب النصير الحمامى الى السراج الوراق لغزا فى سيل

لترشدنى شيئا به يدرك المنى * له قلب صب كم فؤاد به صب
اذا ركب البيداء يخشى ويتقى * فلم يثنه طعن ولم يثنه ضرب
بقلب يهد الصخر يوم لقائه * ومن أعجب الاشياء ليس له قلب

فأجابه السراج الوراق

أراك نصير الدين عذبت خاطرى * وقد راق لى من لغزك المنهل العذب
وأثبت قلبا منه ثم نفيته * واعرفه صبا وهام له قلب
واعرف منه أعينا لا تخفها * جفون كعادات الجفون ولا هدب
ومن وصفه صب كما أنت واصف * صدقت ولولا ما عرف الحب

وكتب النصير اليه أيضا ملغزا فى ثور

تعرف اسما قلبه فى دبره * ماحواه صدره فى عمره
ملك ذى القرنين يغدو عنده * ان خلا فى ربع مع خضره
يشكر الكافر يوما سعيه * حين ترنو عينه فى اثره

فأجاب السراج الوراق عنه ولكن ليس فى الجواب ما يدخل فى هذا الباب فلهذا لم أثبته

وكتب اليه النصير أيضا ملغزا فى آل

العذاب والوبال الامر الثقيل الذى يخاف ضرره ومنه طعام وبيل وكلأ وبيل والوبل هو المطر الثقيل والميزان معرفة مقدار الشئ وأصله موزان فانقلبت الواو ياء لكسر ما قبلها

*(فمن جهلت نفسه قدره * رأى غيره عنه ما لا يرى)*

هذا بيت من شعر المتنبى ختمت بذكره الرسالة لمناسبة ما قبله وكذلك مذاهب أكثر البلغاء فى مقاطيع رسائلهم اما بآية أو مثل أو بيت من الشعر يتمثلون به فى معنى ما هم فيه فيكون له مزية ظاهرة ويجب أن يكون من أحسن ما سمع وفى القصيدة

تعرف اسماظاهرا * طورا وطورا يحجب
مثل السحاب اغما * بارق هذا خلب
وهو اذا قلبته * فانه لا يقلب

فاجابه السراج بقوله أرحتنى منك بلغز ليس فيه تعب
قلبته لا كالذى * قلت وقلبى قلب
وان يكن ذا كذب * فانت منه أكذب

وانشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد ابن نباتة بدمشق سنة تسع وعشرين وسبعمائة لغز افيه

ماسانح منفرد * عن الورى مغترب
لا مأكل يحجبه * ولا لعمرى مشرب
وهو على ما قد ترى * يعزى اليه الكذب
وان أردت قلبه * فانه لا يقلب

ونقلت من خط القاضى محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر رحمه الله قوله ملغزا فى باب

أى شئ تراه فى الدور والكتب مجازا هذا وهذا محقق
يحفظ المال والحريم ولولا * محفظا لكان ذلك يسرق
هو زوج وتارة هو فرد * وهو فى أكثر الاحايين يطرق
وطليق فى نشأتيه ولكن * بحديد من بعد ذلك يوثق
وثلاثا تراه فى الخط لكن * هو اثنان كله ان تفرق
وهو فى القلب يستوى وتراه * بان تحيفه لمن يترمق
وتراه للعشو ينسب حينا * وهو مع ذاك لا يرى يترندق
فأجبنى عنه بقيت مطاعا * لست فى حلبة الفضائل تسبق

قلت فى هذا اللغز ألفاظ لا يخفى على الفاضل ما فيها من الوهم والغلط فما رأيت ان أطيل الكلام فيها وعلى ذكر الباب فما أحسن ما كتب به شرف الدين شيخ الشيوخ بحماه الى والده ملغزا فى ذلك وهو

ماواقف فى المخرج * يذهب طورا ويجى
لست تخاف شره * مالم يكن بمرتج

فكتب أبوه ذهاب ومجىء وخوف وشر هذا باب خصومة والسلام وذكرت هنا أيضا ما نقلته من خط الفاضل علاء الدين الوداعى وصورته حدثنى شيخنا الامام تاج عبد الرحمن الفزارى رحمه الله تعالى قال كان شيخنا شيخ الاسلام عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام رضى الله عنه اذا قرأ القارئ عليه من كتاب وانتهى الى آخر أى باب كان من أبوابه لا يقف عليه بل يأمره أن يقرأ من الباب الذى بعده ولو سطرا واحدا ويقول ما فائدة ان نكون ممن يقف على الابواب انتهى (رجع) الى ذكر القلب وقد أتيت من هذا النوع بما يكفى ولا بد من ايراد نوع آخر من القلب وهو أشرف من الاول وهو أن الكلمة وما فوقها لا يتغير معناها بالقلب وقد عبر عنه الحريرى فى مقاماته بما لا يستحيل بالانعكاس ومثله بقوله ساكب كاس ومثله قوله تعالى كل فى فلك وقوله تعالى ربك فكبر ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال لصاحب القرآن

التى منها هذا البيت أبيات حسنة أذكرها جريا على العادة فى الاستطراد مما ينطوى على نكتة وفائدة فمنها قوله وقد خرج هاربا من كافور الاخشيدى من مصر الى العراق يصف طريقه فى ذلك ليلا على أعكش

أحم البلاد خفى الصوى
وردنا الرهيمة فى جوزه
وباقيه أكثر مما مضى
أعكش موضع والاحم الاسود

يوم القيامة اقرأ وارقا ومنه قول الحريرى كبر رجاء أجر ربك وقول القاضى الفاضل رحمه الله تعالى ابد الا تدوم الا مودة الادباء وقال العماد الكاتب للقاضى الفاضل رحمه الله تعالى سر فلا كبابك الفرس فقال له دام علاء العماد وهذا مطلع قصيدة للارجانى ومنه مودتى تخلى تدوم ومنه أرض خضر أفيها أهيف ساكب كاس ومنه وهو موزون أرانا الاله هلالا أنارا ومنه مراكب كارم ومنه مطرق قرطم ومنه سرفسار برأس فرس ومنه حوت فه مفتوح ومنه آدم جد محمدا ومنه ريح أحمر ومنه هرير وكذلك هره ومنه كبرت آيات ربك ومنه عقرب تحت برقع وقول الارجانى

مودته تدوم لكل هول * وهل كل مودته تدوم

وقال كمال الدين على بن النبيه

لبق أقبل فيه هيف * كل ما أملك ان غنى هبه

وقال سيف الدين بن المشد

ليل أضاء هلاله * أنى يضىء بكوكب

ومن كلام المولى صفى الدين الحلى كدضدك كن كما أمكنك كرم علمك يكمل عمرك ومن هذا ان يكون أول البيت كلمة مقلوبها قافية كقول الشاعر

رقت شمائل قاتلى * فلذاك روحى لا تقر
رد الحبيب جوابه * فكأنه فى اللفظ در

وقد سميت أنا هذا النوع مجنح القلب وفى هذه التسمية توربة مطبوعة وقد فكرت فى هذين البيتين فوجدت الكلمة الاولى ثلاثية والثانية ثنائية فقلت لو اتفق الكلمتان فى العدد لكان أكمل فى الصناعة فامتحنت الخاطر بنظم شىء فى هذا النوع كاملا ففتح الله على بالمطلوب عاجلا فقلت فى الوزن والروى

رضت فؤادى غادة * ما كنت أحسبها تضر
ودت رسولى خائبا * فدامعى أبدا تدر

وكذا فكرت يوما فى قول شمس الدين محمد بن التلمسانى

أسكرنى باللفظ والمقلة السكلاء والوجنة والكاس
ساق يرينى قلبه قسوة * وكل ساق قلبه قاس

فكدت أرقص لابل أطير عجبا وأميل لابل أذوب طربا وقلت هل أستطيع له طلبا أو أحكى لثغره شنبا فلم أر بينى وبين هذا الانسجام نسبا ولم أجد لى الى غير القالب الذى أبرز فيه معناه منقلبا ورضت جواد فكرى فى هذا الميدان فكبا وجردت حسام اقدامى على المعارضة فنبا وعلمت أنه غاية فات لحاقها ولم أر بى ما يقتضى أربا ولكن

قد يدرك المجد الفتى ولباسه * خلق وجيب قميصه مرقوع

فقلت ليست المعارضة مطلوبة فى انسجام لفظه وعذوبة تركيبه ولكن فى الصناعة فقط والاتيان بمثل هذه المادة لا غير تجربة للخاطر المستكن فحركت لها جوارحا تحن ففتح على فى ذلك الوقت بما أرجو أن يوجب المقة لا المقت فقلت

قلب الدن من أحب فأضحت * نغمة الندمن حياة تهدى

والصوى العلامات فى الطرق وهى أحجار يوضع بعضها فوق بعض ليعرف بها الطريق وفى الحديث ان للاسلام صوى ومنارا والرهمة موضع والضمير فى جوزه عائد على الليل يعنى اعترض قوم هذا اللفظ فقالوا اذا كان باقى الليل أكثر مما مضى فلا يكون نصفه فقيل فى الجواب وجهان أحدهما انه انما أراد بالنصف مدة

قال لى اعجب فقلت غير عجيب * كل دن قلبته كان ندا

فقلت لو اتفق لى شئ فى رويه لكان أقرب وأغرب فى البديع وأعرب فرجعت رجوع المفلس الى بقايا الدفاتر الموروثه وبقيت أخبط فى الظلام على خرط القتاد بعد الجلوس فى النهار على الزرابى المبثوثه وقلت ألق دلوك فى الدلاء ولا تجزع ان جاءت بقليل حمأة أو كثير ما فاكل قريحة تكدى ولا كل خطير يردى

وما عقمت أم الندى بعد حاتم * لما كل يوم فى البرية مولود

فقلت قلت وقد سرت فى الظلام وقد * أهمنى منه فقد اياسى

كيف يطير الفؤاد من جزع * وكل سار فقلبه راس

ولما قرات المقامات الحريرية على الشيخ الامام الاديب الكاتب شهاب الدين أبى الثناء محمود رحمه الله أنشدنى من لفظه عند وصولى فى القراءة الى بيتى ابن سكرة موالبا لبعضهم

لقيتها قلت وقيتى من الافات * بالله ارحمى صبك المضنى والامات

قالت تريد بحدوثة وخرافات * تنصب علينا وتأخذ سادس الكافات

ثم التفت الى الحاضرين وقال هل فيكم من يحفظ من نوع قول ابن سكرة شيئا فبعض القوم أنشد قول ابن التعاويذى

اذا اجتمعت فى مجلس الشرب سبعة * فبادر فما التأخير عنه صواب

شواء وشمام وشهد وشادن * وشمع وشاد مطرب وشراب

وسكت الباقون فأنشدته لابن قزل

عجل الى فعندى سبعة كملت * وليس فيها من اللذات اعواز

طار وطبل وطنبور وطاس طلا * وطفلة وطباهيج وطناز

وأنشدته له أيضا

جاء الخريف وعندى من حوائجه * سبع بهن قوام السمع والبصر

موز ومزو ومحبوب ومائدة * ومسمع ومدام طيب ومرى

وأنشدته لغيره أيضا

رمتنا يد الايام عن قوس خطبها * بسبع وهل ناج من السبع سالم

غلاء وغارات وغز وغربة * وغم وغدر ثم غبن ملازم

فاعجبه رحمه الله ذلك وأمر بتعليقها ثم انه قال الا ان من خاصية هذا النوع انه لابد وان يكون بعض هذه السبعة موصوفا ليقوم الوزن بذلك فاستقريت ما احفظه فكان كذلك قلت والعلة فى ذلك انها سبعة ألفاظ ويريد الناظم يأتى بها فى بيت واحد فيضطره الوزن الى زيادة لفظة ليكون كل نصف فيه أربعة وبقى هذا الكلام فى ذهنى ولم أكن اذ ذاك مشتغلا بغير التحصيل والقراءة والمطالعة الى أن اشتغلت ببعض العمل فاردت امتحان الخاطر المخاطر بنظم شئ من هذه المادة بحيث أن يكون سبعة ألفاظ بغير زيادة وصف فاتفق ذلك فقلت

اذا تيسر لى فى مصر واجتمعت * سبع فانى فى اللذات سلطان

خود وخمر وخاتون وخادمها * وخلسة وخلاعات وخلان

وقلت أيضا ان قدر الله لى فى العمر واجتمعت * سبع فانى فى اللذات مغبون

الثالث الاوسط والثانى أن الضمير فى جوزه عائد على أعكش والرهمة ماء فى وسطه وردوه وباقى الليل أكثر مما مضى

لتعلم مصر ومن بالعراق
ومن بالعواصم أنى الفتى
يعنى بمن فى مصر من فاتهم
ومن بالعراق من هو قادم
عليهم ومن بالعواصم سيف
الدولة

قصرو قدر وقوادوقبته * وقهوةوقناديل وقانون

وقلت فى الجميع بين ثمانية

ثمانية أن يسمع الدهر لى بها * فمالى عليها بعد ذلك مطلوب
مقام ومشروب ومزح ومأكل * وملهو ومشموم ومال ومحبوب

وقلت ايضا

الى متى أنا لا انفك فى بلد * رهين جمات حور كلها عطب
الجوع والجرى والجيران والجدرى * والجهل والجبن والجرذان والجرب

وأنشدنى الشيخ الامام الحافظ فتح الدين محمد بن سيد الناس لغيره

اذا كان فى اسم المرء شين هوت به * الى الشر فليحذر أذاه المحاذر
شريف وشيبى وشيخ وشاهد * وشمر وشريب وشرخ شاعر
سوى الشافعى أو شاد ن راق حسنه * كذا الشهداء المتقون وشاكر

وأنشدنى أيضا لابى الحسين الجزار

وكانفات الشتاء تعد سبعا * ومالى طاقة بلقاء سبع
اذا ظفرت بكاف المكيس كفى * ظفرت بمفرد يأتى بجمع

ووقفت أيضا على بيتين لابى الحسين الجزار وهما

يارب ان أعدمتنى راحة الدنيا * فهب لى راحة الآخره
فى بلدتى لم أخل من هاجر * ورحلتى لم أخل من هاجره

فاعجبانى وأنشدتهما لبعض أدباء العصر فى زعمه وكررت العجب منهما فقال لقد نفخت فى غير ضرم أى شئ قال انما ذكر ان له فى بلده هاجرا وفى غربته هاجرة فذكر وأنث فعلمت انه ذاهل عن نكتة البديع فيهما وأنشدتهما للولى جمال الدين محمد بن نباتة بدمشق سنة تسع وعشرين وسبعمائة فقال قد نظمت أنا أيضا فى مثل هذا وأنشدنى قوله

يارب ان ابنى وشعرى معا * قد أصبحا فى حالة حائله
الشعر محتاج الى قابل * والابن محتاج الى قابله

وكنت أجتمع أنا وهو بالحائط الشمالى من الجامع الاموى بدمشق بكرة النهار وبعد العصر نتذاكر فاتفق ان غبت ليلة عن ميعادنا فكتب الى

امولاى غبت وخلفتنى * من الهم ذا فكرة خاضعه
فها أنا بعدك فى جامع * ولكن قلبى فى جامعه

فكتبت الجواب اليه

وقفت على نظمك المشتهى * وشاهدت روضته اليانعه
فكم ألف مثل غصن النقا * وهمزته فوقه ساجعه
أقام على الود لى حجة * ولكن عن الناس لى قاطعه
وقد سمع العبد ألفاظها * فياحسنها فى الحشا واقعه
واصبح شكرى لها تاليا * وجلته للثنا جامعه
ورحت لباب الدعا قارعا * الى ان تصيب العدا قارعه

ومن يك قلب كقلبى له
يشق الى الغر قلب النوى
ونام الخؤديم عن ليلنا
وقد بام قبل عمى لاكرى
وقد كنت أحسب قبل الخصـ
ـى أن الرؤس محل النهى
فلما نظرت الى عقله
وجدت النهى كلها فى الخصى
وقد ضل قوم باصنامهم
فما نرق رياح فلا
يعنى ان من أطاع كافورا
فقد ضل بطاعة شئ اسود مملوء

فلما وقف عليها قال والله هذا التالى والجامعة ما كانا لى فى حساب وقلت فى هذه المادة

يازمنا اوقعنى شؤمه * فى محنة ليس لها كاشفه
الفضل يحتاج الى عارف * والحال تضطر الى عارفه

وقلت ايضا مذغاب محبوبى عن ناظرى * بطلعة كالروضة الناضره
ابكى بطرف فى الدجى ساهر * حتى يرى شخصى فى الساهره

وكنت كثيرا ما اقول للشيخ فتح الدين محمد بن سيد الناس اليعمرى يعجبنى قول القاضى الفاضل وعجبت لاطراد تلك القوافى ورأيت الشعراء أتت بما الفت فى ضيق الاودية وخاطره وقلمه أتيا بما الفيا فى الفيا فى فلما كنت بصفد كتب الى كتابا جوابا عن كتاب صدر منى اليه يقول فيه فلله ذلك السحر الحلال الشافى بل تلك القوى فى القوافى يشعل تلك المقاصد التى أقصدت المنى فى المنافى فكتبت الجواب اليه ومنه وعكف منه على كعبة الفضل فلله ما نشر فى استلامى وطوى فى طوافى وارادطائر القلب ان ينهض بالجواب فذهبت القوى من القوادم وظهر الخوى فى الخوافى وحكى لى الشيخ فتح الدين قال كان شرف الدين محمد بن الوحيد الكاتب يقول قولهم النبيذ بغير الدسم سم وبغير النغم غم لم يقع لهما تين السجعتين ثالثة وقد عملت أنا لهما ثالثة وهى وبغير المليح قبيح قلت ما كان ابن الوحيد لمح ما فيهما من الجناس المرقص ولوان الامر يرجع الى السجع أو الوزن أو التضاد عمل الناس مجلدات كثيرة من هذا النوع وقد تكلفت أنا لهما سجعة ثالثة وهى وبغير النهم هم أعنى أن الاكثار من الشراب سبب الانشراح والسرور على العادة من كلام الذين أولعوا بالشراب وبالغوا فى الاكثار منه وحضوا عليه كقول الشاعر

اذا لم يكن سكر يضل عن الهدى * فسيان ماء فى الزجاجة أو خمر

ولما قرأت كتاب حسن التوصل الى صناعة الترسل على مصنفه الشيخ الامام العلامة شهاب الدين أبى الثناء محمود رحمه الله تعالى وكان مما أورده فى أنواع الجناس قول المطوعى وهو

أخو كم كرم يفضى الورى من بساطه * الى روض جود بالسماح مجود
وكم لجباه الراغبين اليه من * مجال سجود فى مجالس جود

قال لى عند ما مررت بهما ما جاء لاحد مثل هذا الجناس فبقى هذا الكلام فى ذهنى فلما كان بعد مدة اتفق لى نظم سبعة وعشرين مقطوعا فى هذا النوع وقد أودعت ذلك فى كتاب لى سميته جنان الجناس فمن ذلك قولى

وساق غدا يسعى بكاس وطرفه * يجرد اسيافا لتعسير كفاح
اذا جرح العشاق قالوا أقت فى * مدراج راح أم مدار جراح

وقولى أيضا بكيت على نفسى لنوح حمائم * وجدت لها عندى هدية هاد
تنوب اذا ناحت على الأيك فى الدجى * مناب رشاد فى منابر شاد

وأنشدت يوما بعض فضلاء العصر ما أنشده لنفسه الشيخ الامام العلامة شهاب الدين محمود رحمه الله تعالى قراءة منى عليه وهو

تثنى وأغصان الاراك نواضر * فتحت وأسراب من الطير عكف
فعلم بانات النقا كيف تثنى * وعلمت ورقاء الحمى كيف تهتف

هوا ولم يضل أحد بمثل ذلك ومن جهلت نفسه قدره رأى غيره منه ما لا يرى

يعنى من جهل قدر نفسه عرف غيره بارتكاب القبائح التى لا يتنبه لها ومن نوادر المتنبين على سرقات المتنبى قول أحدهم انه سرق هذا البيت من حكاية وهو ان قصادا كان يعمل على شاطئ نهر وكان كل يوم يرى كركيا يجيء فيلتقط من الحمأة دودا

وقلت هذا هو الديباج الخسرواني والسحر الحلال لاهل المعاني لا ما يعلل به شعراء العصر نفوسهم ويظنون انهم جلوا في مجالس الطرب كؤسهم هيهات هيهات نأى هذا النوع عن غاياتهم وفات فقال لي هل لك في أن تأتي له بمشابه أو تجد طاقة على الدخول في بابه قلت ليس لي بهذا يدان ولا أنا من فرسان هذا الميدان أما المعنى فيمكن الاتيان به في وزن أقصر وأما العذوبة والانسجام فالاعتراف بالعجز عنهما أعضد وانصر فنظمت في أصل المعنى لا في لطف المبنى بيتين وهما لم أنسه في روضة * والطير تصدح فوق غصن

فأعلم الورق البكا * ويعلم البان التثني

واجريت يوما ذكر قصيدة له مدح بها الملك المؤيد صاحب حماة رحمهما الله تعالى اظهر غزلها في مظهر البديع كما يظهر أبو الطيب الحماسة في صورة الغزل وقد تقدم منه قطعة في اثناء هذا الكتاب وأنشدني لنفسه رحمه الله اجازة من قصيدة

وان تردعلم بديع الهوى * فات الى عندي فعندي المراد

جانس طرفي النجم مستيقظا * لي في الدجى بين السها والسهاد

وطابق الشوق لهيبي بما * دمعي فضلا بين خاف وباد

وقسم الوجد غرامي كما * شاء واعضائي على ما أراد

فقلبي للدمع والجسم للأسقام والقلب لحفظ الوداد

وفرع الحب الضنى في الحشا * عن مقل فيها منايا العباد

فما ظبا ارهفها قينها * ليوم حرب من سيوف حداد

يوما بأمضى من جفون بدت * من كحل خالطها في السواد

وقلت بالموجب في قولهم * بعد النوى يعرف صدق الوداد

فهو كما قالوا ولكنه * يعرف ممن وده في ازدياد

فطرب الحاضرون لذلك طرب المشوق الى وجه الحبيب والعاني لغيبة الرقيب وقالوا هل يمكنك أن تخرط في سلكها أو تحتوي قريحتك على مثل ملكها فقلت ماكل غصن تناله يد المصر ولا كل بديع في الوجود يدخل تحت الحصر ولا كل بطل يثق في المبارزة بالنصر ولكن لا يترك فرض الظهر لدخول وقت العصر ولا يهدم الحصن لاجل القصر فنظمت ولو وفقت هدمت وهو

أنا والحبيب ومن يلوم ثلاثة * لهم بديع الحب أصبح ينتمي

فلي الجناس لان دمعي عن دمي * يجري ألست تراه مثل العندم

وله مطابقة التواصل بالقلى * ولعاذليه لزوم مالم يلزم

وقلت أيضا لا تعجبوا منه فما حسنه * الا بليغ حرت في وصفه

ان كان قد أوجز في خصره * فانه أطنب في ردفه

وما اتى بالواو في صدغه * الا وقد رتب في عطفه

ولف في البردة اعطافه * حتى يطيب النشر من لفه

وهذا آخر كتاب غيث الادب المسجم في شرح لامية العجم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

ويقتصر في القوت عليه فرأى الكركي صقرا قد ارتفع في الجو وانقض على حمامة فاصطادها وأكلها فقال الكركي مالي لا أصطاد الطيور كما يصطاد هذا الصقر وأنا أكبر منه جسما فارتفع في الجو وانقض على حمامة فأخطأ وسقط في الحمأة فتلطخ رأسه وتلطخ ريشه ولم يمكنه أن يطير فاخذه الصياد ورجع الى منزله فاستقبله رجل فقال

هذا وقد تفضل بعض أهل المعارف والعلوم الحائزين قصب السبق فى المنطوق والمفهوم بارسال تقريظين مشتملين على تاريخين فذكرناهما على حسب الورود وهاك عذب زلالهما المورود قال الهمام الاكمل والعلامة الافضل حضرة الشيخ ابراهيم أفندى الاحدب الطرابلسى

هل بارق من ثنايا ثغر مبتسم * أبان نظم اللآلى فى دجى الظلم
أم وجنة وردها غض تفتح من * مر النسيم جلاها بارئ النسم
أم عارض قلم البارى حكاه لنا * فى صفحة عوذت بالنون والقلم
وهى عقود زهت فى جيد غانية * روت معاطفها عن بانة العلم
أم هذه الشهب فى الظلماء مشرقة * تهدى الى منهج الآداب كل عمى
وهل زلال معين قد تسلسل فى * ورد الثنايا جلا عن مورد شبم
أم ذى مناهل غيث قد أضيف بما * حلا الى أدب بالفضل منسجم
لامية النجم استعلت به وزهت * بمعرب للمعانى غير منعجم
شرح بديع به شرحى يطول اذا * أحكمت فيه بيان النعت بالحكم
أبان للقوم أفنان الفنون فما * روض جلا نور منثور ومنتظم
وكم به من عيون راق موردها * رويها بالقوافى رى كل ظمى
اخلاف غيث سماها در صيبها * كم شب منها رضيع غير منفطم
لله در صلاح الدين منشئها * أبكار حسن فما سلمى بذى سلم
لم ينصف ابن الدماميني حيث أتى * منقصا لعلاه غير محتشم
أحرى به انه يثنى عليه ولم * ينسب فسادا الى من للصلاح نمى
ولم يعب فيه احماضا يطيب به * ذوق حلا بعد مر الجد للفهم
سفر يروق لذى الأسفار منهله * وفيه يغنى فقير السمع للنغم
جلت انا طبعه الاسكندرية فى * أيام غيث البرايا منهل الكرم
وثغرها افتر مسرورا بطلعة من * علا على النجم كعبا ثابت القدم
سامى المآثر اسمعيل من طلعت * أقماره فى سماء الفضل والنعم
عزيز مصر الذى عزت معالمها * به فأم حماها سادة الامم
وقد غدت كعبة المعروف كل فتى * يسعى لأبوابها مسعاه للحرم
يمينه بيسار المرتجى ضمنت * كما بعلياه برت أحرف القسم
به العلوم ازدهت بالطبع وابتسمت * تهدى الثناء بما يحلو بكل فم
من ذاك شرح جلت أحكامه حكما * فرق حاشية للنصف الحكم
فلو رآه صلاح الدين قال وقد * أبان وهو أشم القدر عن شمم
قد رق طبع كتاب ما يؤرخه * بدا لشرحى على لامية العجم

سنة ١٢٩٠ ٨ ٥٤٨ ١١٠ ٤٨١ ١٤٤

وقال حضرة الاديب الكامل والاريب الفاضل الشيخ رمضان حلاوه

روّ الفؤاد بمنهل ومنسجم * وداو كلم الحشا من هذه الكلم

ما هذا فقال كركى يتصفر فسمع المتنبى حكايته فاخذ منها معنى هذا البيت وهذا من نادر التعصب على هذا الرجل الفاضل المحسود

تمت الرسالة وشرحها * والدلالة ونصها * ولا أدعى فيها غير انتخاب الاخبار * واختيار المتمكن من النظام والنثار * فانى أتيت بيوت الاشعار من أبوابها * وميزت أبكار الفقر من أترابها *

واشرح حديث الصبا ياصاحبي فبها * شرح الصدور لصب فيه منهم
واستطرد القول في شأن الحبيب فقد * بان الحبيب ضحى عن بانة العلم
وأجل المعاني معاني الحسن تعرب عن * حال المعاني بنصب الشوق والسقم
واذكر لدنيا لغات في الهوى حسنت * مبلغات نحى الالمعي الفهم
خليل أيبك من راقت مشاربه * وبحر آدابه قد فاض كالديم
لله شرح له سامي العلوم على * لامية العجم المرفوعة العلم
مطول أدبا في ضمنه حكم * لا خير في قصر الآداب والحكم
من كل معنى يكاد السحر يعبده * وكل لفظ رقيق الحسن منتظم
يظل يورد انجاثا ويعقبها * وورد الحديث فيروى منه كل ظمى
له رجوع الى اتحاف شاردة * على اصالة رأى فيه ملتئم
وقد بدا طبعه زاكي الطباع على * نسيم صفو بطيب الروض مختتم
لما انتهى قلت في التاريخ فاق علا * شرح الصلاح على لامية العجم

سنة ١٢٩٠ ١٠١١٨١ ٥٠٨ ١٦٠ ٨٦١١٠ ١٤٤

وعلى الجملة ففي عواطف من عرضت عليه هذه النبذة ما يسد خللي * ويشد أملي * ويكثر قليلي * ويرعى كل وقت رحلتي الشمالية بقبولي عطر الله بذكره المشارق والمغارب * وزين سماء المدح في مناقبه بزينة الكواكب ولا خلت أبواب نعمه وعلمه على كل الحالين من طالب * آمين * والحمد لله رب العالمين

بعد حمد الله على آلائه والصلاة والسلام على سيد أنبيائه وعلى آله هداة الانام وأصحابه الائمة الاعلام فقد تم طبع هذا الكتاب الجليل الراقي من درجات البلاغة أسنى رتبة يشهد سموها كل لوذعي نبيل المشتمل على بديع الرقائق ومحاسن الآداب المسفر عن وجوه محدرات القصيدة الموسومة بلامية العجم كل حجاب ونقاب المظهر من خفي دقائقها مالا يصل الى الوقوف عليه الا ثواقب الاذهان ولا يهتدي الى ابرازه على هذا الوجه البديع الامن لا يدرك شأوه في مضمار البيان الموسوم طبقا لمعناه بالغيث المسجم في شرح لامية العجم للعلامة الفاضل والهمام الكامل الاستاذ صلاح الدين بن أيبك الصفدي الأريب الشاعر المفلق الاديب رحمه الله وأكرم مثواه مطرزا بطراز الكتاب النفيس المغني الواقف عليه عن المسامر والانيس المسمى شرح العيون لرسالة ابن زيدون للعالم النحرير وعلم الفضل الشهير جمال الدين الاستاد محمد ابن نباتة المصري تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته وكان طبعهما البهي الفائق وتمثيل شكلهما الشهي الرائق بالمطبعة البهية الازهرية احدى جليل المطابع المصرية السنية المنسوبة للشهم الهمام الاوحد المقدام السيد محمد رمضان عاملني الله واياه بالاحسان احد ذوي اداراتها الامراء الاماثل اخدان الفضائل والفواضل ووافقت نهاية الطبع منتصف رمضان المعظم من عام ألف وثلاثمائة وخمسة من هجرة النبي الاعظم صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه وعترته وتابعيه وجميع حزبه آمين

م